توضيح لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لابن قدامة المقدسي

تأليف

محمد بن إبراهيم العثمان

اعتنى به

عبد اللّه بن محمود الهزاع

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فإن الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أفذاذ العلماء المتقنين، فقيه الإسلام، وعالم الشام.

له المؤلفات النافعة في فنون العلوم، خصوصًا في العقيدة والفقه، وكان من مجتهدي العلماء.

مؤلفات ابن قدامة خصوصًا في الفقه عظيمةُ الغناء في إفادة العلماء والمتعلمين، خصوصًا «المغني» الذي ذكر فيه مذاهب الفقهاء في ضوء فقه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، بأدلة الكتاب والسنة.

ومؤلَّف «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة متن نافع في مجمل الاعتقاد، وهو مع اختصاره ضمَّنه الأدلة من الكتاب والسنَّة وإجماع الأمَّة علىٰ جمل المتن.

واللمعة ضمَّنها ابن قدامة المأثور عن سلف الأمة من مسائل الاعتقاد، عن الصحابة، وأعلام السلف من بعدهم؛ كعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وتضمنت اللمعة بعض مسائل المنهج؛ كمناظرة المبتدعة، والتحذير من الحزبية.

ولمعة الاعتقاد دالة علىٰ سلفية ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودالة علىٰ توافق علماء أمصار المسلمين علىٰ الحق.

فالعناية بهذا المتن شرحًا وتدريسًا هو من مذاكرة العلم، وإحيائه، وهو من أسباب نشر الحق وهداية الخلق، لذلك استعنت بالله في شرحه.

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

❁ وقال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان.

❁ الشَّرْح:

ابتدأ ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفه «اللُّمْعَة» بالبسملة والحمد، وهذا استهلال مبارك، فيه استعانة بالله في التأليف، وثناء علىٰ الله، وشكر له علىٰ ما أنعم به من الرزق في الفقه في الدين، وأداء لبعض حق هذه النعمة من الشكر.

والمسلم إذا استعان بالله أعانه الله ووفقه وسدَّده، وقد ظهرت البركة في هذا المؤلف؛ فقد كتب الله له القبول، وظهور ذلك واضح في عناية العلماء الشديدة في شرحه تدريسًا وتصنيفًا.

ومن بركة هذا المؤلف سهولة عباراته في الفهم، وإتقان ألفاظه في ذكر مجمل الاعتقاد؛ فليس فيه ألفاظ بدعية منتقدة، ولله الحمد.

ومصنفات ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلها شهد لها العلماء بالإفادة الفائقة، خصوصًا «المغني».

ومؤلف «اللمعة» بعض من إسهامات ابن قدامة المقدسي في نشر العقيدة الصحيحة وتعليمها ونصرة الحق.

وجمل الاعتقاد التي في «اللمعة»؛ هي مما اتفق عليه سلف الأُمَّة، وأجمع عليه المسلمون.

ابتدأ ابن قدامة كتابه بالبسملة تأسيًا بنبينا محمد ﷺ؛ حيث كان يبتدئ خطاباته وكتبه بالبسملة، وهذا عليه عمل النبيين عليهم الصلاة والسلام، قالت

ملكة سبأ في وصف كتاب سليمان عليه السلام لها: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾.

النبي ﷺ كان يستفتح بالبسملة في خطاباته وكتبه، فقد أمر عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبدأ كتابة صلح الحديبية بالبسملة، رواه البخاري ومسلم.

ومن التقوىٰ استفتاح الكتب بالبسملة، **قال ابن القيم** رحمه الله[1]: «كلمة التقوىٰ هي جنس يَعُمُّ كُلَّ كلمةٍ يُتقىٰ الله بها، وأعلىٰ نوعها كلمة الإخلاص، وقد فُسرت ببسم الله الرحمن الرحيم».

واستفتح النبي ﷺ كتابه إلىٰ هرقل بالبسملة، متفق عليه.

قال الحافظ النووي رحمه الله **في فوائده**[2]: «استحباب تصدير الكتب بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)».

ولا يزال العلماء يتأسون بالنبي ﷺ في الاستهلال بالبسملة في كتابة مصنفاتهم.

قال العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني رحمه الله [3]: «إنَّما بدأ المصنفون كتبهم بالبسملة تأسِّيًا بالكتاب القديم، واقتداء بالرسول الكريم في مكاتباته إلىٰ الملوك وغيرهم، وعملًا بحديث: «**كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**»[4]، أي ذاهب البركة».

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد (ص٤٣٨).

(٢) التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري (١/ ٤٢٠).

(٣) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب (١/ ١٥).

(٤) حديث ضعيف.

❁ وقال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد.

❁ الشَّرح:

بدأ الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا بالحمد العام لربنا عَزَّوَجَلَّ، حيث قال: «الحمد لله»، والحمد هو وصف المحمود بصفات الكمال محبة وتعظيمًا وإجلالًا، ثم حمد الله عَزَّوَجَلَّ تفصيلًا بذكر أنواع صفات الله الحسنىٰ، من ذلك كمال علم الله، فإنَّ الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

والثناء علىٰ الله بصفة العلم هو من أخص صفات الكمال التي تمدح الله بها نفسه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

وبعد الحمد شرع ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتنزيه الله عن النقائص، فقال: «وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد»، وهذه طريقة القرآن في توحيد الله معرفةً وإثباتًا بوصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن النقص والمثال، ومتىٰ تحقق المسلم بتوحيد المعرفة أتىٰ بتوحيد العمل، فعبد الله بما شرع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ابتدأ ابنِ قدامة «اللمعة»، وهو متن في مجمل العقيدة بذكر أوصاف الكمال لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ التوحيد أساسه الذي يُبنىٰ عليه هو توحيد الله في أسماءه وصفاته، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ التوحيد مَبْنَاه

(١) توضيح الكافية الشافية (ص٩٧).

علىٰ: إثبات تفرُّد الرب بصفات الكمال».

وقال العلامة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قال بعض العلماء: أوَّلُ فرض فرضه الله تعالىٰ علىٰ خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه».

ابتدأ ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ «اللمعة» بذكر صفات كمال الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ توحيد الأسماء والصفات موجب لتوحيد الألوهية والعبودية لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لا أحد سواه يستحق أن يؤلَّه ويُعبد، ويُصلىٰ له ويُسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل، لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده علىٰ الحقيقة، والمألوه وحده، وله الحكم وحده».

العلم بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته؛ هو أساس التوحيد، فإنَّه يُثمر محبة الله عَزَّوَجَلَّ وخوفه ورجاءه وعبوديته، ويُثمر تنزيهه عن الأنداد والشركاء، ويوجب عبودية الله بما شرع.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الإيمان بالصفات وتَعرُّفها؛ هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جَحَد الصفات فقد هَدَم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يخلو من علمه مكان»؛ فيه تمدح الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) الحُجَّة في بيان المحَجَّة (١/ ٤٤).

(٢) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (ص١٣٩).

(٣) مدارج السَّالكين (ص٨٨٠).

بصفة العلم، وهي من أعظم أوصاف الكمال لله رب العالمين قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، فالله عَزَّوَجَلَّ قد أحاط بكل شيء علمًا، لا تخفىٰ عليه خافية، عليم بذات الصدور، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هو تعالىٰ العليم، الذي له العلم العامُّ للواجبات والمُمْتَنِعَات والمُمْكِنَات، فيَعْلم نفسه الكريمة، وصفاته المُقدَّسَة، ونُعُوته العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويَعْلم الممتنعات حال امتناعها، ويَعْلم ما يترتَّب علىٰ وجودها لو وُجدت، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فهذا ونحوه من ذِكْره للمتنعات التي يَعْلَمها، وإخباره بما ينشأ عنها لو وُجدت علىٰ وجه الفرض والتقدير».

ووعظنا الله في القرآن بذِكْر علمه حثًّا علىٰ طاعته، ونهيًا عن معصيته، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص١٩٤، ١٩٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من شَهِدَ مشهد العلم المحيط الذي لا يَعْزب عنه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك كله علمًا تفصيليًّا، ثم تَعبَّد بمقتضىٰ هذا الشهود من حراسة خواطره، وإرادته، وعَزَماته، وجوارحه، علمًا بأنَّ حركاته الظاهرة والباطنة، وخواطره وإرادته، وجميع أحواله؛ ظاهرةٌ مكشوفة لديه، علانية له، بادية له، ولا يخفىٰ عليه منها شيء».

وقال ابن قدامة في وصف ومدح الله عَزَّوَجَلَّ: «لا يشغله شأن عن شأن»، وذلك لكمال ألوهيته وقيوميته، فالخلق يصمدون إليه ويدعونه ويناجونه كل حين، وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، يسمع سرّهم ونجواهم جميعًا كأنَّهم نفس واحدة لعظمته سبحانه، فالله أحاط بالخلق علمًا وقدرة.

ولكمال قيوميته لا يشغله شأن عن شأن، فهو القائم علىٰ كل نفس خلقًا وإيجادًا وتكوينًا وإمدادًا، وحفظًا ورزقًا.

وهذا النعت وهو أنه سبحانه «لا يشغله شأن عن شأن»، من أعظم براهين ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ التي تنفي عنه الشريك، وتوجب الخضوع لربوبيته وعظمته والتذلل لعزته وجلاله وكبريائه بعبادته وحده لا شريك له.

وقيومية الله عَزَّوَجَلَّ دالة علىٰ غنىٰ الله عن خلقه أجمعين، وافتقارهم جميعًا إليه، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

وبكمال قيوميته وكمال نعوته كلها تفرَّد الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهية واختص بها، فلا شريك له في ذلك، ولا كفء، ولا نظير.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/ ٨٩، ٩٠).

قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ فإنَّه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمَّن انفراده بالربوبية، وأنَّ ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنَّه خالق ما سواه ومعبوده».

ولذلك عاب سيد الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام علىٰ المشركين عبادة من لا شأن له، فقال تعالىٰ مخبراً عنه أنَّه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢].

وبربوبية الله عَزَّوَجَلَّ وصمديته عرف النبيون الموحدون صلوات الله وسلامه عليهم الله رب العالمين، قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ومن عظيم شأن الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه وأمره؛ أنَّه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنَّه قدَّر ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وأنَّ مشيئته في ذلك كله نافذة، لا راد لما قضاه وقدَّره سبحانه.

ومن عظيم شأن الله عَزَّوَجَلَّ ربوبيته لخلقه بالنفع والضر، فلا أحد سواه يقدر علىٰ ذلك، وهذا يوجب علىٰ الخلق سؤاله ودعاؤه وحده في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) الصفدية (٢/ ٦٤).

ومن عِظَم شأن ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ امتناع أن يضره أو ينفعه أحد.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «**يا عبادي! لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي، لَو أنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم؛ كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم؛ كانوا علىٰ أفجر قلب رجل منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» رواه مسلم.

ومن كمال الله عَزَّوَجَلَّ فيما يشاؤه؛ أنَّه لا يشاء إلا لحكمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٣٠].

وصفة مشيئته وإرادته عظيمة دالة علىٰ اختصاص الله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ومن كمال الله عَزَّوَجَلَّ فيما يشاؤه أنَّه سبحانه هو الخالق لمشيئة خلقه، فهو الذي أمدهم بالعلم والقدرة والقوة والإرادة، فهو خالقهم وخالق أعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

ومن كمال ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ المستلزمة لعبوديته وحده؛ قيوميته علىٰ خلقه وإحاطته بهم، وغناه عنهم، وامتناع كل أحد أن يحيط به أبدًا، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن كمال ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ المستلزمة لعبوديته وحده، وهي من أعظم

خصائص ألوهيته: أنَّه الأول والآخر، فالله هو المبتدئ بالخلق والهداية، وبالإمداد إلىٰ الموافاة.

ومن علم أنَّ إلىٰ الله المنتهىٰ عبده بما يوجب موافاته بأسباب رضاه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان الله ولم يكنْ شيء غيره، وكل شيء هالك إلا وجهه، فتأمل عبودية هذين الاسمين، وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلىٰ الله وحده، ودوام الفقر إليه، دون كل شيء سواه، وأنَّ الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنَّه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح ولا فلاح ولا كمال إلا بأنْ يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده».

ومن أعظم غنىٰ الله عن خلقه؛ غناه عن عبادات وطاعات خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

فالله عَزَّوَجَلَّ إنَّما أمر خلقه بعبادته لأنَّه حقه الخالص، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، ولأداء ما يجب عليهم من حق الله عليهم في أبدانهم وأموالهم، ولمصلحتهم في زكاء نفوسهم وتكميل بشريتهم، وليكون ذلك سببًا لثواب الله لهم بدخول الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨].

فالحاصل: أنَّ العلم بعظيم شأن الله عَزَّوَجَلَّ؛ يوجب توحيده، وينفي عنه الشركاء.

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ

(١) طريق الهجرتين (ص٢٠)، ط: المكتبة السلفية – القاهرة.

يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يخبر تعالىٰ أنَّ له ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، يتصرَّف فيهم بما يشاء من أحكامه، فالجميع مماليك لله مسخَّرون مدبَّرون لا يستحقُّون شيئًا من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي لا يغني من الحق شيئًا، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: في ذلك خرص وإفك وبهتان، فإنْ كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليُظهروا من أوصافها ما تستحقُّ به مثقال ذرَّة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئًا أو يرزق أو يملك شيئًا من المخلوقات أو يدبِّر الليل والنهار الذي جعله الله قيامًا للناس؟!».

وقول ابن قدامة «ونفذ حكمه في جميع العباد»؛ أي حكمه الكوني القدري.

ونفوذ حكمه القدري في جميع خلقه؛ دال علىٰ أنَّه الملك، وأنَّه الرَّبُّ العظيم، الذي له الكبرياء والعزُّ، وليس له منازع في ملكه، فليس لمخلوق من الأمر شيء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأوصاف الله عَزَّوَجَلَّ من الملك والكبرياء والعظمة كلها أوصاف حميدة؛ لأنَّ الله سلام من الظلم، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٤١٣).

ونفوذ حكم الله الكوني القدري في خلقه، دالٌّ علىٰ تفرُّد الله بالربوبية، وذلك مستلزم لإفراده بالعبودية وحده لا شريك له.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾، فأتىٰ بالفاء الدالة علىٰ السببية؛ أي: فبسبب اختصاصه بالربوبية يجب أن تخصوه بالعبادة».

❁ ❁ ❁

(١) تفسير سورة آل عمران (١/ ٣٠١، ٣٠٢).

وقال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٥، ٦].

الشَّرْح:

حذَّر ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الخوض في أسماء الله وصفاته بالأوهام والخيالات؛ لأنَّ العقل والقلب والفكر لا يحيط بالغيب، فأسماء الله وصفاته توقيفية لا يقال فيها إلا بتوقيف عن نص من الوحي يدل علىٰ ذلك، نعم العقل يثبت كمال الصفات لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ سبيل الإجمال، أمَّا علىٰ سبيل التفصيل فعلم ذلك نتلقاه بما أخبر الله به عن نفسه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠].

فليحذر المسلم من القول علىٰ الله بغير علم، خصوصًا فيما يتعلق في القول في أسماء الله وصفاته، وما يثبت له، وما يُنفىٰ عنه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وكان التزام الصحابة وتابعيهم بإحسان بالقول في دين الله عمومًا وفي أسماء الله وصفاته خصوصًا باتباع الوحي من أسباب هدايتهم وصحَّة علومهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وضلت فرق المبتدعة بأنواعها بسبب قولهم علىٰ الله بغير علم، بجهالات عقولهم وأذواقهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

فاحذر أيُّها المسلم أن تُقدِّم أهواء المضلين علىٰ نصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة، أو أن تجعل كلامهم مهيمنًا علىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ فتكون بذلك من المكذبين أو المحرفين لكلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

نحن مأمورون بتلقي الدين عن النبي ﷺ، والإيمان بكل ما بلَّغه إلينا رسول الله ﷺ، واعتقاده والعمل به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا الدين مباشرة من النبي ﷺ، وبلَّغوا عنه، وقد جعل الله رضاه في اتباعهم بإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فليحذر المسلم من مشاقة الرسول ﷺ، وتلقي الدِّين من غير من أداه عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقد حاجَّ السَّلف المبتدعة بهذا المنهج في التمييز بين الهدىٰ والضلالة، والحق والباطل.

قال عبَّاد بن العوَّام لشريك بن عبد الله القاضي: إنَّ عندنا أقوامًا من المعتزلة ينكرون رؤية الله في الدار الآخرة ونزوله إلىٰ السماء الدنيا، فحدَّث بنحو من

عشرة أحاديث في ذلك، وقال: نحن أخذنا ديننا عن التابعين عن الصحابة، فهم عمَّن أخذوا؟!(١).

وتوارث الأئمة من بعد التابعين عقيدة القرون المُفضَّلَة، وأَثْبَتُوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ كما جاءت على ظاهرها، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تفويض لمعانيها.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة».

قال العلَّامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «صَدَقَ مالك؛ لا يُعقل منه كيف، ولا يُجهل منه الاستواء».

وقال المروذي: سألت أحمد بن حنبل عن أخبار الصفات؟ فقال: نُمِرُّها كما جاءت(٣).

وقال الوليد بن مسلم: سألت مالكًا، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، عن أحاديث الصفات، فقالوا كُلُّهم: أَمِرُّوها كما جاءت.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**(٤): «إنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وَصَفَ به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وهذا مذهب العلماء ممَّن اتَّبع، ولمْ يبتدع».

وقال قوام السُّنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

(١) السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٢٧٣ - رقم ٥٠٩).

(٢) الرَّدُّ على الجهمية (ص٣٣).

(٣) السُّنَّة للخلال (٢/ ٢٦٨).

(٤) الشريعة (٢/ ١٠٥١).

(٥) الحُجَّة في بيان المحَجَّة (١/ ١٧٤).

ما جاء منها في كتاب الله أو رُوِيَ بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ فمَذهبُ السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، فهذا إجماع معلوم متيقن عند جميع أهل السُّنة والحديث، فعلماء الأمصار المتَّبعون للسلف من الصحابة والتابعين كلهم يصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ».

وقال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق والشام، ومصر؛ مذهبنا: أنَّا نُثْبِت ما أَثْبَته الله لنفسه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونُصَدِّق ذلك بقلوبنا».

حذَّر ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من القول في أسماء الله وصفاته بغير علم، وذكر قاعدة إثبات أسماء الله وصفاته التي دلَّ عليها قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٥ هـ)**[2]: «نُثْبت حقائقها علىٰ ما نَعْرِفُ من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفىٰ ذلك عن نفسه - جلَّ ثناؤه - فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾».

فنصف الله عَزَّوَجَلَّ بما أثبته لنفسه مع تنزيهه عن مماثلة المخلوقين، فلا نبطل حقيقة ما وصف الله به نفسه لأوهام مشابهة المخلوقين، فالاعتقاد الصحيح هو الإثبات بلا تعطيل ولا تمثيل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «العصمة النافعة في هذا الباب: أن يُوصَفَ الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن

---

(١) التوحيد (١/ ٦٢).

(٢) التبصير في معالم الدِّين (ص١٤٠).

(٣) مدارج السَّالكين (٢/ ٧٢).

غير تكييف ولا تمثيل، بل تُثْبِت له الأسماء والصفات، وتَنْفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتُكَ مُنزَّهًا عن التشبيه، ونَفْيُك مُنزَّهًا عن التعطيل، فمن نفىٰ حقيقة [الاستواء] فهو مُعطِّلٌ، ومن شبَّهه باستواء المخلوق علىٰ المخلوق فهو [مُمثِّلٌ]، ومن قال: استواءٌ ليس كمثله شيء؛ فهو [المُوحِّدُ المُنزِّه].

وهكذا الكلام في: السمع، والبصر، والحياة، والإرادة، والقدرة، واليد، والوجه، والرضىٰ، والغضب، والنزول، والضحك، وسائر ما وصف الله به نفسه».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ»؛ هذا من الإيمان بالغيب الذي أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ عن ذاته وأسمائه وصفاته، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ احتجب عن خلقه في الدنيا وأخبرهم عن صفاته ليتألهوا له ويعبدوه، قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله نور، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره**»، رواه مسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدَّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الله لو تَبَدَّىٰ لخلقه، وتجلَّىٰ لهم في الدنيا، لم يكن لإيمان الغيب هناك معنًىٰ، كما أنَّه لم يَكْفُرْ به عندها كافر، ولا عصاه عاص، ولكنَّه احتجب عنهم في الدنيا ودعاهم إلىٰ الإيمان به بالغيب، وإلىٰ معرفته، والإقرار بربوبيته ليؤمن به من سبقت له منه السَّعَادَةُ، ويَحِقَّ القوْلُ علىٰ الكافرين.

ولو قَدْ تَجَلَّىٰ لهم لآمن به من في الأرض كُلُّهُمْ جميعًا بغير رُسُلٍ ولا كُتُبٍ، ولا دُعاةٍ، ولم يعصوه طرفة عين، فإذا كان يوم القيامة تَجَلَّىٰ لمن آمَنَ به وصَدَّقَ رُسُلَهُ وكتبه وآمن برؤيته، وأَقَرَّ بصفاته التي وَصَفَ بها نَفْسَهُ، حتىٰ يَرَوْهُ عيانًا،

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص٦١، ٦٢).

مثوبةً منه لهم وإكرامًا، ليزدادوا بالنَّظَرِ إلىٰ من عبدوه بالغيب نعيمًا، وبرؤيته فرحًا واغتباطًا».

والدليل علىٰ ثبوت الأسماء لله تعالىٰ القرآن والسنَّة والإجماع، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المعنىٰ: ولله الأسماء الدالة علىٰ المعاني الحسنة، والأوصاف الجميلة، من الرحمة، والمغفرة، والحِلْمِ، والعفو، والرزق، والتعظيم، والتحميد، والتقديس.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ **أي**: اسألوه بأسمائه الحسنىٰ، وتوسَّلُوا إليه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا حليم».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا هو الذي ليس كمثله شيء، لكثرة نُعُوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله، وثبوتها علىٰ وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء».

والإجماع معلوم متوارث عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في إثبات أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «اتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣١٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٩٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٧١).

ودلَّ على ثبوت الصفات لله عَزَّوَجَلَّ؛ القرآن والسُّنَّة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المَثَلُ كثيرًا ما يرد بمعنى الصِّفَةِ، قاله جماعة من المتقدمين».

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٩، ١٦٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «نُزِّهَ سبحانه عما يصفه به كل أحد إلا المُخْلَصين من عباده، وهم الرُّسل ومن تبعهم».

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «نَزَّه نفسه عَمَّا يصفه به الواصفون، وسَلَّم على المرسلين، لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحَمِدَ نفسه إذ وَصْفُهُ هو الموصوف به بصفات الكمال التي يستحقُّ لأجلها الحَمْدَ، ويُنَزَّهُ عن كل نقص ينافي كمال حمده».

وعن عائشة رَضِوَٱللَّهُعَنْهَا: أنَّ النبي ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٣).

(٢) جلاء الأفهام (ص٢٧٥، ٢٧٦).

(٣) جلاء الأفهام (ص٢٧٥، ٢٧٦).

للنبي ﷺ، فقال: «**سَلُوهُ لأيِّ شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرحمن، وأنا أحب أنْ أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يُحِبُّهُ**». رواه البخاري.

وأما الإجماع على ثبوت الصفات؛ فمستفاد من قول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُنَّا والتابعون متوافرون؛ نقول: إنَّ الله - تعالى ذكره - فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السُّنَّة به من صفاته»، رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»[(١)].

والمُكذبون بأخبار الله عَزَّوَجَلَّ عن أسمائه وصفاته؛ جهمية ملاحدة، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هو تهديد من الله للمُلْحِدِين في أسمائه ووعيد منه لهم».

التكذيب والإنكار لأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته؛ إبطال لألوهية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فلا توجد ذات بلا صفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته».

ومقصود الجهمية بإنكار صفات الله عَزَّوَجَلَّ إبطال ألوهية الله، فبإنكارهم كل صفات الله عَزَّوَجَلَّ امتنع على المسلمين أن يعبدوا عدمًا، وقد أنكر سيد الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام على قومه عبادة الأصنام؛ لأنَّها لا تملك نفع معبوديها، فليس فيها صفات الألوهية.

قال إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح»، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٥٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥١).

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**(١):

«أيُّ خير عند من لا ينطق، ولا ينفع، ولا يضر؟!

فإنَّما يدور الجهمي في كلامه واحتجاجه علىٰ إبطال صفات الله؛ ليُبْطِلَ موضع الضُّر والنفع والمنع والعطاء، ويأبىٰ الله إلا أن يُكذِّبه ويَدْحَض حُجَّته».

وابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أنْ ذكر أنَّ الله له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ خص بالذكر استواء الله علىٰ عرشه؛ لأنَّ علو الله من أعظم صفات كماله.

ودلَّ علىٰ ثبوت استواء الله علىٰ العرش القرآن والسُّنَّة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالىٰ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

وعن قتادة بن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لمَّا فرغ الله من خلقه استوىٰ علىٰ عرشه**» رواه الخلال.

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٢٥٥).

قال أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٢٩هـ)**[(١)]: «أجمع أهل السُّنَّة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه، علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز».

والسابقون الأولون، ومن اتَّبعهم بإحسان إلىٰ يومنا هذا مجمعون علىٰ أنَّ الله مستو علىٰ عرشه بائن من خلقه، وبهذا عرفوا ربهم.

قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

شهدت بأنَّ وعد الله حقٌّ ... وأنَّ النار مثوىٰ الكافرينا

وأنَّ العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله تعالىٰ ذِكْرُهُ فوق عَرْشِه، ونُؤْمِن بما جاءت به السُّنة من الصفات» رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»[(٢)].

فالأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو من أتباع التابعين - ينقل إجماع التابعين علىٰ عُلُوِّ الله علىٰ عرشه.

وأئمة الإسلام المُتَّبِعُون للصحابة والتابعين كلهم؛ أخذوا باتفاق السلف علىٰ عُلُوِّه عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه.

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرَّازيَّان رحمهما الله[(٣)]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، ومصرًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذاهبهم أنَّ الله علىٰ عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، بلا

---

(١) الوصول إلىٰ معرفة الأصول، بواسطة مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٠٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح»، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص٨٧).

كيف، أحاط بكل شيء علمًا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «سُئل مالك وسفيان بن عيينة وقبلهما ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن الاستواء؟ فقالوا: «الاستواء معلوم»، **تلقَّىٰ ذلك عنهم جميع أئمة الإسلام**».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الآثار المحفوظة عن الصحابة والتابعين كلها متَّفقة علىٰ أنَّ الله نفسه فوق العرش».

والاستواء معناه العلو، بهذا فَسَّره التابعون الذين تلقوا معاني القرآن عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: عَلَا علىٰ العرش، ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وقد رواه الفريابي في تفسيره: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ به(٣).

وفي الباب نفسه: قال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استوىٰ إلىٰ السماء: ارتفع».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي؛ عنه».

العرش سقف الجنة وأعلىٰ المخلوقات، والله فوقه، والعرش مخلوق بعد أنْ لم يكن، فاستواء الله علىٰ عرشه هو من معاني علوه، فهو العليُّ فوق كل شيء، وهذا من خصائص رب العالمين، استواؤه علىٰ عرشه العظيم لا عن حاجة.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٥).

(٣) تغليق التعليق (٥/ ٣٤٥).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٩٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله، لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، بل الأمر كما قال الأئمة منهم؛ نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبَّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه.

فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدىٰ».

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه استوىٰ علىٰ عرشه، ولم يُخْبرنا كيف استوىٰ، فالخوض في الغيبيات في كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ قول علىٰ الله بغير علم، ومن أسباب الضلال، وربما كان سببًا للإلحاد، وما استأثر الله بعِلْمه ولم يُطْلِعْ عليه أحدًا من خَلْقه فلا سبيل لأحد في إدراكه.

قال يحيىٰ بن عمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا نحتاج في هذا الباب إلىٰ قول أكثر من هذا أنْ نُؤْمِنَ به، وننفي الكيفية عنه، ونتقي الشك فيه، ونوقن بما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ، ولا نتفكَّر في ذلك، ولا نُسلِّط عليه الوَهْم، والخاطر، والوسواس.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣)، ط: دار ابن الجوزي.

(٢) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٨٩).

وتَعْلم حقًّا يقينًا أنَّ كل ما تُصُوِّر في همِّك ووَهْمِك من كيفية أو تشبيه؛ فالله سبحانه بخلافه وغيره، نقول: هو بذاته علىٰ العرش، وعِلْمُه محيط بكل شيء».

وقال جعفر بن عبد الله: جاء رجل إلىٰ مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوىٰ؟

قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كمَوْجِدته من مقالته، وعَلاه الرحضاء - يعني: العَرَق -، قال: وأَطْرَقَ القوم جعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه.

قال: فسُرِّي عن مالك، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإنِّي أخاف أن تكون ضالًّا، وأمَر به فأُخْرِج(١).

وجواب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قاعدة فيما يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته كلها.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «نوصيكم وأنفسنا بتقوىٰ الله، وأنْ تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث:

١- أنْ تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق.

٢- أن تؤمنوا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إيمانًا مبنيًّا علىٰ أساس التنزيه علىٰ نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٣- وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]».

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٤١ - رقم ٦٦٤).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص٤٦).

❁ وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم ﷺ.

❁ الشَّرح:

تحدَّث ابن قدامة عن صفة العلم لله عَزَّوَجَلَّ، وذكر من صفات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ إحاطة علمه بكل شيء، وقهره لكل مخلوق، ما يدلُّ علىٰ تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية دون من سواه، وهذا مستلزم لعبوديته وحده لا شريك له.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنَّه المستحق للعبادة دُونَ ما سواه، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتمُّ التوحيد، وهما إثبات صفات الكمال، ردًّا علىٰ أهل التعطيل، وبيان أنَّه المستحق للعبادة لا إله إلا هو، ردًّا علىٰ المشركين».

كل صفات الكمال لله دالة علىٰ تفرده بالألوهية، وانتفاء الشريك والنظير له، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أي: لا يَقْدر أحد منهم علىٰ فعل شيء من ذلك، بل الله هو المُستقِلُّ بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، ثم يبعث الخلائق

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٧، ٩٨).

يوم القيامة؛ ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]؛ أي: تعالىٰ وتَقَدَّس وتَنَزَّه وتعاظَم وجَلَّ وعزَّ عن أنْ يكون له شريك أو نظير أو مُسَاوٍ».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا»؛ فيه تبيين لصفة القهر لله عَزَّوَجَلَّ التي تفرَّد بها، فإنَّها تنفي الشريك عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]. فكل الخلائق تحت قهر الله، يجري فيهم أمْرُهُ وقضاؤه، وهم مَرْبُوبون مقهورون لله.

فمن شهد قهر الله لخلقه وإحاطته بهم؛ ازداد تألُّهًا لله عَزَّوَجَلَّ ورغبةً ورهبة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «باب هذه المعرفة والتعبُّد هو معرفة إحاطة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعالم وعظمته، وأنَّ العوالم كلَّها في قبضته، وأنَّ السموات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد».

وذكر ابن قدامة صفة القهر والعزة والحكم لله عَزَّوَجَلَّ بعد ذكر صفة العلم لله سبحانه؛ هو من الثناء علىٰ الله بكمال صفاته، وفي معرفة كل صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ تحقيق لتفرده بالكمال، وانتفاء الأنداد عنه، وفي اقتران بعض الصفات ظهور كماله ما هو معلوم.

فالعلم والقهر والعزة والحكم؛ تدل علىٰ إحاطة الله بخلقه علمًا وقدرة، ونفوذ أمره وحكمه فيهم، وليس ذلك إلا لله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «علمًا وقدرةً، فليس لهم

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٤٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٥٣١).

ملجأ يلجؤون إليه، ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا كافٍ لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس».

عَرَّف الموحدون ربَّهم ومعبودهم بما وصف لهم من صفات كماله ونعوت جلاله، وبما شاهدوه في الخلق من حقائق ربوبيته.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

وأشهد الله الناس أمره في كلماته الشرعية، فعلموا أنَّها حق وصدق وعدل، ليس في مقدور أحد من الخلق أن يأتي بمثله.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد حثَّ النبي ﷺ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ التعرف إلىٰ الله بأمره وخلقه، وأفعاله؛ ليعبده بما شرع بحقائق ربوبيته، فقال: «**تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الربوبيَّة التامة تستلزم توحيده، وأنَّه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له.

وعظمته المُطْلقة تستلزم إثباتَ كلِّ كمال له، وسَلْبَ كل نقص وتمثيل عنه».

فالعلم بأسماء الله وصفاته، وشهود ربوبية الله في خلقه، وشهود علم الله وحكمته في أمره، والفقه في ارتباط القضاء القدري بالأحكام الشرعية؛ من أسباب تحقيق التوحيد لله والاستقامة علىٰ أمره ونهيه.

---

(١) زاد المعاد (ص٦٦٦).

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنىٰ، واستقرىٰ آثارها في الخلق والأمر؛ رأىٰ الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام، ورأىٰ سَريانَ آثارها فيهما، وعلم - بحسب معرفته - ما يليق بكماله وجلاله أنْ يفعله، وما لا يليق، فاستدلَّ بأسمائه علىٰ ما يفعله وما لا يفعله، فإنَّه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته.

وكذلك يعلم ما يليق به أن يأْمر به ويشرعه ممَّا لا يليق به، فيعلم أنَّه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته.

فإذا رأىٰ بعض الأحكام جورًا وظلمًا أو سفهًا وعبثًا ومفسدةً، أو ما لا يوجب حمدًا وثناءً؛ فليعلم أنَّه ليس من أحكامه ولا دينه، وأنَّه بريء منه عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فإنَّه إنَّما يأمُر بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالعبث والسفه. وإنَّما بعث رسوله ﷺ بالحنيفية السمحة، لا بالغلظة والشدَّة، وبعثه بالرحمة لا بالقسوة، فإنَّه أرحم الرَّاحمين، ورسوله ﷺ رحمة مهداة إلىٰ العالمين، ودينه كلُّه رحمة، وهو نبيُّ الرحمة، وأُمتُه الأمَّة المرحومة، وذلك كلُّه موجب أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ وأفعاله الحميدة، فلا يُخبَر عنه إلا بحمده، ولا يثنىٰ عليه إلا بأحسن الثناءِ، كما لا يُسمَّىٰ إلا بأحسن الأسماء».

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٢٧٥، ٢٧٦).

فالمقصود أنَّ ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وكمال أسمائه ونعوته وصفاته؛ هي التي أوجبت التأله له وعبادته وحده لا شريك له، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الأحد الصمد.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اسمه [الأحد] دلَّ علىٰ نفي المشاركة والمماثلة، واسمه [الصمد] دلَّ علىٰ أنَّه مستحق لجميع صفات الكمال».

والحنفاء الموحدون أخلصوا التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ لتفرده بالربوبية، قال الفتية المؤمنون من أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ [الكهف: ١٤].

كل ما في الكون دال علىٰ ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ قهره للخلق وإحاطته بهم ونفوذ أمره فيهم، وكل هذا مستلزم للخضوع له بعبوديته وطاعته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ ما لله علىٰ خلقه من الإحسان والإنعام؛ شاهد له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي؛ شاهد بمُلْكِه سبحانه».

من شهد توحيد الله، وتعرَّف إلىٰ الله بكمال صفاته، وخصائص ربوبيته؛ قام بالمقصود من ذلك بعبادة الله وحده لا شريك له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الحقُّ الذي هو غاية خلقها - المخلوقات - فهو غاية تُراد من العباد، وغاية تُراد بهم.

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٧/ ٢٥٧).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٧٩).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٩٣، ١٥٩٤).

فالتي تُراد منهم: أنْ يعرفوا الله تعالىٰ، وصفات كماله عَزَّوَجَلَّ، وأنْ يعبدوه، لا يشركوا به شيئًا، فيكون هو وحده إلههم ومعبودهم، ومطاعهم ومحبوبهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، فأخبر أنَّه خلق العالم ليُعرِّف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذه الغاية هي المرادة من العباد، وهي أن يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده، وأمَّا الغاية المُرادةُ بهم فهي الجزاء بالعدل والفضل، والثواب والعقاب، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١]».

وقول ابن قدامة: «موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم ﷺ»؛ فيه تبيين للواجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته، وهو التصديق لأخبار الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ في ذلك.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدَّوْا إلينا ألفاظ القرآن كما تَلَقَّوا ذلك عن رسول الله ﷺ، ومعلوم أنَّهم أدَّوا معانيه إلىٰ التابعين، وأثبتوا نصوص الصفات علىٰ ظاهرها، ولم يُحرِّفوها، ولم ينهوا عن اعتقاد ظاهرها.

والتابعون الذين تلقوا معاني التفسير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَمَرُّوا نصوص الصفات كما جاءت، وفَسَّرُوا معانيها بظاهر ألفاظها، ومن المنقول عنهم في ذلك: تفسير مجاهد وأبي العالية للاستواء بالعلو.

والإجماع عن التابعين بالإيمان بصفات ربِّ العالمين معلوم، نقله عنهم

منطوقًا أتباع التابعين، قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنّا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله في السماء، ونُؤْمن بصفاته» رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «اتفقت كلمتهم - الصحابة - والتابعين بَعْدَهُم علىٰ إقرارها وإمرارها، مع فَهْم معانيها وإثبات حقائقها».

❁ ❁ ❁

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح».

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٠).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وكل ما جاء في القرآن أو صحَّ عن المصطفىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من صفات الرحمن؛ وجب الإيمان به، وتلقِّيه بالتَّسليم والقبول.

❁ **الشَّرح:**

كل ما جاء في القرآن وجب تلقِّيه بالتَّصديق والقبول؛ لأنَّ الله لا يخبر إلا بحق، وكذلك ما أخبر به النبي ﷺ؛ لأنَّه مُبلِّغ عن الله، لا ينطق عن الهوىٰ.

والتوحيد والإسلام والإيمان حقيقته: تصديق خبر الله عَزَّوَجَلَّ، والانقياد لأمره ونهيه، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فالمؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ صَدَّقوا أخباره، وآمنوا بوحيه فيما ذكر من أسمائه وصفاته.

وليس لمُسْلم أنْ يُكذِّبَ أخبار الله عن أسمائه وصفاته، فالله أعلم بنفسه وبما يُخْبر عن ذاته وصفاته التي هي غاية في الكمال، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩].

قال العلَّامة المُجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾، يعني بذلك نَفْسه الكريمة، فهو الذي يَعْلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد أَخْبَركم بذلك، وأبان لكم من عظمته ما تَسْعَدُون به من معرفته، فعَرِفه العارفون وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون، واستنكفوا عن ذلك».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٦٨٤).

فأهل السُّنَّة والجماعة آمنوا بما أخبر به الله عن نفسه، وبما أخبر رسول الله ﷺ عن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته.

قال العلامة أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٩هـ) عن عقيدة أهل السُّنَّة[١]: «يَعْلمون حقًّا يقينًا أنَّ ما قاله رسول الله ﷺ فعلىٰ ما قاله؛ إذ هو كان أَعْرَف بالرب جَلَّجَلَالُهُ من غيره، ولمْ يقل فيه إلا حقًّا وصِدقًا ووَحْيًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣، ٤]».

لا يصح إسلام المرء إلا بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ، وقصده وحده بالعبادة، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب، وهو التوحيد العلمي والعملي.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ متضمِّنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالىٰ، من الأحدية المنافية لمُطْلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصَّمَدِيَّة المُثْبِتة له جميع صفات الكمال التي لا يَلْحَقها نقص بوجه من الوجوه، ونَفْي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصَّمَدِيَّة وغِناه وأحَدِيَّته، ونفي الكُفْء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمَّنت هذه السورة إثبات كلِّ كمال له، ونَفْيَ كُلِّ نقص عنه، ونَفْيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونَفْي مُطْلَق الشريك عنه.

وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي، الذي يُباين صاحبه فِرَق الضَّلال والشرك».

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٨٩).

(٢) زاد المعاد (ص١٠٠، ١٠١).

وتوحيد القصد والطلب يكون عن توحيد المعرفة والإثبات، فتوحيد الأسماء والصفات هو الأساس الباعث لتحقيق العبودية لله، فتوحيد الألوهية هو عبادة الله وحده والانقياد لأمر الله ونهيه، وذلك إنَّما يكون عن تعظيم الله وحُبِّه وخوفه ورجائه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أصل العمل عمل القلب، وهو الحب والتعظيم، المنافي للبغض والاستكبار».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «التألُّه: هو المحبة، والطاعة، والخضوع».

والله عَزَّوَجَلَّ إنَّما أخبرنا عن صفاته لنتألَّه له وحده؛ لأنَّها صفات كمال ليست لغيره، والله عَزَّوَجَلَّ تمدَّح نفسه بذِكْرها، لنثني عليه بها، وليُؤْمِنَ المسلمون بحقائقها، فيَدْعُون ربَّهم ويعبدونه حبًّا ورجاءً وخوفًا، وليزدادوا تحقُّقًا وإيمانًا بأنَّ الله ليس كمثله شيء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فيه حثٌّ علىٰ الثناء علىٰ الله وحده بكمال صفاته.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ المحامد والمدائح والنُّعُوت الجليلة الجميلة أوصاف لله تعالىٰ، فله كلُّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملُها وأعظمها.

فكلُّ صفة من صفاته يستحق عليها أكملُ الحمد والثناء؛ فكيف بجميع الأوصاف المُقدَّسة، فله تعالىٰ الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته؛ لأنَّها كلها

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٢/ ٤٣).

(٢) الجواب الكافي (ص٢٤٠).

(٣) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص٥١).

مدائح وكمالات، وله الحمد لأفعاله؛ لأنَّها دائرة بين الفضل والإحسان وبين العدل والحكمة».

ومن علم أنَّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ حسنىٰ أثبتها، ولم يُنْكرها، فالعلم بكمال صفات الله عَزَّوَجَلَّ يدفع عنها أوهام وظنون مماثلتها لصفات المخلوقين.

فاملأ قلبك أيُّها المسلم من تعظيم الله بإثبات أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تمدَّح نفسه بالإخبار عنها.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ؛ فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأنّ ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين».

الجهمية بفروعهم أنكروا صفات الله عَزَّوَجَلَّ بسبب سوء ظنهم بالله، توهموا أنَّها صفات نقص تماثل صفات المخلوقين.

وضلال النفاة المعطلون لصفات رب العالمين منشؤه من الجهل بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، ومنشؤه من القول علىٰ الله بغير علم.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ صفة رب السموات والأرض أعلىٰ وأكمل من أنْ تُشبه صفات المخلوقين، فمن نفىٰ عن الله وصفًا أثبته لنفسه؛ فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن ظنَّ أن صفة ربه تُشبه شيئًا من صفة الخلق؛ فهذا مجنون ضال ملحد لا

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص٣٦).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص١١، ١٢).

عقل له، يدخل في قوله تعالىٰ عن المشركين: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، ومن يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]».

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «بين صفة الخالق وصفة المخلوق من المخالفة؛ كمثل ما بين ذات الخالق وذات المخلوق».

فالذي أوقع الملاحدة في نفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ توهمهم مماثلتها لصفات المخلوقين، وهذا من عدم تدبُّرهم لألفاظ القرآن فيما أخبر الله عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال الحافظ العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**[(٢)]: «حاشا لله أن يكون من وَصَفَ الله جَلَّ وَعَلَا بما وصف الله به نفسه في كتابه أو علىٰ لسان نبيه المصطفىٰ ﷺ مُشَبِّهًا خالقه بخلقه».

ليس فيما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن نفسه، وما أخبر عنه رسوله ﷺ؛ ما يستلزم نقصًا في حق الله، وإنَّما النقص في عقول وأفهام المعطلة المكذبين لأخبار الله، الذين امتلأت قلوبهم من رجس التمثيل، حيث توهموا أنَّ تصديق الله فيما أخبر به عن نفسه؛ يستلزم مماثلة المخلوقين؛ فنفوا ما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر رسوله ﷺ عنه؛ فكانوا ممثلة معطلة.

قال الحافظ العلامة أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «المُعطِّلة النافية: الذين

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص١٥).

(٢) التوحيد (١/ ٦٤).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ١٨٧).

يُنكرون صفات الله عَزَّوَجَلَّ التي وصف بها نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، ويُكذِّبون بالأخبار الصِّحَاح التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات، ويتأولونها بآرائهم المنكوسة علىٰ موافقة ما اعتقدوا من الضلالة، وينسبون رواتها إلىٰ التشبيه.

فمن نَسَبَ الواصفين ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بما وصف به نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، من غير تمثيل ولا تشبيه، إلىٰ التشبيه؛ فهو مُعَطِّلٌ نافٍ، ويُستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلىٰ التشبيه أنَّهم معطلة نافية، كذلك أهل العلم يقولون، منهم: عبد الله بن المُبارك، ووكيع بن الجراح».

صفات الله عَزَّوَجَلَّ تليق بعظمته وجلاله، فأسماء الله حقائق لصفاته الدَّالة علىٰ كماله، فذاته عظيمة، وصفاته كذلك، وكما أنَّ ذاته مختصة به فصفاته كذلك، فهو أحد صمد، تنزَّه عن أنْ يكون له نظير في ذاته وصفاته.

فالله عَزَّوَجَلَّ إله حقًّا، أسماؤه دالة علىٰ صفاته حقًّا، والأنداد سمَّاها من اتَّخذها شركاء بأسماء لا حقيقة لها، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ أي: اذكروهم بأسمائهم ونعوتهم، وهذا غير موجود في الواقع، فيستحيل أن يسموا أندادًا حقيقية.

فنفي ما أثبته الله لنفسه تكذيب للوحي، وإبطال لألوهية الله، فالتعطيل أساس الشرك، فالناس لا يرغبون ولا يرهبون ولا يرجون ولا يعبدون عدمًا لا صفات له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله

(١) الجواب الكافي (ص٢٩٨، ٢٩٩).

المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عمَّا يجب علىٰ العبد من حقيقة التوحيد».

أحدية الله عَزَّوَجَلَّ تنفي مماثلة المخلوقين لرب العالمين، فليس لله نظير في ذاته ولا كفؤ لصفاته، تفرَّد بالكمال، فله المثل الأعلىٰ بسبب كمال نعوته وكثرة أوصافه، فإثبات حقائق صفاته هو الذي في الواقع ينفي التمثيل والتشبيه عنها، وإنكارها وتكذيبها في الواقع ينفي الألوهية عن الله؛ لأنَّ ألوهيته إنَّما ثبتت بأوصاف كماله.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يستحيل أنْ يشترك في المثل الأعلىٰ اثنان؛ لأنَّهما إنْ تَكَافَآ لم يكن أحدهما أعلىٰ من الآخر، وإنْ لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلىٰ أحدهما وحده، يستحيل أنْ يكون لمَن له المثل الأعلىٰ مثل أو نظير. وهذا بُرْهَانٌ قاطِعٌ من إثبات صفات الكمال علىٰ استحالة التمثيل والتشبيه».

إثبات صفات الله هو من لوازم ذاته، فالله موصوف بها؛ فإثباتها كما أخبر الله عن نفسه توحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «[لا إله إلا الله] تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المحامد، وأنّه ليس له فيها نظير، إذ هو إله لا إله إلا هو».

فالتوحيد إثبات صفات الكمال لله وحده، وقصده وعبوديته وحده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إثبات وحدانيته، وأنّه ليس له كفو في ذلك؛

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣١، ١٠٣٢).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص٢٨٨).

(٣) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص٢٨٧).

يقتضي أنَّه لا مِثْلَ له في شيء من صفات الكمال، فهو منزَّه عن النقائص، ومنزَّهٌ أنْ يماثله شيء في صفات الكمال».

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل.

الشَّرح:

نصوص الوحي من صفات الله عَزَّوَجَلَّ يجب الإيمان بها، ومحاذرة إنكارها أو تكذيبها أو تحريفها أو تشبيهها بصفات المخلوقين.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

فالله عَزَّوَجَلَّ له صفات الكمال التي لا يبلغ غيره كمالها وعظمتها، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس له كفؤ ولا مثيل ولا نظير، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فالمسلمون إنَّما تألهوا لله وحده، لتفرده بالكمال، يعبدون الله وحده لكمال أسمائه وصفاته، فأسماء الله دالة علىٰ معانٍ عظيمة من صفات رب العالمين.

فإثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ بما يليق بعظمته؛ ينفي عنها مماثلة المخلوقين، لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من ثبت له الكمال التام انتفىٰ النقصان المضاد له».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «إنَّه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له».

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٧/ ٢٥٩).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٧/ ٢٥٩).

وقول ابن قدامة: «وترك التعرض له بالتشبيه والتمثيل»؛ فيه تحذير من تشبيه صفات الله عَزَّوَجَلَّ بالمخلوقين، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والله عَزَّوَجَلَّ ذكر لنا من صفات كماله ونعوت جلاله ما يجعل القلوب تتأله له وحده، فتعبده وتحبه وتخافه وترجوه، وذلك مما يجعل اعتقادها يقينيًّا بكمال الله وأحديته ومباينته لخلقه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القرآن ملآن من توحيد الله تعالىٰ، وأنّه ليس كمثله شيء، فلا يُمثَّل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء؛ إذ ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا فيما يستحقه من العبادة، والمحبة، والتوكل، والطاعة، والدعاء، وسائر حقوقه، قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ فلا أحَدَ يُساميه، ولا يستحقون أنْ يُسمَّىٰ بما يختص به من الأسماء، ولا يساويه في معنىٰ شيء من الأسماء، لا في معنىٰ الحي، ولا العليم، ولا القدير، ولا غير ذلك من الأسماء، ولا في معنىٰ الذات، والموجود، ونحو ذلك من الأسماء العامة، ولا يكون إلهًا، ولا ربًّا، ولا خالقًا».

وفي تحذير ابن قدامة من تمثيل أسماء وصفات الله عَزَّوَجَلَّ بصفات المخلوقين؛ حثٌّ علىٰ إثباتها بما يليق بعظمة الله وجلاله وكماله، فهي أسماء حسنىٰ؛ أي: بلغت في الحسن غايته، لا تماثل صفات المخلوقين.

---

(١) الجواب الباهر في زُوَّار المقابر (ص٥٣).

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكما يحذر المسلم تمثيل صفات الله بصفات المخلوقين، فإنّه يجتنب تعطيلها بنفيها تكذيبًا أو تحريفًا، فالوسطية هو إثباتها علىٰ ظاهرها بما يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال نُعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شَبَّه الله بخلقه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه».

فليس في أسماء الله وصفاته نقص أبدًا حتىٰ ننفيها ونُسمي ذلك تنزيهًا، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يصف نفسه بما فيه نقص ولا محذور، قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، فالله عَزَّوَجَلَّ هو السلام القدوس الذي تنزَّه عن كل نقص.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هو سلام سبحانه في ذاته عن كلِّ عيب ونقص يتخيله وَهْمٌ، وسلام في صفاته من كلِّ عَيْبٍ ونقْص، وسلام في أفعاله من كلِّ عَيْبٍ ونقْصٍ، وشرٍّ وظُلم وفِعْلٍ واقع علىٰ غير وجه الحكمة».

الجهمية والمعتزلة وفروعهم يُسمُّون المؤمنين الذين صدقوا الوحي، وأثبتوا ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، يسمُّونهم مشبهة، وهذا كذب وظلم، فالمؤمنون أثبتوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ تصديقًا لخبره بما يليق بعظمة الله من غير مماثلة للمخلوقين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٦٠٢، ٦٠٣).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجهم بن صفوان(١): «تأَوَّل القرآن علىٰ غير تأويله، وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أنَّ من وصف من الله شيئًا مما وصف به نفسه أو في كتابه أو حدَّث به عنه رسوله ﷺ؛ كان كافرًا، وكان من المشبهة».

الجهمية والمعتزلة وفروعهم الذين كذَّبوا بكلمات الله الشرعية؛ هان عليهم الكذب علىٰ الله بنفي صفاته، وصاروا بسبب ذلك يكذبون علىٰ المؤمنين بتسميتهم مُشبِّهة؛ لإثباتهم ما أخبر الله به عن نفسه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الجهمية والمعتزلة إلىٰ اليوم يُسَمُّون من أثبت شيئًا من الصفات مُشَبِّهًا - كذبًا وافتراءً -، حتىٰ إنَّ منهم من غلا ورمىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتىٰ قال ثُمَامَة بن الأَشْرَس - من رؤساء الجهمية -: ثلاثة من الأنبياء مُشَبِّهة!:

- موسىٰ، حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].
- وعيسىٰ، حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].
- ومحمد ﷺ، حيث قال: «**يَنْزِل رَبُّنا**».

وحتىٰ إنَّ جُلَّ المعتزلة تُدْخِلُ عامَّة الأئمة، مثل: مالك وأصحابه والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم، في قسم المُشَبِّهَة».

أول من وقع منه إنكار وتكذيب أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته من هذه الأُمَّة؛ هو الجعد بن درهم، فإنّه زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يُكلِّم موسىٰ

(١) الرَّدُّ علىٰ الزنادقة والجهمية (ص٢٠٦).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١١٠).

تكليمًا، فأنكر صفة المحبة والكلام من صفات رب العالمين.

والجعد بن درهم أخذ بدعته من بيان بن سمعان، الذي أخذها عن طالوت ابن أخْت لبيد بن الأعصم اليهودي.

وولاة بني أُميَّة قتلوا الجعد بن درهم بعد أنْ أظهر بدعته.

أظهر الجهم بن صفوان بعد ذلك مذهب شيخه الجعد بن درهم، وأشهر ضلالة بدعته، وأفسد عقيدة الإسلام.

وفرق التعطيل كلها من بعده أخذوا من شعب ضلاله.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «حدث بعد عصر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعَظُمت الفتنةُ به، فإنَّه نفىٰ أن يكون لله تعالىٰ صفة، وأورد علىٰ أهل الإسلام شكوكًا أثَّرت في الملة الإسلامية آثارًا قبيحة، تَوَلَّد عنها بلاء كبير. وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعه علىٰ أقواله التي تؤول إلىٰ التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤوا علىٰ إنكارها وتضليل أهلها، وحذَّروا من الجهمية، وعادوهم في الله، وذَمُّوا من جلس إليهم، وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف».

توالىٰ شر التعطيل بعد ذلك بسبب الأئمة المضلين المبطلين لحقائق ما وصف الله به نفسه؛ كبشر المريسي وابن فورك، وغيرهم.

وصار المبتدعة طبقات في تجهم التعطيل فمستقل ومستكثر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الجهمية علىٰ ثلاث درجات:

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩٠).

(٢) التسعينية (١/ ٢٦٥-٢٧٠) باختصار.

فَشرُّها الغالية: الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإنْ سَمَّوْه بشيء من أسمائه الحسنىٰ؛ قالوا: هو مجاز.

والدرجة الثانية من التجهم: هو تجهُّم المعتزلة ونحوهم، الذين يُقرُّون بأسماء الله الحسنىٰ في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم - أيضًا - لا يُقرُّون بأسماء الله الحسنىٰ كلها علىٰ الحقيقة، بل يجعلون كثيرًا منها علىٰ المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.

وأمَّا الدرجة الثالثة: فهم الصِّفَاتيَّة المُثْبتُون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم؛ كالذين يُقِرُّون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يَرُدُّون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية أو غير الخبرية، ويتأوَّلونها كما تأوَّل الأوَّلُون صفاته كلها».

ومبتدعة التعطيل الجهمية والمعتزلة وفروعهم؛ ردوا نصوص الوحي الواردة في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته بالتكذيب صراحة تارة، وبالتأويل تارات.

قال بشر المريسي الجهمي[1]: «إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب».

وقال عمرو بن عبيد المعتزلي، وذكر حديث الصادق المَصْدُوق، فقال[2]: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذَّبته، ولو سمعتُ زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعتُ عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قَبلْتُه، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرَدَدته، ولو سمعت الله تعالىٰ يقول هذا لقلت له: ليس علىٰ هذا أخذت ميثاقنا».

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١٧، ٢١٨)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٨).
(٢) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٢٩).

فاحذر أيُّها المسلم منهج المُكذِّبين المحرِّفين لكلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ لئلا تكون من الكافرين.

طريقة الجهمية والمعتزلة الكفر بآيات الله وتكذيبها وتحريفها، وهذا المنهج هو الذي أفسد به فروعهم من الأشاعرة دين الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «تجد أبا عبد الله الرازي يطعن في دلالة الأدلة اللفظية على اليقين، وفي إفادة الأخبار للعلم، وهذان هما مُقدِّمتا الزندقة».

أمَّا المؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ فيعلمون أنَّ الله ﴿يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، ويعتقدون أنَّ رسوله ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فلا تَظُنَّنَّ غيره؛ فإنَّ محمدًا ﷺ كان مُبلِّغًا عن ربه».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل ما جاء في القرآن أو صحَّ عن المصطفى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من صفات الرحمن؛ وجب الإيمان به، وتلقِّيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل»؛ فيه حثٌّ على الإيمان بصفات رب العالمين، والتحذير من تكذيبها بتأويلها.

أَقْبِلْ - أيُّها المسلم - على نصوص الوحي إقبالَ مُهْتَدٍ بها، واجعل كلام الله عَزَّوَجَلَّ حاكمًا على هواك، ولا تنصب نفسك معارضًا لله العليم الحكيم، ولكلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن امتلأ قلبُه من زيغ الشبهات والضَّلالات والعقائد الباطلة؛ فليشفِ قلبَهُ

---

(١) نقض المنطق (ص٨٨).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٧٨ - رقم ٧٣٤).

بنور الوحي؛ فإنَّه شفاء لما في الصدور، ومن استضاء بنور الوحي كان من المهتدين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وليحذر المخلوق أن يُنصِّب نفسه عدوًّا وندًّا لله، يرد علىٰ الله كلماته ووحيه، تكذيبًا وتحريفًا.

حقيقة مذهب المتأولين نفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ فتحريفاتهم تكذيب وإنكار لما أخبر الله عن نفسه، ونفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ في حقيقته نفيٌ لذات الله عَزَّوَجَلَّ، إذ لا توجد ذات بلا صفات، فحقيقة مذهب المتأولين المعطلة نفيُ ألوهية الله عَزَّوَجَلَّ.

فنفي ما أثبته الله لنفسه بدعوىٰ التشبيه؛ هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين».

ليكن اعتقادك أيُّها المسلم يقينيًّا أنَّ كل ما أخبر الله به عن نفسه فهو حقٌّ وصِدقٌ وكمال.

إثبات ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه من الصفات توحيد، بتصديق خبر الله عَزَّوَجَلَّ، وتكذيب ذلك صراحةً أو تحريفًا وتأويلًا؛ كفرٌ بالله وانتقاص له؛ حيث نفىٰ المعطلة صفات الكمال لله التي تمدَّح بها نفسه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من ظَنَّ أنَّ أسماء الله تعالىٰ وصفاته إذا كانت حقيقةً لزم أن يكون مماثلًا للمخلوقين، وأنَّ صفاته مماثلة لصفاتهم؛ كان من أجهل الناس، وكان أول كلامه سَفْسَطة وآخِره زَنْدَقة؛ لأنّه يقتضي نفي

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٦).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢١٢).

جميع أسماء الله وصفاته، وهذا هو غاية الزندقة والإلحاد».

كلُّ ما وصف الله به نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا تتوهَّمْ فيه الاعتقادات الباطلة من مماثلة المخلوقين، ولا تنفي ما أخبر الله به عن نفسه فتكون من المُكذِّبين.

ما وُضع من الأسماء؛ إنَّما هي صفات لمن سُمِّي بها، وما سُمِّي به العظيم هي صفات حسنىٰ للعظيم، تختص بكماله، لا تُماثِلُ صفات المخلوقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ العرب إنَّما وضعت للإنسان ما أضافته إليه، فإذا قالت: سَمْعُ العبد، وبصره، وكلامه، وعِلمُه، وإرادته، ورحمته، فما يخص به يتناول ذلك خصائص العبد.

وإذا قيل: سَمْعُ الله، وبصرُه، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته، كان هذا متناولًا لما يخص به الرب، لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين».

إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ ينفي عنها أوهام مماثلة ما سواه، فالذي يدفع عن نفوس المُوحِّدين أوهام مماثلة الله لخلقِه أو مشابهتهم؛ معرفة العلي العظيم الذي كَمُلَ في ذاته وصفاته وأفعاله، فله الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، والله عَزَّوَجَلَّ إنَّما أخبرنا عن صفاته لنثني عليه بها، فإنّها صفات كمال دالَّةٌ علىٰ كمال الموصوف بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ خصائص الرب تعالىٰ لا يُوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته».

منهج المُعطلة في نفي صفات ربِّ العالمين من أخبث وأفسد الطرق في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٠٨).

(٢) منهاج السُّنَّة (٢/ ١١١).

إبطال معاني ألفاظ القرآن والسُّنَّة، يعدلون عن بيان الوحي وتفصيله بالتكذيب والتحريف والتأويل، ويستعملون ألفاظًا مجملة تحتمل حقًّا وباطلًا ليبطلوا ما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ، كقولهم بالجسم والحيز والجهة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الطريق إلىٰ معرفة ما جاء به الرسول ﷺ: أنْ تَعْرِفَ ألفاظه الصحيحة، وما فَسَّرها به الذين تلقوا عنه اللفظ والمعنىٰ، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها».

والمسلم إذا تدبَّر ألفاظ القرآن والسُّنَّة وجد فيها من البيان ما يدلُّ علىٰ خطأ تحريفات المتأولين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله ﷺ: «**ما منكم إلا مَن سَيُكَلِّمُه ربُّه ليس بينه وبينه تُرْجُمَان يُتَرْجم له، ولا حَاجِبَ يَحْجُبه**»، وقوله ﷺ: «**إنّكم تَرَوْنَ رَبَّكُم عيانًا**».

وهذا شأن أكثر نصوص الصفات إذا تأمَّلها من شرَحَ الله صدره لقبولها، وفرح بما أُنزل علىٰ الرسول ﷺ منها، يراها قد حُفَّت من القرائن والمُؤَكِّدات بما ينفي عنها تأويل المُتأوِّل».

فنصوص الوحي ظاهرة الدلالة علىٰ معناها، فيها من البيان والإحكام ما ينفي عنها تحريفات المتأولين.

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فهو ظاهر المعنىٰ في رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة.

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٣).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (١/ ١٩٧).

تحريف معنىٰ الرؤية، وتأويله بانتظار الثواب؛ مخالف لدلالة ألفاظ القرآن علىٰ معناه، ومخالف لتفسير النبي ﷺ وبيانه لمعنىٰ القرآن.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[١]: «إنَّ رسول الله ﷺ فسَّرها تفسيرًا لم يدع لمتأوِّل فيها مقالًا، إلَّا أنْ يُكابِر رجلٌ غير الحق وهو يعلمه، إذ سئل رسول الله ﷺ، فقيل له: هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تُضَامون في رؤية الشمس والقمر صَحْوًا؟ فكذلك لا تُضَامُونَ في رؤيته**»».

المتأولون: هم الذين سمَّاهم الله «**الزَّائِغِين**»، وحذَّرنا منهم، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

المتأولون هم الخائضون في آيات الله عَزَّوَجَلَّ بالجهل والتحريف.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من تكلَّم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسُّنَّة؛ فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل».

تحريفات المتأولين لصفات رب العالمين لتوهمهم معارضتها لعقولهم الضَّالة؛ ليس في ألفاظ الوحي ما يدلُّ عليها، بل قرائن ألفاظ الوحي تدلُّ علىٰ بطلان تأويلات المبتدعين، فهم في الحقيقة مُكذِّبون للوحي، كافرون به.

عقول المتأولين لا تحيط علمًا بالغيب في صفات رب العالمين، قال تعالىٰ:

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص١٣٢).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص٢٠٥).

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، فتكذيب الوحي في أخبار الغيب في الصفات الإلهية، والإحالة على عقول المتأولين فيما يجب إثباته لله ونفيه؛ إحالة إلى جهالة، وإلى لا شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هَبْ أنّكم لم تعلموا بالعقل ثبوت صفة أخرى، فمن أين لكم نفيها بلا دليل، والسمع قد دلَّ عليها؟!

الثاني: أن يُقال: فهذا عَزْلٌ للرسول ﷺ عن الإخبار بصفات مُرسِلِه، فإنّكم لم تُثبتوا إلا ما عَلِمْتُم بعقولكم، وما لم تُثبته عقولكم نفيتموه، فبقي كلام الرسول ﷺ عديم الفائدة في باب أسماء الله وصفاته.

الثالث: أنْ يُبيَّن لهم أنَّ العقل يَدُلُّ على ما نفيتموه نظير دلالته على ما أثبتموه».

والذي يدل على بطلان تحريفات المتأولين؛ هو اضطرابهم واختلافهم فيما نفوه أو تأولوه من صفات ربِّ العالمين، بحسب جهلهم وما توهموه من محاذير إثبات ما ورد به القرآن والسُّنَّة من صفات رب العالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لا يُوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض - الذين يوجبون فيما نَفَوْهُ إمَّا التفويض، وإمَّا التأويل المخالف لمقتضى اللفظ -؛ قانون مستقيم».

أمَّا المصدِّقون بحقائق ما أخبر الله به عن نفسه؛ ميزانهم وقانونهم واحد في ذلك، يُثبتون ما أثبت الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه، وينفون ما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه.

تحريفات المتأولين لكلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ بما يخالف دلالة ألفاظهما؛

---

(١) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص١٧٨، ١٧٩).

(٢) التدمرية (ص٤٥).

تكذيب لنصوص الوحي، وميل بها عما يجب اعتقاده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «تارةً يجعلون المعنىٰ الفاسد ظاهر اللفظ، حتىٰ يجعلوه محتاجًا إلىٰ تأويل يخالف الظَّاهر، ولا يكون كذلك.

وتارةً يَرُدُّون المعنىٰ الحقَّ الذي هو ظاهر اللَّفظ؛ لاعتقادهم أنَّه باطل».

اضطراب المتأوِّلين فيما يثبتونه أو ينفونه من صفات رب العالمين؛ دليل ضلالهم واعوجاج منهجهم، واستقامة مذهب أهل السُّنَّة فيما يثبتونه أو ينفونه من الصفات الإلهية؛ دليل صوابهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أمَّا من عدل عن طريقة الكتاب والسُّنَّة من أهل الكلام المحدَث؛ فإنَّهم لا يذكرون في تنزيهه عن النقائص قولًا مطَّردًا مستقيمًا، بل أقوالهم متناقضة، فإنَّهم يَذْكُرون في النفي أنَّه ليس بجوهر، ولا جسم، ولا متحيِّز، ونحو ذلك من العبارات، ثم ما ينفونه من الصفات يقولون: «لأنَّ هذا يستلزم أن يكون جوهرًا أو جسمًا أو عَرَضًا، وهذا محال».

ثم هم يُثبتون من الصفات ما يلزم فيه نظير ما يلزم فيما نفوه، وإذا لزمهم فيما أثبتوه نظير ما يلزم فيما نفوه لزمهم: إمَّا النفي المطلق وهو التعطيل المحض، وإما أن يكون ما ذكروه من الدليل علىٰ ما نفوه باطلًا».

ظاهر نصوص الوحي في صفات ربِّ العالمين، هو حقيقة مدلول ألفاظها، فلو كان ظاهرها باطلًا لنهانا النبي ﷺ عن اعتقاده؛ فقد كان أنصح الخلق صلوات الله وسلامه عليه وأعلمهم بالله.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٤٣).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٤٣٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لم يَنْقِلْ أحدٌ عنه ﷺ أنَّه نهىٰ الناس عن اعتقاد ظاهره، وما دلَّ عليه».

كلام الله عَزَّوَجَلَّ أفصح الكلام دلالةً علىٰ المعنىٰ، فتحريف معانيه بصرف ظاهره عن دلالته تعالم مردود، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ المطلوب من الكلام شيئان: أن يكون حقًّا لا باطلًا، فإنَّ الباطل يُمْقَتُ وإنْ زُخْرِفَ. وأن يكون الكلام مُبَرْهَنًا مُبَيَّنًا».

سكوت الصحابة عن تأويل ظاهر نصوص الوحي في صفات رب العالمين، وإمرارها كما جاءت؛ دالٌّ علىٰ بطلان تحريفات المتأولين، وأنَّ ظاهر النصوص هو معناها.

قال العلامة الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالإجماع، فلو كان لها - نصوص الوحي - تأويل لزمه بيانه، ولم يَجُزْ له تأخيره. ولأنَّه لمَّا سكت عن ذلك لزمنا اتباعه في ذلك؛ لأمر الله تعالىٰ إيَّانا باتباعه، وأخبرنا بأنَّ لنا فيه أسوة حسنة، فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولأنّه ﷺ علىٰ صراط الله المستقيم؛ فسالك سبيله سالك صراط الله المستقيم، لا محالة، فيجب علينا اتباعه والوقوف حيث وقف، والسكوت عمَّا عنه سكت، لنَسْلُكَ سبيله».

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) نقض تأسيس الجهمية (٨/ ٢٧٩).

(٣) ذم التأويل (ص٤٠).

لا يجهل أحد كمال صفات الله عَزَّوَجَلَّ وامتناع مماثلتها لصفات المخلوقين إلا من فسد عقله وضلَّ فهمه وزاغ قلبه، أمَّا المسلمون فقد امتلأت قلوبهم من معرفة الله وتعظيمه، فأثنوا علىٰ الله بما تمدَّح به نفسه من أسمائه وصفاته، وتألَّهوا له وعبدوه لكماله، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن لم يهتد إلىٰ الفرق ما بين العظيم والناقص، وكَذَّب بالوحي؛ واجب عليه أن يرجع عن ضلاله، ويَكُفَّ عن تحريفاته وتأويلاته التي أفسدت عقائد المسلمين.

معاني صفات الله عَزَّوَجَلَّ دالة علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ ومباينة صفاته لصفات المخلوقين، فتدبَّر أيها المسلم مثلًا قوله تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

فالله عَزَّوَجَلَّ لا يشغله شأن عن شأن، والمخلوق لا يحيط بأسباب شأنه، فالله هو القيوم علىٰ كل نفس، خَلْقًا، وتدبيرًا، ورِزقًا، وحِفْظًا.

ذكر الله لنا من معاني صفاته ما يدل علىٰ عظمتها وكمالها وامتناع مماثلتها لصفات المخلوقين، من ذلك صفة الكلام، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الأشجار وإنْ تضاعفت علىٰ ما ذُكر أضعافًا كثيرة، والبحورُ لو امتدت بأضعاف مضاعفة؛ فإنَّه يتصوَّر نفادُها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة.

وأمَّا كلام الله تعالىٰ فلا يُتصوَّر نفاده، بل دلَّنا الدليل الشرعي والعقلي علىٰ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ١١٥).

أنَّه لا نفاد له ولا منتهىٰ، فكلُّ شيء ينتهي إلَّا الباري وصفاته ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]».

الله عَزَّوَجَلَّ صفاته كمال، لا يساميه مخلوق في ذاته ولا صفاته، من أجل ذلك هو الإله الحق الذي استحق وحده التأله والعبادة دون من سواه، وظهر كماله بصفاته، فما أضل وأجهل من نفىٰ صفات ربِّ العالمين توهمًا منه أنها تماثل صفات المخلوقين.

قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القرآن ملآنٌ من توحيد الله تعالىٰ، وأنَّه ليس كمثله شيء، فلا يُمثَّل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء؛ إذ ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا فيما يستحقه من العبادة، والمحبة، والتوكل، والطاعة، والدعاء، وسائر حقوقه، قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، فلا أحَدَ يُساميه، ولا يستحقون أنْ يُسمَّىٰ بما يُختص به من الأسماء، ولا يساويه في معنىٰ شيء من الأسماء، لا في معنىٰ الحي، ولا العليم، ولا القدير، ولا غير ذلك من الأسماء، ولا في معنىٰ الذات، والموجود، ونحو ذلك من الأسماء العامة، ولا يكون إلهًا، ولا ربًّا، ولا خالقًا».

الله عَزَّوَجَلَّ له المثل الأعلىٰ، فصفاته عليا لا يماثله في كمالها مخلوق، وبهذا انتفىٰ الشركاء وعُدمت الأنداد.

---

(١) الجواب الباهر في زُوَّار المقابر (ص٥٣).

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يستحيل أن يشترك في المثل الأعلىٰ اثنان؛ لأنَّهما إنْ تَكَافَآ لم يكن أحدهما أعلىٰ من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلىٰ أحدهما وحده، يستحيل أن يكون لمَن له المثل الأعلىٰ مثل أو نظير. وهذا بُرْهَانٌ قاطع من إثبات صفات الكمال علىٰ استحالة التمثيل والتشبيه».

وإثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ظاهرها مع نفي مماثلتها للمخلوقين، هو الذي دلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**(٢): «حاشا لله أن يكون من وصف الله جَلَّوَعَلَا بما وصف الله به نفسه في كتابه أو علىٰ لسان نبيه المصطفىٰ ﷺ؛ مُشَبِّهًا خالِقَهُ بخَلْقِهِ».

ليس في نصوص الوحي الواردة في إثبات صفات ربِّ العالمين محذور حتىٰ ننفي ظاهرها بتحريف الكلم عن مواضعه.

قال قوام السُّنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «قال بعض علماء السُّنَّة: الزمْ نصَّ الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات؛ تقف علىٰ الهُدَىٰ المستقيم».

نصوص الوحي في صفات رب العالمين؛ حقائقها ظاهر ألفاظها، وهذا المعنىٰ الذي عقله الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان منها.

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣١، ١٠٣٢).

(٢) التوحيد (١/ ٦٤).

(٣) الحُجَّة في بيان المَحجَّة (٢/ ٢٩٥).

ومن المأثور الصحيح عن السلف في نصوص صفات رب العالمين؛ قولهم: «أمروها كما جاءت».

قال الوليد بن مسلم[(١)]: سألت: سفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلُّهم قالوا: «أمِرُّوها كما جاءت بلا تفسير».

ومعنىٰ قولهم: «بلا تفسير»؛ أي: بلا تفسير يخالف ظاهر اللفظ كتحريفات المعتزلة وفروعهم من الأشاعرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قولهم: «أمرُّوها كما جاءت»؛ يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه؛ فإنّها جاءت ألفاظًا دالَّة علىٰ معان».

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أهل السُّنَّة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها، وحَمْلِها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنَّهم لا يُكَيِّفُون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفةً مَحْصُورة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج؛ فكلُّهم يُنْكرها، ولا يحمل شيئًا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أَقَرَّ بها مُشَبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمَعْبُود.

والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة».

---

(١) السُّنَّة للخلال (١/ ٢٥٩- رقم ٣١٣)، الشريعة (٢/ ١٠٤-رقم ٧٦٥)، الصفات للدارقطني (ص١٢٣ - رقم ٦٩)، أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٣/ ٥٨٢ - رقم ٩٣٠)، وإسناده صحيح.

(٢) الفتوىٰ الحمويَّة الكبرىٰ (ص٣٠٧).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

فاحذر أيُّها المسلم من الأهواء والبدع المخالفة لاعتقاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وتابعيهم خير القرون، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، متفق عليه.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «من تكلم بكلام في الدِّين أو في شيء من هذه الأهواء، ليس فيه إمام متقدِّم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ فقد أحدث في الإسلام حدثًا، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث حدثًا أو آوىٰ محدثًا في الإسلام؛ فعليه لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**»».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إنَّ تأويل من تأوَّل القرآن بلا سُنَّة تدل علىٰ معناه أو معنىٰ ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ، أو أثر عن أصحاب الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا تأويل أهل البدع».

اتفقت كلمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في العقيدة علىٰ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات صفاته وإمرارها كما جاءت، فاتبعهم أيُّها المسلم بإحسان، واحذر مخالفتهم.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «لم يُذْكَر عن أحد من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان؛ خلاف ما وصفنا، وهم الذين أَدَّوُا الكتاب والسُّنَّة بَعْدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرْنًا بعد قَرْن، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»».

---

(١) سير السلف الصالحين (٣/ ١١٧).

(٢) السُّنَّة للخلال (٢/ ٢٣).

(٣) خلق أفعال العباد (٢/ ١١٣).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا قائلين بالحق، فقالوا بما خاطبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به، لا يمكن أنْ يَكْتُمَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معاني أسماء الله وصفاته، إذا كانت تُخالف الظاهر؛ لأنَّهم كانوا من أنصح الخلق، وكانوا لا يكتمون ما علموه من معاني الشرع، وقد تألهوا لله عَزَّوَجَلَّ بظاهر هذه النصوص، فكانوا علىٰ الاعتقاد الصحيح، فمخالفوهم من المعتزلة والأشاعرة ضالون بما أحدثوه من تحريف كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فليحذر المسلم من تلقي الدين من غير من أداه إلينا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بتلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه في اتباع الصحابة بإحسان.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدَّوا ألفاظ القرآن ومعانيه إلىٰ التابعين، والتابعون أدَّوه إلينا، ولا يزال هذا الاعتقاد متوارثًا في المرضي عنهم من هذه الأُمَّة.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «كنَّا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله تعالىٰ ذِكْرُه فوق سمواته، ونؤمن بما وردت به السُّنَّة من صفاته».

الكافرون فضلًا عن المسلمين شهدوا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّم أمَّته كل شيء، وبلَّغ البلاغ المبين، وعلَّم أمَّته كل شيء ممَّا أمره الله عَزَّوَجَلَّ ببيانه، حتىٰ آداب قضاء

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناد صحيح»، بيان تلبيس الجهميَّة (٢/ ٣٧).

الحاجة، فمن المحال والممتنع أن يكون مراد نصوص الصفات خلاف ظاهرها، ولا يُبيِّنُهُ النبي ﷺ لأمَّته، فتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فضلًا عن عدم البيان كل فترة البعثة والرِّسالة؛ فهذا محال.

جاء يهودي إلىٰ سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال: «لقد علَّمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة»، قال سلمان رضي الله عنه: «أجل، علَّمنا رسول الله ﷺ إذا جاء أحدنا الغائط أن نقول: **اللهم إنِّي أعوذ بك من الخُبْث والخبائث**، وإذا خرج أن يقول: **غفرانك**» رواه مسلم.

قال الإمام مالك رحمه الله(١): «محال أن يُظنَّ بالنَّبي ﷺ أنَّه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يُعلِّمهم التوحيد».

وقال العلامة أبو زكريَّا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رحمه الله(٢): «إذا تصرَّم عصر الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين لهم بإحسان علىٰ الانكفاف عن التأويل؛ كان قاطعًا بأنَّه الوجه المتَّبع؛ إذ لو كان الخوض في ذلك واجبًا أو سائغًا مسوغًا؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، إذ نقلوا إلينا آداب الاستنجاء وما في بابه، وإذا اتفقوا علىٰ ما ذكرنا تبيَّن أنَّ الحق الصريح ما كانوا عليه».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رحمه الله(٣): «سكوت الصَّحابة رضي الله عنهم عن تفسيره بما يخالف الظَّاهر؛ دليل علىٰ إجماعهم علىٰ أنَّ المراد به ظاهره».

تحريفات المبتدعين المعتزلة وفروعهم الأشاعرة لنصوص الصفات الواردة

---

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٩١).

(٢) منازل الأئمة الأربعة (ص١٥٥).

(٣) تفسير سورة المائدة (٢/ ٩٢).

في القرآن والسُّنَّة؛ يسميها مبتدعوها تأويلات، وهي في الواقع تكذيب لنصوص الوحي وتحريف لها. فتحريفاتهم لا يدل عليها لفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو مخالف لفهم السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «تأويل التحريف من جنس الإلحاد؛ فإنَّه هو الميل بالنصوص عمَّا هي عليه، إمَّا بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

وكذلك الإلحاد في أسماء الله، تارة يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارةً يكون بإنكار المُسَمَّىٰ بها، وتارةً يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها، فالتأويل الباطل هو إلحاد وتحريف وإن سمَّاه أصحابه تحقيقًا وعرفانًا وتأويلًا».

دعوىٰ المجاز في نصوص الوحي الواردة في صفات رب العالمين؛ إبطال لحقائق ما دلَّ عليه كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ، وفي نصوص الوحي من الإحكام ما ينفي عنها المجاز وتحريفات المتأولين.

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

كلام الله عَزَّوَجَلَّ ميسر للفهم، فهو كما نعته الله ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، دلالة ألفاظه علىٰ معانيه غاية في اليسر في الفهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ الكتاب والسُّنَّة يَحْصُل منها كمال الهُدىٰ والنور لمن تدبَّر كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة نبيه ﷺ وقَصَد اتباع الحق،

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٠٢).

وأعْرَض عن تحريف الكلم عن مواضعه».

معنىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ أظهر بيانًا من كل كلام سواه، وأدَلُّ علىٰ معنىٰ الحق الذي خاطبنا الله به، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [الطارق: ١٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «العلم بمراد الله من كلامه أوضح وأظهر من العلم بمراد كلِّ متكلِّم من كلامه، لكمال علم المتكلِّم، وكمال بيانه، وكمال هداه وإرشاده، وكمال تيسيره للقرآن حفظًا وفهمًا وعملًا وتلاوةً، فكما بلَّغ الرسول ﷺ ألفاظ القرآن للأمَّة بلَّغهم معانيه».

المبتدعة زعموا أنَّ معاني نصوص القرآن والسُّنَّة لا يُراد بها ظاهرها، وأتوا بتحريفات يقولون: هذه هي المعاني للقرآن والسُّنَّة، مما لم يذكره النبي ﷺ ولا الصحابة!

هذا تضليل للنبي ﷺ وللصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا من أعظم ضلال المبتدعة.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ إجماع الصحابة لا يجوز خلافهم، لأنه لا يجوز علىٰ جميعهم جهل التأويل».

الأمر الثاني: هذا فيه قدح في نُصْح النبي ﷺ، فالنبي ﷺ ناصح للأمَّة، ليس بغَاشٍّ لها، يمتنع عليه كتمان المعاني الصحيحة لنصوص القرآن والسُّنَّة.

الأمر الثالث: أنَّ النبي ﷺ بُعث بالوحي، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الوحي والقرآن: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فدلالة ألفاظ القرآن علىٰ المعاني الصحيحة؛ غاية في البيان والظهور وإفادة المعنىٰ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٦، ٦٣٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (ص٣١٤).

من كل كلام سواه.

ومن جُمَل الاعتقاد التي ذكرها الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ، وهي مما وفَّقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها، حتىٰ قال العلماء: إنَّه لم يُسبق في التنبيه علىٰ هذه الجملة في اختصارها في معنىٰ ما أفادته في صحيح منهج تَلَقِّي الاعتقاد في معاني القرآن والسُّنَّة.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مُراد الله، وآمنتُ برسول الله ﷺ وما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مراد رسول الله ﷺ».

قال العلامة أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**(١): «اتَّفق أهل العلم أنَّ أحدًا لم يجمع جمل الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وبرسوله ﷺ كما جمعه الشافعي في قوله الموجز: «آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله ﷺ».

فتُتَلقَّىٰ معاني ألفاظ القرآن والسُّنَّة ممن بُعث ببيانها رسول الله ﷺ، وممن تَلَقَّوا عنه الدِّين، وليس من تحريفات المعتزلة وفروعهم من الأشاعرة.

لا يمكن أن يكون انقضىٰ عهْدُ الصحابة من غير معرفة بصحيح الاعتقاد لمعاني أسماء الله وصفاته، حتىٰ يأتي مَنْ بَعْدَهم من مبتدعة المعتزلة وفروعهم كالأشاعرة، فيزعمون أنَّ تحريفاتهم لمعاني القرآن هي الاعتقاد الصحيح، هذا باطل.

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته الوارد ذكرها في القرآن والسُّنَّة كمال، ليس فيها نقص حتىٰ نُعطِّلَ ونُفوِّض معناها، أو نُحرِّفها عن حقائقها إلىٰ مجازات باطلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هو سلام سبحانه في ذاته عن كلِّ عَيْبٍ ونَقْص

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٤٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٦٠٢، ٦٠٣).

يتخيله وَهْمٌ، وسلام في صفاته من كلِّ عَيْبٍ ونقْصٍ، وسلام في أفعاله من كل عَيْبٍ ونقْصٍ وشرٍّ وظُلْم وفِعْلٍ واقع علىٰ غير وجه الحكمة».

النبيُّ ﷺ بَلَّغَ كل شيء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

والنبي ﷺ في حَجَّة الوداع أشهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ تبليغه للدِّين كله، قال: «**اللهم هل بَلَّغْتُ**»، ويرفع يديه إلىٰ السماء، ثم يُشهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: «**اللهم فاشهد**»، وشهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بتبليغه صلوات الله وسلامه عليه.

ولذلك كان مما أُنزل علىٰ رسول الله ﷺ في حجة الوداع قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فالمُسْلم من اعتقاده الجازم في شهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ أنَّه بَلَّغ البلاغ المبين، ولم يكتم شيئًا من شريعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

العلم بالله هو الأخبار الواردة في القرآن والسُّنَّة عن أسماء الله وصفاته، والعلم بذلك يتأسَّس عليه عبادة الله بالتأله له وأداء حقه وعبادته بما شرع، فهذا بيَّنه النبي ﷺ بيانًا تامًّا علىٰ أكمل الوجوه، يمتنع عليه كتمانه، حتىٰ يزعم ضُلَّال المعتزلة والأشاعرة أنَّ تحريفاتهم لنصوص الوحي هو البيان لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الإله: هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهيَّة مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودًا محبوبًا لذاته إلَّا هو».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «اتفقت كلمتهم - الصحابة - وكلمة التابعين بَعْدَهم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٥٦٧).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٠).

علىٰ إقرارها وإمرارها، مع فَهْمِ معانيها، وإثبات حقائقها، وهذا يدل علىٰ أنَّها أعظم النوعين - التوحيد والأحكام - بيانًا، وأنَّ العناية ببيانها أهم، لأنَّها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبيَّنها الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ بيانًا شافيًا».

دعوىٰ المجاز في نصوص الوحي هو تعطيل لدلالة ألفاظ الوحي علىٰ معانيه، وهو طعن في بيان الوحي.

دعوىٰ المجاز في نصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة، هو مقدمة الزندقة، فإن ذلك ذريعة للتلاعب بمعاني نصوص الوحي، حيث يقول من شاء ما شاء بدعوىٰ المجاز.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لو ساغ ادِّعاءُ المجاز لكل مُدَّعٍ؛ ما ثبت شيء من العبارات، وجَلَّ الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يُخاطِب إلا بما تفهمه العربُ في معهود مخاطباتها».

لم يكن في القرون المفضلة من يعدل عن اعتقاد ظاهر نصوص الوحي في صفات ربِّ العالمين، وإنَّما ظهر ذلك فيمن بعدهم من المبتدعة الضالين، فلا يجوز لأحد العدول عن إجماع خير القرون.

قال العلامة الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعوا علىٰ ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهلُ كلِّ عصر بعدهم، ولم يُنقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلىٰ بدعة.

والإجماع حُجَّة قاطعة، فإنَّ الله لا يجمع أُمَّة محمد ﷺ علىٰ ضلالة».

---

(١) التمهيد (٧/ ١٣١).

(٢) ذم التأويل (ص٤٠).

أجمع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ الإيمان بصفات رب العالمين الواردة في نصوص القرآن والسُّنَّة، آمنوا بحقائقها علىٰ ظاهرها، وأَمَرُّوها كما جاءت، فيلزم المتأولين لحقائقها إلىٰ مجازات ضالة أن يأتوا بالإجماع علىٰ ما تأولوه، وهيهات.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «من حقِّ الكلام أنْ يُحمل علىٰ حقيقته، حتىٰ تتفق الأُمَّة أنَّه أُرِيدَ به المجاز، إذ لا سبيل إلىٰ اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا علىٰ ذلك».

لا يجوز تحريف ألفاظ الوحي إلىٰ تأويلات مجازية باطلة، وصرف الكلام عن حقيقته بلا دليل، والواجب علىٰ من ادعىٰ مجازًا في القرآن والسُّنَّة عدة أمور:

الأول: أن يأتي بالدليل الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره.

الثاني: أنْ يأتي بالدليل من حيث اللغة علىٰ احتمال اللفظ للمعنىٰ المجازي.

الثالث: أنْ يأتي بالدليل علىٰ احتمال اللفظ للمعنىٰ المجازي في سياق النص القرآني والحديثي.

الرابع: أنْ يأتي بالدليل علىٰ تعيين المعنىٰ المجازي المزعوم؛ لأنَّ الكل يستطيع أن يزعم معنًىٰ مجازيًّا آخر(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ(٣): «إذا طولبوا بهذه الأربعة يتبيَّن عجزهم».

ومن له معرفة بمقالات الفرق المبتدعة؛ يعلم أنَّهم طبقات في التأويل المبتدع، فمستقل ومستكثر، فمنهم من تأويله أتىٰ علىٰ كل نصوص الوحي أو أكثرها، ومنهم من تأوَّل نوعًا من النصوص وأخذ بظاهر بقية النصوص.

---

(١) التمهيد (٧/ ١٣١).

(٢) فتح رب البريَّة بتلخيص الحموية (ص٥٢، ٥٣).

(٣) مختصر الصواعق (٣/ ٩٤٦، ٩٤٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ التأويل الذي يدعيه هؤلاء؛ ليس هو معنىٰ القرآن، فإنَّهم حرَّفوا الكلم عن مواضعه، وصاروا مراتب: ما بين قرامطة وباطنية، يتأولون الأخبار والأوامر، وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الأخبار عن الله وعن اليوم الآخر، حتىٰ عن أكثر أحوال الأنبياء، وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر، وآخرون من أصناف الأُمَّة، وإنْ كان تغلب عليهم السُّنَّة، فقد يتأولون أيضًا مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه».

۞ ۞ ۞

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٨٧).

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ:

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلىٰ قائله، ونجعل عهدته علىٰ ناقله، اتباعًا لطريق الراسخين في العلم، الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران: ٧].

❁ **الشَّرح**:

نصوص الوحي في الصفات الإلهية سبيلها واحد، وهو إمرارها كما جاءت، وهذا يفيد أنَّ معناها هو ظاهر ألفاظها، ولذلك اتفقت أفهام الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ علىٰ ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «اتفقت كلمتهم - الصحابة - وكلمة التابعين بَعْدَهم علىٰ إقرارها وإمرارها، مع فهْم معانيها، وإثبات حقائقها».

الناصح لنفسه إذا أشكل عليه شيء من معاني نصوص الوحي عمومًا، ونصوصه في الصفات الإلهية خصوصًا؛ تلقىٰ معاني ذلك من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان، واجتنب ضلالات المشاقين لهم من المبتدعين الذين حرَّفوا ألفاظ الوحي إلىٰ معانٍ باطلة.

قال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥]، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كما بلَّغوا للأمة ألفاظ القرآن فإنَّهم بلغوا معانيه كذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «التَّفسير الثابت عن الصحابة والتابعين؛

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٢١٠).

(٢) السبعينية (ص٣٣٠).

فذلك إنَّما قَبِلُوه لأنَّهم قد علموا أنَّ الصحابة بَلَّغوا عن النبي ﷺ لفظ القرآن ومعانيه».

إنَّ الشرع كلَّه قد بَيَّنه الله عَزَّوَجَلَّ، والنبيُّ ﷺ، بيانًا قاطعًا للعُذْر علىٰ كل الخلائق، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل هذا القرآن والوَحْيَ وبعثة الرسول ﷺ حُجَّةً علىٰ الخَلْق، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

فالوحي حُجَّةٌ علىٰ الخلق، وقاطعٌ للعُذر، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ معانيه صريحة واضحة في إفادة العلم والهداية إلىٰ الحق، ولهذا وصف الله القرآن بأنَّه ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] فدلالة ألفاظ القرآن علىٰ المعاني الصحيحة غاية في البيان والظهور وإفادة المعنىٰ من كل كلام سواه.

ووقوع الاشتباه في بعض النصوص لا ينافي البيان الذي هو صفة القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

والاشتباه في معاني نصوص الوحي يحصل للجهال والمبتدعين بسبب جهلهم وسوء قصدهم، واستنكافهم عن تلقي معانيه عن علماء الأمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «بيان الأحكام يحصل تارة بالنص الجلي المؤكد، وتارة بالنص الجلي المجرد، وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

وذلك كله داخل في البلاغ المبين، فإنَّه ليس من شرط البلاغ المبين ألا

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٥٧٥، ٥٧٦).

يشكل علىٰ أحدٍ؛ فإنَّ هذا لا ينضبط، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، وفيهم من يبلغه العلم، وفيهم من لا يبلغه؛ إمَّا لتفريطه وإما لعجزه».

والنصوص المشكلة المشتبهة المعنىٰ قليلة جدًّا، دلَّ علىٰ ذلك حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس**» متفق عليه.

ودلَّ هذا الحديث أيضًا علىٰ أنَّ الاشتباه نسبي، اشتباه علىٰ غير العلماء.

وكل نصوص الوحي في الصفات الإلهية لم تشتبه علىٰ أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبهذا ظهر فضل السلف علىٰ الخلف، فمن أراد النجاة فليتبع الفرقة الناجية «النبي ﷺ وأصحابه»، فمن اتَّبعهم واعتقد عقيدتهم بإمرار نصوص الصفات كما جاءت فهو من الفرقة الناجية.

نصوص الوحي في أسماء الله وصفاته ألفاظها بيان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «ليس في آيات الصفات وأحاديثها مُجْمل يحتاج إلىٰ بيان من خارج، بل بيانها فيها، وإنْ جاءت السُّنَّة بزيادة في البيان والتفصيل».

ولو أنَّ النَّاس دفعوا عن نفوسهم أوهام مماثلة صفات الله للمخلوقين؛ لم يشتبهوا في شيء من أخبار الوحي في ذلك.

دلالة ألفاظ الوحي صريحة في معناها، وفيها من القرائن اللفظية ما يظهر به بطلان التحريفات البدعية الخلفية.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «نصوص الصفات إذا تأمَّلها من شرح الله صدره

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٢).

(٢) الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (١/ ١٩٧).

لقبولها، وفَرِحَ بما أُنزل علىٰ الرسول ﷺ منها؛ يراها قد حُفَّت من القرائن والمؤكِّدات بما ينفي عنها تأويل المتأوِّل».

وتفسير الصحابة ميزان، يُعرف به هداية من اهتدىٰ من ضلالة من ضل، والصَّحابة أنفسهم رضي الله عنهم، ومن جملتهم سادات آل البيت العلماء؛ اتخذوا تفسير الصحابة مرجعًا يدفعون به ضلالات المبتدعين.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مناظرته للخوارج: «أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ، وهم الذين نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله»، رواه النسائي وأبو داود وصحَّحه الحاكم.

فمن خالف قوله تفسير الصحابة رضي الله عنهم؛ كان ضالًّا، ووجب محاذرة ضلالاته البدعية.

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني رحمه الله(١): «التفسير الصحيح هو المدلول عليه بالأخبار والآثار».

فالتفسير الصحيح هو الذي دلَّت عليه أخبار الوحي من نصوص القرآن والسُّنَّة، ووافق آثار الصحابة رضي الله عنهم في معنىٰ ما قالوه في تفسير نصوص الوحي.

والتابعون الذين تلقوا معاني القرآن عن الصحابة رضي الله عنهم؛ أخبروا أنَّ الصحابة بيَّنوا لهم كل معانيه.

قال أبو عبد الرحمن السّلمي رحمه الله: «حدَّثنا الذين كانوا يُقْرِئُوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم، أنَّهم كانوا يُقرئوننا القرآن عشر آيات، حتىٰ نعلم ما فيها من العلم والعمل؛

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥٣).

فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»، رواه أحمد والحاكم وصححه.

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عرضتُ القرآن علىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث مرات، أُوقفه عند كل آية»، رواه الطَّبَري.

والتابعي قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلقىٰ معاني القرآن كله من الصحابة، قال[1]: «ما في القرآن آية، إلَّا وقد سمعت فيها شيئًا».

وبهذا نعرف أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أدَّوا معاني القرآن كما أدَّوا ألفاظه.

مدلول أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته هو معاني ألفاظها، لذلك أمَرُّوها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما جاءت علىٰ ظاهرها، معتقدين معانيها وحقائقها.

نصوص الوحي كلها ميسرة للفهم، سواء ما كان منها في العقيدة أو الأحكام، فقد يسَّر الله فهمها علىٰ جميع المكلفين ليتعبدوا لله بخطابه إليهم، وليكون حُجَّةً عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة؛ تأتي مركبة صريحة في معانيها، لا تحتمل غيره بوجه، هذا حالها في نفسها، وقد اتفق علىٰ هذا جميع أئمة المسلمين، الذين عرفوا مقاصد الشرع في مصادره وموارده، وتمرَّنوا علىٰ ألفاظه ومعانيه، فكما لا يستريبون في نصوصه في الأحكام الفروعية، فلا يستريبون أيضًا في نصوصه في الأصول، بل يرون هذا النوع أكثر بيانًا وأبلغ وضوحًا؛ لشدة الحاجة والضرورة إليه».

ما يجب اعتقاده في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ يستحيل أن يكتم النبي ﷺ بيانه، أو

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

(٢) توضيح الكافية الشافية (ص٧٩، ٨٠).

أنْ يُهمله ويُعرض عن بيانه.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «محال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يُعلِّمهم التوحيد».

سكوت النبي ﷺ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن تفسير نصوص الصفات بما يخالف ظاهرها؛ دال علىٰ أنَّ الظاهر هو حقيقة اللفظ ومعناه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «اتفقت كلمتهم - الصحابة - وكلمة التابعين بَعْدَهم علىٰ إقرارها وإمرارها، مع فهْم معانيها، وإثبات حقائقها، وهذا يدل علىٰ أنَّها أعظم النوعين - التوحيد والأحكام - بيانًا، وأنَّ العناية ببيانها أهم؛ لأنَّها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فَبيَّنها الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ بيانًا شافيًا».

❁ ❁ ❁

---

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٩١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٢١٠).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرُّض لمعناه، ونردُّ علمه إلىٰ قائله، ونجعل عهدته علىٰ ناقله؛ اتباعًا لطريق الراسخين في العلم، الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين، بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

❁ **الشَّرح:**

إن معاني أسماء الله وصفاته هي التي جعلت المسلمين يتألهون لربِّ العالمين حبًّا وخوفًا ورجاءً؛ فهم يصمدون لمن يعتقدون تفرده بكمال أوصافه، فهم يعبدون إلهًا حقًّا لا عدمًا.

فلذلك نثبت لله ما أخبرنا به عن نفسه من أسمائه وصفاته، بأنه سميع بصير قدير، له يدان، وهكذا في كلِّ ما أخبرنا الله عنه، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وعقيدة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معلومة متوارثة في إثبات معاني الصفات الإلهية وعدم الخوض بالغيب في كيفيتها، قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «سبحان من وسع سمعه الأصوات» رواه أحمد والنسائي؛ فأثبتت صفة السمع لله عَزَّ وَجَلَّ وأنه سميع بسمع، وإدراكه للمسموع من غير تكييف.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وهذه العقيدة السلفية وسط وهدًىٰ بين ضلالتين: ضلالة الممثِّلة الذين يكيفون صفات الله ويشبهونها بصفات المخلوقين، وضلالة المفوِّضة لمعاني

أسماء الله وصفاته.

فالصحابة أدوا إلينا الدِّين وأمرنا بتَلَقِّيه عنهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهذا أصل من أصول منهج تلقي الدين، فإن تلقيت الدين عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فقد فهمت الوحي بدون تحريف، وبدون ضلال، وهذا منهج أصيل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في فهم الدين، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مناظرته للخوارج: «لقد أتيتكم من عند صهر رسول الله ﷺ ومن عند الصحابة، وهم الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم بتأويله».

فجعل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المرجعية في تلقِّي فهم الوحي إلىٰ الصحابة؛ لأنهم أخذوا معاني القرآن عن النبي ﷺ، وأدوه إلىٰ من بعدهم.

قال العلامة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ: ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ فمذهب السلف - رحمة الله عليهم أجمعين - إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها؛ فهذا إجماع معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والحديث».

لذلك من جمل الاعتقاد التي ذكرها الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهي مما وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ فيها، حتىٰ قال العلماء: إنه لم يُسبق في التنبيه علىٰ هذه الجملة في اختصارها في معنىٰ ما أفادته في صحيح منهج تلقِّي الاعتقاد في معاني القرآن والسنَّة؛ قوله: «آمنتُ بالله، وبما جاء عن الله، علىٰ مراد الله، وآمنتُ برسول الله ﷺ، وما جاء عن رسول الله ﷺ، علىٰ مراد رسول الله ﷺ»، فتُتَلقَّىٰ معاني ألفاظ القرآن

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

والسنة ممن بُعث ببيانها؛ رسول الله ﷺ، وممن تلقوا عنه الدين؛ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والاختلاف في معاني نصوص الوحي من القرآن والسنة يقع في أذهان غير المتحققين بالعلم، وليس هو وَصفًا لنصوص الوحي في نفسها؛ فالوحي محكم، وهدًى، ومن جهل معنى ائتلاف النصوص أبان له علماء الإسلام ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ما زال علماء السنة يَقبلون الخبر الصحيح، ويبيِّنون اتفاق الأخبار المتعارضة عند بعض الناس، ووضع كل حديث موضعه، وأن الأحاديث كما جاءت لا تُرَد بتكذيب ولا بتحريف».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «السنَّة يُبيِّنُ بعضها بعضًا، لا يُرَدُّ بعضُها ببعض».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «هل في القرآن أو الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ما ظاهره ممتنعٌ في العقل، ولم يتبيَّن ذلك بالأدلة الشرعية؟! هذا لا يُعلم أنه واقع أصلًا.

فمن قال: إن هذا واقع، فليذكره؛ فإنا رأينا الذي يدَّعي فيه ذلك: إما أن يكون الحديث فيه موضوعًا، أو الدلالة فيه ليست ظاهرة، أو أن ظاهرها الذي لم يُرَد قد بُيِّن بأدلة الشرع انتفاؤه.

فإذا كان النص ثابتًا، والدلالة ظاهرة، وليس في بيان الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ودلالته ما يُبيِّن انتفاءها ومراده بها؛ فإنَّا وجدنا ما يذكرونه من المعقول له هو في نفسه معارضٌ بمعقول أقوى منه، ووجدناه من المجهول لا من المعقول، بل

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، (ص٨٦).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٤٢٥).

(٣) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، (ص٥٦).

وجدنا المعقول الصريح يدل علىٰ بطلان المعارض للمنقول الصحيح ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]».

والصحابة والتابعون لهم بإحسان أَمَرُّوا نصوص الوحي في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته علىٰ ظاهرها كما جاءت، ولم يأتِ عنهم ما ابتدعه المعطلة.

❁ ❁ ❁

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿ الشَّرْح :

التأويل في اصطلاح الشرع: يطلق على حقيقة ما يؤول إليه الشيء، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، يعني: ما ينتظر المنكرون لحقائق ما أخبَرَتْ به الرسل عن اليوم الآخر، إلا رؤية ما أخبرت به الرسل؛ فيودون حينها الرجوع إلى الدنيا لعلهم يعملون صالحًا.

ويُطلَق التأويل في اصطلاح الشرع: على التفسير، فقد دعا النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: «**اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل**»، أي: التفسير، رواه البخاري.

ويُطلَق التأويل في اصطلاح الشرع على: ما اختصَّ الله بعلمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «تأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول؛ فالاستواء معلوم يعلم معناه،

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، (ص٢٩٠).

ويفسر ويترجم بلغة أخرىٰ، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ».

والجهمية والمعتزلة وفروعهم كالأشاعرة أنكروا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وحرَّفوا ألفاظ الوحي الواردة بالأخبار عن صفات الله سبحانه، وسمّوا ذلك تأويلًا.

وفي اصطلاح الناس تجد منهم من يستعمل لفظ (التأويل): علىٰ تفويض المعنىٰ.

وتفويض معنىٰ القرآن إبطالٌ لحجيته؛ فالله عَزَّوَجَلَّ منزَّهٌ عن أن يخاطب خلقَه بما لا يعقلون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنًىٰ من المعاني، ولا يُفهم منه معنًىٰ أصلًا؛ لم يكن مشعرًا بما أريد به».

وذكر شيخ الإسلام أن من العلماء من يستعمل لفظ (التأويل) بمعنىٰ: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح.

وصرف اللفظ عن أحد الاحتمالين لا بُدَّ له من دليل يدل عليه من ألفاظ القرآن، وتفسير النبي ﷺ، وفهم الصحابة.

عدل المبتدعة عن محكم الوحي إلىٰ ألفاظ متشابهة مبتدعة مجملة من صناعتهم توصلوا بها إلىٰ تكذيب أخبار الوحي في أسماء الله وصفاته، كقولهم: (الجوهر، والجسم، والجزء، والتركيب)، ولا يَلتفت عن تصديق القرآن والسنَّة إلىٰ الأخذ بألفاظ المبتدعة، وإبطال حقائق الوحي، إلا من في قلبه زيغ - والعياذ بالله -، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) التدمرية، (ص١١٤).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وصف المبتدعة**(١): «يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّال الناس بما يشبِّهون عليهم».

فألفاظ المبتدعة متشابهة أضلت الخلق، وألفاظ الوحي بيان هدت إلىٰ الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كلام الله ورسوله محكم، والألفاظ المجملة المحدثة متشابهة».

وقد هدانا الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السبيل إلىٰ معرفة ما يشتبه معناه من ألفاظ القرآن، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

فرد ما تشابه من النصوص إلىٰ المحكم منه، وبسؤال الرَّاسخين في العلم يهتدي الناس إلىٰ معرفة معاني القرآن.

والنبي ﷺ سيد الرَّاسخين في العلم، الذي قام ببيان ما في متشابه القرآن من الإجمال، فصار الوحي كله محكمًا بتبيينه وتفسيره لمعاني القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الآية قد تكون نصًّا، وقد تكون ظاهرة، وقد يكون فيها إجمال، فالحديث يُقرِّر النصَّ ويَكشِف معناه كشفًا مُفصَّلًا، ويُقرِّب المراد بالظاهر ويدفع عنه الاحتمالات، ويُفسِّر المجمل، ويُبيِّنه

---

(١) الرد علىٰ الزنادقة والجهمية (ص١٧٢، ١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٩٤).

(٣) جواب الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفُتيا الحمويَّة (ص٧).

ويُوضِّحه، لتقوم حجة الله به، ولتبين أنَّ الرَّسول ﷺ بيَّن ما أُنزل إليه من ربه، بيَّن معناه وحروفه جميعًا، وأنّه لم يترك البيان لا لمجمل ولا لظاهر، ولم يُؤخِّره عن وقت الحاجة، بل قد بيَّن ذلك أحسن البيان وأجمله».

فالنَّبي ﷺ هو المبعوث ببيان معاني القرآن، فيستحيل أن تكون ألفاظ القرآن معانيها خلاف ظاهرها، ولا يُبيِّن النبي ﷺ المعاني المخالفة للظاهر.

فالرسول ﷺ أفصح الخلق وأنصحهم، وأقدرهم علىٰ البيان، لا يمكن أن يخاطب أمته بكلام مغلوط ظاهره غير مقصود.

فالذي يدلُّ علىٰ أنَّ نصوص القرآن في الصفات الإلهية محكمة؛ إيمان الصَّحابة رضي الله عنهم بها، وإمرارها كما جاءت، وروايتهم ما يوافق معناها من الأحاديث النبوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «حاشا لله أنْ يكون في كتاب الله ما أمر المسلمين بالإعراض عنه، وعدم التشاغل به، أو أنْ يكون سلف الأُمَّة وأئمتها أعرضوا عن شيء من كتاب الله، لا سيما الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، فما منها آية إلا وقد روىٰ الصحابة فيما يوافق معناها ويُفسرونه عن النبي ﷺ، وتكلَّموا في ذلك بما لا يحتاج معه إلىٰ مزيد؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، فإنَّ المتأخِّرين، وإن كان فيهم من حرَّف، فقال: قبضته: قدرته، وبيمينه: بقوته أو بقسمه، أو غير ذلك، فقد استفاضت الأحاديث الصحيحة التي رواها خيار الصحابة وعلماؤهم، وخيار التابعين وعلماؤهم، بما يوافق ظاهر الآية ويفصل المعنىٰ؛ كحديث أبي هريرة المتفق عليه، وحديث

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٦١٢، ٦١٣).

عبد الله بن عمر المتفق عليه، وحديث ابن مسعود في قصة الحبر المتفق عليه، وحديث ابن عباس الذي رواه الترمذي وصححه، وغير ذلك».

نصوص القرآن والسُّنَّة في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته محكمة، هذا وصفها في نفسها، لذلك تلقاها بالتصديق خير القرون، وهي مشتبهة في أفئدة وقلوب الجهمية التي امتلأت من رجس التمثيل، فشنَّعوا علىٰ من آمن بالوحي وصدق بأخبار الله عن نفسه.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شُنعت».

وظاهر نصوص الوحي فيما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه ورسوله ﷺ؛ هو ما يليق بعظمة الله عَزَّوَجَلَّ من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل بصفات المخلوقين، فهذا إحكام مقطوع به، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله(٢).

نصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته غاية في الإحكام، فما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه أثبته مع نفي مماثلته للمخلوقين، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

ونزَّه الله نفسه عن النقائص تارة بنفيها، وتارة بإثبات كمال ضدِّها، وتارة بالاثنين معًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

---

(١) السُّنَّة للخلال (٢/ ٧٦)، الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٣٨٧).

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن علم ما في نصوص الوحي من الهدىٰ والبيان في إثبات أسماء الله وصفاته علىٰ الكمال والتنزُّه عن النقص والمثال؛ آمن بها، وسلم من ضلال التحريف والتأويل.

القرآن قول فصل، هذا وصفه في نفسه، صريح في معانيه بدلالة ظاهر ألفاظه، ليهتدي به الناس.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [الطارق: ١٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القول الفصل: الفصل بيان المعنىٰ، ضد الإجمال».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «القول الفصل هو الذي يفصل بين الحقِّ والباطل، فيُميِّزُ هذا من هذا، ويفصل بين النَّاس فيما اختلفوا فيه».

كلمات القرآن أفصح الألفاظ بلاغة في ظهور معانيها، فألفاظه أعظم الألفاظ مطابقة للمعنىٰ خصوصًا آيات التوحيد؛ لأنَّه كلام رب العالمين، فبلاغة القرآن لا نظير لها، لذلك أمرَّ الصحابة والتَّابعون نصوصه في الصفات الإلهية كما جاءت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «البلاغة هي علم المعاني والبيان، فيذكر من المعاني ما هو أكمل مناسبةً للمطلوب، ويُذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني، فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعاني بأتمِّ ما يكون من البيان، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة وبين

(١) التِّبيان في أيمان القرآن (ص١٧٢).

(٢) التِّبيان في أيمان القرآن (ص١٧٢).

(٣) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٢٨٧).

تبيينها بأحسن وجه».

تأويلات المبتدعين ليست استنباطات لمعاني القرآن؛ فإنَّ الاستنباطات لا تخالف دلالة ألفاظ نصوص الوحي، بل هي من معانيه، أما تأويلات المبتدعين فإن ألفاظ القرآن والسُّنَّة وسياق النصوص وفهم السلف؛ يدلُّ على ضلالها وبطلانها، فإنّها من تحريف الكلم عن مواضعه.

وبمعرفة المسلم بمصادر تلقي المبتدعة للتأويلات والتحريفات الضالة يتبين له ضلالها وتجب عليه محاذرتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أصل هذه المقالة - نفي الصفات - إنَّما هي مأخوذة عن تلاميذ اليهود والمشركين وضُلَّال الصابئين، فإنَّ أول من حُفظ عنه أنَّه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس على العرش حقيقة، وإنّ معنى (استوى) بمعنى (استولى)، ونحو ذلك -؛ هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها، فنُسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل: إنَّ الجعد أخذ مقالته عن أبان[٢] بن سمعان، وأخذها أبان[٣] عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة».

المسلم يتلقَّى دينه عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، الذين تلقوا معاني القرآن من رسول الله

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠، ٢١).

(٢) صوابه: بيان.

(٣) صوابه: بيان.

ﷺ مباشرة، ولا يتلقاه عن الجهم بن صفوان وبشر المريسي وأبي بكر بن فورك ونحوهم من المبتدعين.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من لم يأخذ معاني الكتاب والسُّنَّة من الصحابة والتَّابعين، ومن أخذ عنهم؛ فقد استبدل باليقين شكًّا، وبالظنِّ الراجح وهمًا، وبالإيمان كفرًا، وبالهدىٰ ضلالة، وبالعلم جهلًا، وبالبيان عيًّا، وبالعدل ظلمًا، وبالصدق كذبًا، وبالإيمان بكتب الله وبكلماته تحريفًا عن مواضعه».

الخوارج هم أول من اتبع المتشابه من القرآن، وحرَّفوا معانيه بالتأويل الباطل.

عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: «**هم الخوارج**»، رواه أحمد والترمذي وحسنه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا من علامات النبوَّة، فإنَّ الخوارج أول من تبع ما تشابه منه، وابتغوا بذلك الفتنة، فقتلوا من أهل الإسلام ما لا يحصىٰ كثرة، وتجنبوا قتل أهل الشرك، وأخبارهم في ذلك شهيرة، ولذلك ورد في عدة أحاديث صحيحة أنَّهم شر الخلق والخليقة.

وذكر الخوارج نبَّه به الحديث المذكور علىٰ من ضاهاهم في اتباع المتشابه وابتغاء تأويله؛ فالآية شاملة لكل مبتدع سلك ذلك المسلك».

---

(١) جواب الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفتيا الحموية (ص١٩)، باختصار.

(٢) العُجَابُ في بيان الأسباب (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣).

تحريفات المبتدعين لألفاظ القرآن بدع أَسَّسها الخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية والرافضة، ليس لهم فيها سلف عن التَّابعين والصَّحابة، ولا عن تبيين النبي ﷺ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أوَّل من غيَّر هم الخوارج ثم المعتزلة بعدهم ثم الأشعرية، ثم الصوفية».

تسليط التأويل علىٰ نصوص الوحي؛ إفساد للدِّين؛ فإنَّه يؤدِّي إلىٰ أنْ يقول من شاء ما شاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّه لو أُخرج عن ظاهره – النص - بتأويل المتأوِّلين؛ انتقضت عرىٰ الإيمان كلُّها، وكان لا تشاء طائفة من طوائف أهل الضَّلال أن تتأوَّل النُّصوص علىٰ مذهبها إلا وجدت السَّبيل إليه».

التحريفات لنصوص الوحي في أسماء الله وصفاته التي تذكرها فرق المبتدعة؛ مؤسِّسها الجهم بن صفوان وبشر المريسي، فهؤلاء وفروعهم من الأشاعرة حرَّفوا كلام الله عَزَّوَجَلَّ عن مواضعه وأفسدوا بذلك معاني الوحي، وكذَّبوا بسبب ذلك بما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ.

وتحريفات الجهمية وفروعهم؛ ظاهرة البطلان من جهة مخالفتها لألفاظ نصوص الوحي، ومخالفة بيان النبي ﷺ وإجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

الكلام إذا أُريد به خلاف الظاهر؛ كان هذا إضلالًا، لا بيانًا ولا إفهامًا، أو كان هذا جهلًا ممن لا يُحسن البيان، وهذا كله ممتنع في حق الله تعالىٰ.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٥٤)، باختصار.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٨).

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ المتكلم الذي تكلم بكلام له ظاهر وله باطن يخالف الظاهر؛ يمتنع أن يريد به إفهام المخاطبين خلاف الظاهر بلا دليل.

فإذا ثبت أنَّه لا دليل يعلم به ما يخالف الظاهر؛ ثبت أنَّه لم يرد به إفهام ما يخالف الظاهر، وهذا بشرط أن يكون المتكلم مقصوده البيان والإفهام، وهو حكيم.

فأما إنْ كان مقصوده التدليس والتلبيس، أو كان جاهلًا؛ فلا يمتنع أن يخاطب الناس بما يفهمون منه خلاف مقصوده».

حقيقة التأويل الكفر بالقرآن بإبطال دلالة ألفاظه علىٰ معانيه، فالجهمية والمعتزلة وفروعهم ما آمنوا ولا صدقوا بما أخبر الله به عن نفسه، كذبوا به وحرَّفوه وأنكروه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا لم يستفد منها ثبوت معناها؛ فأي إنكار لها أبلغ من ذلك».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ما أحد أضرَّ علىٰ أهل الإسلام من

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٦١٠).

(٣) السُّنَّة للخلال (٢/ ٤٢-رقم ١٧٦٤).

الجهمية ما يريدون إلَّا إبطال القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ».

وحسبك من شر الجهمية والمعتزلة إنكارهم أن يكون القرآن كلام الله، وقول الأشاعرة في معنىٰ قول الجهمية، فإن اعتقاد الأشاعرة أن القرآن عبارة عن كلام الله، وليس بكلام الله حقيقة.

حقيقة مذهب الجهمية تضليل الناس بصدهم عن القرآن والسُّنَّة، فقد أبطلوا حجيتها بنفي حقائق ألفاظها، وجعلوا من ليس قوله بحجة من مبتدعتهم مبطلًا لكلام الله عَزَّوَجَلَّ[1].

وأساطين المبتدعة أنفسهم متحققون أنَّ الاعتقاد الصحيح يكون بالإيمان بحقائق ما أخبر الله به عن نفسه، قال أبو عبد الله الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تروي عليلًا ولا تشفي غليلًا، ووجدت أفضل الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فأثبت، وأقرأ في النفي: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فأنفي».

المتأولون مُبطلون في تحريفاتهم، وتفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ بما يخالف ظاهره؛ إبطال لحقائق الوحي، وهو من أسباب إفساد الدين، وأن يقول من شاء في كلام الله بما شاء.

فمتىٰ نفىٰ المتأولون حجية كلام الله عَزَّوَجَلَّ في ظاهره؛ لم يستفد منه علم، وتمكَّن بعد ذلك أن يقول من شاء ما شاء[2].

أجمع أئمة الإسلام علىٰ إنكار تحريفات المبتدعة المتأولين، وهذا دالٌّ

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الطوائف الملحدة، الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٣٥٢).

(٢) نقض المنطق (ص٧٥).

علىٰ ضلال تحريفاتهم؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عصم الأمة أن تجتمع علىٰ ضلالة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ هذا التأويل في كثير من المواضع – أو أكثرها وعامتها –؛ من باب تحريف الكلم عن مواضعه، من جنس تأويلات القرامطة والباطنية. وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأُمَّة وأئمتها علىٰ ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في آثارهم بالشهب».

تأويل نصوص الوحي في الصفات الإلهية بما يخالف ظاهرها؛ فيه تجهيل للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والتابعين، فلا يمكن أنْ يكون انقضىٰ عهد الصحابة من غير معرفة بصحيح الاعتقاد لمعاني أسماء الله وصفاته، حتىٰ يأتي مَنْ بَعْدَهم من مبتدعة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فيزعمون أنَّ تحريفاتهم لمعاني القرآن هو الاعتقاد الصحيح، هذا باطل.

لا يمكن أن يكتم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ معاني أسماء الله وصفاته إذا كانت تُخالف الظاهر؛ لأنَّهم كانوا من أنصح الخَلْق للخَلْق، وكانوا لا يكتمون ما علموه من معاني الشرع، ولأنَّهم تألهوا لله بظاهر هذه النصوص، فكانوا علىٰ الاعتقاد الصحيح.

الله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه في اتباع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والموجب لاتباع الصحابة هو تلقيهم معاني القرآن من النبي ﷺ مباشرة، ولأنهم أفصح ممن بعدهم، وأعلم بمعاني لغة القرآن.

(١) نقض المنطق (ص٥٨).

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كفىٰ بالصحابة قُدوةً في فهم معنىٰ القرآن، فهم أوَّلُ مُخاطَب به من الأُمة، وبلسانهم نزل، وهم أخصُّ من غيرهم من أهل اللسان».

❁ ❁ ❁

(١) التنبيه علىٰ مشكلات الهداية (٣/ ١١٣٥).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ :

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا**» و«**إن الله يرىٰ في القيامة**»، وما أشبه هذه الأحاديث: «نؤمن بها ونصدق بها، لا كيف ولا معنىٰ، ولا نرد شيئًا منها.

ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد علىٰ رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ونقول كما قال، ونَصِفُه بما وَصَف به نفسه، لا نتعدىٰ ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين.

نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن».

﴿ الشَّرح :

هذا الاعتقاد المأثور عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ مشهور ثابت عنه، توافقت الروايات عن الإمام أحمد بثبوت ذلك عنه، وهو مما توافق علىٰ اعتقاده أئمة الإسلام من طبقة الصحابة والتابعين، ولا يزال متوارثًا في الأُمَّة إلىٰ يومنا هذا.

وابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في متنه المختصر في مجمل الاعتقاد «لمعة الاعتقاد»؛ انتخب هذه الرواية عن أحمد؛ لأنَّها مفصلة في شرح الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، وهي رواية حنبل(١).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥٠٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢١١، ٢١٢).

ومضمون كلام الإمام أحمد؛ تصديق ما أخبر به النبي ﷺ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ رسول الله ﷺ لا يُخبر إلا بحق.

وقول الإمام أحمد: «نؤمن بالأحاديث ونصدق بها، لا كيف ولا معنىٰ»؛ أراد تفويض الكيفية؛ لأنَّ ذلك مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه خلقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

والمعنىٰ الذي نفاه الإمام أحمد في قوله: «ولا معنىٰ»؛ التأويل البدعي الذي يخالف ظاهر النص؛ فكلام الإمام أحمد بعضه يفسر بعضًا، لذلك قال(١): «نُمرُّها كما جاءت بلا كيف، ولا معنًىٰ، إلَّا علىٰ ما وصف به نفسه تعالىٰ».

وتضمَّن كلام الإمام أحمد أنَّ المعتمد في وصف الله عَزَّوَجَلَّ وتنزيهه؛ يرجع إلىٰ ما ورد به الوحي من القرآن والسُّنَّة في ذلك، حيث قال: «نصفه بما وصف به نفسه»، وقال: «ولا نتعدىٰ القرآن والحديث»، فالواجب تصديق ما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ.

وحذَّر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تكذيب ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ؛ لشناعة المبتدعين، حيث قال: «لا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت»، فإنَّ المبتدعة يقولون: إثبات صفات الله تشبيه، وهذا منهم كذب وتضليل، فإثباتها كما أخبر الله بما يليق بعظمته وما يختص به ليس بتشبيه، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه»؛ فيه تحذير من الغلو في الإثبات، فيجب إثبات ما ورد به النص من الإخبار عن

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٣٧٠).

صفات الله من غير نفي ما أثبته الله لنفسه ومن غير زيادة بما لم يخبر الله عن نفسه.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أحمد بن سنان يقول: المشبهة الذين غلوا فجاوزوا الحديث، فأمَّا الذين قالوا بالحديث، فلم يزيدوا علىٰ ما سمعوا(١).

قال قوام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥هـ) مُعلقًا: «فهؤلاء أهل السُّنَّة، والمتمسكون بالصَّوَاب والحق، وليس هم بالمشبهة، ما شبهوا هؤلاء، إنَّما آمنوا بما جاء به الحديث، هؤلاء مؤمنون مصدِّقون بما جاء به النبي ﷺ والكتاب والسُّنَّة»(٢).

فإثبات ما أثبت الله لنفسه هذا إيمان، والسكوت عما لم يرد فيه نص من الوحي بالإخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ هذا واجب؛ لئلا يقول المسلم علىٰ الله بغير علم.

قال سَحْنُونُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «من العِلم بالله: السكوتُ عن غير ما وصف به نفسه».

وقال العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنَّ تَكَلُّفك معرفة ما لم يصف من نفسه؛ مثل إنكارك ما وصف منها».

وقول الإمام أحمد: «ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية»؛ قصد به نفي العلم بقَدْرِ الصفة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٠]، وفي رواية المروذي قال الإمام أحمد بالحد بمعنىٰ مباينة الله لخلقه باستوائه علىٰ العرش.

فكلام السلف في الحدِّ إثباتًا ونفيًا؛ يدلُّ علىٰ أنَّ مقصودهم بإثباته: أنَّ صفات الله قائمة به، وأنّه مباين لخلقه، غير حَالٍّ فيهم، ونَفْيُهُم مقصوده: أنَّ الله لا يُحاط به.

---

(١) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (١/ ٩٢).

(٢) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (١/ ٩٢).

(٣) نقض المنطق (ص٥).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٧٢٣).

قال أبو الحسن العنبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت سَهْلَ بن عبد الله التُّسْتري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول، وقد سُئل عن ذات الله، فقال[١]: «ذات الله موصوفة بالعِلم، غيرُ مُدْرَكَةٍ بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حدٍّ ولا إحاطة ولا حُلول، وتراه العيون في العُقبىٰ، ظاهرًا في مُلكه وقدرته، قد حَجَب الخلق عن معرفة كُنْهِ ذاته، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تُدْرِكُه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية».

وقال أبو داود الطيالسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كان سفيان، وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشريك، وأبو عوانة؛ لا يَحُدُّونَ، ولا يُشبِّهون، ولا يُمثِّلون، يَرْوُون الحديث، ولا يقولون: كيف؟ وإذا سُئلوا قالوا بالأثر».

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ الله يتعالىٰ عن أن يُحيط أحدٌ بحدِّه، لا أنَّ المعنىٰ أنَّه غير متميِّز عن خلقه، مُنفصل عنهم، مباين لهم، سُئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بم نَعْرِف ربنا؟ قال: بأنّه علىٰ العرش، بائن من خلقه، قيل: بحدٍّ؟ قال: بحدٍّ. انتهىٰ.

ومن المعلوم أنَّ الحدَّ يُقال علىٰ ما ينفصل به الشيء ويتميَّز عن غيره، والله تعالىٰ غيرُ حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المُقيم لما سواه.

فالحدُّ بهذا المعنىٰ لا يجوز أنْ يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنّه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الربِّ، ونفي حقيقته.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٣).

وأمَّا الحدُّ بمعنىٰ العلم والقول، وهو أنْ يَحُدَّه العباد؛ فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السُّنَّة».

واتفقت روايات أصحاب أحمد في نقل اعتقاده في توحيد الله في أسمائه وصفاته.

قال أبو بكر المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردُّها الجهمية في الصفات والإسراء والرؤية وقصة العرش، فصحَّحها، وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، تُسَلَّم الأخبار كما جاءت(١).

وقال أبو بكر المروذي: وأرسل أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة إلىٰ أبي عبد الله يستأذنانه في أنْ يُحدثا بهذه الأحاديث التي تردُّها الجهمية، فقال أبو عبد الله: حدِّثوا بها، فقد تلقتها العلماء بالقبول، وقال أبو عبد الله: تُسلم الأخبار كما جاءت(٢).

وقال إسحاق بن منصور الكوسج: قلت لأحمد بن حنبل: «ينزل ربنا عَزَّوَجَلَّ كل ليلة حتىٰ يبقىٰ ثلث الليل الآخر إلىٰ السماء الدنيا»، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح(٣).

وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا المروذي قال: سألت أبا عبد الله عن أخبار الصفات؟ فقال: نُمِرُّها كما جاءت(٤).

وقال أبو طالب: إنَّ أحمد قال: قلب العبد بين أصبعين، وخلق آدم بيده، وكلما جاء الحديث مثل ذلك قلنا به(٥).

---

(١) الشريعة (ص٢٨٥-رقم ٧٢٦).

(٢) الشريعة (ص٢٨٥-رقم ٧٢٦).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٤٥٤-رقم ٢٧٤٥).

(٤) ذم التأويل (ص٢١، ٢٢).

(٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٧٧).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه: الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجميع صفاته إله واحد(١).

وقال عبدوس بن مالك العطار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع؛ فإنّما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات(٢).

وكما اتفقت الروايات عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولًا واحدًا في صفات رب العالمين، فقوله موافق لإجماع أئمة الهدىٰ علماء الإسلام علىٰ هذا الاعتقاد.

قال العلامة أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤هـ)**(٣): «أئمتنا؛ كسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه؛ متفقون علىٰ أنَّ الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأنَّ عِلْمَهُ بكل مكان، وأنّه يُرىٰ يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنّه ينزل إلىٰ سماء الدنيا، وأنّه يغضب ويرضىٰ، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئًا من ذلك فهو منهم بريء، وهم منه براء».

وقال الوليد بن مسلم: سألت(٤): الأوزاعيَّ، وسفيان الثوريَّ، ومالك بن أنس، واللَّيْث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها ذِكْرُ الرُّؤْيَةِ، فقالوا: أَمِرُّوهَا كما جاءت، بلا كيف.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهما الله: أدركنا العلماء في جميع

(١) الرَّدُّ علىٰ الزنادقة والجهمية (ص٢٨٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٦، ١٧٧).

(٣) الإبانة، بواسطة مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٦٢).

(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص١١٤).

الأمصار حجازًا وعِراقًا ومِصْرًا وشامًا ويَمَنًا، فكان من مذهبهم: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وأنّه تبارك وتعالىٰ يُرىٰ في الآخرة: يراه أهل الجنَّة بأبصارهم، ويسمعون كلامه كيف شاء، وكما شاء[(١)].

وعناية العلماء بذكر اعتقاد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلومة؛ لشدة اتباعه للقرآن والسُّنَّة وتلقيه معانيها عن السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ أحمد بن حنبل لم يبتدع من عنده شيئًا، ولكن كان أعلم أهل زمانه بما أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ، وما كان عليه الصحابة والتابعون، وكان أتبع الناس لذلك، وابتلي بالمخالفين من أهل الأهواء ومناظرتهم بالخطاب والكتاب، والرد عليهم، فأظهر من علوم السلف ما هو متبع فيه؛ كسائر الأئمة قبله، وما من قول يقوله إلا وقد قاله بلفظه أو بمعناه ما شاء الله من الأئمة قبله، وفي زمانه، وعليه من الدلائل ما شاء الله، فلهذا اتخذته الأُمَّة إمامًا؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ممن آتاه الله من الصبر واليقين بآيات الله ما استحق به الإمامة، حتىٰ اشتهر ذلك عند الخاصة والعامة، فصار لفظ الإمامة مقرونًا باسمه أكثر وأشهر مما يقترن باسم غيره».

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٢٠).

فالمسلم يتلقىٰ دينه عن أئمة الهدىٰ، يتلقاه عن الصحابة والتَّابعين لهم بإحسان، ويجتنب ضلالات المبتدعين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قيل له - ابن المبارك -: بماذا نعرف ربنا، قال: بأنّه فوق سمواته، علىٰ عرشه، بائن من خلقه.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة الملقب إمام الأئمة وهو ممن يفرح أصحاب الشَّافعي بما ينصره من مذهبه، ويكاد يقال: ليس فيهم أعلم بذلك منه: من لم يقل: إنَّ الله فوق سمواته، علىٰ عرشه، بائن من خلقه؛ وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه وألقي علىٰ مزبلة، لئلا يتأذىٰ بنتن ريحه أهل الملة ولا أهل الذمة، وكان ماله فيئًا.

وقال مالك بن أنس الإمام فيما رواه عنه عبد الله بن نافع، وهو مشهور عنه: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان.

وقال الإمام أحمد بن حنبل مثل ما قال مالك وما قال ابن المبارك.

والآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وسائر علماء الأمة بذلك متوافرة عند من تتبعها، قد جمع العلماء فيها مصنفات صغارًا وكبارًا، ومن تتبَّع الآثار علم أيضًا قطعًا أنَّه لا يمكن أن ينقل عن أحد منهم حرف واحد يناقض ذلك، بل كلهم مجمعون علىٰ كلمة واحدة وعقيدة واحدة يصدق بعضهم بعضًا».

وبتدوين ورواية المأثور من اعتقاد السلف من طبقة الصحابة والتَّابعين ومن بعدهم يجد المسلم طمأنينة في نفسه بصحة اعتقاده.

والمسلم إذا كان اعتقاده ما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة وإجماع الصحابة

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٤٧٤).

والتَّابعين، والمأثور عن أئمة الهدىٰ؛ كان من الفرقة الناجية.

وقد أوصىٰ علماء السلف المتقدمين بالعناية بآثار السلف، وتلقي الدِّين عنهم، والاهتداء بعلومهم وفهومهم.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كانوا يقولون: إذا كان الرجل علىٰ الأثر فهو علىٰ الطريق».

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «عليك بآثار من سلف وإنْ رفضك الناس».

وقال أبو نُعيم الفضل بن دُكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «عليكم بالآثار والعلم، ما كان عليه من مضىٰ من السلف».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ليونس:** ما أُريد إلَّا نصحك، ما وجدت عليه متقدمي أهل المدينة؛ فلا يدخل قلبك شكٌّ أنَّه الحق(٤).

تلاميذ وأصحاب الإمام أحمد رووا عنه آثارًا كثيرة في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في أسمائه وصفاته، وكان هذا من أسباب نُصرة الحق وهداية الخلق.

والأمة لا تزال تتوارث عقيدتها، يتلقاها الخلف عن السلف.

روىٰ تلاميذ وأصحاب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه اعتقاده في التوحيد مشافهة، وكتب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤلفات في ذلك؛ منها: الرَّدُّ علىٰ الجهمية والزنادقة، ومنها مؤلفه في الرؤية، وغيره، فكان هذا أبلغ وأنفع في أداء العلم مشافهةً وتأليفًا.

---

(١) الشريعة للآجري (١/ ١٣٢-رقم ٣٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).

(٣) السُّنَّة للخلال (٢/ ٢٦).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٤٥٣، ٤٥٤).

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله[١]: «رأيت أبي يُصحِّحُ الأحاديث التي تُروىٰ عن النبي ﷺ في الرُّؤية، ويذهب إليها، وجمعها أبي في كتاب، وحدثنا بها».

❁ ❁ ❁

---

(١) السُّنَّة (ص١٩١ - رقم ٣٩٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

> **قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

الشَّرح:

هذه الجملة من الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فقه معاني كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسول الله ﷺ؛ من أتقن وأحسن ما قيل في الواجب اعتقاده من الأفهام الصحيحة، وفيها تحذير من ضلالات سوء الفهم لكلام الوحي، والذي ضلَّ بسببه المبتدعة.

قال العلامة أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**[(١)]: «اتَّفقَ أهلُ العلم أنَّ أحدًا لم يجمع جُمل الإيمان بالله وبرسوله كما جمعه الشَّافعي في قوله المُوجَز».

مراد الله عَزَّوَجَلَّ بيَّنه النبي ﷺ فإنَّ الله بعثه بذلك، فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ومراد النبي ﷺ أداه عنه صحابته الذين تلقوا منه معاني الشريعة، وهم الذين أمرهم النبي ﷺ بتبليغ الدين عنه.

عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال للصحابة: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» رواه البخاري.

قال العلامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٩٤هـ)**[(٢)]: «هم - الصحابة - حجة الله علىٰ خلقه بعد رسوله ﷺ، يؤدُّون عن الرسول ﷺ ما

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٤٦).

(٢) السُّنَّة (ص١٥)، ط - مؤسسة الكتب الثقافية.

أدَّىٰ إليهم؛ لأنّه بذلك أمرهم».

الصحابة والتابعون آمنوا بنصوص القرآن والسُّنَّة علىٰ ظاهرها، فمن آمن بمثل ما آمنوا به فهو من المهتدين، ومن خاض في تحريفها بتأويلات جهمية فهو من المبتدعين.

قال أبو زكريَّا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**(١): «إذا تصرَّم عصر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان علىٰ الانكفاف عن التأويل؛ كان قاطعًا بأنَّه الوجه المتَّبع؛ إذ لو كان الخوض في ذلك واجبًا أو سائغًا مسوغًا؛ لأوشك أنْ يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، إذ نقلوا إلينا آداب الاستنجاء وما في بابه، وإذا اتفقوا علىٰ ما ذكرنا تبيَّن أنَّ الحق الصريح ما كانوا عليه».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «سكوت الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن تفسيره بما يخالف الظَّاهر؛ دليل علىٰ إجماعهم علىٰ أنَّ المراد به ظاهره».

الائتمام بالسلف شعار أهل السُّنَّة والجماعة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أصول السُّنَّة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنَّ شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتِّباع السلف».

والائتمام بالسَّلف هو شأن من يعلم أنَّ الأُمَّة لا تجتمع علىٰ ضلالة، وشأن من يعلم أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم أفقه وأعلم الأُمَّة، وأقلُّها تكلُّفًا، وأحسنها قصدًا،

---

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٥٥).

(٢) تفسير سورة المائدة (٢/ ٩٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٦).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٥).

وأعظمها تقوىٰ، وأنَّهم تلقَّوا معاني الدِّين من النبي ﷺ مباشرة.

قال العلَّامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنْ كنتم من المؤمنين وعلىٰ منهج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدىٰ في سبيله، وارضوا بهذه الآثار - آثار الصحابة - إمامًا كما رضي بها القوم لأنفسهم إمامًا. فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم، ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلَّا باتِّباع هذه الآثار علىٰ ما ترون، فمن لم يقبلها فإنَّه يريد أن يتَّبع غير سبيل المؤمنين، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]».

الراغب في سُنَّة النبي ﷺ يأخذها ممَّن أدَّاها إلىٰ الأُمَّة من بطانة النبي ﷺ صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، والرَّاغب عن سنَّته هو الذي يلتفت عنها، ويأخذ دينه من هوىٰ نفسه أو أهواء غيره من المبتدعين.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ النبي ﷺ حين سُئل عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، بمعنىٰ: من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي؛ فلا بُدَّ من تعرُّف ما كان عليه رسول الله ﷺ وليس طريق معرفته إلَّا النقل، فيجب الرجوع إلىٰ ذلك».

ومن رغب عن أخذ الدِّين من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ الذين أمر النبيُّ ﷺ بالأخذ عنهم فليس من النبي ﷺ، وأحرىٰ ألا تناله شفاعته، وأنْ يذوده النبي ﷺ عن ورود حوضه.

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص٦٣).

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٤٢).

قال النبي ﷺ: «**من رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**»، متفق عليه.

البدع والاعتقادات الضالة منشؤها من الأفهام الضالة وتحريف الكلم عن مواضعه، ومن الاستدلال بالمرويات الضعيفة والمكذوبة.

وقد حذَّر الإمام الشَّافعي نفسه من الأفهام الضَّالة، وبيَّن أنَّ من قال بقول ليس له فيه سلف فهو من المبتدعين.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من تكلَّم بكلام في الدِّين أو في شيء من هذه الأهواء ليس له فيه إمام متقدِّم من النبي ﷺ وأصحابه؛ فقد أحدث في الإسلام حدثًا، وقال رسول الله ﷺ: «من أحدث حدثًا أو آوىٰ محدثًا في الإسلام؛ فعليه لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»».

فالمسلم يتلقىٰ دينه عن سلف الأمة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والمشاق لهم توعده الله بوعيد شديد؛ قال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

وبهذا حاج الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيوخ الجهمية.

قال الإمام الشَّافعي لبشر المريسي المبتدع[2]: أخبرني عمَّا تدعو إليه: أكتاب ناطق، وفرض مفترض، ووجدت عن السَّلف البحث عنه والسؤال؟ فقال بشر: لا، إلَّا أنَّه لا يسعنا خلافه. فقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقررت بنفسك علىٰ الخطأ.

---

(١) سير السَّلف الصَّالحين (٣/ ١١٧).

(٢) مناقب الإمام الشَّافعي (١/ ٢٠٤).

الأشاعرة تلقوا ضلالات تحريفاتهم لنصوص القرآن والسُّنَّة في أسماء الله وصفاته عن بشر المريسي الجهمي، والشَّافعي نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكر ضلالاته وبدعه.

الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي الاعتقاد، ولو أنَّ الأشاعرة تلقوا عنه عقيدته والتفتوا عن بدع شيوخ الجهمية لكان خيرًا لهم.

قال أبو الحسن الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من قال: أنا شافعيُّ الشرع، أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد؛ إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد».

وشيوخ الشافعي معروفون؛ فقد أخذ العلم عن مالك، وأحمد، وسفيان بن عيينة، وأخذ عمن أخذ عن عمرو بن دينار، والأوزاعي، والليث بن سعد، وغيرهم، وهؤلاء كلهم اعتقادهم سلفي، يؤمنون بأخبار الصفات الإلهية كما جاءت.

فالأشاعرة مخالفون لاعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الله في أسمائه وصفاته، وفي مسائل القدر والإيمان، وغيره.

الأشاعرة من فروع المعتزلة والجهمية، فالمعتزلة والجهمية هم شيوخ الأشاعرة، فأبو الحسن الأشعري لازم الجبائي المعتزلي أربعين عامًا، وعنه تلقىٰ دينه.

وتأويلات الأشاعرة كأبي بكر بن فورك؛ هي تأويلات الجهمي بشر المريسي نفسها.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «معلوم أنَّ الأشعرية قد ابتدعت بدعًا في علم الكلام مذمومة مخالفة لما كان عليه سلف

---

(١) الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول، بواسطة مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٧٥-١٧٧).

(٢) الإشاعة في بيان من نُهي عن فراقه من الجماعة (ص٧٢).

الأُمَّة، ففراق ما هم عليه من الابتداع مأمور به، لا نهي عنه، فليسوا بأهل السُّنَّة ولا بالجماعة».

وبعد ذكر اعتقاد الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجملًا، لابُدَّ من ذكر اعتقاده مُفصلًا في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لله تبارك وتعالىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ، لا يسمع أحد من خلق الله قامت عليه الحُجَّة: أنَّ القرآن نزل به، وصحَّ عنه بقول النبي ﷺ، فيما روىٰ عنه العَدْلُ، فإنْ خالف ذلك بعد ثبوت الحُجَّة عليه فهو بالله كافر.

فأمَّا قبل ثبوت الحُجَّة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل؛ لأنَّ عِلْمَ ذلك لا يُدْرَكُ بالعقل، ولا بالرَّويَّة والفكر.

ونحو ذلك إخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أتانا أنَّه سميع، وأنَّ له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فإنَّ له يمينًا بقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأنَّ له وجهًا بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنَّ له قَدَمًا بقول النبي ﷺ: «**حتىٰ يضع الرَّبُّ فيها قَدَمَهُ**»؛ يعني: جهنَّم، وأنَّه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي ﷺ للذي قُتل في سبيل الله: «إنَّه لقي الله وهو يضحك إليه». وأنَّه يَهْبطُ كل ليلة إلىٰ سماء الدُّنيا بخبر رسول الله ﷺ بذلك، وأنَّه ليس بأعور بقول النبي ﷺ إذْ ذَكَرَ الدَّجال فقال: «**إنَّه أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور**».

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٤)، منازل الأئمة الأربعة (ص٢١٨)، ذم التأويل (ص٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في مناقب الشَّافعي عن يونس بن عبد الأعلىٰ: سمعت الشافعي...، فذكره. نقله ابن حجر **رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في فتح الباري (١٣/ ٤٠٧)، ولم أره في النسخة المطبوعة.

وأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة بأبصارهم، كما يرون القمر ليلة البدر، وأنَّ له إصْبَعًا بقول النبي ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرَّحمن عَزَّوَجَلَّ».

فإنَّ هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ؛ مما لا يُدْرَكُ حقيقته بالفكر والرَّوِية، فلا يُكَفَّرُ بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم في الفَهْم مقام المشاهدة في السَّمَاع؛ وَجَبَت الدَّيْنُونَةُ علىٰ سامعه بحقيقته، والشهادة عليه، كما عَايَنَ وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن يُثْبِتُ هذه الصِّفات وينفي التَّشْبيه، كما نفىٰ ذلك عن نفسه تعالىٰ ذِكْرُهُ، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]».

تلاميذ الإمام الشَّافعي الذين تلقوا عنه العلم، ولم يخالفوه في اعتقاده، ووافقوا الصَّحابة والتابعين في الاعتقاد؛ اعتقادهم دالٌّ علىٰ سلفيتهم وبراءتهم من مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزنيُّ (ت: ٢٦٤هـ)؛ من أشهر تلاميذ الشَّافعي وأتقنهم لتلقي العلم عنه، قال[١]: «جلَّت صفاته - الله - عن شبه المخلوقين، وقصُرتْ عنه فِطَنُ الواصفين، قريب بالإجابة عند السُّؤال، بعيدٌ بالتَّعَزُّزِ لا ينال، عال علىٰ عرشه، بائن من خَلْقِه، موجود وليس بمعدوم ولا مفقود».

ومن أشهر تلاميذ الشَّافعي الحافظ المُسند عبد الله بن الزبير الحميدي القرشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٩هـ)، قال الحميدي[٢]: «السُّنَّة عندنا،...، الإقرار بالرؤية بعد

(١) شرح السُّنَّة (ص٨٤).

(٢) أصول السُّنَّة، مطبوع نهاية المسند (٢/ ٥٤٦-٥٤٨).

الموت، وما نطق به القرآن والحديث، مثل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومثل: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث، لا يزيد فيه ولا يفسره(١)، يقف على ما وقف عليه القرآن والسُّنَّة، ويقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي».

وأئمة الهدىٰ من فقهاء الشَّافعية بعد طبقة الشَّافعي اعتقادهم سلفي، موافقون لاعتقاد خير القرون، واعتقاد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١هـ)، وهو من أجل فقهاء الشَّافعية(٢): «نحن نُثْبتُ لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله، أو علىٰ لسان نبيه المصطفىٰ ﷺ، مما ثبت بنقل العَدْل عن العدل موصولًا إليه».

وكان سبب لزوم ابن خزيمة اعتقاد الشَّافعي هو موافقته لإجماع العلماء في توحيد الله في أسمائه وصفاته.

قال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ)(٣): «نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر؛ مذهبنا: أنَّا نُثْبتُ لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته الله لنفسه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونُصدِّق ذلك بقلوبنا، من غير أن نُشَبِّه وَجْه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عَزَّ ربُّنا وَجَلَّ

(١) تفسير الجهمية.

(٢) التوحيد (١/ ٥٧).

(٣) التوحيد (١/ ٦٢).

عن شبه المخلوقين، وَجَلَّ عن مقالة المُعطِّلِينَ».

ومن فقهاء الشَّافعية الذين وافقوا اعتقاد السلف في توحيد الله في أسمائه وصفاته؛ المحدِّث المفسر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٦هـ)؛ حيث قال[١]: «صفات الله تعالىٰ وردَ بها السَّمْعُ، يجب الإيمان بها، وإمرارها علىٰ ظاهرها، معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه معتقدًا أنَّ الباري سبحانه لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تُشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وعلىٰ هذا مضىٰ سلف الأُمَّة، وعلماء السُّنَّة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنَّبوا فيها عن التمثيل والتأويل».

❁ ❁ ❁

(١) شرح السُّنَّة (١/ ١٧٠، ١٧١).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون علىٰ الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

❁ الشَّرح:

قاعدة أهل السُّنَّة في الصفات: أمِرُّوها كما جاءت، بلا كيف.

قال الوليد بن مسلم(١): «سألت سفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفات؛ فكلهم قال: أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير».

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فلا تظنن غيره، فإن محمدًا ﷺ كان مبلغًا عن ربه».

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل».

وقال الحافظ أبو أحمد محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «كل صفة

---

(١) السنة للخلال (١/ ٢٥٩ – رقم ٣١٣)، الشريعة للآجري (٢/ ٥٨٢ – رقم ٩٣٠)، الصفات للدارقطني (ص١٢٣ – رقم ٦٩)، أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٨٢ – رقم ٩٣٠)، ذم التأويل (ص٢٠ – رقم ٢٤)، وإسناده صحيح.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٨ – رقم ٧٣٤).

(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٨ – رقم ٧٣٦).

(٤) كتاب السنَّة بواسطة تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٩).

وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها نبيه؛ فهي حقيقة لا مجاز».

وقال قوام السنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فمذهب السلف - رحمة الله عليهم أجمعين - إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها؛ فهذا إجماع معلوم عند جميع أهل السنة والحديث».

والسلف لم يكتفوا بذكر عقيدتهم فقط مع ظهور العقائد المضادة لها، وإنما قالوا وأثبتوا عقيدتهم، وأثبتوا الصفات مع التحذير مما خالفها؛ فلذلك تجدهم يقولون: من غير تفسير ولا معنًىٰ، ويريدون من غير تفسير ولا معنىٰ المعتزلة، وليس مرادهم تفويض المعنىٰ، فحاشا وكلا أن ينسب إليهم جاهل شر المذاهب، وإنما مرادهم أنهم يثبتون النصوص لا كإثبات المعتزلة، وهذا واضح بيِّن بنفسه من قولهم: «أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فقولهم: أمروها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه؛ فإنها جاءت ألفاظًا دالة علىٰ معانٍ، فلو كانت دلالتها منتفية؛ لكان الواجب أن يقال: أمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة. وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابتٍ لغو من القول».

فحيث وقفت علىٰ عبارة لإمام من السلف «من غير تفسير»؛ فاعلم أنه أراد من غير تفسير المبتدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله: من غير

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

(٢) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، (ص٣٠٧).

(٣) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، (ص٣٢٩).

تفسير؛ أراد تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات».

فلا يظن أحد بالسلف أن مذهبهم تفويض المعنىٰ لصدور تلك العبارات منهم، دون أن يتأملها في ضوء معرفة السلف وذكرهم لمعاني القرآن عمومًا، والصفات خصوصًا؛ فمجاهد كان يوقف ابن عباس رضي الله عنهما عند كل آية يتلقىٰ عنه معانيها.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «عرضت المصحف علىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث عرضات من فاتحته إلىٰ خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها».

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا».

والصحابة كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يعلموا ويعملوا بما فيها، قال أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنا أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلىٰ العشر الأخر، حتىٰ يعلموا ما فيهن؛ فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا، ووضع يده علىٰ حلقه»، رواه أحمد بإسناد صحيح.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «لم ينزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وماذا عنىٰ بها».

---

(١) رواه الطبري في «جامع البيان» (١/ ٨٥)، وأفاد محققه أن الحافظ الذهبي حسنه في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٠٥).

والتابعون ذكروا معاني الصفات كما فسر أبو العالية الاستواء بالارتفاع[١]، ومجاهد الاستواء بالعلو[٢]، ومعاني الصفات معلومة عندهم علمًا ضروريًّا، كما قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلىٰ أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم».

فمعنىٰ كلام ابن عبد البر هو أن هذا من العلم الضروري، وهو ما يلزم الإنسان لزومًا لا يمكنه الانفكاك عنه، يعني: إنه لا يجادل ولا يخالف في العلم الضروري إلا مسفسط.

ولذلك قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «الاستواء غير مجهول».

فأسماء الله وصفاته مفهومة المعنىٰ، والدليل علىٰ ذلك أيضًا كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «كان معناها مفهومًا عند القوم الذين نزل القرآن بلغتهم، ولذلك لم يستفت واحد من المؤمنين عن معناها، ولا خاف علىٰ نفسه توهم التشبيه، ولا احتاج إلىٰ شرح للتنبيه.

وكذلك الكفار لو كانت عندهم لا تُعقل إلا في الجارحة؛ لتعلقوا بها في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب (وكان عرشه علىٰ الماء)، (وهو رب العرش العظيم) تعليقًا مجزومًا به (١٣/ ٤٠٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب (وكان عرشه علىٰ الماء)، (وهو رب العرش العظيم) تعليقًا مجزومًا به (١٣/ ٤٠٣).

(٣) التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي، (ص٥١٦).

(٥) بدائع الفوائد (٢/ ٥).

دعوىٰ التناقض، واحتجوا بها علىٰ الرسول ﷺ، ولقالوا له: زعمت أن الله ليس كمثله شيء، ثم تخبر أن له يدًا كأيدينا، وعينًا كأعيننا. ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر؛ علم أن الأمر كان فيها عندهم جليًّا لا خفيًّا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما التفسير الثابت عن الصحابة والتابعين، فذلك إنما قبلوه لأنهم قد علموا أن الصحابة بلغوا عن النبي لفظ القرآن ومعانيه جميعًا كما ثبت ذلك عنهم، مع أن هذا مما يعلم بالضرورة عن عادتهم؛ فإن الرجل لو صنف كتابَ علمٍ في طبٍّ أو حسابٍ أو غيرِ ذلك، وحفظه تلامذته لكان يُعْلَمُ بالاضطرارِ أنَّ هِمَمَهم تشوَّق إلىٰ فهم كلامه ومعرفة مراده، وإن بمجرد حفظ الحروف لا تكتفي به القلوب، فكيف بكتاب الله الذي أمر ببيانه لهم، وهو عصمتهم، وهداهم، وبه فَرَقَ الله بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال والرشاد والغي، وقد أمرهم بالإيمان بما أخبر به فيه والعمل بما فيه، وهم يتلقونه شيئًا بعد شيء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلًا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وهل يتوهم عاقل أنهم كانوا إنما يأخذون منه مجرد حروفه، وهم لا يفقهون ما يتلوه عليهم، ولا ما يقرءونه، ولا تشتاق نفوسهم إلىٰ فهم هذا القول، ولا يسألونه عن ذلك، ولا يبتدئ هو بيانه لهم؛ هذا مما يعلم بطلانه أعظم مما يعلم بطلان كتمانهم ما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله».

والملاحظ أن أهل البدع إذا جاءت نصوص الأحكام تلقوها بالقبول، ولم

---

(١) السبعينية (٣٣٠ - ٣٣١).

يخرجوا عن إجماع الصحابة، وإذا جاءت نصوص الصفات حاصوا حيصة الحمر عن إجماع الصحابة في إمرارها كما جاءت، مع أن نصوص الصفات والأحكام متساوية من جهة وجوب الإيمان بها، وفهمها بفهم الصحابة.

قال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠)** بعد أن ساق جملة من الأحاديث في الصفات[١]: «والذين نقلوا هذه السنن هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة، وفي الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام؛ فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يرد هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة، فمن عارض فيها أو ردَّها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه».

والحافظ أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤)** بعد أن ذكر نصوص الصفات وقاعدة أهل السنة فيها، قال[٢]: «وما من حديث منها إلا وقد ورد من عدة طرق متساوية الحال في تعلق الأسباب الموجبة للقبول بها، ومع ذلك فهم - الصحابة - الذين رووا الأحكام والسنن، وعليهم مدار الشريعة؛ فمن صدقهم في نقل الشريعة لزمه أن يصدقهم في نقل الصفات، ومن كذبهم في أحد النوعين وجب عليه تكذيبهم في النوع الآخر».

❁ ❁ ❁

---

(١) الشريعة (١/ ٦٢).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت، (ص١٨٦).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:**

وقد أُمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

❁ الشَّرْح:

حثَّ ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الاهتداء بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خصوصًا الخلفاء الراشدين الأربعة، وهذا من نصيحته للمسلمين، فإنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خير الأُمَّة، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه.

واتِّباع السابقين الأولين صحابة رسول الله ﷺ؛ هو منهج من يبتغي رضوان الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الموجب لاتباع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وتلقي الدين عنهم؛ هو ائتمامهم وتأسيهم برسول الله ﷺ، فأخذوا سُنَّته عن مشاهدة ومشافهة له؛ فكانوا أكمل المؤمنين إيمانًا بالتأسي به والاهتداء بهديه.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ النبي ﷺ مكث في المدينة تسع سنين لم

يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أنَّ رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، رواه مسلم.

فضل الصحابة رضي الله عنهم على الناس جميعًا معلوم؛ فبجهادهم ودعوتهم هدى الله من شاء من خلقه إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]، فقد ظهر الدين بالصحابة رضي الله عنهم، وبهم اضمحل الشرك والفساد.

قال ابن القيم رحمه الله[١]: «العلم إنَّما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملئوا الدُّنيا خيرًا وعلمًا، والنَّاس في بقايا آثار علمهم».

الصحابة رضي الله عنهم تلقَّوا عن النبي ﷺ الدِّين، وأدَّوه إلى من بعدهم، وهذا الذي أوجب للمسلمين تلقِّي الدين عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٢]: «إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأُمَّة، التي هي خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس، وهم تلقَّوا الدِّين عن النبي ﷺ بلا واسطة؛ ففهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم».

الصحابة رضي الله عنهم خير الناس، وأتقاهم لله عز وجل، وأشدُّهم ورعًا عن القول على الله بغير علم، تلقَّوا العلم من رسول الله ﷺ مباشرة، بلا واسطة، فالأخذ

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص٢٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٨).

عنهم هو من تلقِّي العلم من معدنه الأوَّل، الذي لم يكن فيه بدع ولا ضلالات.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أعلم ممن بعدهم، وأتبع للشرع من كل من سواهم، وبهم عُرفت السنة، وإنَّما ظهرت البدع في غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «كانوا - الصحابة - أعلم بالدِّين، وأتبع له ممَّن بعدهم؛ فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه».

مخالف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعيده شديد؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أئمة صدق وهدًىٰ، وقد أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بالائتمام بهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «قال غير واحد من السَّلف: هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ريب أنَّهم أئمَّة الصَّادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتمُّ في صدقه، بل حقيقة صدقه اتِّباعه لهم وكونه معهم».

ومن أعظم أسباب افتراق المسلمين؛ عدولهم عن تلقِّي الوحي ومعانيه عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أمَّته بحسم الاختلاف بالاجتماع علىٰ تلقِّي الدِّين ومعانيه عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افترقت اليهود والنَّصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا ما أنا عليه وأصحابي**»(٣).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٥٤٥).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٥٩٧).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد»، مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٥).

ظهرت الفرقة والبدعة بعد عهد الصحابة ﭫ لجهلهم وتقديمهم لأهوائهم علىٰ اتباع الوحي، فتجارت بهم الأهواء في أنواع البدع.

وسبب استقامة الصحابة ﭫ علىٰ السُّنَّة وسلامتهم من كل بدعة؛ تأميرهم للوحي علىٰ أنفسهم.

قال عبد الله بن عمر ﭭ: «إنَّ الله بعث إلينا محمدًا ﷺ، ولا نعلم شيئًا، فإنَّما نفعل كما رأيناه يفعل» رواه مالك.

تلقي الدِّين عن الصحابة ﭫ أمان لأُمَّة الإسلام من أسباب الضَّلال والشَّقاء والزَّيغ والهلاك.

فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﭬ قال: قال النبي ﷺ: «النُّجوم أمنة لأهل السَّماء، فإذا ذهبت النُّجوم أتىٰ أهل السَّماء ما يُوعدون، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمَّتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمَّتي ما يوعدون».

قال ابن القيم ﭰ(١): «إنَّه ﷺ جعل نسبة أصحابه إلىٰ من بعدهم كنسبته إلىٰ أصحابه، وكنسبة النُّجوم إلىٰ السَّماء، ومن المعلوم أنَّ هذا التَّشبيه يُعطي من وجوب اهتداء الأمَّة بهم ما هو نظير اهتدائهم هم بنبيهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم.

وأيضًا فإنَّه جعل بقاءهم بين الأمَّة أَمَنَةً لهم وحِرزًا من الشَّرِّ وأسبابه».

وتشبيه أمان الصَّحابة ﭫ بنجوم السَّماء في الأمان؛ فيه دلالة علىٰ أنَّ الله يحفظ بالصَّحابة ميراث النبوَّة ممن يسعىٰ في تحريفه أو الابتداع فيه.

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٦٠٤).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «النُّجوم زينة للسماء، فكذلك العلماء زينة للأرض، وهي رجوم للشَّياطين، حائلة بينهم وبين استراق السَّمع؛ لئلَّا يُلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد إلىٰ الرُّسل من الله علىٰ أيدي ملائكته، وكذلك العلماء رجوم لشياطين الإنس والجنِّ الذين يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشَّياطين، ولولاهم لطُمست معالم الدين بتلبيس المضلِّين، ولكنَّ الله سبحانه أقامهم حرَّاسًا وحفظة لدينه، ورجومًا لأعدائه وأعداء رسله؛ فهذا وجه تشبيههم بالنُّجوم».

استدل ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مرجعية الخلفاء الرَّاشدين بحديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»، رواه أحمد وأصحاب السنن، وهو حديث صحيح.

والخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل وأعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وتفاضلهم في العلم بنحو ترتيبهم في الخلافة.

وكل من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ له فضله بحسب سابقته وصحبته وجهاده وعلمه ودعوته وغناه في الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يسألون النبي ﷺ عن المرجع بعده، فكان يدلُّهم علىٰ أعلم وأفضل الصحابة أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: أتت النبي ﷺ امرأة، فكلَّمته في شيء، فأمرها

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٦٦).

أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله! أرأيت إنْ رجعت فلم أجدك؟ كأنَّها تعني الموت، قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر» رواه البخاري ومسلم.

وإنَّما كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرجع الأُمَّة بعد النبي ﷺ؛ لأنَّه كان أتقاهم وأعلمهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الصدِّيق ليست فضيلته في مجرد تحرِّي الصدق، بل في أنَّه علم ما أخبر به النبي ﷺ جملةً وتفصيلًا، وصدَّق ذلك تصديقًا كاملًا في: العلم، والقصد، والقول، والعمل».

كان أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد النبي ﷺ مرجع الأُمَّة، هذا واقع الحال بعد النبي ﷺ، علميته نادت علىٰ مرجعيته، وكان ذلك محل اتفاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكونوا يتنازعون في مسألة إلا فصلها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وارتفع النِّزاع».

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في فضائل الصدِّيق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣): «كُنْتَ أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدُّهم يقينًا، وأخوفهم لله عَزَّوَجَلَّ، وأعظمهم غنًىٰ في دين الله، وأحوطهم علىٰ رسول الله ﷺ، وأحدبهم علىٰ الإسلام، وآمنهم علىٰ أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم شورىٰ، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ورحمة وفضلًا».

الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضائله عظيمة، ومن فضائله التي هي خصائص إلهام الله

---

(١) منهاج السُّنَّة (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٥).

(٣) خليفة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (٢/ ٦١١).

له للحق، وما رآه الشَّيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّه.

قال النبي ﷺ: «إنَّه كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون، فإنْ يكن في هذه الأُمَّة فعمر بن الخطاب»، رواه البخاري ومسلم.

والنبي ﷺ أخبر أُمَّته أنَّ الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُلئ علمًا؛ فقد رأىٰ وهو نائم أنَّه يشرب لبنًا، حتىٰ جعل ينظر إلىٰ الرِّيِّ يجري في ظفره، ثم ناوله عمر، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»، رواه البخاري.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هو أعلم الأمَّة بعد الصدِّيق علىٰ الإطلاق».

ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الصدِّيق والفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بإجماع الصحابة.

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنَّا نُخيِّرُ بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رواه البخاري.

وقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنِّي قد نظرت في أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدًا، رواه البخاري.

كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرجعًا للأُمَّة؛ فعنه تلقت ألفاظ ومعاني القرآن، قال أبو عبد الرحمن السُّلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان، وأبيُّ بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، أنهم كانوا يحفظون القرآن عشر آيات، لا يتجاوزونهن حتىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل»، رواه أحمد بإسناد صحيح.

وأعلم الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سادات الصحابة العلماء، قال النبي ﷺ في أصحابه:

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ١٥٩).

«**أقضاكم عليٌّ**»، رواه أحمد.

عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم النبي ﷺ، وصهره زوج ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أول من أسلم من الغلمان، يُحبُّ الله ورسوله ويُحبُّه الله ورسوله، بنص النبي ﷺ، رواه مسلم.

عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يُحبُّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلَّا منافق، وهذا شأن الصحابة جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩].

فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كثيرة، ومناقبهم جليلة، صُنِّفت في ذلك المصنَّفات.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[١]: «من صفة من أراد الله عَزَّوَجَلَّ به خيرًا، وسلم له دينه، ونفعه الله الكريم بالعلم؛ المحبة لجميع الصحابة، ولأهل بيت رسول الله ﷺ، ولأزواج رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم، ولا يرغب عن طريقهم، وإذا اختلفوا في باب من العلم، فقال بعضهم: حلال، وقال الآخر: حرام، نظر أي القولين أشبه بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسول الله ﷺ، وسأل العلماء عن ذلك إذا قصر علمه، فأخذ به، ولم يخرج عن قول بعضهم، وسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة، وترحم علىٰ الجميع».

❁ ❁ ❁

---

(١) الشريعة (ص٤٨٣).

قال المصنف رحمه الله:

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم».

الشَّرح:

ابن مسعود رضي الله عنه من علماء الصحابة رضي الله عنهم، كلماته من جوامع الكلم؛ لأنَّها متلقاة من مشكاة القرآن والسُّنَّة.

وعبارة ابن مسعود هذه هي منطوق قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين أنَّه قد أكمل لهم الإيمان؛ فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدًا، وقد أتمَّه الله عزَّ ذكرُه فلا يُنقصه أبدًا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا، رواه الطبري(١).

وأفادنا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «فقد كُفيتم»، أنَّ في كمال الشرع غنية عما أحدثه الجهال من البدع.

فالعبادات المشروعة كثيرة متنوعة، يحصل بها مقصود تشريعها من العبودية لله وتزكية النفوس.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٢): «إنَّ القرآن اشتمل علىٰ كل علم نافع، من

---

(١) جامع البيان (٨/ ٨٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٥٤).

خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كلِّ حلال وحرام، وما النَّاس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. ﴿وَهُدًى﴾ أي: للقلوب ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾».

فالواجب علىٰ المسلمين حفظ الدين بالقيام بعباداته المشروعة، وحفظه من التغيير والبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من أصول الإسلام أنْ تُميِّز ما بعث الله به محمدًا من الكتاب والحكمة، ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب؛ فإنَّ الله سبحانه أكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا».

فالمؤمن فرح بهدىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الذي هداه إلىٰ أصح الاعتقاد وأحسن العبادات وأتمِّها، وأزكىٰ الأقوال، وأعدل المعاملات؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وهذه الهداية هي من أعظم أسباب تمسك المسلم بهدىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

فالتمسُّك بالكتاب يوجب إحسان العمل، وهو عبادة الله بما شرع، وهذا حقيقة الدين كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ التوحيد - وهو معنىٰ قول: «لا إله إلا الله» -؛ هو أن يعبد الله، وهو تعالىٰ إنَّما يُعبد بما أمر به، فهو العمل لله بأمر الله، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٤/ ٥٤، ٥٥).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٣/ ١٢١).

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]».

الواجب علىٰ المسلم تحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، وذلك بتصديقه واتباعه ولزوم سنته.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال العلامة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الاتِّباع عند العلماء هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صَحَّتْ عنه عند أهلها، ونَقَلَتِهَا، وحُفَّاظِهَا، والخُضوع لها، والتسليم لأمر النبي ﷺ فيها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الإيمان بالرسول ﷺ: تصديقه وطاعته واتباع شريعته».

الواجب علىٰ المسلم التأسي برسول الله ﷺ، باتباعه في أداء العبادات علىٰ الصفة التي أدَّاها.

عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلَّىٰ ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه إلا غُفر له**» متفق عليه.

وعن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**» رواه البخاري.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لتأخذوا عني مناسككم**» رواه مسلم.

---

(١) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٣٣).

(٢) الصراط المستقيم (١/ ٢٩٥).

البدع ليست من العبادات التي تُقرِّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان خالصًا صوابًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصه وأصوبه، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون علىٰ السنة»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوىٰ».

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النبي ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، متفق عليه، واللفظ لمسلم.

العلم بالسُّنَّة واتِّباعها هو العمل الصَّالح الذي يُقرِّب إلىٰ الله ويُثقل الموازين، وهو الخير الذي لا شرَّ ولا مفسدة فيه؛ قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالواجب علىٰ المسلم أن يحمد الله ويشكره علىٰ ما هداه إلىٰ العلم النافع الذي يعرف به العمل الصالح، فيأتيه ويعرف البدع فيجتنبها.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لله علىٰ العامل عملًا صالحًا ثلاث نعم عظيمة:

---

(١) الاستقامة (ص٥١١، ٥١٢).

(٢) تفسير سورة البقرة (٣/ ٦٦).

الأولىٰ: أنه بيَّن له العمل الصَّالح من العمل غير الصَّالح، وذلك بما أنزله من الوحي علىٰ رسله، بل هي أعظم النعم.

الثانية: توفيقه لهذا العمل الصَّالح؛ لأنَّ الله قد أضلَّ أممًا عن العمل الصَّالح.

الثالثة: ثوابه علىٰ هذا العمل الصالح ثوابًا مضاعفًا الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة. وهذا مما يدل علىٰ كمال رحمة الله بالخلق: أنَّه يُنعم، ثم يشكر المنعَم عليه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]».

البدعة تغرس أمثالها، وتُرقق إلىٰ أخواتها؛ لأنَّ تعظيم المتابعة للنبي ﷺ ضعف في قلوب المبتدعة، فتجارت بهم الأهواء إلىٰ أنواع البدع.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «صاحب البدعة لا يقتصر في الغالب علىٰ الصلاة دون الصيام، ولا علىٰ الصيام دون الزكاة، ولا علىٰ الزكاة دون الحج، ولا علىٰ الحج دون الجهاد، إلىٰ غير ذلك من الأعمال؛ لأنَّ الباعث له علىٰ ذلك حاضر معه في الجميع، وهو الهوىٰ والجهل بشريعة الله».

البدع تبدو صغارًا، ثم لا يزال الجهل يزيد الهوىٰ ابتداعًا حتىٰ يعتقدها مبتدعوها دينًا، ثم لا يزال من ابتدعها يُلازمها ويدعو إليها، ويجادل عنها.

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ صغير البدع يعود حتىٰ يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة؛، كان أولها صغيرًا يُشبه الحقَّ فاغترَّ بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعُظِّمت وصارت دينًا يُدان بها».

---

(١) الاعتصام (١/ ١٩٦).

(٢) شرح السُّنَّة (ص٦٦، ٦٧).

وفي واقع الحال نرىٰ أنَّ كثيرًا ممن يسارع في الردَّة هم المبتدعة، فلا يزال بهم زيغ بدعهم يوقعهم فيما تغلظ من البدع حتىٰ يوقعهم في الكفر والردَّة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥].

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسرع الناس ردَّةً أهل الأهواء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ البدع لا تزال تُخرج من صغير إلىٰ كبير حتىٰ تُخرجه إلىٰ الإلحاد».

المبتدع مستدرك علىٰ الشريعة؛ فالنبيُّ ﷺ علَّم أمَّته ما شرعه الله لهم، والرسول ﷺ بلَّغ البلاغ المبين؛ قال تعالىٰ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، والمبتدع مدَّعٍ أنَّ الشرع لم يكمل من حيث لم يشعر؛ لأنَّه يتعبَّد لله بما لم يشرعه الله، والله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أنَّ محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا».

والمبتدع معاند للشرع، ومضاد له، لأنَّه سلك طريقًا غير ما رسمه له الشَّارع، وهذه محادَّة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ.

قال الشَّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ المبتدع معاند للشَّرع، ومشاقٌّ له؛ لأنَّ الشارع

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٠٦).

(٢) الاعتصام (١/ ٦٢).

(٣) الاعتصام (١/ ٦٢).

قد عيَّن لمطالب العبد طرقًا خاصَّة علىٰ وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أنَّ الخير فيها، وأنَّ الشرَّ في تعدِّيها إلىٰ غيرها؛ لأنَّ الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنَّه إنَّما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع رادٌّ لهذا كله؛ فإنّه يزعم أنَّ ثمَّ طرقًا أُخر، وليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عيَّنه بمتعين، وأنَّ الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق علىٰ الشارع أنَّه علم ما لم يعلمه الشَّارع، وهذا وإن كان مقصودًا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود؛ فهو ضلال مبين».

البدع تُضعف الرغبة في السنن، وتزاحم فعل المشروع من الطاعات وأنواع العبادات، فأعظم رغبتك أيها المسلم في فعل المشروع واحذر محدثات الأمور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من شأن الجسد إذا كان جائعًا، فأخذ من طعام حاجته؛ استغنىٰ عن طعام آخر، حتىٰ لا يأكله إنْ أكل منه إلَّا بكراهة، وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته؛ قلَّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمَّته إلىٰ المشروع؛ فإنَّه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه.

ولهذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتىٰ ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلىٰ زيارات المشاهد ونحوها؛ لا يبقىٰ لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٢-٥٤٤).

قلب من وسعته السنَّة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم؛ لا يبقىٰ لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم؛ لا يبقىٰ لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ما ابتدع قوم بدعة إلَّا نزع الله عنهم من السنَّة مثلها»، رواه الإمام أحمد».

البدع هي السبل التي تخالف صراط الله المستقيم، وقد جعل الله صراطه مستقيمًا واضح المنار، وأمر باتباعه، وحذَّر من الاعوجاج عنه إلىٰ سبل الضلال.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالمتقون أخذوا بوصية الله عَزَّوَجَلَّ واتبعوا صراطه، واجتنبوا السبل المضلة.

وقد ذم الله عَزَّوَجَلَّ المشركين والمبتدعين الذين شرعوا من الاعتقادات والعبادات والأحكام ما لم يأذن به الله؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

تزينت البدع للجهال، وذلك لجهلهم بما في حشوها من الشرور والسموم المهلكة، ومن أعظم شرورها إبعاد المبتدع عن رحمة الله حتىٰ يتوب.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته**»، رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وحسنه الألباني.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يوفَّق ولا ييسَّر صاحب بدعة لتوبة».

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٨٧).

ومن شرور البدع تغييرها لشريعة الله؛ فالإحداث في الدين تغيير لشرائع الله، ومن أسباب إماتة السنن وظهور الجهالات والأهواء، ومن أسباب القول علىٰ الله بلا علم، وتسليط أهواء المبتدعة علىٰ القرآن والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

والبدع من أسباب فرقة المسلمين واختلافهم وتنازعهم وضلالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

البدع تُعمي البصيرة، و تفسد الاعتقاد والإرادة والقصد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «اتباع الهوىٰ يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصدُّ عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرة العبرة معه البتة.

والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فَأَرَتْه نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن؛ فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنىٰ له الانتفاع بالتذكر أو بالتفكُّر أو بالعظة؟!».

❁ ❁ ❁

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ٩٠).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كلامًا معناه:** قف حيث وقف القوم؛ فإنَّهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدَثَه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلَّموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنَّهم فيما بين ذلك لعلى هدًى مستقيم.

الشَّرح:

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الولاة العلماء، وحثَّ هنا على اتباع السلف لفضل علمهم ووسطيتهم.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَـٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية هي دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهي العلم والحق والعدل، أما التفريط فهو انحلال وتضييع، والإفراط غلو وهلكة وضلال.

ووسطية الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معلومة؛ فقد قاموا بالدين من غير غلو فيه ولا جفاء عنه.

قال عمر بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممَّن سبقني منهم، فما رأيت قومًا أيسر سيرةً ولا أقل تشديدًا منهم».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله إلا هو، ما رأيت أحدًا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحدًا كان أشدَّ عليهم من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) رواه الدارمي (١/ ٥١).

وإنِّي لأرىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أشدَّ خوفًا عليهم أو لهم. رواه الدارمي بإسناد صحيح.

فالواجب علىٰ المسلم طلب العلم النافع وبالطريق الشرعي، واجتناب الطرق الشركية والبدعية التي توقع في الكفر والضلال.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي؛ فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول ﷺ، والاستدلال بأدلته، والعمل بموجبها، فلابُدَّ من علم بما جاء به وعمل به، لا يكفي أحدهما.

وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينيَّة؛ فإنَّ الرسول ﷺ بيَّن بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه، والرسل عليهم السلام بيَّنوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها، كما ضرب الله في القرآن من كل مثل، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أنْ يسألوه هدايته.

وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما: طريق أهل الكلام البدعي، والرأي البدعي؛ فإنَّ هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يُفرِّطون فيما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به ورسوله ﷺ من الأعمال؛ فيبقىٰ هؤلاء في فساد علم وفساد عمل، وهؤلاء منحرفون إلىٰ اليهودية الباطلة.

والثاني: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية، وهؤلاء منحرفون إلىٰ النصرانية؛ فإنَّ هؤلاء يقولون: إذا صفَّىٰ الإنسان نفسه علىٰ الوجه الذي يذكرونه

---

(١) منهاج السُّنَّة (٥/ ٤٢٨).

فاضت عليه العلوم بلا تعلُّم، وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ؛ فيبقون في فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم».

حذَّر عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلم المذموم، أو طلب ما لا يمكن إدراكه مما استأثر الله بعلمه، فالشيطان يوقع الناس في الكفر والإلحاد بأنواع من العلوم المذمومة؛ كعلوم الشرك والبدع والتنجيم المحرَّم والفلسفة والكلام.

قال يحيىٰ بن عمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدنيا، وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكُّر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوىٰ، إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلىٰ من يشفيه منها، وعلم هو داء الدِّين، وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدِّين، وهو علم السحر، ونحوه».

فالواجب الانتهاء إلىٰ ما بُعث النبي ﷺ ببيانه؛ ففيه الكفاية والهداية، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥].

وعامة ضلال المبتدعين جاءهم من قبل معقولاتهم الضالة، وخوضهم في الغيب بغير علم.

ومن رام معرفة ما طُوي علمه بعقله ونظره مما لا سبيل إلىٰ معرفته من الأخبار والمغيبات من غير توقيف من الوحي؛ فإنَّه لن يُدرك شيئًا من علم ذلك، فضلًا عن الوقوع في المحظور وعدم امتثال المأمور من الانتهاء عن ذلك، وفضلًا عما قد يجلبه له ذلك من الشكوك والحيرة وربما الإلحاد والزندقة والكفر.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم، فيقول:**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٥، ١٤٦).

من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتىٰ يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»، متفق عليه.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أما علم الزائغون مفاتيح أبواب الكفر، ومعالم أسباب الشرك، التكلف لما لم تحط الخلائق علمًا به، ولم يأت القرآن بتأويله، ولا أباحت السُّنَّة النظر فيه، فتزيد الناقص الحقير والأحمق بقوته الضعيفة وعقله القصير، أنْ يهجم علىٰ سر الله المحجوب، ويتناول علمه بالغيوب، يريدها لنفسه، وطوىٰ عليها علمها دون خلقه، فلم يحيطوا من علمها إلا بما شاء، ولا يعلمون منها إلا ما يريد».

❁ ❁ ❁

---

(١) الإبانة (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإنْ زخرفوه لك بالقول.

﴿ الشَّرح:

العلماء وسائل للفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وعلماء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الطبقة الأولىٰ من علماء الأمة؛ فهم معدن العلم، حضروا التنزيل وشاهدوا قرائن الأحوال، وتلقوا الدين من النبي ﷺ مباشرة، فهم أفقه الأمة وأعلمها وأتقاها، فالناصح لنفسه يتلقىٰ دينه عنهم، فإليهم المنتهىٰ في علم الشريعة.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أئمة في العلم والعمل، خير الناس علمًا ودينًا وعقلًا ومروءةً وخُلقًا وتحرِّيًا للحق وجمعًا لآلة العلم.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل الناس لاعتصامهم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ واتباعهم لرسول الله ﷺ.

السُّنِّي يأخذ دينه عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والبدعي يأخذ دينه عن أهل الأهواء، أو هوىٰ خاصة نفسه؛ فهذه العلامة الفارقة الواضحة التي تمايز بها الفريقان.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كانوا يقولون: إذا كان الرجل علىٰ الأثر؛ فهو علىٰ الطريق».

بنىٰ السلف علومهم علىٰ نصوص القرآن والسُّنَّة بفهم الصحابة، وما ليس فيه نص تلقوا فقهه عن الصحابة والتَّابعين.

قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - يصف كيف

(١) الشريعة للآجري (١/ ١٣٢ - رقم ٣٢).

يُؤخذ العلم، قال: يُنظر ما كان عن رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فعن أصحابه، فإن لم يكن فعن التَّابعين(١).

وقال العلامة أبو العبَّاس ابن سُريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهل أصول الفقه إلَّا ما كان يُحسنه أحمد بن حنبل؟! حفظ آثار رسول الله ﷺ، والمعرفة بسنته، واختلاف الصحابة والتَّابعين(٢).

أهل السُّنَّة والجماعة هم الذين اجتمعوا علىٰ العمل بسنة النبي ﷺ، وسنة النبي ﷺ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم نقلتها، وهم أعلم بمعانيها.

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الأساس الذي تُبنىٰ عليه الجماعة؛ هم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار».

فاتباع الوحي بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو منهج المحققين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «هذه علامة الإرث الصَّحيح والمتابعة التَّامَّة، فإنَّ السُّنَّة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: اعتقادًا، واقتصادًا، وقولًا، وعملًا».

من الإحسان الواجب تلقي معاني الشرع عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) الآداب الشرعية (ص٤٧٧).
(٢) الآداب الشرعية (ص٤٢٨).
(٣) شرح السُّنَّة (ص٥٩).
(٤) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١١١).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلقَّوا معاني القرآن والسُّنَّة من النبي ﷺ مباشرة؛ وبهذا يظهر لنا حكم تفسير الصحابي للنصوص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «إنَّ الصحابي إذا روىٰ الحديث وفسَّره بما يوافق الظاهر أو لا يخالفه؛ كان الرجوع إلىٰ تفسيره واجبًا، مانعًا من التأويل».

وقال العلامة محمد بن عبد الله الزركشي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٧٢هـ)**[٢]: «تفسير الصحابي إذا وافق ظاهر النص؛ كان حُجَّةً بلا ريب».

ومن أراد الله به خيرًا؛ وفَّقه للتفقه في الدين، من نصوص القرآن والسُّنَّة بفهم السلف المأثور عنهم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس بخير ما كان العلم في أكابرهم، فإذا صار العلم في أصاغرهم فذلك حين هلكوا»[٣].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «أمَّا فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإنَّ معظم همِّهمُ: البحث عن معاني كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وما يُفسِّرُهُ من السنن الصَّحيحة، وكلام الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، وعن سُنَّة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التَّفقُّه فيها، وتفهُّمها، والوقوف علىٰ معانيها، ثمَّ معرفة كلام الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التَّفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام، وأصول السُّنَّة والزُّهد والرَّقائق وغير ذلك، وهذا هو طريقة الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الرَّبَّانيِّين».

---

(١) بطلان التحليل (ص٣٩٢).

(٢) شرح مختصر الخرقي (٤/ ٥٩٦).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (رقم ٨١٥) بإسناد صحيح.

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٩).

وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الدين سُنَّة، يأثر الآخر عن الأول».

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ الله أبىٰ أنْ يكون الحقُّ والعقيدة الصَّحيحة إلَّا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلىٰ أنِ انتهوا إلىٰ التَّابعين، وأخذه التَّابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ. ولا طريق إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدِّين المستقيم، والصِّراط القويم، إلَّا هذا الطَّريق الذي سلكه أصحاب الحديث».

وقد اعتنىٰ التَّابعون بنقل علوم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقام من بعدهم بتدوين آثار الصحابة في الاعتقاد والأحكام والأخلاق، فحفظوا لنا علومهم وفقههم وهديهم.

وعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لا يجهله من طلبه من موارده بتنقيح مروياته، فالمصنفات في ذلك كثيرة؛ كمصنف ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، وسنن سعيد بن منصور، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي، و«الأوسط» لابن المنذر، وغيرها.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّه ما من مسألة يُسأل عنها إلا وقد تكلَّم الصحابة فيها أو في نظيرها».

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتبعوا النبي ﷺ، وأخذوا بسنته، مع ما أوتوه من التقوىٰ والقيام بالدين وأدائه إلىٰ المسلمين.

والأُمَّة في ضرورة إلىٰ تلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فالنبي ﷺ بيَّن لأمَّته

---

(١) مختصر الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة (١/ ١٥٧-رقم ١٥٣).

(٢) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٨٥).

أسباب العصمة من الباطل إذا ظهرت البدع ووقع الخلاف، واضطربت الأهواء وصار الناس فرقًا وشيعًا، فقال: «**افترقت اليهود والنصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم ينبوع العلم؛ فهم الذين أدوا إلينا الدين، أفبعد أن صارت علومهم في مذاهب المتأخرين نرغب عنهم؟! لا والله.

من شكرنا للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إثارة علومهم ومذاكرتها، ومدارستها، بل من الإحسان الواجب تلقي الدين عنهم.

وبالمأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عرف الناس الهدىٰ من الضلالة، والسُّنَّة من البدعة، والصواب من الخطأ.

وبالمأثور عن الصحابة عرف الناس أنواع ما يجوز مدارسته والتفقه فيه، وما يجب السكوت عنه.

قال إسحاق بن حَبَّةَ الأعمش: سمعت أحمد بن حنبل وقد سُئل عن الوساوس والخطرات؟ فقال: ما تكلَّم فيها الصحابة ولا التَّابعون(٢).

وبالمأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تعلم الناس أدب الورع عن الفتيا، قال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا سُئل أحدهم عن الشيء أحبَّ أنْ يكفيه صاحبه»(٣).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد»، مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٥).

(٢) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٢٥١).

(٣) أخلاق العلماء (ص١١٩).

والأمة توارثت العمل بشرائع الإسلام بتلقيهم ذلك عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تلقوا ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «خمس كان عليها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لزوم الجماعة، واتباع السُّنَّة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله».

وقول الأوزاعي: «وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول»؛ فيه تحذير من الرأي، وهذا مما أجمع عليه العلماء.

فالوحي شرعه العليم الحكيم؛ فهو الهدىٰ والضلالة في خلافه، قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

فالمهتدي هو الذي استضاء بنور الوحي، وجعله حاكمًا علىٰ هواه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **ممتدحًا الإمام الشَّافعي**(٢): «مذهب الشَّافعي مؤسس علىٰ الكتاب والسُّنَّة، وهذا الذي ارتفع به عند المسلمين».

دخل بديل بن محمد بن أسد وإبراهيم بن سعيد الجوهري علىٰ الإمام أحمد في اليوم الذي مات فيه، فجعل أحمد يقول لهم: عليكم بالسُّنَّة، عليكم بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان، ورأي فلان(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «من بنىٰ الكلام في العلم - الأصول والفروع - علىٰ الكتاب والسُّنَّة والآثار المأثورة عن السَّابقين؛ فقد أصاب طريق النبوة».

---

(١) شرح السُّنَّة (١/ ٢٠٩).

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٦١٦).

(٣) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٢٨٨).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٦٣).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم مجمعون على الاتباع للوحي من القرآن والسنة، وعدم معارضته لرأي فلان وفلان.

قال العلامة أبو عبد الله الحسن بن حامد البغدادي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «من أبيَن الأشياء أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كافَّةً أجمعت على ترك آرائها مع وجود السُّنَّة، ألا ترى أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلٌّ يُنْقَلُ عنه أنَّه إذا كان على رأي فرُوِيَ له الأثر اتَّبَعَهُ، وترك رأيه واجتهاده».

وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه»، رواه أحمد وأبو داود[٢].

والتحذير من الرأي المُحدث هذا مما أجمع عليه سلف الأُمَّة.

قال العلامة حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[٣]: «الدين إنَّما هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وآثار، وسنن، وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة المشهورة، يرويها الثقة الأول المعروف عن الثاني الثقة المعروف، يُصدق بعضهم بعضًا، حتى ينتهي ذلك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو التابعين، أو تابع التابعين، أو من بعدهم من الأئمة المعروفين، المقتدى بهم، المتمسكين بالسُّنَّة، والمتعلقين بالأثر، الذين لا يُعرفون ببدعة، ولا يُطعن عليهم بكذب، ولا يُرمون بخلاف، وليسوا أصحاب قياس، ولا رأي؛ لأن القياس في الدين باطل، والرأي كذلك وأبطل منه، وأصحاب الرأي والقياس في الدين مبتدعة جهلة

---

(١) تهذيب الأجوبة (١/ ٤٦٦).

(٢) قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناده صحيح» تنقيح التحقيق (١/ ٥٣٠).

(٣) إجماع السَّلف في الاعتقاد (ص٧٤، ٧٥).

ضُلال، إلا أن يكون في ذلك أثر عمن سلف من الأئمة الثقات، فالأخذ بالأثر أولىٰ».

العصمة في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة واتِّباع سبيل المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال العلامة ابن بطال المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا عصمة لأحد إلَّا في كتاب الله، أو في سنة رسوله ﷺ، أو في إجماع العلماء علىٰ معنًىٰ في أحدهما».

نحن مأمورون باتباع القرآن والسُّنَّة، مأمورون بالائتمام بهما، منهيون عن التقدم عليهما أو مخالفتهما؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «علىٰ كل مؤمن أن لا يتكلَّم في شيء من الدِّين إلَّا تبعًا لما جاء به الرَّسول ﷺ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن سلك سبيلهم من التَّابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن فيهم من يعارض النُّصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس دينًا غير ما جاء به الرَّسول ﷺ، فمنه يتعلَّم، وبه يتكلَّم، وفيه ينظر ويتفكَّر، وبه يستدلُّ، فهذا أصل أهل السُّنَّة».

فالواجب علىٰ المسلم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ففيهما الهداية، ومحاذرة البدع والأهواء ففيهما الغواية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «من ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٤٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٦٢، ٦٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٢٠).

والسُّنَّة لم يزدد من الله إلا بُعدًا».

ومن الضلال المبتدع الذي حذَّر منه علماء الأُمَّة الناصحون؛ ذوق الصوفية ووجدهم وإلهاماتهم، فإنَّهم اتخذوا رعونات أنفسهم دينًا ينسلخون به عن شرع الله وأمره ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذوق الصوفية ووجدهم وإلهاماتهم، فإنَّ حاصلها أنَّهم يجدون في القول والعمل مصلحة في قلوبهم وأديانهم ويذوقون طعم ثمرته».

وقول النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» فيه تحذير من استحسان البدع لأهواء المبتدعين لما يظنونه مصلحة لضلال عقولهم وفساد أذواقهم وخطأ قياسهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام وأهل التصوف وأهل الرأي وأهل الملك حسبوه منفعة أو مصلحة نافعًا وحقًّا وصوابًا ولم يكن كذلك. بل كثير من الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارىٰ والمشركين والصابئين والمجوس؛ يحسب كثير منهم أنَّ ما هم عليه من الاعتقادات والمعاملات والعبادات؛ مصلحة لهم في الدين والدنيا، ومنفعة لهم، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقد زُين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا».

فالصلاح في المعاش والمعاد هو في لزوم الشرع، ففيه غنية عن كل بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الشرائع المراد منها الصلاح باطنًا

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٤٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٤٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤١٥، ٤١٦).

وظاهرًا، للخاصة والعامة في المعاش والمعاد».

وحقيقة علم الباطن الذي يزعم الصوفية الاختصاص به؛ بدع وضلالات مخالفة للقرآن والسُّنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أما الشرع المبدل فهو الأحاديث المكذوبة، والتفاسير المقلوبة، والبدع المضلة التي أُدخلت في الشرع وليست منه، والحكم بغير ما أنزل الله، فهذا ونحوه لا يحل لأحد اتباعه».

وقول الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف، وإنْ رفضك الناس»؛ فيه حثٌّ علىٰ اتِّباع الحق ولزومه والثبات عليه، وعدم التزعزع عنه لكثرة الجهال والمبتدعين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والواجب علىٰ العلماء السعي في نصرة الحق وتكثير سواده والنصيحة للمسلمين بتبيين الحق لهم، واستنقاذهم من الشرك والبدع وأنواع الضلال.

وسنة الله عَزَّوَجَلَّ معلومة في نصرة الحق، فالشرك والبدع سبيلها الاضمحلال، والحق يُظهره الله؛ قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٠٧).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة، ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو لم يعلموها؟

قال: لم يعلموها.

قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء؛ أعلمته أنت؟

قال الرجل: فإنِّي أقول قد علموها.

قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟

قال: بلىٰ وسعهم.

قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟

فانقطع الرجل.

فقال الخليفة - وكان حاضرًا -: لا وسَّع الله علىٰ من لم يسعه ما وسعهم.

الشَّرْح:

اعتنىٰ العلماء في شرح العقيدة بتعليم حجج الحق، وإبطال شُبه الباطل؛ ولذلك أورد ابن قدامة مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد، وهذه المناظرة مشهورة دوَّنها العلماء في مصنفاتهم، خصوصًا كتب العقيدة(١).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «هذه القصة لم تزل مشهورة عند العلماء، صحيحة الاحتجاج، فيها إلقام الخصم الحجر».

(١) الشريعة للآجري (١/ ١٩٧)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٣٠١-٣٠٩)، تاريخ بغداد (٤/ ١٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٤١١).

مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد بحضرة الواثق؛ كانت من أسباب انحسار فتنة خلق القرآن، ومن أسباب ظهور بطلان وضلال هذه البدعة لولاة بني العباس.

مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد؛ مناظرة بين سني ومعتزلي في توحيد الله، كان الظهور فيها لإمام الهدىٰ، بما أيَّده الله به من الحُجَّة.

الشيخ الشامي سمَّاه ابن قدامة: «محمد بن عبد الرحمن الأدرمي»، والحافظ المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل عن الخطيب البغدادي أيضًا أنَّه أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزريُّ الأدْرميُّ. وثَّقه أبو حاتم والنسائي(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أخبر سبحانه أنَّه جعل منهم أئمةً يأتمُّ بهم من بعدهم؛ لصبرهم ويقينهم، إذ بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين؛ فإنَّ الداعي إلىٰ الله لا يتمُّ له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره علىٰ تنفيذ الدعوة إلىٰ الله باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره سبحانه».

ومن أسباب ظهور الشيخ الشامي علي ابن أبي دؤاد؛ أخذه بوصية النبي ﷺ بالاعتصام بسنته وسُنَّة الخلفاء الراشدين من البدعة والفرقة، حيث قال ﷺ: «من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل

(١) تهذيب الكمال (٤/ ٢٦٧).

(٢) مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٢٣).

محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

ومن أخذ بهذه الوصية هداه الله وأظهر به الحق.

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لقيني ناس من أهل العراق، فخاصموني في القرآن، فشكوت ذلك إلىٰ أبي، فقال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ القرآن قد قرأه كل قوم، فتأولوه علىٰ أهوائهم وأخطئوا مواضعه، فإن رجعوا إليك فخاصمهم بسنن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فإنَّهم لا يجحدون أنهما أعلم بالقرآن منهم. فلما رجعوا فخاصمهم بسنن أبي بكر وعمر، فوالله ما قاموا ولا قعدوا(٢).

فالأخذ بوصية النبي ﷺ باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين؛ هداية من الضلالة، فالاعتصام بسنته وسنة خلفائه نجاة من الاعتقادات الضالة والبدع المحدثة.

قال الحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٤٩٠هـ)**(٣): «الرسول ﷺ أمر بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والعمل بقولهم، مع علمه بما يكون في هذا الزمان من البدع، واختلاف الأهواء، ولم يأمر بأن يتمسك بغير كتاب الله وسُنَّته، وسُنَّة أصحابه رضوان الله تعالىٰ عليهم، ونهانا عما ابتدع خارجًا عن ذلك».

فالمسلم إذا اعتصم بالله في الهداية إلىٰ الحق، واستعان به في نصرة الحق، وقد أخذ بأسباب نصرة الحق من العلم الصحيح؛ نصره الله بتثبيته وتأييده.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (رقم ٤٦٠٧)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠٩)، وحسَّنه ابن القيم في إعلام الموقعين (ص٨٥٦).

(٢) الإبانة (٢/ ٦٢٠).

(٣) الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة (١/ ١٥٩).

قال العلامة ابن شاهين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الحق لا يحقه إلا من عرفه، ولا يبطل الباطل إلا من عرفه، ولا يعرف الحق من الباطل إلا أهل العلم».

فالواجب علىٰ العلماء نصرة الحق وبيانه، والتزود من العلم الذي يهدي إلىٰ الحق.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إذا أقبلت علىٰ الله، وأصغيت إلىٰ حجج الله وبيِّناته؛ فلا تَخفْ ولا تَحزن إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفًا.

والعامي من الموحِّدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنَّهم الغالبون بالسيف والسِّنان، وإنَّما الخوف علىٰ الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا لكل شيء وهدًىٰ ورحمةً وبشرىٰ للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبيِّن بطلانها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]».

وقد أحسن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحث علىٰ الاهتداء بالقرآن في رد باطل المشركين والمبتدعين.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أهل الشر والفساد نوعان: أحدهما المبطلون في عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم الذين يدعون إليها، ففي القرآن من الاحتجاج علىٰ هؤلاء وإقامة الحجج والبراهين علىٰ فساد

---

(١) السُّنَّة (ص٩٧).

(٢) مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٨٧).

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص٢٢٢، ٢٢٣).

قولهم شيء كثير، لا يأتي مبطل بقول إلا وفي القرآن بيانه بالحق الواضح، والبرهان الجلي؛ ففيه الرَّدُّ علىٰ جميع المبطلين من الدهريين والماديين والمعطلين والمشركين والمتمسكين بالأديان المبدلة والمنسوخة من اليهود والنصارىٰ والأميين: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، يذكر حجج هؤلاء وينقضها، ويبدي من الأساليب المتنوعة في إفسادها ما هو معروف».

مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد؛ أظهرت مآل الضلال، فالباطل من البدع والشرك سبيله الاضمحلال والانتهاء؛ قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

كتب أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إلىٰ إسحاق بن راهويه**[١]: «لا يهولنك الباطل؛ فإنَّ للباطل جولة ثم يتلاشىٰ».

جهل المعتزلة عظيم من جهة غلطهم في مسمَّىٰ التوحيد، حيث ظنوا أنَّ التوحيد هو نفي صفات رب العالمين[٢].

وهذا يفيدك ضرورة الناس وحاجتهم إلىٰ تعلُّم التوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فقد أبطل الجهمية والمعتزلة التوحيد بنفي صفات رب العالمين، ولا توجد ذات بلا صفات؛ فنفيهم في الحقيقة تعطيل، ووصف الله بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ؛ توحيد وثناء علىٰ الله، وتصديق لما أخبر الله به عن نفسه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٣، ٤].

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣٢٤).

(٢) مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٣٨).

قال العلامة المجدد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أي: ومن الناس طائفة وفرقة، سلكوا طريق الضَّلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحقَّ، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنَّهم في غاية الجهل، ما عندهم من العلم شيء، وغاية ما عندهم تقليد أئمة الضلال من كلِّ شيطان مريد متمرِّد على الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاقَّ الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ أي: قُدِّر على هذا الشيطان المريد، ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتَّبعه، ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عن الحق ويجنِّبه الصراط المستقيم، ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وهذا نائب إبليس حقًّا، فإنَّ الله قال عنه: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. فهذا الذي يجادل في الله قد جمع بين ضلاله بنفسه وتصدِّيه إلى إضلال الناس، وهو متَّبع ومقلِّد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا جمهور أهل الكفر والبدع؛ فإن أكثرهم مقلِّدة يجادلون بغير علم».

مناظرة الشيخ الشامي أظهرت فضل العلماء على الأمة، في حفظ دينهم من تحريف وإفساد الأئمة المضلين.

فالعلماء ورثة الأنبياء، يهتدون بالوحي، فتلك حجتهم التي يُبْطِلُون بها الشرك والبدع، وضلال كل مُبْطِل.

قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣].

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ليس كل عالم تتأتَّى له الحجة، ويحضره

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٦١٩).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦٨).

الجواب، ويسرع إليه الفهم بمقطع الحُجَّة، ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

وقد جمع المعتصم شيوخ المعتزلة لمناظرة الإمام أحمد، وتكلَّم المعتزلة بأهوائهم، فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ حتىٰ أقول به.

فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟

فقال الإمام أحمد: وهل يقوم الإسلام إلا بهما[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الذي ناظر الجهمية في المحنة هو أحمد بن حنبل، وكان ذلك في خلافة المعتصم، بعد أنْ بقي في الحبس أكثر من سنتين، وجمعوا له أهل الكلام من البصرة وغيرها؛ من الجهمية والمعتزلة والنجارية؛ مثل أبي عيسىٰ بن محمد بن عيسىٰ برغوث، صاحب حسين النجار، وناظرهم ثلاثة أيام، وقطعهم في تلك المناظرة».

ولذلك عرفت الأُمَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضله في رد بدعة خلق القرآن؛ فقد حفظ الله به الإسلام من إفساد المعتزلة.

قال الحسن بن عرفة: دخلت علىٰ الإمام أحمد، فقلت له: يا أبا عبد الله، قمت مقام الأنبياء.

فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دُعيت إلىٰ أنْ أقول في صفة من صفات الله: مخلوقة، فلم أقل[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٥٦، ٢٥٧).

(٣) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٣٢٧).

وكذلك عرفت الأُمَّة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضله في بيان الحق ونُصرة الدين، وكان سبب ظهور الحق به إخلاصه لله في إظهار دين الله وصبره علىٰ ذلك، وحفظه للقرآن والكتب الستة، ومعرفته بمذهب الصحابة والتَّابعين.

قال ابن سيد الناس اليعمري عنه: «كاد يستوعب السنن والآثار حفظًا»(١).

نصر الله به الإسلام بجهاده العلمي، بلسانه وقلمه، وبجهاده بنفسه ضد التتار.

وكان يحثُّ الولاة علىٰ إظهار شعائر الإسلام ومنع الفساد.

وهكذا نقول في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد هدىٰ الله به الناس في جزيرة العرب وكافة الأمصار من أنواع الضلالات، فقد كان الناس يتبركون بالشجر والحجر ويستغيثون بالموتىٰ ويتخذونهم وسائط في دعاء الله، فأبان لهم حقيقة التوحيد وما يضاده من أنواع الشرك، وردَّ علىٰ الأئمة المضلين، وصبر علىٰ الحق حتىٰ أظهر الله به دينه.

كان الناس في غفلة عن أنواع الشرك الذي وقع فيه المسلمون، بسبب الجهل واندراس العلم وعدم الاهتمام بتعلم وتعليم التوحيد حتىٰ أظهر الله دينه بشيخ الإسلام.

من فوائد مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد؛ أنَّ الله ينصر الحق بالطائفة المنصورة من الفرقة النَّاجية، عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي، ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**»، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) الكواكب الدُّرِّيَّة في مناقب المجتهد ابن تيمية (ص٥٨).

فالله عَزَّوَجَلَّ تكفل بحفظ دينه، ولذلك يحفظه بمن ينصره من القائمين بحجج الله الذين لا يخلو منهم زمان.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «حفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يُحرِّف محرِّف معنًى من معانيه إلَّا وقيَّض الله له من يبيِّن الحقَّ المبين».

وفي الأثر عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** «لن تخلو الأرض من قائم لله بحُجَّته، لكيلا تبطل حجج الله وبيِّناته، أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حُجَجه حتىٰ يُؤَدُّوها إلىٰ نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم»، رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»، وصححه بالشهرة وتلقي العلماء له بالقبول.

دخل الشر علىٰ خلفاء بني العباس من جهة جهلهم بدين الله عَزَّوَجَلَّ، ومن جهة اتخاذهم المعتزلة بطانة لهم، فليس شيء أضر علىٰ الولاة من بطانة السوء.

ألقىٰ ابن أبي دؤاد شبهات ضلاله إلىٰ المأمون، فأصغىٰ إليها ودان بها، وأظهرها بسيف سلطانه، وهكذا فعل المعتصم والواثق من بعده، فأفسدوا بذلك عقيدة المسلمين.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيوخ المعتزلة الذين ناظروه بحضرة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٨٩).

المعتصم[١]: «ابن أبي دؤاد كان من أجهلهم بالعلم والكلام، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة، ولا علم لهم بالنقل، فجعلوا يُنكرون الآثار، ويردون الاحتجاج بها، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أنَّ أحدًا يقولها».

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٠)، ط: دار زمزم - الرياض.

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت؛ فلا وسع الله عليه.

❁ الشَّرح:

المسلم يتلقىٰ دينه ممن بعثه الله ببيانه صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ويتلقىٰ المسلم دينه ممن جعل الله رضاه في اتباعهم بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ودين الإسلام حقيقته تحقيق الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

شهادة أن لا إله إلا الله يحقِّقها المسلم بمعرفة وإثبات أسماء الله وصفاته، وبالتأله لله بحقائقها بعبادته بما شرع.

وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله يحققها المسلم بتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وفيما عنه زجر.

الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه الصَّحابة من فهم نصوصهما؛ نجاة من الشرك والبدع والإلحاد.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحبل الله هو القرآن والسُّنَّة المُبيِّنة له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «دين المسلمين مبني علىٰ اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما اتفقت عليه الأُمَّة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأُمَّة ردوه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والرَّسول ﷺ».

سبيل المتعلم والمتدين تمييز الهدىٰ من الضلالة، والسُّنَّة من البدعة بميزان الكتاب والسُّنَّة بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين تلقوا معاني الوحي من النبي ﷺ مباشرة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ معرفة ما جاء به الرَّسول ﷺ، وما أراده بألفاظ القرآن والحديث؛ هو أصل العلم والإيمان والسَّعادة والنجاة، ثم معرفة ما قال النَّاس في هذا الباب، لينظر المعاني الموافقة للرسول ﷺ والمعاني المخالفة لها».

معرفة المسلم بعقيدة خير القرون وملازمتها أورثت المؤمنين اليقين بصدق ما أخبر الله عن نفسه، وضلالات الجهمية وتحريفاتهم أفسدت علىٰ المسلمين توحيدهم، وأورثتهم الزيغ والضلال.

بدعة الجهمية شرُّ البدع، أظهرها الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، وهي مخالفة لاعتقاد السَّابقين الأوَّلين، والتَّابعين الذين تلقَّوا دينهم عن الصَّحابة، فالصَّحابة والتَّابعون كلهم آمنوا بأخبار الوحي في الصفات الإلهية علىٰ ظاهرها كما جاءت.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا والتَّابعون متوافرون نقول: إنَّ الله في السماء،

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٦٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٣٥٥).

ونؤمن بما ورد في الصفات».

ضل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة عن طريق الهداية في معرفة الدين، فلم يتلقَّوه عن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم الذين أدوا عنه، ضلوا بالركون إلىٰ ما تلقيه الشياطين في نفوسهم من الوساوس، وما أضلهم به اليهود والسمنيَّة الملاحدة.

فهم الصحابة رضي الله عنهم، وإجماعهم، وقرائن نصوص الوحي اللفظية في الصفات الإلهية؛ كلها دالة علىٰ ضلال تحريفات الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لنصوص الوحي.

ولا يجهل المسلم فضل الصحابة والتَّابعين علىٰ من بعدهم، وهذا الفضل أخبر به النبي ﷺ لتعرف الأُمَّةُ فضلهم وتحذر مخالفتهم فيما أجمعوا عليه وكان موافقًا للكتاب والسُّنَّة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، متفق عليه.

الصحابة رضي الله عنهم تحققوا بالتوحيد، وتألهوا لله عَزَّوَجَلَّ بحقائق ما أخبر عن نفسه، فحقيقة تحريفات الجهمية نفي توحيد الصحابة، وتجهيلهم وتضليلهم، وهذا لا يقوله إلا مخبول في عقله، أو من لا يدري ما حقيقة تحريف المبطلين.

الجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ يصدُّون عن اعتقاد الصحابة رضي الله عنهم بتحريفاتهم لنصوص القرآن والسُّنَّة الواردة في الصفات الإلهية.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**(١): «تعالىٰ الله عما تقوله الجهمية الملحدة علوًّا كبيرًا، وكل ما

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٦٥).

تقوله وتنتحله فقد أكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، وفي أقوال أصحابه، وإجماع المسلمين من السابقين والغابرين؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل عالمًا، سميعًا، بصيرًا، متكلِّمًا، تامًّا بصفاته العُليا، وأسمائه الحسنىٰ».

حسب المسلم أنْ يصف الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، فيكون مؤمنًا بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، هكذا المؤمنون مُصدِّقون بالوحي غير مكذبين به.

تحريفات الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لنصوص الوحي في الصفات الإلهية؛ أحدثوها بعد عهد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فهؤلاء هم الذين حذَّرنا النبي ﷺ من سماع تحريفاتهم، فضلًا عن الإيمان بها وتلقيها بالقبول.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان ناس يُحدِّثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»، رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

فالمؤمن يُصدِّق بما أخبر الله به عن نفسه، ولا يكفر به تكذيبًا أو تحريفًا.

فلا يستخفنَّك أيُّها المسلم تعالم وجهل الجهمية وفروعهم كالأشاعرة عن تصديق الوحي، والإيمان بما أخبر الله به عن نفسه؛ فإنّهم ليسوا أعلم بالله من الله.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: «إنَّ الله وصف نفسه فأبلغ».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

فمما جاء من آيات الصفات: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

❁ الشَّرح:

صفة الوجه ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع،

أما أدلة الكتاب فقد قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

ومن السنة فإن النبي ﷺ لما أنزل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»(١).

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه**»(٢).

وأما الإجماع فهو داخل في جملة ما حكاه الأئمة من الإجماع علىٰ إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت، قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، (٨/ ٢٩١ - رقم ٤٦٢٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وإن الله لا ينام» (١/ ١٦١ - رقم ٤٤٥).

(ت: ٣١١)[1]: «نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر؛ مذهبنا أنَّا نثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه؛ نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبِّه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عزَّ ربنا وجلَّ عن شبه المخلوقين، وجلَّ عن مقالة المعطلين».

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٦٣)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السنَّة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز».

وأهل البدع لهم طريقان في تأويل وتحريف صفة الوجه:

الطريق الأول: دعوىٰ أن لفظ (الوجه) زائد، فجعلوها صلة زائدة، قالوا: والتقدير: ويبقىٰ ربك، إلا ابتغاء ربه الأعلىٰ، ويريدون ربهم.

والرد علىٰ هذا من وجوه:

أ - دعوىٰ أن الوجه صلة كذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ رسوله ﷺ وعلىٰ اللغة؛ فإن هذه الكلمة ليس مما عهد زيادتها.

ب - أنه لو ساغ ذلك لساغ لمعطل آخر أن يدعي الزيادة في قوله: «أعوذ بعزة الله وقدرته»، ويكون التقدير: أعوذ بالله، ويدعي معطل آخر الزيادة في سمعه وبصره، وغير ذلك.

جـ - أن هذا يتضمن إلغاء وجهه لفظًا ومعنًىٰ، وأن لفظه زائد، ومعناه منتفٍ.

د - أنه لما أضاف الوجه إلىٰ الذات، وأضاف النعت إلىٰ الوجه، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، دل علىٰ أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٦٢).

قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] صفة للوجه، وأن الوجه صفة ذات.

قال ابن القيم[١]: «فتأمل رفع قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] عند ذكر الوجه، وجره في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، فـ: ذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام لما كان القصد الإخبار عنه، و(ذي) المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمىٰ دون الاسم، فتأمله».

هـ - أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنىٰ ذاته ونفسه، فالوجه في اللغة: مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه، وليس هو كل الشيء، وهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه، فإذا أضيف إلىٰ زمن كان الوجه زمنًا، وإن أضيف إلىٰ حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلىٰ ثوب أو حائط كان بحسبه، وإن أضيف إلىٰ من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] كان وجهه تعالىٰ كذلك[٢].

الطريق الثاني لأهل البدع في تحريف الوجه: دعواهم أن الوجه مجاز عن الثواب والجزاء، وهذا باطل من وجوه:

أ - أن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمىٰ وجهًا للمجازي.

ب - أن الثواب مخلوق، والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «**أعوذ بوجهك**»، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق.

(١) مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٨٨).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٨٧ - ٣٨٨).

جـ - **أن النبي ﷺ كان من دعائه: «أسألك لذة النظر إلىٰ وجهك»**(١)، ولم يكن ليسأل لذة النظر إلىٰ الثواب، ولا يعرف تسمية ذلك وجهًا لغةً، ولا شرعًا، ولا عرفًا.

د - **أن النبي ﷺ قال: «من سألكم بوجه الله فأعطوه»**(٢)، وقال: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»(٣).

ولو كان المراد بوجهه مخلوقًا من مخلوقاته؛ لما جاز أن يسأل به، وهذا يدل علىٰ أن السؤال بوجهه أعظم من السؤال به سبحانه.

هـ - **أنه جاء في حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه**». فإضافة السبحات التي هي الجلال والنور إلىٰ الوجه، وإضافة البصر إليه؛ تبطل أن يراد به الثواب أو الجزاء، وتبيِّن أن المراد وجهه.

و - **قال تعالىٰ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي كما قال النبي ﷺ: «**النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ**»(٤).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٩)، والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر (٣/ ٥٤ - رقم ١٣٠٥)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد أفرد هذا الحديث بالشرح الحافظ ابن رجب، انظر مجموع الرسائل (١/ ١٥١ - ١٨٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد عزاه البعض إلىٰ سنن أبي داود (٢/ ٣١٠ - رقم ١٦٧٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولا يتوجه؛ لأن لفظ الحديث فيه: (من سأل بالله) وليس (بوجه الله).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله (٢/ ٣٠٩ - رقم ١٦٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالىٰ (١/ ١٦٣ -رقم ٤٤٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] ففيه إثبات الوجه حقيقة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا استقبل العبد القبلة، ومنطوق الآية موافق لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم يصلي فإن الله قبل وجهه**»(١).

وحمل مجاهد والشافعي (الوجه) في الآية علىٰ الجهة، وليس هذا بتأويل؛ لأن الوجه لغة يطلق علىٰ الجهة أيضًا، كما أن الله قد ذكر الجهات المشرق والمغرب قبل ذكر الوجه، وكذلك قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ [البقرة: ١١٥]، و(أين) من الظروف، و(تولوا) أي: تستقبلوا(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (١/ ٥٠٩ - رقم ٤٠٦).

(٢) انظر مجموع الفتاوىٰ (٦/ ١٦).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

❁ الشَّرح :

قد دل علىٰ إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ الكتاب والسنة والإجماع.

أما من الكتاب فقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن السنة قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب؛ أخذها الرحمن بيمينه**»(١)، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**المقسطون عند الله علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين**»(٢)، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يقبض الله سمواته بيده، والأرض بيده الأخرىٰ، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك**»(٣).

وأما الإجماع فقد حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر أدلة القرآن في صفة اليدين، فقال(٤): «هذا مع دلالة الأحاديث المستفيضة بل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (٣/ ٢٧٨ - رقم ١٤١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٢/ ٧٠٢ - رقم ١٠١٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل (٤/ ١٤٥٨ - رقم ١٨٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٣/ ٣٩٣ - رقم ٧٤١٢)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨ - رقم ٢٧٨٨).

(٤) الرسالة التدمرية، (ص٧٥).

المتواترة، وإجماع سلف الأمة علىٰ مثل ما دل عليه القرآن».

وتأولت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة صفة اليدين علىٰ معنىٰ القدرة والنعمة، وهذا باطل من وجوه:

١ - ليس من المعهود أن يطلق الله علىٰ نفسه معنىٰ القدرة والنعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة، كقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين؛ فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله ﷺ.

٢ - أن اليد حيث أريد بها النعمة أو القدرة فلا بد أن يقترن باللفظ ما يدل علىٰ ذلك ليحصل المراد.

٣ - أن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقة، وسر هذا أن الأعمال والأخذ والعطاء والتصرف كما باليد، وهي التي تباشر، عبروا بها عن الغاية الحاصلة بها، وهذا يستلزم قبول أصل اليد حتىٰ يصح استعمالها في مجرد القوة والنعمة والإعطاء، فإذا انتفت حقيقة اليد امتنع استعمالها فيما يكون باليد، فثبوت هذا الاستعمال المجازي من أول الأشياء دلالة علىٰ ثبوت الحقيقة.

٤ - تحريف معنىٰ اليد إلىٰ النعمة والقدرة يبطل فائدة تخصيص آدم بخلق الله له بيديه؛ فإنه وجميع المخلوقات حتىٰ إبليس مخلوق بقدرته سبحانه، فأي مزية لآدم علىٰ إبليس في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

٥ - أن اليد اقترن بها من الأفعال والأوصاف ما يمنع أن يراد بها النعمة أو القدرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**يقبض الله سمواته بيده، والأرض باليد الأخرىٰ، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك**»، فهنا: هز، وقبض، وذكر يدين، وطي، وقبض وإمساك؛ فيصير المجموع حقيقة، هذا في الفعل وهذا في الصفة[١].

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أفلا يعقل أهل الإيمان أن الأرض جميعًا لا تكون قبضة إحدىٰ نعمتيه يوم القيامة، ولا أن السموات مطويات بالنعمة الأخرىٰ».

٦ - إذا وضعتَ لفظ (النعمة) و(القدرة) موضع اليد امتنع ذلك غاية الامتناع، فهل يصح في قوله: «**والخير كله في يديك**»[٣]، أن يكون في نعمتيك أو قدرتيك؟! وهل يصح في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن المقسطين عن يمين الرحمن**» أنه عن قدرته أو نعمته؟!

٧ - النعمة التي هي غير اليد سماها الله تعالىٰ باسم النعمة، ولم يسمها بغير اسمها كما قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فالتعبير عن النعمة باليد من غير قرينة لا يتكلم به إلا من غرضه التلبيس والتعمية، والله منزّه عن ذلك.

٨ - أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الخالق الباري، ولله يدان لا أكثر منهما، كما قال لإبليس عليه لعنة الله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٧٠، ٣٨٦).

(٢) التوحيد (١/ ١٩٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤ - رقم ٧٧١)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن هاتين اليدين يدا الذات لاستقصاء العدد بالياء».

ومن أوضح ما يكون في الدلالة على استقصاء العدد رده سبحانه على اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

واعلم أنه لا يلزم من اتفاق الاسم اتفاق المسميات، فالصفة تختلف بحسب الإضافة؛ فيد البعير غير يد الشاة، غير يد الإنسان؛ فاسم اليد مشترك بين الجميع، والإضافة إلى (بعير أو شاة أو إنسان) جعلت ما بين اليد واليد من التباين ما هو معلوم.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وإذا لم يجز إطلاق اسم التشبيه إذا قال المرء: لابن آدم وللقرد يدان، وأيديهما مخلوقتان، فكيف يجوز أن يسمى مشبهًا من يقول: لله يدان، على ما أعلم في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، ونقول: لبني آدم يدان، ونقول: ويدا الله بهما خلق آدم، وبيده كتب التوراة لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء».

وأما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]، فهذه الآية ليست كسائر الآيات في إثبات صفة اليد؛ لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهًا بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وهناك أضاف الفعل إليه، فقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ [ص: ٧٥]، ثم قال: ﴿بِيَدَىَّ ۖ﴾[(٣)].

فقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] نظير قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]،

(١) مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٨١).

(٢) التوحيد (١/ ١٩٦).

(٣) انظر الرسالة التدمرية، (ص٧٤).

و﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦][1].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وإنما أضاف العمل إلىٰ يديه كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]، وليس المراد هنا الصفة الذاتية - بغير إشكال - وإلا استوىٰ خلق الأنعام وخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

❁ ❁ ❁

(١) انظر الرسالة التدمرية، (ص٧٥).

(٢) فتح الباري (١/ ٧).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن عيسىٰ عليه السلام أنَّه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

❁ الشَّرح:

الله عَزَّوَجَلَّ يُخبر عنه أنَّ له ذاتًا ونفسًا، فالله عَزَّوَجَلَّ صمد، له ذات، صفاته قائمة به، فهو موصوف بها، لا يماثلها شيء، فهو أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ(١): باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقول الله تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال الفقيه المحدِّث المُفسِّر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**(٢): «قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، سَمَّىٰ الله نَفْسَهُ شيئًا.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]».

فتسمية الله بـ«النفس» ورد في القرآن والسُّنَّة، وليس في تسميته بذلك تشبيه، فمسمىٰ «نفس» مضافة إلىٰ الله، فهي ذاته العظيمة التي لا يماثلها شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إنَّ هذا الاسم يقال لكلِّ موجود، فهو بمنزلة الذات والشيء، ونحو ذلك من الأسماء العامَّة».

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (١٢٧٣).

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ١٧٢).

(٣) جامع المسائل، المجموعة السابعة (ص٣٤٤)، باختصار.

عِلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]؛ فيه شرح للتوحيد، حيث ذكر المسيح ابن مريم أنَّ الألوهية حق خالص لله عَزَّوَجَلَّ لتفرُّده بالكمال في ذاته وصفاته، قال الله مخبِرًا عن المسيح أنه قال: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ هو توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب، وهو التوحيد العلمي والعملي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المسلمون يقولون كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، والتوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب؛ هو توحيد الإلهية، وهو أن يُعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمِّن لشيئين:

أحدهما: القول العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته؛ فلا يُوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، فالصمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك، كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع.

والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله، قال تعالىٰ:

---

(١) الصَّفدية (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦]».

نفس الله عَزَّوَجَلَّ هي أحديته وصمديته، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، رواه الطبري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار».

وأعلم الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ هو رسول الله ﷺ، وكان يناجي ربه فيقول: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته؛ أعظم وأجلُّ من أن يحصيها أحد من الخلق، أو بلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه».

قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

أي: تبارك في ذاته، وبارك من شاء من خلقه، وتعالىٰ وتقدَّس.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «تباركه سبحانه وصف ذات له، وصفة فعل».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٩٨).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٣٥٦).

(٣) جلاء الأفهام (ص٤٣٥).

نفس الله عَزَّوَجَلَّ هي الذات العليَّة، التي ليس كمثلها شيء، ولا يبلغ شيء نفس كمالها.

قال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذَكَرَ من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له، فقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: العلي الأعلىٰ، الذي استوىٰ علىٰ العرش، واختصَّ به، وارتفعت درجاته ارتفاعًا بايَنَ به مخلوقاته، وارتفع به قدرُهُ، وجلَّت أوصافُهُ، وتعالت ذاته».

ذات الله عَزَّوَجَلَّ مسماة بأسماء حسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وموصوفة بصفات الكمال، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وصفات الله عَزَّوَجَلَّ قائمة به، وهي نوعان: ذاتية وفعلية، فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها؛ كالحياة والعلم والعزة والعلو، وغيرها، والفعلية هي التي تتعلَّق بمشيئته كالاستواء والمجيء والإتيان، وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ أسماء الله تعالىٰ متناولة لصفاته، فما قام بذاته من الصفات فهو داخل في اسمه تعالىٰ».

الصفات الفعلية هي التي تتعلق بالمشيئة الإلهية، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

من شأنه أنَّه يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، ويعز ويذل، ويفك عانيًا، ويشفي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٨٦٨).

(٢) الصفدية (٢/ ١٣٢).

مريضًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويتوب علىٰ قوم، ويكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، ويضع أقوامًا ويرفع آخرين[١].

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين؛ ذاتية باعتبار أصل الصفة، فعلية باعتبار آحاد الصفة، كصفة الكلام[٢].

فالحاصل أنَّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته؛ دالة علىٰ ربوبيته وإلهيته وكماله وعظمته وجلاله.

الصفات الإلهية بأنواعها كلها قائمة بالله، وتنوُّعها وكثرتها دال علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ وتفرُّده بهذا الكمال، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الصفات الذاتية والصفات الفعلية؛ كلها تشترك بقيامها بالله تعالىٰ، لا فرق في ذلك بين الصفات الذاتية؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحوها، وبين الصفات الفعلية؛ كالاستواء والنزول والكلام والخلق وأنواع التدبير، فكلها قائمة بالله تعالىٰ؛ لاستحالة وجود الفعل من غير أنْ يتصف به الفاعل، هذا محال عقلًا ونقلًا ولغة؛ فكيف يضيف تعالىٰ إلىٰ نفسه فعلًا وهو قائم بغيره؟! هذا من أبطل الباطل، ولكن الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية من جهة أنَّ الصفات الذاتية لا ينفك عنها بوقت ولا حال من الأحوال؛ كالعلم الذي لا يمكن أنْ يفارقه بحال، وكالقدرة والغنىٰ الذي هو من لوازم ذاته، وكالعلوِّ علىٰ المخلوقات، ونحو ذلك.

---

(١) شفاء العليل (١/ ٧٨).

(٢) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص٢٥).

(٣) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص١٤٧، ١٤٨).

وأمَّا الصفات الفعلية فضابطها: هي كل صفة تعلَّقت بقدرته ومشيئته، التي إنْ شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها علىٰ حسب ما تقتضيه الحكمة الربانية، ويُعبر عنها بالأفعال الاختيارية؛ أي: المتعلقة بإرادته واختياره تعالىٰ، وذلك كالكلام؛ فإنّه لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء وكيف شاء».

لفظ (النفس) ورد في نصوص الوحي علىٰ معنىٰ الذات، وأضيفت إليها صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فأفادنا ذلك أنَّ النفس بمعنىٰ الذات، وأنَّ إضافة الصفات إليها إضافة لموصوف بها، فالله عَزَّوَجَلَّ صفاته قائمة به.

قال المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وصف النفس بأنَّ فيها علمًا، والعلم وسائر الصفات إنَّما تقوم بالله، لا تقوم بصفة كالحياة ونحوها».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «إنَّ المراد به هو نفسه، ليس المراد به صفة من صفاته؛ إذ علمه لا يقوم إلَّا به نفسه وذاته».

وقال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّما اصطنعه لذاته، لا لصفة له؛ كالحياة والبقاء».

وقال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**[٤]:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٦٠).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٦٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٦٠).

(٤) كتاب التوحيد (١/ ١١).

«جلَّ ربنا عن أنْ تكون نفسه كنفس خلقه، وعزَّ أنْ يكون عدمًا لا نفس له».

أنكرت الجهمية نَفسَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لنفي ذات الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته كلها، وهذا التعطيل الكُلي كفر بالله العظيم.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ)(١): «نفس الله: هو الله، والنَّفسُ تجمع الصِّفَات كُلَّها، فإذا نفيت النَّفسَ نفيت الصِّفَاتِ، وإذا نفيتَ الصِّفَاتِ كان لا شيء».

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٩هـ) عن السَّلف**(٢): «اعتقدوا أنَّ صفات الله سبحانه؛ لا تشبه صفات الخلق، كما أنَّ ذاته لا تُشبه ذوات الخلق، تعالىٰ الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوًّا كبيرًا، ولعنهم لعنًا كبيرًا».

وبشرح معاني النصوص الوارد فيها لفظ «النفس» يتبيَّن بها حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «تحذير الله نفسه بمنزلة الأمر بالخوف منه، والأمر بتقواه.

---

(١) نقض الدارمي علىٰ المريسي (ص٦٢٩).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٨٢).

ومن المعلوم أنَّ الله - تعالىٰ - نفسه هو الذي يُخاف، وعقوبته مما يخاف منه، وهو الذي يُتقىٰ، وعقابهُ يتَّقىٰ بتقواه، وهو الذي يحذر عقابه».

وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا ريب أنَّ الله جعل علىٰ نفسه حقًّا لعباده المؤمنين، فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق».

مسمَّىٰ النفس أخص من مسمىٰ الذات، فالذات يُخبر بها عن الحي والجماد، أما النفس فلا يخبر بها إلا عن الحي من الذوات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ مسمَّىٰ النفس أخصُّ من مسمَّىٰ الذات، والعين، والحقيقة، والماهيَّة؛ فإنَّها لا تقال إلا لما هو حيٌّ، كما في مثل قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، لو كان معنىٰ كل ذات، وكل حقيقة؛ لدخل في ذلك الجمادات، وكذلك يستلزم أنْ يكون لها قول وعمل، وأن تكون قائمة بذاتها، قائمة بها الصفات».

لفظ «النفس» يدل علىٰ ذات قائمة بنفسها موصوفة بالصفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «لفظ النفس - والله أعلم - يقتضي حياة المسمىٰ بها وقيامه بنفسه».

وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة يخبرون عن الله بما أخبر عن نفسه في القرآن،

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٣/ ٢٨)، باختصار.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٥٣).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٥٠).

وبما أخبر عنه رسوله ﷺ في سنته، ويذكرون ذلك في متون العقيدة إيمانًا بالوحي وردًّا على المبتدعين الجهمية والمعتزلة وفروعهم الذين يُكذبون بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّهم قصدوا رد ما أنكرته الجهمية من ذكر إثبات مسمى النفس لله، وقيام العلم بها، كما يُذكر عن ثمامة بن أشرس النميري - أحد أكابر المتكلمين - أنَّه قال: ثلاثة من الأنبياء مشبهة؛ موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومحمد حيث قال: «**ينزل ربنا كل ليلة**»».

عمد الجهم بن صفوان إلى نفي الذات الإلهية، فصار من الملحدين، وغلا في نفي صفات الله عَزَّ وَجَلَّ فنفاها جميعًا، وتغلظ إلحاده فنفى الصفات كلها جملة وتفصيلًا، حيث قال: متى نفينا عنه الكلام؛ فقد نفينا عنه جميع الصفات من: النَّفس، واليدين، والوجه، والسمع، والبصر؛ لأنَّ الكلام لا يثبت إلا لذي نفس، ووجه، ويد، وسمع، وبصر، ولا يثبت كلام لمُتكَلِّم إلا لمن قد اجتمعت فيه هذه الصفات.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ) رادًّا عليه**[٢]: «كذب جهم وأتباعه فيما نفوا عنه من الكلام، وصدقوا فيما ادَّعَوا: «أنَّه لا يثبت الكلام إلا لمن قد اجتمعت فيه هذه الصفات»، وقد اجتمعت في الله تعالى على رغم أعداء الله تعالى، وإنْ جَزِعُوا منه، بلا تكييف، ولا تمثيل، وهو الذي أخبر عن نفسه بأسمائه في محكم كتابه، المُنَزَّل على نبيه المُرسل ﷺ، ووصف بها نفسه وقولَهُ، ووصفه غير مخلوق، على رَغمِ الجهمِيَّة».

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٤٧، ٤٤٨).

(٢) نقض الدارمي على المريسي (ص٦٢٥).

قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

معنىٰ الآية: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ليس لذاته ولا لصفاته مثل، فالله عَزَّوَجَلَّ هو العظيم، فقد كمل في ذاته وصفاته، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

كل مخلوق مربوب لله عَزَّوَجَلَّ، فالله عَزَّوَجَلَّ هو رب العالمين، فلا يكون المربوب مثيلًا ولا نظيرًا ولا شبيهًا للأحد الصمد رب العالمين؛ قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

وضلت الجهمية في معنىٰ الآية، فقالت: إنَّ الله لا شيء، فنفوا ذاته وصفاته، تعالىٰ الله عما يقولون.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[١]: «قول الجهمية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ يعنون: أنَّه لا شيء، لأنَّهم لا يثبتون في الأصل شيئًا، فكيف المِثْلُ؟! وكذلك صفاته، ليس عندهم شيء».

قال عباد بن العوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كلَّمت بشرًا المريسي وأصحاب بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلىٰ أنْ يقولوا: ليس في السماء شيء».

ربنا رب السموات والأرض، لا ينكر ألوهيته وعلوه ومباينته لخلقه إلا كافر.

قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإنَّه كما أنَّ ذاته ليست كالذوات المخلوقة فصفاته

---

(١) نقض الدارمي علىٰ المريسي (ص٦٧٢).

(٢) السُّنَّة للخلال (٢/ ٣٤- رقم ١٧٤٢).

(٣) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص١٩٦).

ليست كالصفات المخلوقة، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال منزَّهٌ عن كل نقص وعيب.

وهو سبحانه في صفات الكمال لا يماثله شيء».

وقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ دال علىٰ أنَّ الكلام في الصفات الإلهية فرع عن الكلام في الذات الإلهية، فكما أنَّ ذات الله عَزَّوَجَلَّ لا تماثل ذوات المخلوقين كذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ تبيين للواجب اعتقاده فيما سمىٰ ووصف الله نفسه عَزَّوَجَلَّ، وهو إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ كالسمع والبصر بما يليق بكمال الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته، مع نفي مماثلة صفاته للمخلوقين كنفي مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، فيكون المسلم مثبتًا لله ما أثبته لنفسه غير مُكذِّب بذلك، ومنزِّهًا الله عَزَّوَجَلَّ عن نقص مماثلة المخلوقين.

وعن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**» متفق عليه.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[١]: «أخبر رسول الله ﷺ أنَّ الله يُخفِي ذِكرَ العَبدِ في نفسه إذا أخفىٰ ذِكرَهُ، ويُعلِنُ ذِكرَهُ إذا هو أعلَنَ ذِكرَهُ، ففرَّق بين علم الظاهر والباطن، والجَهرِ والخَفِيِّ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «قوله: «**إنْ ذكرني في نفسه ذكرته في**

(١) نقض الدارمي علىٰ المريسي (ص٦٢٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٦١).

نفسي»؛ فإنَّ الذكر قول وكلام، وسواء أُريد الذكر الكامن أو اللفظ فإنَّه علىٰ التقديرين لا يقوم إلَّا بالذاكر نفسه وعينه».

وهذا الحديث القدسي فيه إبطال لعقيدة الكلابية والأشاعرة؛ فإنَّه دال علىٰ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم حقيقة لقوله سبحانه: «**وإنْ ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يتكلم حقيقة، وليس هو إدراك يخلقه في نفوس المخلوقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الحديث نصٌّ في الفرق بين ذكره في نفسه، وبين ذكره في الملأ، بفرق يرجع إلىٰ نفسه، لا إلىٰ خلق إدراك الملائكة».

نفس الله عَزَّوَجَلَّ هي ذاته الموصوفة بصفاته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه**» متفق عليه.

وعن جويرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه**» رواه مسلم.

فالحاصل أنَّه يُخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ له نفسًا، كما أخبر الله عن نفسه في القرآن، وأخبر عنه رسوله ﷺ.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٨٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ مسمىٰ النفس عند السلف هو الذات».

والنفس والذات الإلهية هي ما يقوم بها من الصفات[٢].

يُخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ بأنه «نفس» ولا يُسمىٰ بذلك؛ فلا يقال: «عبد النفس»، فباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

والإخبار عن ذات الله عَزَّوَجَلَّ بلفظ (النفس)؛ موافق لألفاظ النصوص، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٤٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٣٢).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿ الشَّرح :

يأتي الله عَزَّوَجَلَّ ويجيء لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة.

يأتي الله عَزَّوَجَلَّ في مشهد مهيب عظيم، تشقق الغمام وتنزل ملائكة كل سماء إلىٰ أرض القيامة فيحيطون بالخلق، ثم يأتي الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦].

مجيء الله وإتيانه حقيقي، ولا يستلزم ذلك اختلاطًا ولا حلولًا بالملائكة ولا سائر خلقه، فكما أنَّه بائن من خلقه وهو مستوٍ علىٰ عرشه، فهو كذلك بائن من خلقه حال مجيئه لفصل القضاء بين خلقه.

مجيء الله وإتيانه خلقه للقضاء فيهم هو مجيء وإتيان حقيقي، وهو عام لكل الخلق.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[(١)]: «هذا يوم القيامة إذا نزل ليحكم بين العباد».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِّيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ الناس قالوا: يا رسول الله!

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص٣٧).

هل نرىٰ رَبَّنَا يوم القيامة؟ قال: «**هل تُمارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟**»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**»، قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «**فإِنَّكم تَرَوْنَهُ، كذلك يُحْشَرُ النَّاسُ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليَتْبَعْهُ، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأُمَّةُ فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنَا رَبُّكُم**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا الخبر - في الجملة - فهو متواتر عند أهل العلم بالحديث، ورواته من التابعين وأتباعهم من أجلِّ الأمة قدرًا في العلم والدين، وهو معروف عن عدد من الصحابة؛ فهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مجتمعين، ومن حديث أبي سعيد مفردًا. وهو أيضًا في «صحيح مسلم» من حديث جابر.

وهو في المسانيد من حديث ابن مسعود وأبي موسىٰ رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «تجلَّىٰ لفصل القضاء بين عباده، فخاطبهم وحاسبهم، ثم بعد ذلك جزاهم فأمر أن يتبع كل قوم معبودهم».

هذه الأحاديث المتواترة دالة علىٰ امتحان الله لخلقه في عرصات يوم القيامة، فالتكليف ينقطع بدخول الخلق الجَنَّة والنار.

وهذه الأحاديث دالة علىٰ تجلي الله لخلقه في المحشر، ففيها إثبات مجيء الله وإتيانه ورؤيته.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٦، ٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٥٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ جميع ألفاظ الحديث صريحة في أنَّ الذي جاء وأتىٰ، وقال: «**أنا ربكم**»، هو الذي رأوه فسجدوا له؛ فاقتضىٰ ذلك أن يكون المتجلي المسجود له هو الآتي الجائي. فلو كان الذي أتىٰ إنما هو ملك، أو بعض النعم المخلوقة لم يصح ذلك؛ ولهذا كان الإمام أحمد يحتج بإثبات المجيء والإتيان في مسألة الرؤية.

فذكر الخلال في كتابه السُّنَّة عن أبي طالب قال: «وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمن قال: إنَّ الله لا يُرىٰ فقد كفر».

فبيَّن أن هذه الآيات تدل علىٰ أنَّه يأتي ويجيء، وذلك يقتضي الرؤية كما صرحت به الأحاديث المفسرة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

والمنقول عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين موافق لظاهر القرآن والسُّنَّة في إثبات المجيء والإتيان لله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بين عباده في موقف القيامة.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «روىٰ أصحاب الحديث عن أُبيٍّ بن كعب ومجاهد أنَّهما قالا في تفسير الآية: يأتي الله يوم القيامة في ظلل من الغمام».

قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأتيهم الله في ظُلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت»[٣].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٩٤، ٩٥).

(٢) تفسير القرآن (١/ ٢١١).

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (ص٤٩٩ – رقم ١١٤٨)، حدثنا أبي، ثنا عبد الرزاق، عن معمر عن قتادة. إسناده صحيح.

فأثبت قتادة إتيان الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، والملائكة تأتي صفوفًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، أما مجيء الملائكة عند الموت فهذا أمر آخر.

وشيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠هـ)، في تعليقه علىٰ نصوص الوحي في صفة المجيء والإتيان الإلهية، أفادنا بتنبيهات مهمة:

الأول: معنىٰ ذلك ما دَلَّ عليه ظاهر الخبر، وليس عندنا للخبر إلا التَّسليم والإيمان به، فنقول: يجيء ربُّنا - جل جلاله - يوم القيامة والملَكُ صفًّا صفًّا[١].

الثاني: كُلُّ ما ورد به الخبر في صفات الله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه تعالىٰ ذِكره بنحو ما ذكرناه، فصفات الله عَزَّوَجَلَّ كلها نؤمن بها علىٰ ظاهرها[٢].

الثالث: أن مجيء الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة نُصدِّق ونؤمن به، كما نؤمن بنزوله كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الأخير[٣].

الرابع: نثبتُ المعاني التي جاءت بها الأخبار، علىٰ ما يُعقل من حقيقة الإثبات، وننفي عن الله التشبيه[٤].

التحريفات التي ذهب إليها المعطلة نفاة صفي المجيء والإتيان الإلهي؛ في نصوص الوحي ما يدل علىٰ بطلانها وضلالها، فإنَّ المُعطلة زعموا أنَّ الإتيان والمجيء هو لأمر الله، وليس هو مجيء وإتيان الله نفسه.

---

(١) التبصير في معالم الدين (ص١٤٦).

(٢) التبصير في معالم الدين (ص١٤٧).

(٣) التبصير في معالم الدين (ص١٤٢، ١٤٣).

(٤) التبصير في معالم الدين (ص١٤٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ فعطف مجيء الملك علىٰ مجيئه سبحانه يدل علىٰ تغاير المجيئين، وأنَّ مجيئه سبحانه حقيقة كما أنَّ مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولىٰ بأنْ يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ففرَّق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آياته، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا، فتأمله».

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢].

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فيه إثبات مجيء الله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله من غير تمثيل.

وتأويل ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ بـ: جاء أمر ربك؛ فاسد من جهة أنَّه باطل، وهو من كلام المبتدعة، وأيضًا فاسد من أمر آخر، وهو أنَّ أمر الله لا يزال يجيء ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]».

وبهذا يتبين أنَّ تحريفات الجهمية المعطلة للمجيء والإتيان الإلهي؛ تكذيب لنصوص الوحي، ووجب تحذير المؤمنين منها، والإيمان بما أخبر الله عن نفسه، وما أخبر عنه رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إذا كانت الأحاديث مصرِّحةً

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٥٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص٥٧).

(٣) بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة (٧/ ١٠٨).

بمجيء الربِّ نفسه تصريحًا يعلمه الخاص والعام، ويزيل كل شبهة؛ علم أنَّ هذه التحريفات تكذيب للرسول ﷺ، لا تصدر إلا من جاهل بما أخبر به، أو منافق ليس بمؤمن، فأما من آمن به، وعلم بما جاء به؛ فلا يكون إلَّا مصدِّقًا بمضمونها».

المجيء والإتيان الإلهي دال علىٰ قيام الأفعال الاختيارية بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه رد علىٰ الكُلَّابية شيوخ الأشاعرة الذين ينكرونه.

وإنكار قيام صفات الله عَزَّوَجَلَّ به هو ينبوع بدعة التعطيل الجهمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قالوا - الجهمية -: إنَّ الرَّب لا تقوم به الصفات ولا الأفعال، فإنَّها أعراض وحوادث، وهذه لا تقوم إلا بجسم والأجسام مُحْدَثة؛ فيلزم أنْ لا يقوم بالرَّب عِلمٌ، ولا قدرة، ولا كلام، ولا مشيئة، ولا رحمة، ولا رضًا، ولا غضب، ولا غير ذلك من الصفات، بل جميع ما يُوصف به من ذلك فإنَّما هو مخلوق منفصل عنه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «سَلَّم - ابنُ كُلَّاب - لهم - الجهمية - ذلك الأصل، الذي هو يَنْبُوعُ البدع، فاحتاج لذلك أنْ يقول: إنَّ الرَّبَّ لا تَقُوم به الأمور الاختيارية، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا نادىٰ موسىٰ حين جاء الطُّور».

صفات الله عَزَّوَجَلَّ قائمة به، فهو موصوف بها، وهي صفات كمال، باتصافه بها انفرد بالألوهية، وانتفىٰ عنه النِّدُّ والنظير، فالله عَزَّوَجَلَّ أحد صمد.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ وصف نفسه في كتابه

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ٣١١).

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٣١٢).

بصفات استغنىٰ الخلق أنْ يصفوه بغير ما وصف به نفسه، من ذلك قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠](١).

وقد أجمع السلف علىٰ الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر عنه رسوله ﷺ، من مجيئه يوم القيامة للقضاء في عباده.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قول الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمن قال: إنَّ الله لا يُرىٰ فقد كفر».

وقال الإمام أحمد(٣): «نحن نؤمن بالأحاديث في هذا ونُقرُّها، ونُمرُّها كما جاءت».

وقال أبو العباس بن سريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «قد صحَّ عند جميع أهل الديانة والسُّنَّة إلىٰ زماننا؛ أنَّ جميع الآثار والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ في الصفات؛ يجب علىٰ المسلم الإيمان بها، وأنَّ السؤال عن معانيها – كنهها –(٥) بدعة، والجواب كفر وزندقة؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ونظائرهما مما نطق به القرآن؛ كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر وصعود الكلام الطيب إليه، والضحك والتعجُّب، والنزول كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا».

وقال العلامة أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابُوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٩هـ)**

---

(١) ذيل السُّنَّة للخلال (٢/ ٢٩٨).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٣٧٠).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٣٧٠).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢١٤).

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

عن السَّلف(١): «يثبتون ما أنزله الله في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله عزَّ اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]».

والعلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠هـ)؛ ساق أحاديث مجيء الله وإتيانه يوم القيامة للفصل والقضاء بين العباد، ثم قال(٢): «هذه الأحاديث قد جاءت كلها، وأكثر منها، في نزول الرب تبارك وتعالىٰ في هذه المواطن، وعلىٰ تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر في مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها».

وقال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ السلف الصالح، ومن سَلكَ سبيلهم من الخلف متَّفقون علىٰ إثبات نزول الرب تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا.

وكذلك هم مجمعون علىٰ إثبات الإتيان والمجيء، وسائر ما ورد من الصفات في الكتاب والسُّنَّة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. ولم يثبت عن أحد من السلف أنَّه تأوَّل شيئًا من ذلك».

❁ ❁ ❁

---

(١) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث (ص١٩٢).

(٢) الرَّدُّ علىٰ الجهميَّة (ص٤٥، ٤٦).

(٣) الصارم المُنكي في الرد علىٰ السُّبكي (ص٦٣٦).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

❁ الشَّرح:

صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ دلَّ علىٰ ثبوتها القرآن والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويَكْرَه ثلاثًا؛ فيرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» رواه مسلم.

ودلَّ لثبوت صفة الرضا لله من السُّنَّة أيضًا؛ حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يقول لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّة، فيقولون: لَبَّيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسْخَط عليكم بعده أبدًا**» متفق عليه.

وإجماع السابقين الأولين في الإيمان بالوحي في كل ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه من صفاته، وما أخبر عنه رسوله ﷺ معلوم.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنا والتَّابعون متوافرون؛ نقول: إنَّ الله في السماء،

ونؤمن بما وردت به السُّنَّة من صفاته» رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات[١].

والإجماع منقول عن السلف بإثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه الخصوص.

قال حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ) فيما أجمع عليه السلف في الاعتقاد**[٢]: «الله تبارك وتعالىٰ يرضىٰ ويسخط».

وقال العلامة أبو نصر عبيد الله السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤هـ)**[٣]: «أئمتنا رحمهم الله؛ كسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي؛ مُتَّفقون علىٰ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق عرشه، وأنَّ عِلْمه بكل مكان، وأنَّه يرىٰ يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنَّه ينزل إلىٰ سماء الدنيا، وأنَّه يَغْضب ويَرْضَىٰ، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئًا من ذلك فهو منهم بريء، وهم منه بَراء».

وصفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ كسائر الصفات الإلهية، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا تستلزم نقصًا، بل هي صفة كمال تمدَّح الله بها نفسه بالإخبار عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّه يجب القطع بأنَّ الله تعالىٰ ليس كمثله شيء، لا في نفسه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وأنَّ مباينته للمخلوقين وتنزهه عن مشاركتهم أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته ويصفه الواصفون، وأنَّ كل صفة تستلزم حدوثه أو نقصًا غير الحدوث فيجب نفيها عنه.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح» بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

(٢) إجماع السلف في الاعتقاد (ص٦١).

(٣) الإبانة للسجزي، بواسطة بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٤) الرَّدُّ علىٰ الطوائف الملحدة، مطبوع ضمن الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٤٧٢).

ومن حكىٰ عن أحد من أهل السُّنَّة أنَّه قاس صفاته بصفات خلقه؛ فهو إما كاذب أو مخطئ.

وإن أراد الحالف بالظاهر ما هو الظاهر في فطر المسلمين قبل ظهور الأهواء وتشتت الآراء، وهو الظاهر الذي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أنَّ هذا هو الظاهر في سائر ما يُطلق عليه سبحانه من أسمائه وصفاته؛ كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والمحبة والغضب والرضا، و﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، و«**ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**» إلىٰ غير ذلك، فإنَّ ظاهر هذه الألفاظ إذا أُطلقت علينا أنْ تكون أعراضًا وأجسامًا؛ لأنَّ ذواتنا كذلك، وليس ظاهرها إذا أُطلقت علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا ما يليق بجلاله ويناسب نفسه.

فكما أنَّ لفظ (ذات ووجود وحقيقة) يُطلق علىٰ الله وعلىٰ عباده، وهو علىٰ ظاهره في الإطلاقين، مع القطع بأنَّه ليس ظاهره في حق الله تعالىٰ مساويًا لظاهره في حقنا ولا مشاركًا له فيما يوجب نقصًا وحدوثًا، سواء جعلت هذه الألفاظ متواطئة أو مشتركة أو مشككة، كذلك قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، و: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، الباب في الجميع واحد».

تأولت الجهمية وفروعها صفة الرضا لله بالإرادة، والسبب الذي من أجله تأولت الجهمية المعطلة رضا الله بالإرادة هو توهمهم مماثلة رضا الله لصفات المخلوقين، وفي الحقيقة هم يلزمهم في الإرادة نظير ما تأولوه في رضا الله.

والله عَزَّوَجَلَّ صفاته تليق بعظمته، لا تماثل صفات المخلوقين.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الإرادة فينا هي مَيْلُ القلب إلىٰ جلب ما ينفعُه أو دفع ما يَضُرُّه، والله تعالىٰ لا يُوصف بذلك.

فإن قال – المتأول –: إرادته ليست كإرادتنا.

قيل له: فقلْ في الغضب كذلك، وهكذا في سائر الصفات».

فالقول في الصفات الإلهية واحد، فكما نُثبت الصفات السبعة مع انتفاء مماثلتها لصفات المخلوقين، كذلك نُثبت الصفات الخبرية كالرضا والغضب مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين، فكما أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ له علم وحياة، ولنا علم وحياة، وليس علمه وحياته كعلمنا وحياتنا، كذلك بقية الصفات.

وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالرضا هو تصديق بما أخبر الله به عن نفسه، ولوازمه إثبات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُخبر عن نفسه إلا بحق وصدق.

أبو الحسن الأشعري وافق الجهمية حيث جعل الرضا هو الإرادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أتباع أبي الحسن في قوله الذي خالف به المتقدمين واتبع فيه الجهمية والقدرية، حيث قال معهم: إنَّ المحبة والرضا هي الإرادة».

الرضوان صفة لله عَزَّوَجَلَّ، وليس هو الثواب؛ فإنَّ الثواب مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ فرَّق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل؛ قال تعالىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

---

(١) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص١٧٥).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص٢١٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الرحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه، وهذا يُبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثوابًا منفصلًا مخلوقًا».

وقد حكم السلف بكفر من أنكر ما وصف الله به نفسه.

قال نعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شَبَّهَ الله بخلقه فقد كفر».

وقال أبو معمر الهُذلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من زعم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يتكلَّم، ولا يسمع، ولا يُبصرُ، ولا يغضب ولا يرضىٰ؛ فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ».

والعلامة أبو عبد الله عُبَيْد الله بن محمد بن بَطَّة العُكْبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بعد أنْ أثبت صفات الله من: السمع، والبصر، والرِّضا، والضَّحك، والكلام، قال[٤]: «من كذَّب بهذا، أو رَدَّه، أو شَكَّ فيه، أو طعَنَ علىٰ راويه؛ فقد أعظمَ الفرية علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ».

من كذَّب بالوحي فيما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ؛ فهو جهمي كافر.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[٥]: «لم يَظْهَرْ جهم وأصحاب جَهْم في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التَّابعين، فيُرْوىٰ عنهم فيها أثر منصوص مُسَمًّىٰ، ولو كانوا بين أظهرهم مُظهرين آراءهم لَقُتِلُوا، كما قتلَ عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الزَّنادقة التي ظهرت في عَصْرِهِ، ولَقُتلوا كما قُتل أَهْلُ الرِّدَّة.

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٧٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٠).

(٣) السُّنَّة لعبد الله بن الإمام أحمد (ص٢٤٥ – رقم ٥١٩).

(٤) الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والدِّيانة (ص٢١٢، ٢١٣).

(٥) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص١٧٦، ١٧٧).

ألا ترىٰ أنَّ الجَعْدَ بنَ دِرْهَم أَظْهَرَ بعض رأيه في زمن خالد القَسْرِيِّ، فَزَعَمَ أنَّ الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكَلِّمْ موسىٰ تكليمًا، فذبحه خالد بواسط يوم الأضحىٰ علىٰ رُءُوس من حضره من المسلمين، لم يَعِبْهُ به عائب، ولم يطعن عليه طاعن، بل استحسنوا ذلك من فعله وصَوَّبوه.

وكذلك لو ظهر هؤلاء في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التَّابعين ما كان سبيلهم عند القوم إلا القتل، كسبيل أهل الزندقة».

وإنَّما كفَّر السلف من أنكر صفات الله عَزَّوَجَلَّ لأنَّه مكذب للقرآن والسُّنَّة، وليس بمؤمن من ردَّ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ.

قال أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّةَ العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**(١): «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يغضب ويرضىٰ، ويُحِبُّ ويكره، والجهمي يدفع هذه الصفات كلها، وينكرها، ويرد نصَّ التنزيل، وصحيح السُّنَّة، ويزعم أنَّ الله تعالىٰ لا يغضب، ولا يرضىٰ، ولا يُحِبُّ ولا يكره، وإنَّما يريد بدفع الصِّفات وإنكارها جحد الموصوف بها».

حقيقة مذهب الجهمية نفاة صفات الله عَزَّوَجَلَّ نفي ألوهية الله؛ فإنَّ ما لا صفة له هو العدم.

حقيقة قول الجهمية نفاة الصفات الإلهية؛ إبطال ألوهية الله عَزَّوَجَلَّ، وإبطال تأله الخلق له، فإنَّ الناس يتوجهون بقلوبهم ويدعون بألسنتهم ويصمدون بجوارحهم لمن يعلمونه سميعًا بصيرًا قديرًا مجيب الدعاء.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٤١٠).

فالرب إله بكمال صفاته وأفعاله وأمره وخلقه، فالمؤمنون هم من آمن بالله بكل صفاته، فعبدوه وحده لتفرده بهذا الكمال.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «نظرت في كلام اليهود والنصارىٰ والمجوس، فما رأيت قومًا أضلَّ في كفرهم منهم - الجهمية -، وإني لأَسْتَجْهِلُ مَنْ لا يُكفِّرهم، إلا من لا يعرف كُفْرهم».

وتكفير السلف للجهمية والمعتزلة معلوم؛ لأسباب منها نهيهم عن اتباع القرآن وعدم التصديق لأخباره.

قال بشر المريسي[(٢)]: «إذا احتجُّوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب».

وقال عَمْرُو بن عُبَيْد المعتزلي، وذَكَرَ حديث الصادق المَصْدُوق، فقال[(٣)]: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذَّبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قَبِلْتهُ، ولو سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذا لرَدَدْته، ولو سمعت الله تعالىٰ يقول هذا لقلتُ له: ليس علىٰ هذا أخذت ميثاقنا!».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «الجهمية فإنَّها لا توجب بل لا تجوِّز اتباع القرآن في باب صفات الله كما يصرحون به؛ كالرازي ونحوه من المعتزلة وغيرهم، فضلًا عن أن يتبعوا السنن أو إجماع السلف، فالجهمية أعظم قدحًا في

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٢٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١٧، ٢١٨)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٨).

(٣) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٢٩).

(٤) الرَّدُّ علىٰ الطوائف الملحدة، مطبوع ضمن الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٥٢٧).

القرآن وفي السنن وفي إجماع الصحابة والتَّابعين من سائر أهل الأهواء».

قال سعيد بن عامر الضُّبعي، أبو محمد البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):«الجهمية شَرٌّ قولًا من اليهود والنصارىٰ، قد اجتمعت اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان: أنَّ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ العرش، وقالوا هم: ليس علىٰ العرش شيء».

نفت الجهمية صفات الله عَزَّوَجَلَّ، قالوا: إنَّ كل ما قامت به الصفات والأفعال فهو حادث، وهذا ممتنع في حق الله عَزَّوَجَلَّ، هكذا زعموا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فلما أظهروا هذا القول شاع في الأمة إنكار ذلك، وقالوا: هذا تعطيل للخالق، وجحود لصفاته وكلامه وأفعاله ولذاته، فظهر عن الأئمة والسلف النكير والتكفير للجهمية».

هذه قواعد الباطل التي أسس عليها الجهمية ضلالهم، وزلزلوا بها عقائد المسلمين.

أمَّا السلف فوصفوا الله بما وصف به نفسه؛ فآمنوا بالوحي، ولم يكفروا به، وأيقنوا أنَّ صفات الله قائمة به، وأفعاله من صفاته، أمَّا المخلوقات التي خلقها الله وأوجدها بإرادته ومشيئته وتكوينه وقدرته؛ فهي مفعولات مخلوقات لله بائنة منه، ليست صفات قائمة به، وتضاف المخلوقات إلىٰ الله إضافة خلق وإيجاد.

الله عَزَّوَجَلَّ بائن من خلقه، صفاته قائمة به، ومفعولاته بائنة منه.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «فعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخَلْقِ».

الجهمية والمعتزلة ينفون الصفات الإلهية كلها، وكذلك الأشاعرة الفلاسفة،

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ١٧).

(٢) الصَّفدية (٢/ ٥٤).

(٣) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٠٠).

ومعتزلة الأشاعرة ينفون الصفات الخبرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قول معتزلة الأشعرية النافين للصفات الخبرية ولغيرها، وقول متفلسفة الأشعرية نفاة الصفات مطلقًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ بعض معتزلة الصفاتية الذين يثبتون الصفات السبعة، وينفون الصفات الخبرية؛ يزعمون أنَّ هذا تشبيه ممتنع».

الأشاعرة وافقوا الجعد بن درهم فيما أحدثه من إفساد عقيدة التوحيد، حيث نفوا صفة المحبة والكلام لله عَزَّوَجَلَّ.

والمقصود من هذا الشرح؛ أنْ يعرف المسلم أنَّ الأشاعرة من فروع الجهمية، وأنَّ بدعة نفيهم لصفات الله رب العالمين؛ هي من شعب الجهمية النفاة.

النفاة المعطِّلة للصفات الإلهية أنواع؛ فالجهمية والمعتزلة تعطيلهم كلي، وفروعهم مختلفون ومتناقضون؛ فمنهم من يثبت الصفات الذاتية، وينكر الصفات الفعلية، ومنهم من يثبت سبع صفات فقط، ومنهم من يثبت أكثر من ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الجهمية علىٰ ثلاث درجات: فشرُّها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سمَّوه بشيء من أسمائه الحسنىٰ قالوا: هو مجاز، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلِّم ولا يتكلَّم».

وقال شيخ الإسلام[(٤)]: «الدرجة الثانية من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم،

---

(١) الصَّفدية (١/ ٢٨٥).

(٢) الصفدية (٢/ ١٥).

(٣) الرَّدُّ علىٰ الطوائف الملحدة، مطبوع ضمن الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٣٧٠).

(٤) الرَّدُّ علىٰ الطوائف الملحدة، مطبوع ضمن الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٣٧٢).

الذين يقرون بأسماء الله الحسنىٰ في الجملة، لكن ينفون صفاته.

وهم أيضًا لا يقرون بأسماء الله الحسنىٰ كلها علىٰ الحقيقة، بل يجعلون كثيرًا منها علىٰ المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.

وأما الدرجة الثالثة: فهم الصفاتية المثبتون، المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية أو غير الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها».

تغلظ كفر الجهمية يرجع إلىٰ تغلظ جهلهم وقولهم علىٰ الله بغير علم؛ فقد عمدوا إلىٰ خصائص ربوبية الله وألوهيته فأبطلوها بنفي صفات كماله بزعمهم أنَّ ذلك ممتنع وصف الله به!!

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

كفرت الجهمية بالوحي من القرآن والسُّنَّة في الأخبار الواردة في الصفات الإلهية، فكذبوا بالوحي ولم يؤمنوا به لمعقولاتهم الضالة، حيث زعموا أنَّه لو قامت بالله عَزَّوَجَلَّ الصفات لقامت به الأعراض، وقيام الأعراض به يستلزم كونه جسمًا!!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قد دلَّ الدليل علىٰ قيام الصفات به، فلا يجوز نفيها عنه بتسميتها أعراضًا، فإن أردتم بالأعراض الصفات فإثبات الصفات حق، وإن أردتم به ما هو من خصائص المخلوقين فلا يلزم ذلك من إثباتها للرب تبارك وتعالىٰ».

دلالة الوحي علىٰ ثبوت كمال الله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وصفاته؛ جاء بها الخبر من الوحي، والخبر إذا جاء من الله عَزَّوَجَلَّ وجب قبوله، والتصديق به، والإيمان به؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٣٣).

أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

وأيُّ شر أعظم من الذي أوقعه الجهمية في دين الإسلام؛ فإنَّ تكذيبهم لنصوص الوحي الواردة في الأخبار عن صفات رب العالمين؛ داعية لكل ضال زاغ فهمه لبعض أو أكثر نصوص الوحي أن يُكذِّب بها، فهم دعاة كفر بنصوص الوحي، هذا منهج الكافرين الذي فارقوا به المؤمنين الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٥٦هـ)**[1]: «﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١]، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فمن ردَّ بعض السنن مما نقله أهل العلم؛ فيلزمه أنْ يَرُدَّ باقي السنن حتىٰ يتخلىٰ من السنن والكتاب وأمر الإسلام أجمع».

فالذي يكفر ببعض القرآن كافر، فالجهمية كفروا بكثير من نصوص القرآن في الصفات الإلهية، فلا ريب في كفرهم.

القرآن كله محكم، سواء ما كان من نصوص الأحكام أو نصوص التوحيد، قال تعالىٰ ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[2]: «قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فكان مما بيَّنه لأمته في هذه الآيات: أنَّه أعلمهم في غير حديث: «**أنكم ترون ربكم تعالىٰ**»، روىٰ عنه جماعة من صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقبلها عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ١٧٠).

(٢) الشريعة (ص٢٣٢، ٢٣٣).

والحج والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الإخبار: أنَّ المؤمنين يرون الله تعالىٰ، لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من ردَّ هذه الأخبار فقد كفر».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤].

❁ الشَّرح:

صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ دلَّ علىٰ ثبوتها القرآن والسُّنَّةُ والإجماع.

فالله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ عبادَه المؤمنين لتوحيدهم وعبوديتهم له، ويُحبُّهُ عباده المؤمنون لكماله إجلالًا وتعظيمًا وتألُّهًا، قال تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فهذه الآيات دالة علىٰ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالمحبة، ومن كذَّب ما وصف الله به نفسه فهو جهمي.

فالمؤمنون يؤمنون بما وصف الله به نفسه، ويثبتون صفات الله عَزَّوَجَلَّ بما يليق بعظمته من غير تمثيل لها بصفات المخلوقين.

والنصوص من السُّنَّة في إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ كثيرة، منها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسول الله ﷺ بعث رجلًا علىٰ سريَّةٍ، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيء يَصْنَعُ ذلك**»، فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرَّحمن، فأنا أُحِبُّ أنْ أقرأ بها، قال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يُحبُّهُ**»، رواه البخاري ومسلم.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله؛ أحب**

الله لقاءه، ومن كَرِهَ لقاء الله؛ كَرِه الله لقاءه» متفق عليه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحبَّ الله عبدًا دعا جبريل، فقال: إنِّي أُحِبُّ فلانًا فأحبَّهُ، فيُحبُّهُ جبريل، ثم يُنادي في السماء: إنَّ الله يُحِبُّ فلانًا فأحبُّوهُ، فيُحِبُّه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض».

فهذه الأحاديث وغيرها كثير؛ دالة على ثبوت صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

وإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ؛ هذا تصديق للوحي وإيمان به، وهو من تعظيم الله وتوحيده بإثبات صفات كماله.

وإثبات ما وصف الله به نفسه من المحبة ليس فيه محذور تشبيه الله عَزَّوَجَلَّ بالمخلوقين؛ فإنَّ محبة الله مضافة إليه تليق بعظمته، لا يماثلها شيء.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بيقين إيمانهم بصدق الوحي، وزكاء نفوسهم، وقوة عقولهم، وحسن فطرتهم، آمنوا بصفات الله رب العالمين، ومن جملتها صفة المحبة.

والإجماع من المسلمين على إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ معلوم.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قد صحَّ وتقرَّر واتضح عند جميع أهل الديانة والسُّنَّة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا: أنَّ جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صحَّحها أهل النقل، وقبلها النقاد الأثبات؛ يجب على المرء المسلم المؤمن الموقن الإيمان بكل واحد منه كما ورد».

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٧١).

ثم قال(١): «كالإرادة، والرضا، والغضب، والمحبة، والكراهة».

وقال حرب بن إسماعيل الكِرْمَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بها، المقتدىٰ بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن سبيل السُّنَّة، ومنهج الحق، وهو مذهب: أحمد، وإسحاق بن إبراهيم، وبَقِيِّ بن مَخْلَد، وعبد الله بن الزبير الحُمَيْدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم».

ثم قال حرب الكرماني(٣): «وهو سبحانه بائن من خلقه،...، يفرح ويحب، ويكره ويبغض، ويسخط ويغضب».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «الذي جاء به الكتاب والسُّنَّةُ **واتفق عليه سلف الأُمَّة** وعليه مشايخ المعرفة وعموم المسلمين:

أنَّ الله يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما نطق بذلك الكتاب والسُّنَّة في مثل قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، بل لا شيء يستحق أنْ يُحبَّ لذاته محبةً مطلقة إلا الله وحده، وهذا من معنىٰ كونه معبودًا».

المحبة بيانها لَفْظُها؛ فمعناها في لَفْظِها أشدُّ وضوحًا من تفسيرها بغيره من الألفاظ، فأمروها كما جاءت هكذا قال سلفنا.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٧١).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٢٢١).

(٣) شرح الأصبهانية (ص٢٢١).

(٤) النبوات (١/ ٣٣٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا تُحَدُّ المحبة بحَدٍّ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجَفاءً، فحَدُّها وجودها، ولا تُوصف المحبة بوصف أظهر من المحبة».

نؤمن بصفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الحقيقة بما يليق بعظمته وجلاله.

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٠هـ)**[(٢)]: «نُثْبِتُ حقائقها علىٰ ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفىٰ ذلك عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]».

إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ هو من الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ، وهذا لا يستلزم تشبيه الله بالمخلوقين، وقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾؛ فيه تحذير من أنْ يقع في قلبك تشبيه الخالق بالمخلوق، فلا تتوهم في صفة من صفات الله تبارك وتعالىٰ أنَّها كصفات المخلوقين؛ فتقع في التمثيل أولًا، وفي تحريف معانيها بعد ذلك.

املأ قلبك من تعظيم الله بالإيمان بصفاته، فإنَّ الله يَتَمَدَّح نفسه بذكرها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**[(٣)]: «حَاشَ لله أن يكون من وصف الله جلَّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو علىٰ لسانه نبيه المصطفىٰ ﷺ؛ مُشَبِّهًا خالقه بخلقه».

لا أحد يستحق أن يُحبَّ لذاته إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٠).

(٢) التبصير في معالم الدين (ص١٤٠).

(٣) التوحيد (١/ ٦٤).

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «محبته لما هو له أهل، وهذا حُبُّ من عرف من الله ما يستحق أن يُحبَّ لأجله، وما من وجه من الوجوه التي يُعرف الله بها مما دلَّت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه، حتىٰ جميع مفعولاته، إذ كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل؛ ولهذا استحق أن يكون محمودًا علىٰ كل حال، ويستحق أن يُحمد علىٰ السراء والضراء، وهذا أعلىٰ وأكمل».

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المحبة مع الخضوع هي العبودية التي خُلق الخَلْقُ لأَجْلِها، فإنَّها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه، والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولا يَقْبَل لصاحبه عملًا.

وحَمْدُه يتضمَّن أصلين: الإخبار بمحامده وصفات كماله، والمحبة له عليها، فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له؛ لم يكن حامدًا، ومن أَحَبَّه من غير إخبار بمحاسنه لم يَكُن حامدًا، حتىٰ يجمع الأمرين».

توحيد الله عَزَّوَجَلَّ بعبوديته لا يتمُّ إلا بمحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وخوفه ورجائه؛ قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٨٥).

(٢) الفوائد (ص٢٦٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد؛ أي: مذلل. والتعبُّد التذلُّل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له؛ لم تكن عابدًا له حتىٰ تكون محبًّا خاضعًا، ومن هاهنا كان المنكرون محبة العباد لربهم؛ منكرين حقيقة العبودية، ومنكرين لكونه محبوبًا لهم، بل هو غاية مطلوبهم، ووجهه الأعلىٰ نهاية بغيتهم، منكرين لكونه إلهًا، وإنْ أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم، فهذا غاية توحيدهم، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به عن الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]».

يتفاضل الناس في مراتب محبَّة الله عَزَّوَجَلَّ، بحسب ما يأتون من أسباب ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الناس في حب الله يتفاضلون ما بين أفضل الخَلْق محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلىٰ أدنىٰ الناس درجة، مثل من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من إيمان، وما بين هذين الحَدَّين من الدرجات لا يحصيه إلا ربُّ الأرض والسموات».

والخلَّة: هي كمال المحبة من العبد لله، المستلزمة لكمال العبودية له وحده لا شريك له، تَحقَّق بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال النبي ﷺ: «**إنَّ الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**» رواه البخاري ومسلم.

(١) مدارج السالكين (١/ ٦١)، ط: دار البشير.

(٢) شرح حديث جبريل (ص٦٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ محمدًا سيد الجميع، وهو خليل الله، كما أنَّ إبراهيم خليله، والخليلان هما أفضل الجميع».

محبة الله عَزَّوَجَلَّ منَّة إلهية، فطر الله عباده علىٰ الحنيفية، وأودع محبته في قلوبهم، وتعرَّف إليهم بربوبيته وأسمائه وصفاته، وهداهم بوحيه إلىٰ صفة عبادته، فعبدوه بما شرع فأحبهم الله.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «تبارك الذي أودع محبته في قلوب عباده المتقين، ثم لم يزل ينمِّيها ويُقوِّيها حتىٰ وصلت إلىٰ حالة تتضاءل عندها المحاب، وتُسلِّيهم عن المألوفات، وتُهوِّن عليهم المصيبات، وتلذذ لهم مشقَّة الطاعات، وتثمر لهم ما يشاؤون من أصناف الكرامات، التي أعلاها حصول محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه؛ محبة قبلها صار بها محبًّا لربه، ومحبة بعدها شكرًا من الله له علىٰ محبته، صار بها من أصفيائه المخلصين».

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «من كان مُحِبًّا لله؛ لَزِم أنْ يتبع الرسول ﷺ؛ فيُصدِّقه فيما أَخْبَر، ويطيعه فيما أَمَر، ويتأسَّىٰ به فيما فَعَل، ومن فَعَل هذا فقد فَعَل ما يحبه الله؛ فيحبه الله».

---

(١) النبوات (١/ ٢١١).

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص١٠٩).

(٣) العبودية (ص٩٤، ٩٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ اتباع رسوله ﷺ هو من أعظم ما أوجبه الله تعالىٰ علىٰ عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم شيء بغضًا لمن لم يتبع رسوله ﷺ، فمن كان صادقًا في دعوىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ اتَّبع رسوله ﷺ لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

وقال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أعظم سبب يكتسب به العبد محبة الله التي هي أعظم المطالب؛ الإكثار من ذكره، وكثرة الإنابة إليه، وكثرة التقرُّب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق متابعة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا».

المحبة تنقسم إلىٰ: محبة شرعية، وهي حُبُّ الله عَزَّوَجَلَّ وحده تألُّهًا، وحُبُّ ما يحبه، وحُبُّ أوليائه.

ومحبة شِرْك وبدعة ومعصية: وهي محبة غير الله، ومحبة ما يكرهه الله.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «محبة الله: وهي روح التوحيد، وأصل العبادات والتَّقَرُّبات كلها.

ومحبةٌ في الله: وهي محبة ما يحبه الله من أنبيائه وأوليائه وأعماله المُقرِّبة إلىٰ الله، وهذه من تمام محبة الله، وبحسب قوة محبة الله تقوىٰ هذه المحبة.

ولهذا ورد في الدعاء المشهور: «اللهم إنِّي أسألُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ من يُحِبُّكَ، وحُبَّ العمل الذي يُقرِّب إلىٰ حُبِّكَ».

والثالث: المحبة مع الله: وهي محبةُ المشركين لآلهتهم مع الله محبة عبودية، وهذه منافية للتوحيد من كل وجه.

---

(١) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٥٨).

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص١٠٩).

(٣) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص٢٠٢).

وثمَّ محبة طبيعية لا تُحمد ولا تُذم إلا لآثارها؛ كمحبة الطعام والشراب، ومحبة الأليف والوطن ونحو ذلك».

إنكار محبة الله عَزَّوَجَلَّ هو أول ما وقع في هذه الأمة من النفي للصفات الإلهية؛ فإنَّ الجعد بن درهم أول من ابتدع القول بنفي صفة الكلام والمحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

الجعد نفىٰ صفتي المحبة والكلام صراحة، وهذا قول الجهمية الغلاة، والمعتزلة من بعدهم وفروعهم من الأشاعرة حرَّفوا هاتين الصفتين إلىٰ مجازات هي في حقيقتها نفي لصفة الكلام والمحبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كانوا أول ما أظهروا بدعتهم قالوا: إنَّ الله لا يتكلم ولا يُكلِّم، كما حُكي عن الجعد، وهذا حقيقة قولهم، فكل من قال: «القرآن مخلوق»؛ فحقيقة قوله أنَّ الله لم يتكلم ولا يُكلِّم، ولا يأمر ولا ينهىٰ، ولا يُحِب. فلما رأوا ما في ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا: إنَّه يتكلم مجازًا، يخلق شيئًا يُعبِّر عنه، لا أنَّه في نفسه يتكلَّم. فلما شنَّع المسلمون عليهم قالوا: يتكلَّم حقيقة، ولكن المتكلِّم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره، فكل من أحدث كلامًا ولو في غيره كان متكلمًا بذلك الكلام حقيقة، وقالوا: المتكلِّم من فعل الكلام، لا من قام به الكلام. وهذا الذي استقر عليه قول المعتزلة».

وقال شيخ الإسلام[(٢)]: «لما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون: إنَّ الله تعالىٰ لا يتكلم، أو يتكلم مجازًا، لكن المعتزلة امتنعت من هذا الإطلاق، وقالوا: إنَّه متكلِّم، أو يتكلَّم حقيقة. لكنَّهم فسروا ذلك بأنّه خلق كلامًا في غيره،

---

(١) شرح الأصبهانية (ص٤٧٩).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٦٢٤).

فلم ينازعوا قدماء الجهمية في حقيقة المذهب، وإنَّما نازعوهم في اللفظ».

صفات الله عَزَّوَجَلَّ كلها قائمة به، ومنها المحبة، فالله موصوف بها، وليس هو شيئًا يخلقه الله في غيره من الإحسان والثواب.

وإحسان الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ خلقه هو مما يحبه الله، أما المخلوقات فهي بائنة من الله وهي مفعولاته، فالفعل صفة لله عَزَّوَجَلَّ ليس هو المفعول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من قال: إنَّ المتكلم هو الذي يكون كلامه منفصلًا عنه، والمريد والمحب والمبغض والراضي والساخط؛ ما تكون إرادته ومحبته وبغضه ورضاه وسخطه بائنًا عنه لا يقوم به بحال من الأحوال، قال ما لا يعقل، ولم يُفَهِّم الرسل للناس هذا، بل كل من سمع ما بلَّغته الرسل عن الله؛ يعلم بالضرورة أنَّ الرسل لم ترد بكلام الله ما هو منفصل عن الله، وكذلك لم يرد بإرادته ومحبته ورضاه ونحو ذلك ما هو منفصل عنه، بل ما هو متصف به».

فالله عَزَّوَجَلَّ تقوم به الصفات الفعلية ومنها المحبة، وما يخلقه من الثواب بائن منه ليس هو الخلق وليس هو صفة المحبة؛ فالمفعول ليس هو الفعل، فهناك فرق بين الصفة الفعلية الإلهية والمخلوق[(٢)].

ويلزم الجهمية نفاة صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ أو محرِّفيها إلىٰ معنىٰ الإرادة فيما تأولوه؛ نظير ما يلزمهم فيما نفوه، فالإرادة هي ميل النفس إلىٰ جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، والله منزه عن ذلك. فإن قالوا: هذه إرادة الإنسان، وإرادة الله تليق به بخلاف ذلك، قيل: كذلك محبة الله عَزَّوَجَلَّ تليق بعظمته بخلاف محبة

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ٣٧٦).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٤٣٩).

المخلوق(١).

الجعد بن درهم نفىٰ صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ صراحة، والجهمية من بعده تأولوها علىٰ معنىٰ الإرادة والإحسان.

الإجماع عن السابقين الأولين في الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من المحبة؛ معلوم متيقن، فكلهم آمنوا بالوحي، وإنَّما كفر بذلك الجعد بن درهم وأتباعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، وبإجماع سلف الأمة - قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم -؛ أنَّ الله يُحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يُحِب الكفر والفسوق والعصيان».

الأشعري جعل محبة الله عَزَّوَجَلَّ هي المشيئة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «حقيقة هذا القول أنَّ الله يُحبُّ الكفر، والفسوق، والعصيان، ويرضاه.

وهذا هو المشهور من قول الأشعري وأصحابه، وقد ذكر أبو المعالي أنَّه أول من قال ذلك».

وهذا مما قال به أبو إسماعيل الهروي الأنصاري، وأبو حامد الغزالي، وأبو بكر ابن العربي(٤)، وهو قول باطل بلا ريب.

مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ التي هي إرادته القدرية ليست هي محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولا ريب أنَّ الله خلق كل شيء بمشيئته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،

---

(١) شرح الأصبهانية (ص٤٣٩).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٤٢).

(٣) النبوات (١/ ٢٨٧).

(٤) النبوات (١/ ٢٨٦).

وأنّه لا يحبُّ الكفر والفسوق والعصيان، بل يحب ما أمر به[١].

والله خلق ما خلق لحكمة يحبُّها ويرضاها، وخلق ما خلقه من الشر لحكمة، وهو شر نسبي[٢].

والله موصوف بالإرادة والمحبة، ولا نؤمن بصفة ونُكذِّب بأخرىٰ، بل نؤمن بكل صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ لفظ «الإرادة» مجمل له معنيان: فيقصد به المشيئة لما خلقه، ويُقصد به المحبةُ والرضا لما أمر به».

فالواجب علىٰ المسلم أن يؤمن بصفات الله ويوقن بصفاته الفعلية، ويوقن أنَّ مخلوقاته ومفعولاته بائنة منه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق يكون فيما يحبه وما لا يحبه، أما أمره فلا يكون إلا فيما يُحبُّه.

ويجب علىٰ المسلم ملاحظة ما بين الحكم القدري والشرعي من التلازم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

أنكرت الجهمية صفات المحبة والفرح والغضب والسخط لله عَزَّوَجَلَّ بزعمهم أنَّ هذه انفعالات لا تليق بالله، وزعموا امتناع تأثير المخلوق في الخالق[٤].

---

(١) جامع المسائل، المجموعة السابعة (ص٣٨٧).

(٢) جامع المسائل، المجموعة السابعة (ص٣٨٩).

(٣) جامع المسائل، المجموعة السابعة (ص ٣٣).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٥٤٠).

وهذا جهل منهم بالله عَزَّوَجَلَّ وتكذيب للوحي؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُخبر عن نفسه إلا بحق وصدق، وليس فيما وصف به نفسه ما يستلزم نقصًا؛ فإنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ كلها كمال.

والله عَزَّوَجَلَّ هو خالق الأسباب التي ترضيه وتغضبه وتسخطه وتفرحه، والأشياء التي يحبها ويكرهها سبحانه.

ولا أحد يعطي الله كمالًا لم يكن له، والاعتقادات والأعمال التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ أو يسخطها؛ لا يُقال فيما أثبته الله لنفسه: إنَّ هذا ممتنع في حقه، فالممتنع في حقه ما نفاه الله عن نفسه لا ما أثبته لنفسه.

محبة الله عَزَّوَجَلَّ وموالاته لأوليائه صفة كمال يتحقق بها تفرد الله بالربوبية والألوهية، ويتحقَّق بها المخلوق بالعبودية لله رب العالمين.

فتكذيب الجهمية بصفة المحبة بزعمهم أنَّه انفعال يمتنع علىٰ الله؛ جهل منهم بالله؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلق عباده حنفاء علىٰ الفطرة، وهو الذي ابتدأ هداية خلقه فحبَّب إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وهو الذي أحب أولياءه إذا أحبوه وعبدوه بما شرع ووالوه.

الله عَزَّوَجَلَّ يُحب عباده المؤمنين وأولياءه المتقين لا عن حاجة، فهو الغني عنهم، وهم الفقراء إليه، يُحبونه لتفرده بالكمال، الذي من جملته حُبُّه لمن عبده وأطاعه، هداهم وقرَّبهم فأحبهم.

فحب الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين حق جعله الله لهم؛ لقيامهم بحق عبوديته محبةً ورغبةً ورهبةً(١).

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٥٤١).

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: حقَّت محبتي للمتحابين في**» رواه أحمد.

الذين نفوا المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ قالوا: إنَّ المحبة تقتضي المناسبة، والمناسبة منتفية بين الرَّب والمربوب(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إنْ أردتم بالمناسبة أنْ يكون المحبوب متصفًا بمعنًىٰ يُحبُّه المحِبُّ، فهذا لازم المحبَّة، والربُّ متَّصِفٌ بكل صفة تُحَبُّ، وكلُّ ما يُحبُّ فإنَّما هو منه، فهو أحق بالمحبَّة من كلِّ محبوب.

وإذا كان الإنسان يُحِبُّ الملائكة، وهم من غير جنسه، لما اتصفوا به من الصفات الحميدة، فالسُّبُّوح القُدُّوس ربُّ الملائكة والروح الذي كل ما اتَّصفت به الملائكة وغيرهم؛ فهو من جوده وإحسانه».

المحبة لا تستلزم المناسبة بين المتحابين بكل حال، قال النبي ﷺ: «**أحد جبل يُحبنا ونحبه**»، رواه مسلم من حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وبين الجبل والإنسان من التباين في الصفات ما هو معلوم.

الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالمحبة، فهو يحب عباده وأولياءه، وعباده وأولياؤه يحبونه، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «جعل محبتهم لله عَزَّوَجَلَّ موجبة لمتابعة رسوله ﷺ، وجعل متابعة رسوله ﷺ موجبة لمحبة الله لهم».

(١) النبوات (١/ ٣٥١).

(٢) النبوات (١/ ٣٥٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٧٧).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الله تعالىٰ يُحَب ويُحِب، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، فهو المستحق أنْ يكون له كمال المحبة دون ما سواه، وهو سبحانه يُحِب ما أمر به، ويُحِب عباده المؤمنين، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها، وقول أئمة شيوخ المعرفة.

والقول الثاني: أنَّه يستحق أن يُحب، لكنه لا يُحِب إلا بمعنىٰ أنه يريد، وهذا قول كثير من المتكلمين، ومن وافقهم من الصوفية.

الثالث: أنَّه لا يُحَب ولا يُحِب، وإنَّما محبة العباد له إرادتهم طاعته، وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام والرازي».

إنكار محبة الله عَزَّوَجَلَّ إبطالٌ للدِّين، وتعطيل لعبودية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ محبة الله هي الباعث لعبوديته وطاعته، وهي الموجبة لإيثار مراضيه علىٰ معاصيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الإله: هو الذي يَأْلَهُه القلب بكمال الحب، والتعظيم، والإجلال، والإكرام، والخوف، والرجاء».

وقال شيخ الإسلام(٣): «جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن

---

(١) شرح الأصبهانية (ص٣٩).

(٢) العبودية (ص٥٣).

(٣) التُّحْفَة العراقية في الأعمال القلبية (ص٣٧٣).

محبة الله تعالىٰ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإنَّ العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة، مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ ما شرعه سبحانه وأمرَ به؛ يحبه ويرضاه، وما نهىٰ عنه فإنَّه يكرهه ويُبْغِضه؛ لمنافاته لما يحبه ويرضاه، فهو يحبُّ ضدَّه، فعاد دينه الأمري كله إلىٰ محبته ورضاه.

ودين العبد لله إنَّما يُقبل إذا كان عن محبة ورضًا، كما قال النبي ﷺ: «**ذاق طَعْمَ الإيمان؛ من رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا**»، فهذا الدين قائم بالمحبة، وبسببها شُرع، ولأَجْلِها شُرع، وعليها أُسِّسَ».

شرائع الإسلام كلها تفصيل لكلمة التوحيد، والله عَزَّوَجَلَّ شرع ما يحبه من الاعتقادات والأقوال والأعمال، فمن أنكر محبة الله فقد أنكر شرعه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ الشرائع مبناها علىٰ شهادة أنْ لا إله إلا الله، والإله هو المستحق لكمال الحب، بكمال التعظيم والإجلال والذل له والخضوع له؛ فإنكار المحبة إنكار لنفس الإلهية».

تكذيب الجهمية بصفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ دال علىٰ جهلهم بالله، ودال علىٰ

---

(١) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٥٤).

(٢) الجواب الكافي (ص٤٧٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٣٥، ١٤٣٦).

مقت الله لهم وسخطه عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من لوازم محبة الله معرفته تعالىٰ والإكثار من ذكره؛ فإنَّ المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدًّا، بل غير موجودة، وإنْ وُجدت دعواها».

المؤمنون الموحِّدون أثبتوا صفة المحبَّة للودود تصديقًا بالوحي، وإيمانًا بالقرآن والسُّنَّة، وهم قد أحسوا بذلك وأدركوه في الدنيا، وقرَّت أعينهم بالله في ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الذوق هو الإدراك، وكذلك في لذَّات قلبه يُحِبُّ الله، فإنَّه إذا ذكره، وصلَّىٰ له؛ وجد حلاوة ذلك، كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ قُرَّة عيني في الصلاة**»».

ومعرفة المؤمن بثبوت صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ من أسباب تألهه لله عَزَّوَجَلَّ بما يحبه، وإذا فعل المؤمن ذلك كان خيرًا له، أحبه الله وتزكىٰ بعبادة الله بما شرع، وازداد إيمانًا وهداية ومحبة لله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

صلاح الخلق في محبتهم لله عَزَّوَجَلَّ، والتأله له بما يحبه مما شرع من العبادات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «في قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٤٨).

(٢) النبوات (٢/ ٣٧٣).

(٣) جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٣٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ صلاح النفس في محبَّة المعلوم المعبود، وهي عبادته».

التأله لله عَزَّوَجَلَّ بما يحبه؛ من أسباب تحقيق التوحيد وزكاء الموحدين ومجتمعاتهم وظهور العدل فيهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في عبادة الخالق ومعاملة الخلق».

فالحاصل أنَّ فعل ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ؛ سبب تقوىٰ الخلق وصلاحهم؛ فإنَّ الله لا يأمر إلا بما هو خير وعدل.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

أصل التوحيد الذي يقوم عليه بنيانه هو حُبُّ الله عَزَّوَجَلَّ بموالاته.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالىٰ من يواليه الله، وعادىٰ من يعاديه، لا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوَّتها وضعفها؛ فإنَّ المحبة توجب الدنو من المحبوب ومحابِّه، والبعد عن مكروهاته، ومتىٰ كان مع المحبة نبذ ما يبغضه المحبوب فإنَّها تكون تامة.

---

(١) النبوات (١/ ٤٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص١٥١).

(٣) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٧٥).

وأما موادة عدوه فإنّها تنافي المحبة».

محبة الله عَزَّوَجَلَّ أصلها وأساسها هو موالاة الله وطاعته وموافقته، وهذه حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم، فالمؤمن يُجرِّد المحبة خالصة لله عَزَّوَجَلَّ ويعبده وحده ويؤمن بالله وحده ربًّا، ويبغض ويكفر بكل ما سوىٰ الله من الأرباب الباطلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب. وهذا لأنَّ حقيقة التوحيد أنْ لا تحب إلا الله؛ وتحب ما يحبه الله لله، فلا تحب إلا لله، ولا تبغض إلا لله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «المتولي من الولاية، وأصله المحبة والموافقة، كما أنَّ العداوة أصلها البغض والمخالفة.

فالمتولون له هم الذين يُحبون ما يحبه الشيطان ويوافقه، فهم مشركون به حيث أطاعوه وعبدوه بامتثال أمره، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١]».

الحب من الأعمال القلبية، يستلزم الحب لله عَزَّوَجَلَّ طاعته والانقياد له، واتباع ما يحب الإنسان من هواه هو من التأله لغير الله واتباع الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

الشرك مضاد للتوحيد، وكل ما يأتيه الإنسان مما يبغضه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهو من

---

(١) شرح كلمات من «فتوح الغيب»، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٨٤).

(٢) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٦٣، ٢٦٤).

شعب الشرك وفروعه، فما يأتيه المسلم مما حرَّم الله؛ فهو من هوىٰ النفس الذي قد يكون شركًا أكبر أو أصغر أو معصية.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ كل محبوب لغير الله، ومعظم لغير الله؛ ففيه شوب من العبادة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»».

وقال شيخ الإسلام(٢): «جميع ما نهىٰ الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه، كما أنَّ كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، لكن قد يكون ذلك شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، بحسب ما يقترن به من الإيمان، فمتىٰ اقترن بما نهىٰ الله عنه الإيمان لتحريمه وبغضه وخوف العقاب ورجاء الرحمة لم يكن شركًا أكبر، وأما إن اتخذ الإنسان ما يهواه إلهًا من دون الله وأحبه كحب الله؛ فهذا شرك أكبر، والدرجات في ذلك متفاوتة».

تحقيق التوحيد لا يتم إلا بإخلاص المحبة لله عَزَّوَجَلَّ وعبادته بما شرع.

والمشركون أشركوا الأنداد في محبة الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أخبر أنَّ من الناس من يُشرك بالله، فيتخذ أندادًا يحبونهم كما يحبون الله».

(١) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٨٥).

(٢) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٥٥).

وقال شيخ الإسلام(١): «إنَّ هؤلاء يُشركون بربهم في الحب، عادلون به، جاعلون له أندادًا، وأولئك أخلصوا دينهم لله، فكان حبهم الذي هو أصل دينهم كله لله، وهذا هو الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وأمر بالجهاد عليه».

وغلاة المشركين سووا بين الله والأنداد في المحبة، وهذا الذي أركسهم في النار، وجعلهم ينعون علىٰ أنفسهم بشركهم؛ قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨].

وما يأتيه المؤمن من الذنوب، بسبب غلبات الطبع ونقص الإيمان والغفلة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذه إذا فعلها المسلم مع كراهته لها لا تخرجه من المِلَّةِ، وواجب عليه التوبة منها والإنابة إلىٰ الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا كان أصل الإيمان صحيحًا، وهو التصديق؛ فإنَّ هذه المحرمات يفعلها المؤمن مع كراهته وبغضه لها، فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه؛ فلا بُدَّ أنْ يكون مع فعلها فيه بغض لها، وفيه خوف من عقاب الله عليها، وفيه رجاء لأنْ يخلص من عقابها، إما بتوبة، وإما حسنات، وإمَّا عفو، وإما دون ذلك، وإلا فإذا لم يبغضها، ولم يخف الله فيها، ولم يرج رحمته؛ فهذا لا يكون مؤمنًا بحال، بل هو كافر أو منافق».

وقول شيخ الإسلام: «أصل الإيمان هو التصديق»؛ التصديق في عبارته هو ما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة واصطلاح السلف، وهو التصديق المستلزم للعمل بما صدّق به، وليس هو المعرفة في اصطلاح الجهمية.

(١) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٦٠).
(٢) قاعدة في المحبة، جامع الرسائل، المجموعة الثانية (ص٢٩٠).

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم الذين يجيئون بالقرآن، قد اتَّبعوه»، ذكره البخاريُّ تعليقًا مجزومًا به(١).

❁ ❁ ❁

(١) رواه عبد الرزاق وابن المبارك في الزهد بإسناد صحيح. انظر فتح الباري (٨/ ٦٩٧).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالىٰ في الكفار: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨].

❁ الشَّرح:

الغضب من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وهي صفة كمال، لا تستلزم نقصًا، دلَّ علىٰ ثبوتها القرآن والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، وسخط الله هو غضبه.

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن سخطه وغضبه في الكفر به، ومعصيته، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وهذا من كمال الله عَزَّوَجَلَّ غضبه وعقوبته لمن يستحقُّ ذلك.

فالله عَزَّوَجَلَّ عدل، غضبه لا يجعله يظلم في عقوبته، فهو السلام القدوس المنزَّه عن الظلم، غضبه بحق، وإذا انتقم ممن أتىٰ بأسباب غضبه أخذه بالعقوبة التي تليق بجُرْمه.

وغضب الله عَزَّوَجَلَّ أشدُّ في حق المشركين، وكلما تغلَّظ الكفر اشتدَّ غضب الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ

إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾﴾.

والمقت هو أشد الغضب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المَقْتُ: البُغْضُ الشديد، وهو من جنس الغضب المناسب لحال هؤلاء».

وعن عطاء بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» رواه مالك في «الموطأ»، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وصحَّحه الحافظ ابن عبد البر(٢).

فالغضب صفة فعلية لله عَزَّوَجَلَّ تتعلق بمشيئته، فإنَّ الله العظيم يغضب لكفر الخلق وانتهاك محارمه، ويغضب القوي العزيز الجبار للظلم في حقه وحقوق عباده.

فالواجب علىٰ المسلم عبادة الله بما شرع، وأداء حق الله عَزَّوَجَلَّ وحقوق عباده، ومحاذرة أسباب سخط الله وغضبه، وعقوبة الله عَزَّوَجَلَّ وانتقامه هي من آثار غضبه وسخطه، وليس هو السخط والغضب نفسه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «القرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه علىٰ أعدائه، وذلك صفة قائمة به، يترتب عليها العذاب واللعنة، لا أنَّ السُّخْطَ هو نفس العذاب واللعنة، بل هما أثرُ السُّخْطِ والغضب وموجبها، ولهذا يُفرَّق بينهما، كما قال

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٦/ ٢٩٦).

(٢) التمهيد (٥/ ٤٢).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]، ففرَّق بين عذابه وغضبه ولعنته، وجعل كل واحد غير الآخر».

والأدلة من السُّنَّة علىٰ ثبوت صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ كثيرة، منها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلىٰ فراشها فتأبىٰ عليه؛ إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتىٰ يرضىٰ**».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كتب كتابًا قبل أنْ يخلق الخلق: إنَّ رحمتي سبقت غضبي**».

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين، وهو فيها فاجر ليقتطع بها مالًا؛ لقي الله وهو عليه غضبان**» متفق عليه.

وفي حديث الشفاعة المشهور الذي رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، وتدنو الشمس منهم، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلىٰ ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون إلىٰ من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟**

فيأتون آدم عليه السلام، فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، فيأتون نوحًا، فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلىٰ غيري، فيأتون إبراهيم، فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ غيري،

فيأتون موسىٰ، فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلىٰ غيري، فيأتون عيسىٰ، فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ، فيأتون محمدًا ﷺ، فيقع ساجدًا لله رب العالمين، ويحمده بمحامد لم يفتحها لأحد قبله، فيقول الله له: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشفع».

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعًا أثبتوا صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ، فمن خالف إجماعهم فليس من المؤمنين.

وتوارث علماء المسلمين إجماع النبيين عليهم الصلاة والسلام بالقبول والتصديق.

قال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**(١): «نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر؛ مذهبنا: أنَّا نُثْبت ما أثبته الله لنفسه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونُصَدِّق ذلك بقلوبنا».

وقال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**(٢): «إنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا مذهب العلماء ممَّنِ اتَّبَعَ، ولم يبتدع».

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩هـ)**(٣): «أجمع أهل الإسلام، متقدموهم ومتأخروهم، علىٰ رواية الأحاديث في صفات الله».

---

(١) التوحيد (١/ ٦٢).

(٢) الشريعة (٢/ ١٠٥١).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢١٧).

وقال العلامة أبو العباس ابن سُريج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اتضح عند جميع أهل الديانة والسُّنَّة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتَّابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلىٰ زماننا هذا: أنَّ جميع الآي الواردة عن الله تعالىٰ في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته، التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات؛ يجب علىٰ المرء المسلم المؤمن الموقن الإيمان بكل واحد منه،...، والرضا والغضب».

إثبات حقائق الصفات الخبرية وكل الصفات الإلهية؛ ينفي تفويض معانيها، وهذه عقيدة الطبقة الأولىٰ من السلف.

قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «سبحان من وسع سمعه الأصوات»، فأثبتت أنَّ الله سميع بسمع.

وبعد أنْ قال النبي ﷺ: «**يضحك ربنا**»، قال الصحابي أبو رزين العُقَيْلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لن نُعدم من رب يضحك**»، رواه الطيالسي وأحمد وصححه الألباني.

وبإيمان السلف من الطبقة الأولىٰ ومن تبعهم بإحسان بحقائق ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه عرفوا ربَّهم وتألهوا له وعبدوه بما شرع؛ فقد قال النبيُّ ﷺ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم أضل راحلته في أرض فلاة، عليها طعامه وشرابه حتىٰ يئس منها، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده**» متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالصحابة كلهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ آمنوا بصفة الفرح لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ظاهرها، والعلم بها أورثهم زيادة علم بالله عَزَّوَجَلَّ وبما يُفرحه علىٰ ما يليق بعظمته، وكان لفظ الصفة

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٧١).

الإلهية بيانًا استغنوا بمعناه عن تفسيره بغير لفظه الذي هو في غاية الوضوح.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إذا بَلَغَك عن رسول الله ﷺ حديث فلا تَظُنَّنَّ غيْرَهُ؛ فإنَّ محمدًا ﷺ كان مُبَلِّغًا عن ربِّه».

وقال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ من مضىٰ من الأُمَّة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعرفون له تأويلًا غير ما يُتلىٰ من ظاهره».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ليس في آيات الصفات وأحاديثها مُجْمَل يحتاج إلىٰ بيان من خارج، بل بَيانُها فيها، وإنْ جاءت السُّنَّة بزيادة في البيان والتفصيل».

والقول في صفة الغضب والسخط لله عَزَّوَجَلَّ؛ كالقول في كل الصفات الإلهية، نؤمن بها ونثبتها لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة علىٰ ما يليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال العلامة أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٩هـ)**(٤): «وكذلك يقولون - أهل الحديث - في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلىٰ ما قاله الله تعالىٰ وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٧٨ – رقم ٧٣٤).

(٢) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص٩١).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٢).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٦٥).

ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير».

إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ بما يليق بعظمته؛ هو ثناء على الله بكماله وتنزيه له عن مماثلة المخلوقين، فنُثبت ما أثبته الله لنفسه من صفة السخط والغضب من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّة العُكبري رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**[١]: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يغضب ويرضى، ويُحبُّ ويكره، والجهمي يدفع هذه الصفات كلها، وينكرها، ويرد نصَّ التنزيل، وصحيح السُّنَّة، ويزعم أنَّ الله تعالى لا يغضب، ولا يرضى، ولا يُحبُّ ولا يكره، وإنَّما يريد بدفع الصِّفات وإنكارها جحد الموصوف بها.

والله تعالى قد أكذب الجهمي وأخزاه، وباعده من طريق الهداية وأقصاه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [النور: ٩]، وقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]».

المُعطِّلة نفوا صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ، وفسروها بالإرادة، تنزيهًا لله عن التجسيم بزعمهم، ويلزمهم فيما تأولوه نظير ما نفوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «يُقال لمن وصفه بالإرادة، وقال: لا

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٤١٠).

(٢) شرح الأصبهانية (ص٤٣٨، ٤٣٩).

أصفه بالمحبة والرحمة والرضا والغضب، إلا إذا تأوَّلْتُ ذلك بالإرادة. قال: لأنَّ هذه الصفات تستلزم التجسيم؛ لأنَّ الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، والرحمة رِقَّة تلحق الراحم، والرِّقَّة من صفات الأجسام، ونحو ذلك.

قيل له: وكذلك الإرادة هي ميل النفس إلىٰ جلب ما ينفعها، ودفع ما يضرها، والله منزَّه عن ذلك.

فإن قال: هذه إرادة الإنسان، وإرادة الخالق سبحانه بخلاف ذلك.

قيل له: وكذلك ما ذكرته في الغضب والرحمة ونحو ذلك؛ إنَّما هو في غضب العبد ورحمته ونحو ذلك، وغضب الله ورحمته بخلاف ذلك».

وليحذر المسلم من غضب الله عَزَّوَجَلَّ بتحريف الكلم عن مواضعه، فإنَّه من أعظم الأسباب التي صار بها اليهود مغضوبًا عليهم؛ قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وخاصية بدعة التعطيل متلقاة عن اليهود؛ فإنَّ الجعد بن درهم هو أول من ابتدع هذه البدعة، وكان قد تلقاها عن بيان بن سمعان الذي تلقاها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ.

وغضب الله جعله للظانِّين به ظَنَّ السَّوْء، للممثلين صفات الله بصفات المخلوقين، أو المكذبين لصفات الله لتوهمهم مماثلتها لصفات المخلوقين من سوء ظنهم بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من ظنَّ به خلاف ما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، أو عطَّل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله؛ فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوء».

وجدال الأئمة المضلين المبتدعين بالشُّبه الضَّالة لإبطال حقائق ما وصف الله به نفسه؛ هو من أعظم أسباب سخط الله وغضبه وعقابه.

فالقول علىٰ الله بغير علم، والإلحاد في أسمائه وصفاته؛ هو من أسباب غضب الله وسخطه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورىٰ: ١٦].

قال العلامة المُجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أخبر هنا أنَّ الذين ﴿يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ بالحُججِ الباطلة، والشُّبه المتناقضة، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: من بعد ما استجاب لله أولُو الألباب والعقول، لما بيَّن لهم من الآيات القاطعة والبراهين السَّاطعة، فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة مدفوعة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ لأنَّها مشتملة علىٰ رَدِّ الحق، وكلُّ ما خالف الحق فهو باطل.

﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ لعصيانهم وإعراضهم عن حُجج الله وبيِّناته، وتكذيبها.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كلِّ مجادل للحق بالباطل».

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد (ص٤٠٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (٤/ ٤١٧)، ط: دار المدني، جدة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن السنَّة قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا».

الشَّرح:

صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ ثابتة بالكتاب ومتواتر السنة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأما السنة فالأحاديث فيها كثيرة متواترة ولا ريب.

قال قوام السنَّة أبو القاسم الأصبهاني (ت: ٣٥٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وقول النبي ﷺ: «**ينزل الله كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»، رواه ثلاثة وعشرون من الصحابة، سبعة عشر رجلًا، وست نساء».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد أفردت له جزءًا، وقد ذكرت فيه عن أكثر من عشرين صحابيًّا عن النبي ﷺ نزول الرب عَزَّوَجَلَّ بطرق كثيرة إليهم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «قوله: «**ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا يقول...**» في نحو ثلاثين حديثًا».

وأما الإجماع: فقد حكاه أكثر من إمام، قال عثمان بن سعيد الدارمي(٤): «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها أو أكثر منها في نزول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٨٧).

(٢) الأربعين في صفات رب العالمين، (ص٧٠).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٣٨٧).

(٤) الرد علىٰ الجهمية، (ص٤٦)، ط: المكتب الإسلامي، الرابعة.

المواطن، وعلىٰ تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «واتفق سلف الأمة وأئمتها، وأهل العلم والسنة والحديث علىٰ تصديق ذلك وتلقيه بالقبول».

وهذه الصفة شجًىٰ في حلوق المعطلة؛ فعقولهم لا تتصور نزولًا يليق بالرب، فتفر إلىٰ التعطيل بسبب رجس التجسيم الذي امتلأت به قلوبهم.

فهم لأجل هذا يلمزون أهل السنة بالتجسيم لإثبات هذه الصفة، وربما افتروا علىٰ أئمة السنة في هذه الصفة وغيرها.

وابن بطوطة ممن افترىٰ علىٰ شيخ الإسلام في هذه، فقال في رحلته المشهورة[٢]: «وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس علىٰ منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: «إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كنزولي هذا» ونزل درجة من درج المنبر».

وابن بطوطة أرَّخ دخوله دمشق فقال[٣]: «وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين - يعني وسبعمائة - إلىٰ دمشق».

فتعقبه العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «واغوثاه بالله من هذا الكذب! الذي لم يخف الله كاذبه، ولم يستح مفتريه، وفي الحديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، ووضوح هذا الكذب أظهر من أن يحتاج إلىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٣٢٢)، شرح حديث النزول.

(٢) تحفة النظار في غرائب الأمصار، (ص١٠٤).

(٣) تحفة النظار في غرائب الأمصار، (ص١١٣).

(٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/ ٤٩٨).

الإطناب، والله حسيب هذا المفتري الكذاب؛ فإنه ذكر أنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة ٧٢٦ هـ، وشيخ الإسلام ابن تيمية إذ ذاك قد حبس في القلعة».

وقد شغب أهل البدع في صفة النزول، فمنهم من دفعه بمعقول غير صريح، حيث زعموا أن ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين!!

فبعض أهل العلم يرىٰ أن جواب هؤلاء هو السكوت، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «معلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض، وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به؛ لما ناظروه، بل بادروا إلىٰ عقوبته أو إلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين».

ولو اعترض بمثل هذا الاعتراض لرددنا أكثر الصفات، كصفة السمع؛ فإن الله لا يشغله منها سمع عن سمع.

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وذلك أنه ممكن أن يكون موصوفًا بالنزول كل ليلة إذا مضىٰ ثلثها إلىٰ السماء الدنيا كما شاء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «والليل يختلف فيكون ثلثه بالمشرق قبل أن يكون ثلثه بالمغرب، ونزوله الذي أخبر به رسوله إلىٰ سماء هؤلاء في ثلث ليلهم، وإلىٰ سماء هؤلاء في ثلث ليلهم، لا يشغله شأن عن شأن».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «فالذي يقدر علىٰ النزول يوم

---

(١) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف، (ص٢٣).

(٢) المسائل، رواية حرب الكرماني، (ص٤١٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٤٣).

(٤) الرد علىٰ الجهمية، (ص٣٨).

القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده؛ قادر أن ينزل كلَّ ليلة من سماء إلىٰ سماء، فإن ردُّوا قول رسول الله ﷺ في النزول، فماذا يصنعون بقول الله عَزَّوَجَلَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟!».

وقال الدارمي أيضًا[1]: «لو قد آمنتم باستواء الرب علىٰ عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءًا إذ خلقها - كإيمان المصلين به - لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلىٰ سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءًا، فكما قدر علىٰ الأولىٰ منهما كيف يشاء، فكذلك يقدر علىٰ الأخرىٰ كيف يشاء».

وقد تواردت السنة بالاحتجاج بالفوقية والعلو علىٰ صفة النزول، قال إبراهيم بن أبي طالب: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: حضرت مجلس ابن طاهر، وحضر إسحاق فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال الرجل: أثبته فوق، فقال إسحاق: قال الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، قال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟![2].

ولا يصح تقدير محذوف في النزول، كما قدره المبتدعة بنزول أمره أو رحمته، وذلك لوجوه أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

١ - أن الأمر والرحمة إما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها كالملائكة، وإما أن يراد بها صفات وأعراض. فإن أريد الأول؛ فالملائكة تنزل إلىٰ الأرض في كل

(١) الرد علىٰ الجهمية، (ص٤٦ - ٤٧).

(٢) العلو، (ص١٧٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤١٥ - ٤١٦).

وقت، وهذا خصَّ النزول بجوف الليل، وجعل منتهاه سماء الدنيا، والملائكة لا يختصُّ نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان.

وإن أريد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر، من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة ونحو ذلك؛ فهذا حاصل في الأرض، ليس منتهاه السماء الدنيا.

٢ - **أنه جاء في الحديث الصحيح**: أنه ينزل إلىٰ السماء الدنيا، ثم يقول: «**لا أسأل عن عبادي غيري**»[(١)]، ومعلوم أن هذا كلام الله الذي لا يقوله غيره.

٣- أنه قال: «**ينزل إلىٰ السماء الدنيا، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يَطْلُعَ الفجر**»، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كلَّ سائل سؤله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئًا من ذلك.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي معلقًا علىٰ هذه الرواية[(٢)]: «وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل».

وحرفت المبتدعة كذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ **في الحديث**: «**ينزل ربنا**»، فجعلته مضافًا للمخلوق، فقالوا: «يُنزل». قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني (ت: ٥٣٥)[(٣)]: «يَنزل: بفتح الياء وكسر الزاي، ومن قال: ينزل، بضم الياء؛ فقد ابتدع».

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٦)، والدارمي (١/ ٣٤٧)، وابن ماجه (١/ ٤٣٥)، وعزاه الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (ص٧٠) لمسلم.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٥٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

وقال القاضي أبو يعلىٰ (ت: ٤٥٨)[١]: «فإن قيل: فقد رُوي بضم الياء: «يُنزل اللهُ»، وإذا كان كذلك؛ صح التأويل بأنه ينزل من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير، واستعطاف لأهل العطف.

قيل: هذا غلط؛ لأنه لا يحفظ هذا عن أحد من أصحاب الحديث أنه روىٰ ذلك بالضم، فلا يجوز دعوىٰ ذلك، والذي يُبَيِّنُ بطلان ذلك قوله: «**ألا من يسألني فأعطيه؟ ألا من داع فأجيبه؟**»، وهذه صفة تختص بها الذات دون الأفعال، وما هذه الزيادة إلا تحريف المبطلين لأخبار الصفات».

وقد غلط بعض النقلة علىٰ الإمام مالك في تأويل حديث النزول، قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: يتنزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمره، فأما هو فدائم لا يزول[٢].

قال الحافظ الذهبي معلقًا[٣]: «لا أعرف صالحًا، وحبيب مشهور، والمحفوظ عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواية الوليد بن مسلم، أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: أمرَّها كما جاءت بلا تفسير؛ فيكون للإمام في ذلك قولان إن صحت رواية حبيب».

فالحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رد الأمر إلىٰ المعهود المعلوم من عقيدة مالك في الصفات، ثم لم يجزم بصحة النقل عن مالك، وجعل لمالك روايتين لو صحت رواية حبيب، وهذا ذهول منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ضعف الإسناد علىٰ غير عادته، وهو حافظ عصره!

---

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (٢/ ٢٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥).

بينما نجد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بادر مسرعًا إلىٰ بيان سقوط الإسناد، فقال[١]: «وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك، رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب، لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل، لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك.

ورويت من طريق أخرىٰ، ذكرها ابن عبد البر، وفي إسنادها من لا نعرفه».

ورواية حبيب فيها علة أخرىٰ، وهي جهالة صالح بن أيوب، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «صالح بن أيوب عن حبيب كاتب مالك، وعنه محمد بن هارون شيخ لابن عدي، جهله المؤلف فيما رأيته بخطه».

ويذكر أن الإمام أحمد في المحنة عارضهم بقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قال: قيل: إنما يأتي أمره؛ هذا نقل حنبل[٣].

فأبو إسحاق بن شاقلا قال[٤]: «غلط حنبل، لم يقل أحمد هذا، وحنبل له غلطات معروفة، وهذا منها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «ولا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يناقض هذه الرواية، ويُبَيِّنُ أنه لا يقول: إن الرب يجيء ويأتي وينزل أمره، بل هو ينكر علىٰ من يقول ذلك».

وهنا لابد من بيان ما يعد رواية عن الإمام أحمد عن الأصحاب، وما لا يعد.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤٠١ - ٤٠٢).

(٢) لسان الميزان (٣/ ١٦٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٣٨٨).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤٠١).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤٠١).

قال أبو بكر الخلال منتقدًا حنبلًا فيما أخطأ فيه على الإمام أحمد[١]: «بعض من يظن أنه يقلد مذهب أبي عبد الله ربما كنا معهم في مؤنة عظيمة من توهمهم للشيء من مذهب أبي عبد الله، أو تعلقهم بقول واحد. ولا يعلمون قول أبي عبد الله من قبل غير ذلك الواحد، وأبو عبد الله يحتاج من يقلد مذهبه أن يعرفه من رواية جماعة؛ لأنه ربما روى عنه المسألة الواحدة جماعة، حتى يصبح قوله فيها العشرة ونحوهم؛ لأنه ربما يسأله عن المسألة الواحدة جماعة حتى يقول: لا أدري. وإنما يعني: لا أدري ما أختار، ويسأل عن تلك بعينها، فيجيب بالاختلاف لمن قَالَ: لا ونعم، ولا ينفذ له قول. ويسأل عن تلك المسألة أيضًا في وقت آخر، فيحتج لمن قَالَ: لا، ولا ينفذ قوله، ويسأل عن تلك المسألة أيضًا، فيحتج للجميع ويعلق مذهبه. ويسأل عن تلك أيضًا في وقت، فيجيب بمذهبه من غير احتجاج للمسألة إذا كان قد تبين له الأمر فيها، ويسأل عن تلك أيضًا ويحتج عليه.

ويسأل عن مذهبه وعن الشيء ذهب إليه، فيجيبهم، فيصبح مذهبه في تلك المسألة في ذلك الوقت، وفي مسائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسائل يحتاج الرجل أن يتفهمها ولا يعجل.

وهو قد قَالَ: ربما بقيت في المسألة، ذكر بعضهم عنه عشرين سنة، يعني: حتى يصح له ما يختار فيها، وذكر بعضهم عنه العشر سنين إلى الثلاث سنين، وإنما بينت هذا كله في هذا الموضوع، أعني: لمن يقلد من مذهب أبي عبد الله شيئًا: أن لا يعجل وأن يستثبت. ونفعنا الله وإياكم، ونسأله التوفيق فإنه لطيف».

وهنا مسألة ذكرها بعض أهل العلم في النزول، وهي: هل يخلو منه العرش

---

(١) الجامع للخلال (١/ ٢١٤).

أو لا إذا نزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ السماء الدنيا؟

فالذي عليه جمهور أهل السنة أنه ينزل، ولا يخلو منه العرش.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل مثل ذلك عن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وغيرهما، ونقلوه عن أحمد في رسالته إلىٰ مسدد».

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه حيث حكىٰ هذا القول، ثم قال(٢): «هذا هو الصواب، وإن كان طائفة ممن يدعي السنة يظن خلو العرش منه».

وقال شيخ الإسلام أيضًا(٣): «والصواب قول السلف: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش».

وهذا الترجيح يُقطع به لو كان الاستواء من الصفات الذاتية، أما وهو من صفات الفعل فإن طائفة من أئمة السنَّة أمسك عن الخوض في هذا الأمر، فلم يقل بإثبات ولا نفي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «وطائفة تقف، لا تقول: يخلو، ولا: لا يخلو، وتنكر علىٰ من يقول ذلك، منهم: الحافظ عبد الغني المقدسي».

والحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**(٥): «ومن قال: يخلو العرش عند النزول، أو: لا يخلو؛ فقد أتىٰ بقول مبتدع ورأي مخترع».

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٦٣٨ - ٦٣٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٣١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٣٢).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٣٢).

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد، (ص١١٢).

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي أيضًا[١]: «فمن السنة اللازمة السكوت عما لم يَرِد فيه نصٌّ عن الله ورسوله، أو يتفق المسلمون علىٰ إطلاقه، وترك التعرض له بنفي أو إثبات، فكما لا يثبت إلا بنص شرعي، كذلك لا ينفىٰ إلا بدليل سمعي».

وهذا اختيار والدنا العلامة محمد الصالح العثيمين، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ليس لنا حق - فيما أرىٰ - أن نتكلم: هل يخلو منه العرش، أو: لا يخلو؟ بل نسكت كما سكت عن ذلك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

❁ ❁ ❁

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، (ص٢٢٣).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٦).

قال المصنف رحمه الله:

وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة».

الشَّرح:

صفة العَجَب ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ في القرآن والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، قرأ ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (عجبتُ) بضم التاء، وهي من القراءات السبع الصحيحة قرأ بها حمزة والكسائي(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إنّي مجهود، فأرسل إلىٰ بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلىٰ أخرىٰ، فقالت مثل ذلك، حتىٰ قُلْنَ كلُّهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء. فقال: «**من يضيف هذا الليلة؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلىٰ رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. وفي رواية: قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قُوت صبياني، قال: عَلِّيهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السِّرَاجَ، وأريه أنَّا نأكل. فقعدوا، وأكل الضَّيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال: «**لقد عَجِبَ الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**» متفق عليه.

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الله يَعْجَب عجبًا يليق

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٣٧٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص١٠٥).

بجلاله وعظمته، من غير تمثيل».

الأحاديث النبوية في صفات رب البرية أمرّها - كما جاءت - الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان، فقد أجمعوا علىٰ تلقيها بالقبول، ولم يُنقل عن أحد منهم ردّها، حتىٰ جاءت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فأنكرت الجهمية والمعتزلة كل الصفات، ولم تُثبت الأشاعرة إلا سبع أو ثماني صفات، وأنكرت البقية.

فحجية الإجماع السابق، إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ قطعية، نعوذ بالله من خلاف عليهم.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج الشافعي البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٠٦هـ)**[١]: «صح عند جميع أهل الديانة والسُّنَّة إلىٰ زماننا أنَّ جميع الآثار والأخبار الصادقة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصفات يجب علىٰ المسلم الإيمان بها».

وذكر من أنواعها[٢]: «الضحك والتعجب».

وقال المبتدعة المعطلة بنفي صفة العجب عن الله عَزَّوَجَلَّ، توهمًا منهم أنَّ ذلك يستلزم جهل الله بما كان من خلقه، وذلك ليس بلازم، وأوهام المبتدعة دالة علىٰ ضلالهم وجهلهم بالله، فإنَّ الله يعلم ما كان وما يكون وما سيكون.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «العجب هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين:

السبب الأول: خفاء الأسباب علىٰ هذا المستغرب للشيء المتعجَّب منه،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢١٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢١٤).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٧).

بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنَّ الله بكل شيء عليم، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره، وعمَّا ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، بحيث يعمل عملًا مستغربًا لا ينبغي أن يقع من مثله.

وهذا ثابت لله تعالىٰ، لأنّه ليس عن نقص من المتعجِّب، ولكنَّه عجب بالنظر إلىٰ حال المتعجَّب منه».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله: «**يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة**».

❁ الشَّرح :

صفة الضحك ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، دلَّ علىٰ ذلك السُّنَّة والإجماع.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ليضحك من الرَّجلين قتل أحدهما الآخر، فدخلا الجَنَّة جميعًا، يقول: كان كافرًا فقتل مسلمًا، ثم إنَّ الكافر أسلم قبل أنْ يموت، فأدخلهما الله الجنة**» متفق عليه.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحُسَيْن الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[١]: «إنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا مذهب العلماء ممَّنِ اتَّبعَ، ولم يبتدع.

ولا يُقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا رُوي عن النبي ﷺ وعن صحابته».

فالتكذيب بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن نفسه، وما أخبر عنه رسوله ﷺ؛ كفر وقول علىٰ الله بغير علم، فكلمات الله حق وصدق، ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوىٰ.

قال العلامة أبو عبد الله عُبيد الله بن بطّة العُكْبَري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أنْ أثبت صفات الله، من: السمع، والبصر، والرِّضَا، والضَّحك، والكلام، قال[٢]: «من كذَّبَ بهذا، أو رَدَّه، أو شَكَّ فيه، أو طعن علىٰ راويه، فقد أعظم الفِرْيَة علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ».

---

(١) الشريعة (٢/ ١٠٥١).

(٢) الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والدِّيانة (ص٢١٢، ٢١٣).

فاحذر أيُّها المسلم من مذهب الجهمية وفروعهم، المكذبين لأخبار الوحي ونصوص القرآن والسُّنَّة الواردة في إثبات صفات رب العالمين.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ما أحد أضرَّ علىٰ أهل الإسلام من الجهمية، ما يريدون إلَّا إبطال القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ».

والمحرِّفون لنصوص الوحي قالوا: الضَّحك هو الرضىٰ، والرضىٰ هو الثواب أو إرادة الثواب!!

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين[٢]: «هذا تحريف للكلم عن مواضعه، فما الذي أدراكم أنَّ المراد بالرضىٰ الثواب؟!

فأنتم الآن قلتم علىٰ الله ما لا تعلمون، من وجهين:

الوجه الأول: صرفتم النص عن ظاهره بلا علم.

الثاني: أثبتُّم له معنىٰ خلاف الظاهر بلا علم».

ومن تأمل تحريفات الأشاعرة لصفات رب العالمين، وجدهم يثبتون سبع صفات، ويُحرِّفون كثيرًا من الصفات إلىٰ معنىٰ الإرادة، وهذا باطل بلا ريب؛ فإنَّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته كثيرة متنوعة لكمال الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورة في سبع؛ لأنَّ أسماءه أعلام وأوصاف أعلام، كثرتها تدلُّ علىٰ كمال الموصوف بها.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسمًا، من أحصاها دخل الجنَّة**» متفق عليه.

وتحريف المبتدعة صفة الضحك إلىٰ معنىٰ الإرادة يلزمهم فيما أثبتوه من

---

(١) السُّنَّة للخَلَّال (٢/ ٤٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٥).

الإرادة، نظير ما نفوه في الضحك، فالله عَزَّوَجَلَّ له إرادة لا تماثل إرادة المخلوقين، وكذلك ضحكه يليق بعظمته لا يماثل ضحك المخلوقين.

والقول في الصفات فرع عن القول في الذات، ولو نفينا صفات الله عَزَّوَجَلَّ كما فعل المعطلة فرارًا من التشبيه، لنفينا ذات الله للسبب نفسه، وكما أنَّ ذات الله لا تماثلها الذوات فكذلك صفاته، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

كل صفة وصف الله بها نفسه أو رسوله ﷺ فهي صفة كمال، والله عَزَّوَجَلَّ تمدّح نفسه بإخبارنا بها، فاملأ قلبك من تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ بإثبات كل صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُٱللَّهُ(١) «**المعنىٰ**: ولله الأسماء الدالة علىٰ المعاني الحسنة والأوصاف الجميلة من الرحمة، والمغفرة، والحِلْم، والعفو، والرزق، والتعظيم، والتحميد، والتقديس».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «إنَّ المحامد والمدائح والنُّعُوت الجليلة الجميلة أوصاف لله تعالىٰ، فله كلُّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها.

فكلُّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المُقدَّسة، فله تعالىٰ الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته؛ لأنَّها كلها

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣١٥).

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص٥١).

مدائح وكمالات، وله الحمد لأفعاله؛ لأنَّها دائرة بين الفضل والإحسان، وبين العدل والحكمة».

العقل الصريح السوي يثبت كل صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما ينفيها تكذيبًا لما أخبر الله عن نفسه من امتلأ قلبه من رجس توهم مشابهتها للمخلوقين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الدليل القطعي الذي دلَّ علىٰ ثبوت الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، دلَّ نظيره علىٰ ثبوت الحكمة والرضىٰ والرحمة والغضب والفرح والضَّحك.

والذي دلَّ علىٰ أنَّه فاعل بمشيئته واختياره دلَّ علىٰ قيام أفعاله به، وذلك عين الكمال، وكل صفة دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة فهي صفة كمال، والعقل جازم بإثبات صفة الكمال لله تعالىٰ، ويمتنع أن يصف نفسه أو يصفه رسوله ﷺ بصفة توهم نقصًا».

السلامة من الزيغ يكون بتصديق الله عَزَّوَجَلَّ فيما أخبر عن نفسه، وقطع النظر عن الخوض بالغيب في كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هدىٰ الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلىٰ؛ فأثبتوا حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين، وهدًىٰ بين ضلالتين، يثبتون له الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا بحقائقها، ولا يكيفون شيئًا منها، فإنَّ الله تعالىٰ أثبتها لنفسه، وإن كان لا

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٩٩).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٦١، ١٦٢).

سبيل لنا إلىٰ معرفة كنهها وكيفيتها، فإنَّ الله تعالىٰ لم يكلِّف عباده بذلك، ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلًا، بل كثير من مخلوقاته أو أكثرها لم يجعل لهم سبيلًا إلىٰ معرفة كنهه وكيفيته، وهذه أرواحهم التي هي أدنىٰ إليهم من كل دانٍ، قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ آمنوا بالأحاديث النبوية في الصفات الإلهية، تلقوها بالقبول، آمنوا بها علىٰ ظاهرها، ولم يتعرضوا لها بالتحريف ولا بالتأويل، فضلًا عن التكذيب، فاتباعهم بإحسان فيما اعتقدوه فرض لازم.

عن أبي رزين العُقَيْلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ضحك الله عَزَّوَجَلَّ من قنوط عباده وقرب غيره** - يعني: تغييره -».

فقال أبو رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أويضحك ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لن نَعْدَمَ من رَبٍّ يضحك**»، رواه الطيالسي وأحمد(١).

علم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معنىٰ الضحك، ولم يستشكلوا شيئًا من نصوص الوحي في الصفات الإلهية، وأوجبت معرفتهم تألههم لله عَزَّوَجَلَّ بمعاني ما علموه من صفات رب العالمين.

استبشار الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلمه بأنّ الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، دالٌّ علىٰ أنَّ لفظ الحديث بيِّنٌ بنفسه، وأنَّ معناه هو ظاهر اللفظ، وفيه إبطال لتحريفات المبتدعين لنصوص الصفات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ليس في آيات الصفات وأحاديثها مُجْمَل يحتاج

(١) حسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨١٠).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٢١٢).

إلىٰ بيان من خارج، بل بيانها فيها، وإنْ جاءت السُّنَّة بزيادة في البيان والتفصيل».

ألقىٰ الشيطان في نفوس أوليائه المبتدعين أنواعًا من الأوهام في تشبيه صفات الله وتكييفها، فكان ذلك سببًا في إلحادهم بالتكذيب بها.

والاعتقاد الواجب في صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذي دلَّ عليه القرآن هو إثبات صفات ربِّ العالمين علىٰ ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

قال يحيىٰ بن عمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا نحتاج في هذا الباب إلىٰ قول أكثر من هذا أنْ نُؤْمِنَ به، وننفي الكيفية عنه، ونتقي الشك فيه، ونُوقن بما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ، ولا نتفكَّر في ذلك، ولا نُسلِّط عليه الوَهْم، والخاطر، والوسواس.

وتَعْلم حقًّا يقينًا أنَّ كل ما تُصُوِّر في همِّك ووَهْمِكَ من كيفية أو تشبيه؛ فالله سبحانه بخلافه وغيره».

لا يصح الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ إلا بتصديق خبره كله، وأول ذلك الصفات الإلهية، فإنَّها سبب العلم بالله وتكذيبها أو تحريفها نفي لما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أعلم بنفسه من كل مخلوق خصوصًا المكذبين والمعطلين.

ولا يصح تحريف ألفاظ الوحي في صفات رب العالمين، فليس هناك كلام أتمّ بيانًا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فالله عَزَّوَجَلَّ يسّر ألفاظه للفهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

---

(١) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٨٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يؤمنون بأنّ الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يُحرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يُكيِّفُون، ولا يُمثِّلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنّه سبحانه لا سميَّ له، ولا كُفء له، ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بخلقه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإنّه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصْدَقُ قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه».

والقول في الصفات الخبرية كالقول في الصفات المعنوية، في نصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة دالة علىٰ أنَّها صفات حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ تليق بعظمته.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «دلالة النصوص علىٰ أنَّ له سمعًا وبصرًا وعلمًا وقدرة وإرادة وحياة وكلامًا، كدلالتها علىٰ أنَّ له محبة ورحمة وغضبًا ورضىٰ وفرحًا وضحكًا ووجهًا ويدين، فدلالة النصوص علىٰ ذلك سواء».

الصفات أيُّها المسلم، حكمها حكم الذات، فكما أنَّ ذات الله لا تشبه ذوات مخلوقاته، كذلك صفاته لا تماثل صفات مخلوقاته[٣].

الصفات التي أثبتها الله لنفسه لا تستلزم الأبعاض والجوارح[٤].

---

(١) العقيدة الواسطية (ص٣، ٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٤٣).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٤٩).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٤٨).

وقد ضلَّ الأشاعرة بنفيهم صفات الله الخبرية، بتحريف معناها وإبطال دلالتها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من تأول الضحك بالرضىٰ، والرضىٰ بالإرادة، إنَّما فرَّ من صفة إلىٰ صفة، فهلا أقرَّ النصوص علىٰ ما هي عليه ولم ينتهك حرمتها؟! فإنَّ المتأول إما أن يذكر معنًىٰ ثبوتيًّا أو يتأول اللفظ بما هو عدم محض، فإنْ تأوله بمعنًىٰ ثبوتي كائنًا ما كان لزمه فيه نظير ما فرّ منه».

القول في بعض الصفات كالقول في كل الصفات، نؤمن بالصفات، ونُثبت معانيها علىٰ ظاهرها علىٰ نحو ما ورد في القرآن والسُّنَّة، من غير تكييف ولا تحريف.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة».

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «كلام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ميزان لجميع الصفات».

وقال حنبل[(٣)]: «سألت أبا عبد الله - الإمام أحمد - عن الأحاديث التي تروىٰ: «**أنَّ الله تعالىٰ ينزل إلىٰ سماء الدُّنيا**»، و«**أنَّ الله تعالىٰ يُرىٰ**»، و«**أنَّ الله تعالىٰ يضع قدمه**» وما أشبه هذه الأحاديث.

فقال أبو عبد الله: نؤمن بها، ونصدِّقُ بها، ولا كيف، ولا معنىٰ[(٤)]، ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أنَّ ما جاءت به الرسل حق، ونعلم أنَّ ما ثبت عن الرسول ﷺ حق إذا كانت بأسانيد صحيحة، ولا نرد علىٰ قوله، ولا نصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٥٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٠٠).

(٣) السُّنَّة للخَلَّال، الذيل (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٤) لا معنىٰ يخالف ظاهرها.

بأعظم مما وصف به نفسه، بلا حدٍّ ولا غاية».

وقال العلامة أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٩هـ)**[(١)]: «يقولون - أهل الحديث - في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضىٰ، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلىٰ ما قاله الله تعالىٰ وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير».

صفات: الغضب، والضحك، والعَجَب، والمجيء، والإتيان، والنزول، تفسيرُها: ألفاظها الواردة في القرآن والسُّنَّة، فإنَّها بيان لمعانيها، لا يُتكلَّف في تفسيرها بما يكون تحريفًا أو إغرابًا بدل البيان الإلهي.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ من مضىٰ من الأُمَّة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يَعْرفُون له تأويلًا غير ما يُتلىٰ من ظاهره».

وهذا معنىٰ قول السلف: «أَمِرُّوها كما جاءتْ».

قال أبو داود: سمعت إسحاق يقول: إنَّ الله وصف نفسه في كتابه بصفات استغنىٰ الخلق كلهم أن يَصِفُوه بغير ما وصف به نفسه[(٣)].

---

(١) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث (ص١٦٥).

(٢) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص١٥٤).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٥٢١).

وقال مخلد بن الحسين: قال لي الأوزاعي: يا أبا محمد، إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فلا تظنن غيره، فإنَّ محمدًا كان مُبلِّغًا عن ربه(١).

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن، فقراءته تفسيره، لا كَيْفَ ولا مِثْلَ»(٢).

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعوا علىٰ الإيمان بصفات رب العالمين علىٰ ظاهرها، قال العَلَّامة أبو عبد الله محمد بن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣):

«اتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا ذلك من رسول الله ﷺ حتىٰ قال: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي**»، وحديث: «**لعن الله من أحدث حَدَثًا**».

فكانت كلمة الصحابة علىٰ الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمِرْنَا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا - بحمد الله تعالىٰ - في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات».

ولم يزل إجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ متوارثًا في الأمَّة، أجمع عليه التابعون، وتلقاه عنهم من بعدهم.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وهو من أتباع التابعين**: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله تعالىٰ ذِكْرُه فوق سماواته، ونُؤْمِنُ بما وردت السُّنَّة به من صفاته»

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٧٨ - رقم ٧٣٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٧٨ -رقم ٧٣٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٧١).

رواه البيهقي في الأسماء والصفات[١].

هذه عقيدة السابقين الأولين، من أخذ بها كان من المهتدين.

قال العلامة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[٢]: «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ: ما جاء منها في كتاب الله، أو رُويَ بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، فهذا إجماع معلوم مُتيَقَّنٌ عند جميع أهل السُّنَّة والحديث».

أجمع علماء الأمصار كافة علىٰ إثبات صفات رب العالمين، وإمرارها كما جاءت علىٰ ظاهرها، إجماعًا منقولًا معلومًا عن أئمة الهدىٰ.

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرَّازِيَّان رحمهما الله[٣]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، ومصرًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذاهبهم: أنَّ الله علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا».

قال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١١هـ)**[٤]: «نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا: أنَّا نُثْبت ما أثْبته الله لنفسه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونُصَدِّق ذلك بقلوبنا».

فالمسلم الذي أراد الله به خيرًا، يتلقىٰ دينه من الكتاب والسُّنَّة بفهم السلف الصالح، ولا يرغب عن اعتقادهم إلىٰ تحريفات المبتدعين والأئمة المضلين.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح» بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

(٢) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (١/ ١٧٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (ص٨٧).

(٤) التوحيد (١/ ٦٢).

قال عَبَّاد بن العوَّام: قدِمَ علينا شريك بن عبد الله، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث - في صفات الله -!

قال: فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا.

وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا[١]؟!

أئمة الإسلام، الذين أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم، كلهم مجمعون علىٰ اعتقاد واحد في صفات رب العالمين، يؤمنون بها ويثبتونها علىٰ ظاهرها من غير تشبيه ولا تكييف.

قال العلامة أبو نصر عبيد الله السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤هـ)**[٢]: «أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي؛ مُتفقون علىٰ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق عرشه، وأنَّ عِلْمه بكل مكان، وأنَّه يُرىٰ يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنَّه ينزل إلىٰ سماء الدنيا، وأنَّه يَغْضب ويَرْضَىٰ، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئًا من ذلك فهو منهم بَرِيءٌ، وهم منه بَراء».

وقال أبو بكر المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تَرُدّهَا الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش؛ فصحَّحه أبو عبد الله، وقال: تلقَّتها العلماء بالقبول، تُمَر الأخبار كما جاءت[٣].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ السلف الصالح ومن سَلَك

---

(١) السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (ص٢٣٤، ٢٣٥-رقم ٤٩٤).

(٢) الإبانة، بواسطة بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص٢١٨).

(٤) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي (ص٦٣٦).

سبيلهم من الخَلَف مُتَّفقون علىٰ إثبات نزول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا، وكذلك هم مجمعون علىٰ إثبات الإتيان، والمجيء، وسائر ما وَرَد من الصفات في الكتاب والسُّنَّة، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من السلف أنَّه تأول شيئًا من ذلك».

إجماع السابقين الأولين هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، أمَّا فرق المبتدعة فقد اتبعوا غير سبيل المؤمنين، ورغبوا عن إجماع الصحابة إلىٰ ضلالات أهوائهم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أهل السُّنَّة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها، وحَمْلِها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنّهم لا يُكَيِّفُون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفةً مَحْصُورة. وأمَّا أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلُّهم ينْكرها، ولا يحمل شيئًا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أَقَرَّ بها مُشَبِّه، وهم عند من أَثْبَتَها نافون للمَعْبُود.

والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة».

ومن له معرفة بالمأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الاعتقاد، يوقن ويقطع بأنّهم آمنوا بنصوص الوحي في صفات رب العالمين علىٰ ظاهرها، ولم يتكلموا مرةً واحدة بنفي الصفات أو تحريفها.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إنَّ من مضىٰ من الأُمة لم يزالوا يقولوا في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعرفون له تأويلًا غير ما يُتْلَىٰ من ظاهره».

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥).

(٢) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص١٥٤).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وعدلت رواته، نؤمن به ولا نرده، ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالىٰ بخلافه.

❁ الشَّرح:

من عقيدة أهل السنة والجماعة إيمانهم بما أخبر رسول الله ﷺ عن أسماء الله وصفاته.

قال العلامة أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عقيدة أهل السنة(١): «يعلمون حقًّا يقينًا أن ما قاله رسول الله ﷺ فعلىٰ ما قاله؛ إذ هو كان أعرف بالرب جَلَّ جَلَالُهُ من غيره، ولم يقل إلا حقًّا وصدقًا ووحيًا، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

ومن أنكر ما سمىٰ ووصف الله به نفسه كان من الضالين، وعلىٰ الله من الكاذبين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]».

وقال أبو عثمان الصابوني عن منهج المبتدعة في نصوص الوحي في أسماء الله وصفاته(٢): «إذا سمعوا خبرًا في صفات الرب ردُّوه أصلًا، ثم تأولوه بتأويل

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، (ص١٨٩).

(٢) عقيدة السلف (ص١٨٩)، باختصار.

يقصدون به رفع الخبر من أصله».

ومن أنكر ما وصف الله به نفسه لم يكن من الموحدين.

قال نعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه».

وقال أبو عبد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أن أصل الإيمان بالله الذي يجب علىٰ الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد إنِّيَّته - حقيقته -، ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها، من العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده، ولأنَّا نجد الله تعالىٰ قد خاطب عباده بدعائهم إلىٰ اعتقاد كل واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها».

والإيمان بما صح عن النبي ﷺ مما أخبر به من صفات الله عَزَّوَجَلَّ ثابت بالإجماع.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالىٰ ذكره

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٠).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥١٥)، وقال شيخ الإسلام: (إسناده صحيح)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته».

وقال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ما جاء منها في كتاب الله، أو رُوِي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ فمذهب السلف - رحمةُ اللهِ عليهم أجمعين - إثباتُها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفيُ الكيفيَّة عنها؛ فهذا معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والحديث».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لله تعالىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روىٰ عنه العدول، فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر.

أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر.

ونحو ذلك أخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أتانا أنه سميع، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن له وجهًا بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدمًا بقول النبي - ﷺ -: «**حتىٰ يضع الرب فيها قدمه**»، يعني جهنم، وأنه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي - ﷺ - للذي قتل في سبيل الله: «**إنه لقي الله وهو يضحك إليه**»، وأنه

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٤)، منازل الأئمة الأربعة (ص٢١٨)، ذم التأويل (ص٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلىٰ سمعت الشافعي...، فذكره، نقله ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧).

يهبط كلَّ ليلة إلىٰ سماء الدنيا بخبر رسول الله - ﷺ - بذلك، وأنه ليس بأعور بقول النبي - ﷺ - إذ ذكر الدجال فقال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**»، وأن المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا بقول النبي - ﷺ -: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ**».

فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله - ﷺ - مما لا يدرك حقيقته بالفكر والرَّوِيَّة، فلا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع؛ وجبت الدينونة علىٰ سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله - ﷺ -، ولكن يثبت هذه الصفات وينفي التشبيه كما نفىٰ ذلك عن نفسه تعالىٰ ذكره فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]».

وشيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال بالتفصيل في حكم منكر صفات الباري عَزَّوَجَلَّ حيث قال(١): «الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا يجحدها، ولكن يُؤوِّلها، وهذا نوعان:

الأول: أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية؛ فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية، فهذا موجب للكفر؛ لأنه إذا لم

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٢٩١).

يكن له مسوغ صار تكذيبًا».

ولأهل البدع في رد نصوص الأسماء والصفات طريقان:

الأول: رد المنقول إما صراحة أو تشكيكًا؛ فتراهم يتهمون النصوص، عافانا الله.

وقد قال في شأنهم أبو عبد الله ابن بطة العَكْبَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ويتهمون الثقات في النقل، ولا يتهمون آراءهم في التأويل».

قال بشر المريسي(٢): «إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب».

وقال عمرو بن عبيد وذكر حديث الصادق المصدوق فقال(٣): «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالىٰ يقول هذا لقلت له: ليس علىٰ هذا أخذتَ ميثاقنا!!».

وقد يقع تكذيب النص أحيانًا بسبب سوء الفهم للنص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «وقد بُسط الكلام في غير هذا الموضع علىٰ مناظرة آدم وموسىٰ؛ فإن كثيرًا من الناس حملوها علىٰ محامل مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومنهم من كذَّب بالحديث لعدم فهمه له، والحديث حقٌّ».

ومن ذلك ما ادعاه أبو بكر بن العربي بقوله(٥): «وأما الساق فلم يرد مضافًا

---

(١) الإبانة الصغرىٰ، (ص٣٧٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١٧ - ٢١٨)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٨).

(٣) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٢٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٩٧).

(٥) العواصم من القواصم، (ص٢٢٢).

إليه، لا في حديث صحيح ولا سقيم».

فهذه مجازفةُ أشعري مفضوحة، لا سيما من خبير عارف وشارح للصحيحين، حيث يوجد الحديث، بل وفي حديث مشهور، وهو حديث الشفاعة.

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:**

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**».

وقال للجارية: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي ﷺ لحصين: «**كم إلهًا تعبد؟**» قال: سبعة؛ ستة في الأرض، وواحدًا في السماء، قال: «**من لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين**»؛ فأسلم، وعلَّمه النبي ﷺ أن يقول: «**اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**».

وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض، ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروىٰ أبو داود في «سننه»، أن النبي ﷺ قال: «**إن ما بين سماء إلىٰ سماء مسيرة كذا وكذا**»، وذكر الخبر إلىٰ قوله: «**وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك**».

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف - رحمهم الله - علىٰ نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لردِّه ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقيل: «يا أبا عبد الله، الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، كيف استوىٰ؟»، فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، ثم أمر بالرجل فأخرج.

الشَّرح:

صفة الاستواء جاء مصرحًا بها في سبع آيات من كتاب الله

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرعد: ٥]، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [السجدة: ٤]، وقال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ثبوت استواء الله علىٰ العرش الإمام أبو عمر الطلمنكي، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أجمع أهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ علىٰ عرشه علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز».

وحكاه أيضًا الدارمي، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته».

وحرَّف المبتدعة قوله «استوىٰ» إلىٰ استولىٰ، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوىٰ بشر علىٰ العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

والرد علىٰ هذا من وجوه:

---

(١) الوصول إلىٰ معرفة الأصول، بواسطة مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٠٠).

(٢) بواسطة الأربعين في صفات رب العالمين، للذهبي، (ص٤٣).

١ - أن العرب لا تعرف الاستيلاء معنًىٰ للاستواء، فقد سئل ابن الأعرابي: هل يصح أن يكون استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك.

٢ - لا معنىٰ حينئذ لتخصيص العرش بالذكر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١): «فهو مالك لكل شيء، مستولٍ عليه، فلا يخص العرش بالاستيلاء، وليس هذا تخصيصه بالربوبية في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]؛ فإنه قد يخص لعظمته، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات، فيقال: رب العرش، ورب كل شيء، وأما الاستواء فمختص بالعرش، فلا يقال: استوىٰ علىٰ العرش وعلىٰ كل شيء، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا يوجد في كتاب ولا سنة، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة، وفي كل شيء عامة، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الألفاظ التي تخص وتعم، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١، ٢]؛ فالاستواء من الألفاظ المختصة بالعرش، لا تضاف إلىٰ غيره، لا خصوصًا ولا عمومًا».

٣ - الاستيلاء يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولىٰ عليه، فأي منع كان هناك حتىٰ يوصف بالاستيلاء بعده؟!

٤ - أن الاستواء في المواضع السبعة لها في القرآن قد اطرد استعمالها في جميع موارده علىٰ معنًىٰ واحد، فصرفه في الجميع إلىٰ معنًىٰ لم يعهد استعماله فيه غاية الفساد.

٥ - أنه أتىٰ بلفظة (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة، ولو كان معناه معنىٰ القدرة علىٰ العرش والاستيلاء عليه؛ لم يتأخر ذلك إلىٰ ما بعد خلق السموات والأرض؛ فإن العرش كان موجودًا قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٧٦).

عام، فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستولٍ علىٰ العرش إلىٰ أن خلق السموات والأرض.

٦ - أنه مخالف للإجماع.

٧ - أن البيت مجهول، لم يقله شاعر معروفٌ يصح الاحتجاج بقوله.

٨ - أن هذا البيت محرَّف، وإنما هو هكذا: بشرٌ قد استولىٰ علىٰ العراق.

٩ - أنه لو صح هذا البيت، وصح أنه غير محرّف؛ لم يكن فيه حجَّة، بل هو حجة عليهم، فإن عادة الملوك أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنىٰ هذه اللفظة في اللغة، كقوله تعالىٰ: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]، وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجًا إلىٰ سفر كبَّر ملبِّيًا»(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الاستواء من جملة أدلة العلو، إلا أن الاستواء صفة فعل، والعلو صفة ذات.

قال شيخ الإسلام(٢): «الأصل أن علوه علىٰ المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما «الاستواء» فهو فعل يفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: (ثم استوىٰ)».

واعلم أن البعض يسمي تحريفات المعطلة للصفات تأويلًا، وهذا غلط؛ فإن ما عليه المعطلة لنصوص الصفات من تحريف اليد إلىٰ القدرة، والاستواء إلىٰ الاستيلاء؛ حقيقته هو التحريف.

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة، (ص٣٥٣ - ٣٦٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥٢٣).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٣)**[١]: «أما حمل اللفظ علىٰ غير ظاهره، لا لدليل؛ فهذا لا يسمىٰ تأويلًا في الاصطلاح، بل يسمىٰ لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، قالوا: عائشة، ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلىٰ محتملات ما أنزل الله بها من سلطان، كقولهم: (استوىٰ) بمعنىٰ استولىٰ، فهذا لا يدخل في اسم التأويل؛ لأنه لا دليل عليه البتة، وإنما يسمىٰ في اصطلاح أهل الأصول: لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا من غير دليل ولا مستند».

❁ ❁ ❁

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، (ص٣٤ - ٣٥).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ومن صفات الله تعالىٰ أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن أذن له من ملائكته ورسله.

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿۞ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ**﴾ [الشورىٰ: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[طه: ١١، ١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء، روي ذلك عن النبي ﷺ.

وروىٰ عبد الله بن أنيس، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلًا بهمًا، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان**». رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار: «أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليلة رأىٰ النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسىٰ؛ فأجاب سريعًا - استئناسًا بالصوت - فقال: لبيك لبيك! أسمع صوتك، ولا أرىٰ مكانك، فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك، وعن يمينك وعن شمالك. فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالىٰ، قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسىٰ».

الشَّرح:

هذه القطعة من العقيدة في صفة الكلام لرب العالمين، وأئمة الحديث يثبتونها بأدلة القرآن والسنة والإجماع.

وأما القرآن فسوى ما ذكره المؤلف قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وأما الأحاديث فهي أكثر من أن تُحصىٰ، حتىٰ قال أمير المؤمنين في الحديث البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أن القرآن كلام الله».

وأما الإجماع: فقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ المنبر في حضرة الصحابة: «إن هذا القرآن كلام الله»(٢).

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني (ت: ٥٣٥)(٣): «فهو إجماع الصحابة، وإجماع التابعين بعدهم».

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(٤): «لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فِيَّ بأمر يتلىٰ».

---

(١) خلق أفعال العباد، (ص٦٧).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (ص٦٥)، وهو أثر صحيح.

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٣١).

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (١٣/ ٤٦٥ – رقم ٧٥٠٠)، ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك (٤/ ٢١٢٩ – رقم ٢٧٧٠).

والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٥٦)** لما ساق قول النبي ﷺ: «**منعوني أن أبلغ كلام ربي**» أتبعه بذكر إجماع الصحابة والتابعين علىٰ أن القرآن كلام الله، فقال(١): «فبيَّن النبي ﷺ أن الإبلاغ منه، وأن كلام الله من ربه، ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان خلاف ما وصفنا».

كما أن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكىٰ إجماع العلماء بعد طبقة التابعين، فقال(٢): «وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ، إِلَىٰ زَمَنِ مَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ، ثُمَّ بَعْدَهُمُ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ، وَيَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ فِي مُحَدِّثِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ وَوَكِيعٌ وَذَوُوهُمْ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي مُتَّبِعِيهِ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ فِي الْوَاسِطِيِّينَ، إِلَىٰ عَصْرِ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَالْعِرَاقِيِّينَ، وَأَهْلِ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَمُحَدِّثِي أَهْلِ خُرَاسَانَ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ فِي مُتَابِعِيهِ، وَأَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي مُجْتَبِيهِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَبُو مُسْهِرٍ مِنَ الشَّامِيِّينَ، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ مَعَ الْمِصْرِيِّينَ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مَعَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَالْحُمَيْدِيُّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنِ اتَّبَعَ الرَّسُولَ مِنَ الْمَكِّيِّينَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبُو عُبَيْدٍ فِي أَهْلِ اللُّغَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْمَعْرُوفُونَ بِالْعِلْمِ فِي عَصْرِهِمْ بِلَا اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ».

وشاهد العقل والفطرة أيضًا يشهد للقرآن والسنة والإجماع من أن الله هو المتكلم حقيقة.

---

(١) خلق أفعال العباد، (ص٦٧).

(٢) خلق أفعال العباد، (ص٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ المستقر في فطر النَّاس وعقولهم ولغاتهم، أن المتكلم بالكلام لا بد أن يقوم به الكلام، فلا يكون متكلمًا بشيء لم يقم به بل هو قائم بغيره، كما لا يكون عالمًا بعلم قائمًا بغيره، ولا حيًّا بحياة قائمة بغيره، ولا مريدًا بإرادة قائمة بغيره، ولا محبًّا ومبغضًا ولا راضيًا وساخطًا بحب وبغض ورضًىٰ وسخط قائم بغيره، ولا متألِّمًا ولا متنعِّمًا وفرحًا وضاحكًا بتألم وتنعُّم وفرح وضحك قائم بغيره، فكل ذلك عند النَّاس من العلوم الضرورية البدهية الفطرية التي لا ينازعهم فيها إلَّا من أحيلت فطرته».

وكلمات الله نوعان: كونية، وشرعية؛ دلَّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

فكلمات الله الكونية هي التي كَوَّنَ بها الكائنات، فلا يخرج برٌّ ولا فاجر من تكوينه ومشيئته وقدرته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

والكلمات الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»(٢).

وأما كلمات الله الدينية فهي كتبه المنزلة، وما فيها من أمره ونهيه(٣).

والله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بصوت وحرف إذا شاء، دل علىٰ ذلك القرآن والسنة

---

(١) التسعينية (١/ ٢٩٦).

(٢) رواه مالك مرسلًا في «الموطأ»، كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ، ورواه أحمد (٣/ ٤١٩) من حديث عبد الرحمن بن خنبش.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٧٠ - ٢٧١).

والإجماع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾ [النازعات: ١٥، ١٦]، فأفادتنا هذه الآيات أربعة أمور:

الأول: أن المتكلم حقيقة هو الله، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردًّا علىٰ برغوث[1] وصحبه المبتدعين[2]: «قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] وتنكرون هذا، فتكون هذه الياء المذكورة ترد علىٰ غير الله، ويكون مخلوق يدعي الربوبية؟! إلا هو عَزَّوَجَلَّ، وقال الله لموسىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]».

وقال إمام الأئمة في زمانه محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١)[3]: «فبيَّن الله في الآي الثلاث بعض ما كلم الله به موسىٰ مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب، ولا ملك غير مقرب، غير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، أو يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢]؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فاعلم الله في هذه الآية جَلَّوَعَلَا أن له كلمة يتكلم بها».

---

(١) برغوث من معتزلة البصرة، كما ذكر الإمام أحمد، انظر «محنة الإمام أحمد» (ص٤٧)، وقد أخمد الله ذكره، فليس له ترجمة حتىٰ في (طبقات المعتزلة) لأحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، توفي سنة أربعين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤).

(٢) محنة الإمام أحمد بن حنبل، لحنبل بن إسحاق، (ص٥٢).

(٣) التوحيد (١/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

الثاني: أن الله يتكلم بحرف، وذلك واضح من كلام الله الذي كلم به موسىٰ، وعقله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وسمعه، قال سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢]، فإن كلام الله هذا حروف.

الثالث: أن الله يتكلم بصوت، وهذا واضح من قوله: ﴿نُودِيَ﴾ [طه: ١١]، وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وذلك أن النداء لا يكون إلا بصوت إجماعًا، قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٤)[1]: «النداء عند العرب صوت لا غير».

وقال تعالىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الاستماع بين الخلق لا يقع إلا إلىٰ صوت، وهو غير الإفهام؛ لأن الفهم يتأخر عن السمع».

وقال السجزي أيضًا[3]: «العقل لا يقتضي أن يسمع بشر مُبْقًىٰ علىٰ بنيته وعادته ما ليس بصوت».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «النداء في لغة العرب هو صوت رفيع، لا يطلق النداء علىٰ ما ليس بصوت، لا حقيقة ولا مجازًا».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[5]: «... وعُلم بإجماع الأمة ما استفاضت به السنن عن النبي ﷺ من تخصيص موسىٰ بتكليم الله إياه، دل ذلك علىٰ أن الذي حصل

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١٦٧).

(٢) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١١٤).

(٣) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١١٥).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٣١).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٣٢).

له ليس من جنس الإلهامات وما يُدرك بالقلوب، وإنما هو كلام مسموع بالآذان، ولا يسمع بها إلا ما هو صوت».

الرابع: أن الكلام يتعلق بمشيئة الله؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يتكلم إذا شاء، كيف شاء، بما شاء، ولم يزل متكلمًا.

ومقالات الفرق وانحرافها في القرآن، وصفة الكلام، كلها تدور علىٰ هذه الأصول المقررة، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وإنَّ أقوال الناس في القرآن سبعة أقوال تدور علىٰ أصلين: أحدهما: هل قوله متعلق بقدرته ومشيئته أم لا؟

والثاني: هل قوله وكلامه قائم بذاته ومتصف به، أم هو خارج عن الذات ومنفصل عنها؟

فعن هذين الأصلين ينشأ اختلاف الناس في القرآن».

والسنَّة تعضد القرآن وتوافقه علىٰ أن الله يتكلَّم بحرف، كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٢).

وقال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **للنبي** ﷺ: «**فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته**»(٣).

قال العلامة أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «فلما سمَّىٰ سبحانه هذا القرآن

---

(١) توضيح الكافية الشافية، (ص٣٣).

(٢) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر (٥/ ١٧٥ - رقم ٢٩١٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٤٤ - رقم ٨٠٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١٥٤).

العربي الفصل كلامَه؛ عُلم أن كلامه حروف، كيف وقد أكد ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور منه، مثل: (الم)، و(الر)، و(كهيعص)، و(طه) و(حم)، و(يس)، و(ص) و(ق) و(ن)».

وقال السجزي أيضًا[١]: «والنبي ﷺ يقول: «**من قرأ سورة الإخلاص**» و«**من قرأ آية الكرسي**» و«**من قرأ حرفًا من القرآن**»؛ فبيَّن أن القرآن سور وآيٌ وحروف».

ودلَّت الأحاديث على ما دل عليه القرآن، من أن الله يتكلَّم بصوت، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تكلَّم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون حتى يأتيهم جبريل** عليه السلام**، فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول**: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾»[٣].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد**

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت، (ص١٥٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾، ولم يقل: ماذا خلق ربكم؟ (١٣/٤٥٣ - رقم ٧٤٨٣)، واللفظ له. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» (١/ ٢٠١ - رقم ٣٧٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر، باب قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (٨/ ٣٨٠ - رقم ٤٧٠١).

فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وفي هذا دليل علىٰ أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته».

فالقول بأن الله يتكلم هو مقتضىٰ النص والإجماع كما سبق.

قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك؛ صار كالإجماع».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم بصوت إلا ابن كلاب ومن اتبعه».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٥]: «وقول القائل: إن الله لا يتكلم بصوت، ونحو

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٩٥)، وعلقه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٦٢): إسناده صحيح.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٦٧): (هذا حديث حسن جليل).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويكفي رواية البخاري في صحيحه مستشهدًا به، واحتج به في خلق أفعال العباد، ورواه أئمَّة الإسلام في كتب السنَّة، وما زال السلف يروونه، ولم يسمع عن أحد من أئمة السنة أنه أنكره حتىٰ جاءت الجهمية فأنكروه، ومضىٰ علىٰ آثارهم من اتبعهم في ذلك). بواسطة «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٦٨).

(٢) مختصر الصواعق (٢/ ٤٦٨ - ٤٦٩).

(٣) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١٦٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٢٨).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٣٠).

ذلك؛ كلام لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، وليس فيه حديث لا صحيح ولا ضعيف».

وأهل الملل موافقون للمسلمين في أن الله يتكلم بحرف وصوت، ولم يبقَ إلا الأشاعرة شاذين منفردين عن الخلق جميعًا.

قال أبو نصر السجزي(١): «اليهود والنصارىٰ مقرُّون بأن لله كلامًا، ومختلفون في نفي الخلق عنه وإثباته كاختلاف المسلمين، ومجمعون علىٰ أن الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا».

والذي حمل أهل البدع علىٰ دفع هذه النصوص المثبتة للصوت والحرف؛ هو توهمهم أن إثباتها يقتضي مخارج، وأنها تستلزم الحَلقَ.

وهذا إنما يقوله من امتلأ قلبه من رجس التجسيم، فيحمله ذلك علىٰ التحريف والرد للنصوص؛ فهم أولًا ظنوا وتوهموا أن الصوت والحرف كصوت وحرف المخلوق، لا يكون إلا من مخارج وحلق؛ فأفضىٰ بهم إلىٰ التعطيل والتحريف.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، وشفتين، ولسان، أليس قال الله للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]؟! أتراها أنها قالت بجوف، وفم، وشفتين، ولسان، وأدوات؟!

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] أتراها أنها يسبحن بجوف، وفم، ولسان، وشفتين؟!

والجوارح إذا شهدت علىٰ الكافر فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ

---

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١٥٢).

(٢) الرد علىٰ الجهمية والزنادقة، (ص٢٦٨ - ٢٦٩).

﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، أتراها أنها نطقت بجوف، وفم، وشفتين، ولسان؟! ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول: بجوف، ولا فم، ولا شفتين، ولا لسان».

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج باطل ومحال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وكذلك قال إخبارًا عن السماء والأرض أنهما: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]؛ فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات.

وروي عن النبي ﷺ أنه كلمه الذراع المسمومة، وصح أنه سلم عليه حجر، وسلمت عليه شجرة».

❁ ❁ ❁

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، (ص١٤٩ - ١٥٠).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القرآن كلام الله

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

الشَّرح:

بعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة في إثبات صفة الكلام لله، ذكر عقيدتهم في القرآن؛ لأن القرآن كلام الله، وحذّر المصنف كذلك مما يضاد عقيدة أهل السنة في القرآن.

وصفة الكلام هي أول ما بدأ فيها الابتداع في صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه في أواخر الدولة الأموية أطلَّ الجعد بن درهم ببدعته في الصفات، وكان أول ما خاض فيه وأنكره صفة الكلام والمحبة.

وحقيقة القول بإنكار الكلام أو القول بخلق القرآن هو هدم الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القول بأن كلام الله مخلوق منفصل عنه قول باطل، وهو شعار الجهمية، وهو في الحقيقة تكذيب للرسل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا(٢): «المقصود بقولهم: إن القرآن مخلوق؛ أن الله لا يكلم ولا يتكلَّم، ولا قال ولا يقول، وبهذا تتعطل سائر الصفات: من العلم والسمع والبصر، وسائر ما جاءتْ به الكتب الإلهية، وفيه أيضًا قدح في

---

(١) الاستقامة (١/ ١٣٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨١).

نفس الرسالة؛ فإن الرسل إنما جاءت بتبليغ كلام الله، فإذا قُدِح في أن الله يتكلم؛ كان ذلك قدحًا في رسالة المرسلين؛ فعلموا أن في باطن ما جاءوا به قدحًا عظيمًا في كثير من أصلَي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله».

فالجهمية والمعتزلة فارقت الجماعة في صفة الكلام: القرآن، وقالوا بأقبح قول وأشنعه، فقالوا بخلق القرآن، وتعلقوا بقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ولا متعلق لهم في ذلك؛ لأن (كل) عمومها فيما سيقت له، فمعنىٰ الآية: الله خالق كل شيء مما هو مخلوق، وهذا نظير قوله تعالىٰ عن ريح عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، يعني مما أراد الله تدميره، بدليل أن مساكنهم لم تدمرها الريح، كما قال سبحانه: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وتعلقوا كذلك بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ، وتوهموا أن جعل بمعنىٰ خلق، وهذا من نقص علمهم؛ فإن جعل بمعنىٰ خلق إذا تعدّت إلىٰ مفعول، أما وقد تعدت إلىٰ مفعولين فتكون بحسب ما يقتضيه السياق، المفعول الأول: في ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا﴾ الضمير (الهاء)، والثاني: قرآنًا، وعربيًّا: نعت؛ فصار معنىٰ جعل (أنزل) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وتعلق القائلون بخلق القرآن أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقالوا: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يعني: مخلوق، فحملوا لغة القرآن علىٰ اصطلاح المتكلمين.

فالمراد بمحدث: أي أنه آخر ما نزل، وليس المراد بمحدث مخلوقًا.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا، وأنت

---

(١) الرد علىٰ الزنادقة والجهمية، (ص٣١).

تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان القرآن ينزل شيئًا فشيئًا، فما تقدم نزوله فهو متقدم علىٰ متأخر نزوله، وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلىٰ ذلك المتقدم، ولهذا قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]؛ فدل علىٰ أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث».

فالمحدث من الذكر والتنزيل هو آخر ما نزل؛ فهذا معناه في لغة القرآن والصحابة.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٢]: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله علىٰ نبيكم أحدث الأخبار بالله؟!».

وفارق محمد بن سعيد بن كلاب الجماعة في القرآن، وزعم أن القرآن حكاية عن كلام الله، ثم جاء تلميذه أبو الحسن الأشعري واستنكر الحكاية؛ لأنها تقتضي أن تكون مثل المحكي، وليست الحروف مثل المعنىٰ، فقال الأشعري: هو عبارة عن معنىٰ كلام الله ودلالة عليه، وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول، وبيَّن بطلانه من تسعين وجهًا في رسالته (التسعينية).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنّ ابن كلاب قال: الحروف حكاية عن كلام الله، وليست من كلام الله؛ لأن الكلام لابد أن يقوم بالمتكلم، والله يمتنع أن يقوم به حروف وأصوات؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي، فجاء الأشعري بعده وهو موافق لابن كلاب علىٰ عامة أصوله، فقال: الحكاية تقتضي أن

(١) الصفدية (٢/ ٨٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٥/ ٢٩١ - رقم ٢٦٨٥).

(٣) التسعينية (٢/ ٤٣٨).

تكون مثل المحكي، وليست الحروف مثل المعنىٰ، بل هي عبارة عن المعنىٰ ودلالة عليه، وهم وأتباعهم يقولون: إن تسمية ذلك كلامًا لله مجاز لا حقيقة».

وقد أغلظ العلماء القول فيمن زعم أن القرآن حكاية عن كلام الله.

قال أبو جعفر أحمد بن سنان الواسطي(١): «من زعم أن القرآن شيئان، أو أن القرآن حكاية؛ فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق كافر بالله».

وسبب إغلاظهم هذا؛ لأن القول بالحكاية أو المعنىٰ حقيقته تؤول إلىٰ قول الجهمية بنفي الكلام عن الله، وفي أنه مخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «طائفة قالت: كلام الله ليس إلا مجرد معنًىٰ قائم بالنفس، وحروف القرآن ليست من كلام الله، ولا تكلم بها، ولا يتكلم الله بحرف ولا صوت، و(الم) و(طس) و(ن) وغير ذلك ليس من كلام الله الذي تكلم هو به، ولكن خلقها، ثم منهم من قال: خلقها في الهواء، ومنهم من قال: خلقها مكتوبة في اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: جبريل هو الذي أحدثها وصنفها بإقدار الله له علىٰ ذلك.

وهؤلاء وافقوا الجهمية في نفيهم عن الله الكلام ما نفته الجهمية، وفي أنهم جعلوا هذا مخلوقًا كما جعلته الجهمية مخلوقًا، ولكن فارقوهم في أنهم أثبتوا معنىٰ (القرآن غير مخلوق)، وقالوا: إن كلام الله اسم لما يقوم به، ويتصف به، لا لما يخلقه في غيره، وأطلقوا القول بأن القرآن غير مخلوق، وإن كانوا لا يريدون

---

(١) أسنده الضياء المقدسي في «اختصاص القرآن بعوده إلىٰ الرحيم الرحمن» (رقم ١٦ - ص ٣٢)، وقال محققه الشيخ عبد الله الجديع - وفقه الله -: (سنده صحيح). والمقالة كفر، والقائل لا يُعيّن لمانع الجهل والتأويل، خصوصًا في الحكاية؛ لأن أكثر التابعين جهلة، تلقوها عمن يحسنون به الظن.

(٢) التسعينية (٢/ ٤٣٢ - ٤٣٣).

جميع المعنىٰ الذي أراد السلف والأئمة والعامة، بل بعضه، كما أن الجهمية تطلق القول بأن القرآن كلام الله، ولا يعنون به المعنىٰ الذي يعنيه السلف والأئمة والعامة، ولكن هؤلاء منعوا أن تكون هذه الحروف من كلام الله، والجهمية المحضة سموها كلام الله، لكن قالوا: هي مع ذلك مخلوقة، وأولئك لا يجعلون ما يسمونه كلام الله مخلوقًا، ومنهم من يقول: يسمىٰ كلام الله أيضًا علىٰ سبيل الاشتراك، وأكثرهم يقولون: نسميها بذلك مجازًا».

وقال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولا يجوز إطلاق القول بأنه - القرآن - حكاية عن كلام الله كما أطلقته الكلابية، يعني: أنه يشبهه، وإلا ليس كلام الله.

وبعضهم تحاشىٰ كلمة (حكاية) وقال: هو (عبارة) أي: عن كلام الله، وإلا ليس كلام الله كما أطلقته الأشاعرة.

وهذا كله بناءً علىٰ القول بالكلام النفسي، وأنه شيء واحد، لا فرق بين أمره ونهيه، وخبره واستفهامه، وتوراته وإنجيله، وهم الذين ألّف المصنف في الرد عليهم (التسعينية)، وهذا القول شر من قول الجهمية، وقد أضحكوا الأمم، وخرجوا به عن المعقول، والأشاعرة فرع من الكلابية في هذه المسألة، والماتريدية قولهم يقارب قول الأشاعرة إلا أن بين القولين فروقًا عديدة».

وقال والدنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والفرق بين قول الأشاعرة وقول المعتزلة: قال المحققون: إنه لا فرق، بل المعتزلة خير من الأشاعرة في هذا. فالمعتزلة يقولون: هذا القرآن الذي بين أيدينا كلام الله.

---

(١) شرح الواسطية، (ص١٤٠).

(٢) شرح الأربعين النووية، (ص٢٥١).

والأشاعرة يقولون: عبارة عن كلام الله وليس كلام الله. وقد اتفق الجميع علىٰ أن ما بين دفَّتي المصحف مخلوق، لكن المعتزلة قالوا: هذا كلام الله خلقه كما خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، وأضافها الله إلىٰ نفسه إضافة تشريف كما أضاف المساجد إليه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤]، وكما أضاف الكعبة إليه فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، وكما أضاف الناقة إليه فقال: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقال الأشاعرة: كلام الله هو المعنىٰ القائم بنفسه وخلق أصواتًا سمعها جبريل عبارة عما في نفسه، وعلىٰ هذا فالقرآن علىٰ مذهب الأشاعرة مخلوق، لكن قالوا: إنه عبارة عن كلام الله».

ونظرًا لخطورة مقالة الأشعري في صفة الكلام، واشتباهها علىٰ من لم يعرف حقيقتها، وأنها تؤول إلىٰ القول بخلق القرآن، وأن الأشعري بقي علىٰ قوله في الكلام النفسي؛ فقد أغلظ أئمة السنة القول فيه.

قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والمعتزلة مع سوء مذهبهم أقل ضررًا علىٰ عوامِّ أهل السنَّة من هؤلاء؛ لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تستقف ولم تموه، بل قالت: إن الله بذاته في كل مكان، وإنه غير مرئي، وإنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا قدرة ولا قوة ولا إرادة ولا كلام، ولا صفات مضافة إلىٰ ذاته لازمة لها، بل هذه الأشياء أفعال له محدثة في غيره، وإن القرآن مخلوق، وإن من مات من غير توبة من أصحاب الكبائر خُلِّد في النار مع الكفار، وإن الحوض والشفاعة والميزان لا أصل لها، وإن من زنا أو سرق أو ارتكب كبيرة

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١٧٧ - ١٧٨)، وقد ذكر كلامًا أغلظ من هذا في (ص١١٠).

خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وسمي فاسقًا، وإن الدار إذا (لم) يظهر فيها قولهم: دار حرب، وإن من انتحل مذهب أهل الأثر واعتقد ما في الأحاديث علىٰ ظاهرها حشوي، وعند التحقيق كافر.

فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنبوهم وعدُّوهم أعداءً. والكلابية والأشعرية قد أظهروا الرد علىٰ المعتزلة والذب عن السنَّة وأهلها، وقالوا في القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه، وقولهم في القرآن حيرة؛ يدعون قرآنًا ليس بعربي، وأنه الصفة الأزلية، وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم».

وقال الموفق أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٢٠)**(١): «ومدار القوم علىٰ القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة، ولكن أحبوا أن لا يعلم بهم؛ فارتكبوا مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم، والقول بشيء لم يقله مسلم ولا كافر».

وقال ابن قدامة أيضًا(٢): «فقوله - الأشعري - قول المعتزلة لا محالة، إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولًا يوافق أهل الحق، ثم يفسره بقول المعتزلة.

فمن ذلك أنه يقول: القرآن مقروء متلو، محفوظ، مكتوب، مسموع، ثم يقول: القرآن في نفس الباري، قائم به، ليس هو سُوَرًا، ولا آيات، ولا حروفًا، ولا كلمات.

فكيف يتصور إذًا قراءته، وسماعه، وكتابته؟!

ويقولون: إن موسىٰ سمع كلام الله، من الله، ثم يقولون: ليس بصوت.

ويقولون: إن القرآن مكتوب في المصاحف، ثم يقولون: ليس فيها إلا الحبر والورق».

---

(١) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، (ص٣٤).

(٢) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، (ص٤٧).

ومن العلماء المعاصرين الذين بيَّنوا أن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقي على مقالته في القرآن العلَّامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال(١): «وإنما ثبت على قوله في الكلام النفسي، وبقي على مذهب ابن كلاب».

وكلام ابن سعدي هذا اشدد به يدك؛ لما هو معلوم عنه من الورع والديانة والعدل والإنصاف، والتثبت فيما ينسب للأئمة.

ودعوى الأشاعرة أن كلام الله معنًى قائم بالنفس تستلزم المُحال، وهو دليل الفساد، وهذا ما ألزم به أبو نصر السجزي أحد الأشاعرة، حيث قال له(٢): «ما تقول في موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث كلمه الله؟ أفهِم كلام الله مطلقًا أو مقيدًا؟ فتلكأ الأشعري، فقال أبو نصر: إن قلت: إنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهم كلام الله مطلقًا؛ اقتضى أن لا يكون لله كلام من الأزل إلى الأبد إلا وقد فهمه موسى، وهذا يؤول إلى الكفر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله عالمًا بالغيب وبما في نفس الله تعالى، وقد نفى الله تعالى ذلك بما أخبر به عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه يقول: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإذا لم يجز إطلاقه، وألجئت إلى أن تقول: أفهمه الله ما شاء من كلامه؛ دخلت في التبعيض الذي هربت منه، وكفَّرت من قال به، ويكون مخالفك أسعد منك؛ لأنه قال بما اقتضاه النص».

❁ ❁ ❁

(١) توضيح الكافية الشافية، ص (١٦٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٠-٩٢).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف.

❁ **الشَّرح:**

القرآن كلام ربنا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

وهو هدًىٰ ونور، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]،

وهو فرقان يُعرف به الحق من الباطل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣].

القرآن تعبدنا الله بتلاوته، وأمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بقراءته تدبرًا لنهتدي به وتزكو نفوسنا ونعبد الله عَزَّوَجَلَّ باتباعه.

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلىٰ نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمُّل فيه، وجمع الفكر علىٰ معاني آياته، فإنَّها تُطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلىٰ طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتُثبِّت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتُحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرِّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتُعرِّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتُعرِّفه طريق أهل الجنَّة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق، واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة: تُعرِّفه الرَّبَّ المدعوَّ إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قَدِمَ عليه، وتعرِّفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرىٰ: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه».

والقرآن كله محكم كما قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

فمعانيه كلها متفقة مؤتلفة يعضد بعضها بعضًا، لا تنافر ولا تخالف بينها، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والقرآن كله محكم بمعنىٰ الإتقان، فقد سمَّاه الله حكيمًا بقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١]، فالحكيم بمعنىٰ الحاكم».

---

(١) التدمرية، (ص١٠٢).

مثال: لا تتوهم أن قوله تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] يتعارض مع ما أخبر الله به عن محاسبة جميع الخلق: مسلمهم وكافرهم، وإنسهم وجنهم، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، فالله لا يسألهم في حال دون حال؛ فإنهم لا يُسألون عن ذنوبهم بعد أن يؤمر بهم إلىٰ النار، وقد كانوا سُئلوا قبل ذلك. وقيل: المراد: لا يُسألون سؤال استعلام بما وقع؛ لأن الله عالم بذلك، وإنما يريد مجازاة عباده، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟

وفضائل القرآن كثيرة عظيمة لا يأتي عليها حصر، فما من خير ومعروف وعلم نافع إلا وقد دل عليه، وما من شر إلا وحذر منه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ومن فضائل قراءته ما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(١).

فانظر ما تجتنيه من الحسنات بقراءة القرآن، صفحة واحدة فيها مئات الحروف بعشر حسنات، فصفحة بآلاف الحسنات، فأي فضل أعظم من هذا؟!

وحسبك من فضل أهل القرآن في الدنيا والآخرة حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(٢).

(١) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن، (ص٦٥٤ - رقم ٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن، (ص٩٠١ - رقم ٥٠٢٧).

حثَّ ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ إعراب القرآن، وهو فهمه؛ أخذًا بقول النبي ﷺ: «من قرأ حرفًا فأعربه؛ فله بكل حرف عشر حسنات»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

قال العلامة أبو الحسن السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٤٣هـ)**[1]: «**«من قرأ القرآن فأعربه»**؛ أي بيَّنه».

ويدل لذلك ما رواه أحمد من حديث عدي الكندي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**الثيب تُعربُ عن نفسها**»؛ أي: تُفهم.

فالمقصود بالإعراب هو تفهم المعنىٰ، وإعراب الكلم بحسب أحواله عون علىٰ فهم المعنىٰ.

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يُسهل عليه معرفة ما يقرأ».

والحرف يقع استعماله علىٰ الجملة التامة، وعلىٰ الكلمة، وعلىٰ الحرف المقطوع من الحروف المعجمة.

قال العلامة أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٣١هـ)**[3]: «إنَّ العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفًا، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع علىٰ الحرف المقطوع من الحروف المعجمة، والحرف أيضًا المعنىٰ والجهة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: ١١]».

---

(١) الوسيلة إلىٰ كشف العقيلة (ص٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢١).

(٣) المرشد الوجيز (ص٩٣).

وقول ابن قدامة المقدسي في القرآن: «له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض»؛ فيه تبيين لأول وآخر ما نزل من القرآن، وفيه تبيين لترتيب أول وآخر سور القرآن بحسب ما أجمع عليه الصحابة ﭫ في جمعه.

عن عائشة ﭫ: أنَّ جبريل عليه السلام فاجأ النبي ﷺ أول مرة في غار حراء، فقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾[1].

قال العلامة محمد بن عبد الله الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٩٤هـ)**[2]: «هو أول وحي».

وقال ابن عباس ﭫ: آخر آية أُنزلت من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، رواه النسائي.

وكان للنبي ﷺ كُتاب يكتبون الوحي، وكانت الصحف التي كُتبت في عهد النبي ﷺ مفرقة، فجمعها أبو بكر الصدِّيق ﭬ، ثم أمر عثمان بن عفان ﭬ بالنسخ منها، فنسخ منها عدة مصاحف، وأرسل بها إلىٰ الأمصار[3].

وترتيب المصحف العثماني الذي بأيدي الناس اليوم أوله سورة الفاتحة وخاتمته سورة الناس؛ هو مما كتبه زيد بن ثابت ﭬ والصحابة ﭫ علىٰ العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل النبي ﷺ قبل وفاته.

وقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن القرآن**: «أجزاء وأبعاض»؛ فهذا فيه تبيين ما يتألف منه القرآن، فمجموع سوره كلها هو القرآن.

وكل سورة هي بعض القرآن، وكل سورة آياتها كلها هي السورة كاملة،

---

(١) رواه البخاري كتاب بدء الوحي، باب (ص١، رقم ٣)، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (ص٨٠ – رقم ٤٠٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن (ص١٤٤، ١٤٥).

(٣) شرح السُّنَّة (٤/ ٥١٩)، فتح الباري (٩/ ١٣).

وبعض آياتها هو بعض السورة.

تسمية أجزاء وأبعاض القرآن، سورة وآية؛ هذا ورد عن النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتىٰ غُفر له ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»، رواه أبو داود والترمذي.

وقد اعتنىٰ العلماء بذكر عدد كلمات وحروف القرآن، فقال العلامة أبو الحسن السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «حَسَبْنَا حروف القرآن فكان ثلاثمائة ألف حرف وواحدًا وعشرين ألف حرف، وعددنا الكلمات فكانت اثنتين وسبعين ألف كلمة».

ومقدار ما يقرأه المسلم من القرآن هذا حزبه وجزءه الذي يتلوه، وقد ورد عن النبي ﷺ تسمية ذلك.

عن أوس بن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي ﷺ أبطأ يومًا عن أصحابه، فقال الصحابة رضوان الله عليهم له: لقد أبطأت عنا الليلة، فقال: «**إنّه طرأ عليَّ جزئي من القرآن، فكرهت أن أجئ حتىٰ أُتمَّه**» رواه أبو داود.

قال الحافظ أبو الحسن عليُّ بن محمد السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٤٣هـ)**[2]: «أجزاء القرآن والأحزاب والأوراد بمعنىٰ واحد».

والقرآن ثلاثون جزءًا ، كل جزء حزبان ، هذا في اصطلاحنا وتقسيمنا للجزء والحزب.

وقول ابن قدامة في القرآن «محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف» فيه بيان منَّة الصحابة رضي الله عنهم علىٰ الخلق جميعًا في أداء الدين إليهم، فإنّ

---

(١) جمال القراء (١/ ٢٣١).

(٢) جمال القراء (١/ ١٢٤).

قلوب الصحابة هي التي حفظت القرآن، ومن صدورهم كُتب المصحف.

قال تعالىٰ ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رحمة الله علىٰ أبي بكر، هو أول من جمع ما بين اللَّوحين»، رواه ابن أبي داود في «المصاحف»[(١)].

وترتيب المصحف توقيفي؛ كان النبي ﷺ يأمر الصحابة من كُتَّاب الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بوضع سور القرآن علىٰ الترتيب الذي أراه الله.

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يُذكر فيها كذا، رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة، وصححه ابن حبان.

قال العلامة الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**[(٢)]: «فثبت أنَّ القرآن كان علىٰ هذا التأليف والجمع في زمان النبي ﷺ».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع قراءات الناس علىٰ مصحف واحد، ووضعه علىٰ العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام».

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناد صحيح» فضائل القرآن (ص٥٧).

(٢) شرح السُّنَّة (٤/ ٥١٩).

(٣) فضائل القرآن (ص٨٦).

فالواجب التزام إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ترتيب سور القرآن، وكذلك ترتيب آياته في السورة الواحدة.

وقال سليمان بن بلال: سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يُسأل: لم قُدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنَّما نزلتا بالمدينة؟

فقال: قُدِّمتا، وأُلِّف القرآن علىٰ علم ممن أَلَّفه، ومن كان معه فيه، واجتماعهم علىٰ علمهم بذلك، فهذا مما يُنتهىٰ إليه، ولا يُسأل عنه(١).

وقال صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: سألته - الإمام أحمد - عن سورة الأنفال وسورة التوبة: هل يجوز للرجل أنْ يفصل بينهما بـ: بسم الله الرحمن الرحيم؟

فقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: يُنتهىٰ في القرآن إلىٰ ما أجمع عليه أصحاب محمد ﷺ، لا يُزاد فيه ولا يُنقص(٢).

وقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ **عن القرآن:** «متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف»؛ فيه تبيين أنَّ القرآن الذي نقرؤه ونسمعه ونبصره في رسم المصحف هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ مُبَلَّغٌ عنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

قال صالح بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي قال: جبريل سمعه من الله عَزَّوَجَلَّ، وسمعه النبي ﷺ من جبريل، وسمعه أصحاب النبي من النبي ﷺ، فالقرآن كلام الله غير مخلوق(٣).

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٦).

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية صالح (١/ ٢٧٤ - رقم ٢١٦).

(٣) السُّنَّة للخَلَّال (٥/ ١٢٦-رقم ١٧٧٩).

وقال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان رحمهما الله[١]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، ومِصْرًا، وشامًا، ويَمَنًا، فكان من مذهبهم: القرآن كلام الله تعالىٰ غير مخلوق، ومن زعم أنَّ القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم».

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لم يزل السلف الصالح من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والأئمة بعدهم يُعظِّمون هذا القرآن، ويعتقدون أنَّه كلام الله، ويتقرَّبون إلىٰ الله بقراءته، ويقولون: إنَّه غير مخلوق، ومن قال: إنَّه مخلوق؛ فهو كافر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الذي اتفقوا عليه: أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو كلام الله حيث تُلِيَ، وحيث كُتب، وهو قرآن واحد، وكلام واحد، وإنْ تنوَّعت الصور التي يُتلىٰ فيها ويُكتب من أصوات العباد ومِدَادِهم؛ فإنَّ الكلامَ كلامُ من قاله مُبْتدئًا، لا كلام من بَلَّغَهُ مُؤَدِّيًا».

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (ص٨٧، ٨٨).

(٢) المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة (ص٤٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٢٤١).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

الشَّرح:

آيات القرآن نوعان: محكم ومتشابه، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومن أعظم الحكم التي من أجلها جعل الله الاشتباه في بعض آيات القرآن هو امتحان الناس في إيمانهم؛ فإنه لو شاء الله لجعل القرآن كله محكمًا، ولكن أراد ابتلاء الناس في إيمانهم؛ ليتميّز الصادق المتبع أمر الله فيلزم المحكم، من المضاد لأمر الله المتبع للمتشابه ابتغاء الفتنة.

قال العلامة أبو عبيد الجبيري المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لو كانت جليَّة كلها لارتفع التنازع وعُدم الاختلاف، ولم يُلجأ إلىٰ تدبُّر، ولا احتيج إلىٰ اعتبار وتفكير، ولا وُجد شكٌّ ولا ظن، ولا جهل ولا نسيان؛ لأن العلم حينئذ يكون طبعًا. ولو كانت كلها خفية لم يبقَ طريق إلىٰ معرفة شيء منها؛ إذ الخفي لا يُعلم بنفسه، ولو عُلم بنفسه لكان جليًّا».

وقال العلامة الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لو زال الاختلاف بأن يُنص كل شيء

(١) التوسط بين مالك وابن القاسم في المسائل التي اختلفا فيها من مسائل المدونة، (ص٢١٠).

(٢) أعلام الحديث (١/ ٢١٨).

باسمه تحليلًا وتحريمًا؛ لارتفع الامتحان، وعُدم الاجتهاد في طلب الحق، ولاستوىٰ الناس في رتبة واحدة، ولبطلت فضيلة العلماء علىٰ غيرهم».

والمقصود بالتشابه هذا هو اشتباه معنىٰ الآية، فردُّه إلىٰ المحكم من آي القرآن يزيل الاشتباه ويميِّز الحقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يكون الإحكام في التأويل والمعنىٰ، وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتىٰ لا تشتبه بغيرها.

وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا، وتشبه هذا؛ فتكون محتملة للمعنيين».

والاشتباه الواقع في بعض النصوص لا يخرج القرآن عن كونه بيانًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «بيان الأحكام يحصل تارة بالنص الجلي المؤكد، وتارة بالنص الجلي المجرد، وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

وذلك كله داخل في البلاغ المبين؛ فإنه ليس من شرط البلاغ المبين أن لا يُشكل علىٰ أحد؛ فإن هذا لا ينضبط، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، وفيهم من يبلغه العلم، وفيهم من لا يبلغه، إما لتفريطه أو عجزه».

فالواجب علىٰ متحري الحق رد المتشابه إلىٰ المحكم، والاستعانة بفهم الصحابة في تمييز الحق.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٧٤ - ٢٧٥).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٥٧٥ - ٥٧٦).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فالقرآن معانيه كلها بيِّنة، لكن بعض القرآن يشتبه على ناس دون آخرين، حتى العلماء الراسخون في العلم يختلفون في معنى القرآن، وهذا يدل على أنه خفي على بعضهم، والصواب لا شك مع أحدهم إذا كان اختلافهم اختلاف تضاد لا تنوع، أما إذا كانت الآية تحتمل المعنيين جميعًا بلا منافاة ولا مرجح لأحدهما؛ فإنها تُحمل عليهما جميعًا».

واتباع المتشابه في آي القرآن هو أول ما وقع من الشرِّ في هذه الأمة، وكانت بدايته في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث ظهر عبد الله بن صبيغ التميمي واتَّبع المتشابه، وأخذ يخوض فيه.

وعظم اتباع المتشابه في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث صاروا مجموعات، وهؤلاء هم الخوارج، الذين فارقوا الجماعة، وأراقوا دماء المسلمين لاتباعهم المتشابه.

قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في الخوارج**: عمدوا إلى آيات في الكفار فجعلوها في المسلمين، رواه مسلم.

وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما ناظرهم أحالهم إلى ما يُوجب نزعهم عن هلكة المتشابه، حيث قال لهم: «أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الذين نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله»، رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الحاكم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن الخوارج أول من تبع ما تشابه منه، وابتغوا بذلك الفتنة؛ فقتلوا من أهل الإسلام ما لا يحصى كثرة، وتجنبوا قتل

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، (ص٤٩٥).

(٢) العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٦٦٢ - ٦٦٣).

أهل الشرك، وأخبارهم في ذلك شهيرة، ولذلك ورد في عدة أحاديث صحيحة أنهم شر الخلق والخليقة، وذكر الخوارج نبّه به الحديث المذكور علىٰ من ضاهاهم في اتباع المتشابه وابتغاء تأويله، فالآية شاملة لكل مبتدع سلك ذلك المسلك».

النسخ في اصطلاح السلف يُطلق علىٰ تخصيص العام، وتقييد المطلق، والاستثناء، وكذلك يُطلق علىٰ رفع حكم شرعي بمثله متراخ عنه(١).

والنسخ في اصطلاح المتأخرين اقتصر علىٰ رفع حكم شرعي بمثله متراخ عنه(٢).

قال أبو الحسن السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٤١هـ) عن اصطلاح الصحابة في النسخ(٣): «كانوا يُسمون ما يُغيِّر الأحوال نسخًا».

تحرَّفت التوراة والإنجيل، فنسخ الله عَزَّوَجَلَّ شريعة من قبلنا بالإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال الموفق ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «أجمعت الأمة علىٰ أنَّ شريعة محمد ﷺ قد نسخت ما خالفها من شرائع الأنبياء قبله».

ونسخ الشرائع السابقة بالإسلام فيه تحقيق توحيد المكلفين بعبادة الله بما شرع، وتخفيف مشاق التكليف؛ فإنَّ محمدًا ﷺ بُعث بالحنيفية السمحة، فنسخ الله به الآصار والأغلال التي كانت علىٰ من قبلنا، قال تعالىٰ: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وفيه تحقيق الأصلح للخلق.

---

(١) الاستقامة (١/ ٢٣)، وإعلام الموقعين (٢/ ٢٩٧)، والموافقات (٣/ ١٠٨).

(٢) شرح الطوفي علىٰ مختصر الروضة (٢/ ٢٥١)، التحبير شرح التحرير (٦/ ٢٩٧١).

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٣٠٨).

(٤) روضة الناظر (ص٧٠).

والنسخ يقع في التلاوة والحكم جميعًا، ويقع في الحكم دون التلاوة، ويقع في التلاوة مع بقاء الحكم(١).

قال العلامة أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما النسخ: فإن له ثلاثة مواضع في الكتاب والسنة، ولكلها شواهد ودلائل، فأحدها: نسخ القرآن مما يعمل به، وهو علم الناسخ من المنسوخ، والشاهد عليه ما فسره ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في حديثه الذي ذكرناه: أنه إبدال الآية مكان الآية، ثم أوضحه مجاهد، فقال: يُثْبت خطها ويُبْدل حكمها؛ فهذا هو المعروف عند العالم أن الآية الناسخة والمنسوخة جميعًا ثابتتان في التلاوة وفي خط المصحف، إلا أن المنسوخة منهما غير معمول بها، والناسخة هي التي أوجب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الناس اتباعها والأخذ بها.

وأما النسخ الثاني: فأن ترفع الآية المنسوخة بعد نزولها، فتكون خارجة عن قلوب الرجال، ومن ثبوت الخط، والشاهد عليه أحاديث عدة».

والنسخ يقع إلىٰ أثقل، أو مساو، أو أخف، والنسخ إلىٰ أثقل قال به جمهور العلماء، وخالف بعض الشافعية في ذلك، ومثاله: نسخ وجوب صيام عاشوراء بصوم رمضان، ونسخ التخيير بين صيام رمضان أو الإطعام إلىٰ وجوب الصيام.

ومثال النسخ إلىٰ مساو: نسخ استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة.

ومثال النسخ إلىٰ الأخف: التخفيف من وجوب مصابرة العدو من عشرة أضعاف إلىٰ الضعف، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ

(١) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٤٥).
(٢) الناسخ والمنسوخ (ص٥٨٨).

ﵟٱلصَّٰبِرِينَﵞ [الأنفال: ٦٦](١).

وخطاب الله أنواع، منه ما هو عام، ومنه ما هو مطلق، ومنه ما هو خاص، أو عام مخصص، أو عام أريد به الخصوص أو مطلق مقيد.

والمقصود من معرفة ذلك الأخذ بدلالة الأدلة علىٰ الأحكام، والنظر في النص العام فيما دخله التخصيص أو أُريد به الخصوص، والنظر في المطلق حيث أُطلق أو قُيِّد بوصف أو شرط أو استثناء أو غيره، والنظر في بيان المجمل، والأخذ بمعاني الشرع ومقاصده.

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «خطاب كتاب الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أوجه:

خطاب عامٌّ كقوله تعالىٰ: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَﵞ [المائدة: ٦]، وكقوله تعالىٰ: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُﵞ [البقرة: ١٨٣]، في نحو ذلك من أوامر الشريعة.

وخطاب خاصٌّ للنبي ﷺ، لا يشركه في ذلك غيره، وهو ما أبين به عن غيره بسمة التخصيص وقطع التشريك، كقوله تعالىٰ: ﵟوَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَﵞ [الإسراء: ٧٩]، وكقوله: ﵟخَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗﵞ [الأحزاب: ٥٠]، وخطاب

(١) التحبير شرح التحرير (٦/ ٣٠٢١).

(٢) معالم السنن (٢/ ١٦٦، ١٦٧).

مواجهة للنبي ﷺ وهو وجميع أمته في المراد به سواء، كقوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وكقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]، في نحو ذلك من خطاب المواجهة؛ فكل من دلكت له الشمس كان عليه إقامة الصلاة واجبة، وكل من أراد قراءة القرآن كانت الاستعاذة معتصمًا له، وكل من حضره العدو وخاف فوت الصلاة؛ أقامها علىٰ الوجه الذي فعلها رسول الله ﷺ وسَنَّها لأمته، ومن هذا النوع قوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ فعلىٰ القائم بعده بأمر الأمة أن يحتذي حذوه في أخذها منهم، وإنما الفائدة في مواجهة النبي ﷺ بالخطاب أنه هو الداعي إلىٰ الله سبحانه، والمبيِّن عنه معنىٰ ما أراده، فقدَّم اسمه في الخطاب ليكون سلوك الأمة في شرائع الدين علىٰ حسب ما ينهجه ويُبَيِّنه لهم. وعلىٰ هذا المعنىٰ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]؛ فافتتح الخطاب بالتنويه باسمه خصوصًا، ثم خاطبه وسائر أمته بالحكم عمومًا.

وربما كان الخطاب له مواجهة والمراد به غيره، كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، ولا يجوز أن يكون ﷺ قد شك قط في شيء مما أنزل عليه، وكقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وهذا خطاب لم يتوجه عليه ولم يلزمه حكمه؛ لأمرين: أحدهما: أنه لم يدرك والديه، ولا كان واجبًا عليه لو أدركهما أن يحسن إليهما ويشركهما إحسان الآباء المسلمين وشكرهم».

وغالب أدلة الشريعة عمومات، من أجل هذا لابد أن يتبين طالب العلم أدلة حجية العموم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قولنا: هذا في كتاب الله؛ يعمُّ ما هو فيه بالخصوص والعموم، وعلىٰ هذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ١١١]، وقوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، علىٰ قول من جعل الكتاب هو القرآن، وأما علىٰ قول من جعله اللوح المحفوظ؛ فلا يجيء هاهنا».

النصوص العامة يجب الأخذ بدلالتها علىٰ الأحكام، أجمع الصحابة علىٰ حجيتها والعمل بها، فالعمومات هي مباني الشريعة وأدلة أحكامها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «عمومات القرآن المقصود عمومها التي إذا أُبطل عمومها؛ بطل مقصود عامة القرآن».

علىٰ كل حال مقصود ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكر هذه المسائل الأصولية في متن مجمل في العقيدة النصيحة للمسلمين بأصول الاستدلال الصحيحة والتحذير من قواعد وأصول استدلال المبتدعين؛ لأنَّ أصول وقواعد الاستدلال إذا كانت باطلة كان ما بُني عليها من العقائد والأحكام باطلًا وضلالًا.

والمقصود هو التفقُّه في معاني نصوص الوحي، وفهم السلف من الصحابة والتابعين به تعرف الأفهام الصحيحة من الباطلة.

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ١٦٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٩٠).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، فلما نفىٰ الله عنه أنه شعر، وأثبته قرآنًا؛ لم يبقَ شبهة لذي لبٍّ في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرىٰ ما هو ولا يعقل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس: ١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلىٰ عليهم.

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧- ٧٩] بعد أن أقسم علىٰ ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾ [الشورىٰ: ١، ٢]، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه؛ فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه؛ فله بكل حرف حسنة**». حديث صحيح.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**».

وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله».

واتفق المسلمون علىٰ عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه؛ أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة علىٰ أنه حروف.

الشَّرح:

بلاغة القرآن إعجاز إلهي؛ فليس في قدرة بلغاء الخلق جميعًا، إنسهم وجنِّهم؛ أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، وذلك أنَّ هذا القرآن كلام رب العالمين.

فالقرآن لا يوجد كلام غيره يوازيه، لا في ألفاظه ولا معانيه، ولا في بلاغته، وسلطانه علىٰ القلوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ما من كلام تكلَّم به الناس، وإنْ كان في أعلىٰ طبقات الكلام لفظًا ومعنًىٰ، إلَّا وقد قال الناس نظيره، وما يشبهه ويقاربه، سواء كان شعرًا، أو خطابة، أو كلامًا في العلوم والحكم والاستدلال،

(١) النبوات (١/ ٥١٦، ٥١٧).

والوعظ، والرسائل، وغير ذلك، وما وُجد من ذلك شيء إلَّا ووُجد ما يشبهه ويقاربه.

والقرآن ممَّا يعلم الناس عربهم وعجمهم أنَّه لم يُوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب علىٰ معارضته، فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه علىٰ القلوب آية، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير».

وبيَّن ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفضيل أكابر الصحابة وساداتهم العلماء فهم القرآن علىٰ حفظه، مع أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتفهمون ما يحفظون.

فقد ساق ابن قدامة أثر أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّهما قالا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه».

حاجة الأُمَّة إلىٰ تدبُّر معاني القرآن ضرورية، ليفهموا خطاب الله لهم فيما يجب عليهم اعتقاده والعمل به، وليقيموا دينهم ودنياهم.

وقراءة القرآن بلا تدبُّر، مجرد قراءة؛ هذه قراءة اليهود، ما أقلَّ نفعها! قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]؛ يعني: قراءة مجردة عن الفهم والعمل.

والله عَزَّوَجَلَّ قد أمرنا أن نتلو القرآن ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، فالشأن في تحقيق التلاوة.

قال العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «التِّلاوة الحقَّة تلاوة اللَّفظ كما أُنزل، وتلاوة المعنىٰ فيفهمه علىٰ مراد الله، وتلاوة الحكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتصديق الأخبار».

---

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ٣٥)، باختصار.

فالواجب علىٰ المسلمين الاعتناء بتدبر القرآن، وفهمه فهمًا صحيحًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أعلىٰ الهمم في طلب العلم؛ طلب علم الكتاب والسُّنَّة، والفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ نفس المراد».

وحثَّ ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ فهم القرآن فهمًا صحيحًا، وحذَّر من الفهم البدعي الضال لمعانيه، مستدلًّا بقول النبي ﷺ: «اقرءوا القرآن قبل أنْ يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»، والذين لا تجاوز تلاوة القرآن تراقيهم هم الخوارج.

الخوارج ضلوا في فهم القرآن؛ لأنَّهم فهموه بخاصة أنفسهم مع جهلهم وإعراضهم عن تلقِّي معانيه عن الصحابة.

الخوارج ضلوا في فهم القرآن لأنَّهم جعلوا أهواءهم حاكمة علىٰ كتاب الله، قال الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ضعوا القرآن مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم».

ضل الخوارج في فهم القرآن لأنَّهم وضعوا نصوصه في غير مواضعها، قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «عمدوا إلىٰ نصوص نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين» رواه مسلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «صاروا يتبعون المتشابه من القرآن، فيتأولونه علىٰ غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسُّنَّة، ولا مُراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن».

القرآن ميسر للفهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فقد يسَّر الله ألفاظه للحفظ ومعانيه للفهم وأحكامه للعمل.

---

(١) الفوائد (ص٨٤).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (١/ ١٧٩).

القرآن هدًىٰ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قد ضلَّ في فهم معانيه المبتدعة لسوء قصدهم في الاهتداء به، فعمدوا إلىٰ ألفاظه فحرَّفوها وغالطوا في معانيها، فجعلوا بدعهم حاكمة علىٰ كتاب الله، ولو أقبلوا علىٰ فهم معانيه بالاستعانة بالله، وقصدوا اتِّباع معانيه؛ لكانوا من المهتدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الكتاب والسُّنَّة يحصل منهما كمال الهدىٰ والنُّور لمن تدبَّر كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنَّة نبيه ﷺ، وقصد اتِّباع الحقِّ، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه».

تلقي معاني القرآن عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من أسباب فهمه علىٰ الصواب، فإنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا معاني ذلك عن النبي ﷺ مباشرة.

فهم معاني نصوص القرآن لابُدَّ أن يكون بما يقتضيه اللفظ، وما يُعيِّنه السِّياق، ويؤكِّده فهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

المقصود بتدبر القرآن هو فهم معانيه علىٰ مراد الله عَزَّوَجَلَّ، من غير ضلال أو زيغ في الفهم.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله ﷺ».

مراد الله عَزَّوَجَلَّ يتلقىٰ معناه عن النبي ﷺ؛ فإنَّه المُبيِّن عن الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ومراد رسول الله ﷺ يُتلقىٰ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإنَّهم عنه تلقوا الدين، وأدوه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٠٢).

إلينا، وهم الذين أمرهم النبي ﷺ بالتبليغ عنه حيث قال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**».

فالمقصود أنَّ ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذَّر من أمرين عظيمين؛ حذَّر من عدم تدبُّر القرآن، وحذَّر من الضلال في فهمه.

ومن أنفع وأفضل وأنقىٰ التفاسير المطبوعة التي فسَّرت معاني القرآن تفسيرًا صحيحًا: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير أضواء البيان للشنقيطي، وتفسير السعدي والعثيمين.

وبيَّن ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كفر من كذَّب بالقرآن أو بسورة أو آية منه، أو كلمة أو حرف منه، وبيَّن أنَّ هذا الحكم مما أجمع عليه المسلمون.

فالتكذيب بالقرآن أو بعضه كفر صريح، فالمُكذِّب بالقرآن لم يؤمن به.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الكافر: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فمن كذَّب بالقرآن وتولىٰ عن طاعة الرحمن؛ فهو كافر.

فمن آمن بالله عَزَّوَجَلَّ آمن بما أنزل الله من القرآن واتبع رسول الله ﷺ، فالمسلمون يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، فهذا حقيقة دين الإسلام والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

وفي حديث جبريل المشهور في الصحيحين قال النبي ﷺ مبينًا حقيقة الإيمان: «**أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**».

فالدين هو ما بعث الله به رسوله ﷺ، فمن صدقه وعمل به فهو من المؤمنين؛ قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

فالتكذيب بالقرآن كفر صريح، وكذلك الإعراض عنه مع المعرفة به كفر صريح؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط؛ دَلَّ علىٰ أن المؤمنين يرونه في حال الرضىٰ، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**». حديث صحيح متفق عليه، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي؛ فإن الله تعالىٰ لا شبيه له ولا نظير.

الشَّرح:

لشرف هذه المسألة وكونها أعظم النعيم الذي يتمناه وينتظره المؤمن، وبسبب انحراف المبتدعة عن جادة أهل السنة في هذا، وإنكارهم لهذه المسألة العظيمة مع تواتر الأحاديث الصريحة فيها؛ أفرد جماعة من علماء أهل السنة هذه المسألة بمصنفات خاصة؛ نصيحةً لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وبشارة للمؤمنين، وزجرًا للمبتدعين.

وممن صنَّف في هذه المسألة الشريفة الإمام أحمد، قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله(١): «رأيت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح الأحاديث التي تروىٰ عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها، وجمعها أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب، وحدثنا بها».

---

(١) المسائل والرسائل (٢/ ٢١٥).

وأيضًا أفردها بمصنف خاص كلٌّ من الدارقطني في كتاب «الرؤية»، والآجري، وأبي نعيم الأصبهاني.

والرؤية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وصريح المعقول.

أما الكتاب فسوىٰ ما ذكره المؤلف: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانفطار: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالىٰ عن أهل الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وأما السنَّة فالأحاديث فيها متواترة، قال يحيىٰ بن معين[1]: «عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية، كلها صحاح».

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «روىٰ عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفسًا».

وقال الحافظ أبو بكر الآجري (ت: ٣٦٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «تواترت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ بالنظر إلىٰ وجه الله عَزَّوَجَلَّ، وقَبِلها أهل العلم أحسن قبول».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «قد ثبتت رؤية المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة لا يمكن دفعها ولا منعها».

وأما الإجماع: فقد حكاه غير واحد من الأئمة، قال قتيبة بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤٥).

(٣) الشريعة (٢/ ٥٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٧٩).

(٥) أصول أهل السنة والجماعة (٢/ ٥٦١ - رقم ٨٨٦).

التي جاءت عن رسول الله ﷺ».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠)**(١): «فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، علىٰ تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديمًا وحديثًا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها، ولا ينكرونها».

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات والتابعين ومن بعدهم إلىٰ من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا؛ لم يختلفوا، ولم يشكوا، ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانًا».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا - بحمد الله - مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الرؤية**(٣): «اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام علىٰ تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون».

ومن أدلة إثبات الرؤية النصوص الواردة في إثبات اللقاء المقترن بالتحية، فأما مجرد اللقاء فلا يدل بمفرده علىٰ ثبوت الرؤية.

قال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن ذكر الآية قال تعالىٰ:** ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾(٤): «واعلم - رحمك الله - أن عند أهل العلم باللغة أن اللقاء هاهنا لا

(١) الرد علىٰ الجهمية، (ص٦٣).

(٢) التوحيد (٢/ ٥٤٨).

(٣) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، (ص٣٦١)، طبعة مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.

(٤) الشريعة (٢/ ٧).

يكون إلا معاينة، يراهم الله عَزَّوَجَلَّ ويرونه، ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اللقاء الذي تكون فيه المعاينة والرؤية هو الذي اقترن بالتحية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤]».

وقد تأول مجاهد قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أنها تنتظر منه الثواب(٢).

وقد استشكل علماء أهل السنَّة هذا، وتباينت توجيهاتهم لقول مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فذهب بعض أهل العلم إلىٰ اطراح هذا القول من مجاهد، وترك الالتفات إليه.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «مجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن؛ فإن له قولين في تأويل اثنين، هما مهجوران عند العلماء، مرغوب عنهما، أحدهما هذا، والآخر في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال مجاهد: يوسع له علىٰ العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم(٤)،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٤٨٨).

(٢) رواه الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٠٨): حدثنا أبو كريب، ثنا عمر بن عبيد، عن منصور، عن مجاهد؛ به.

(٣) التمهيد (٧/ ١٥٧ - ١٥٨) بتصرف يسير.

(٤) قد قال به جماعة من السلف، وعمدتهم في ذلك أثر مجاهد، قال محمد بن أحمد بن واصل: (من رد حديث مجاهد؛ فهو جهمي)، وقال أبو داود: (من أنكر هذا فهو متهم)، ثم بيَّن أبو داود وجه ذلك، فقال: (ما زال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية، وذلك أن الجهمية ينكرون أن علىٰ العرش شيئًا). السنَّة للخلال (١/ ٢١٤ - ٢١٥).

فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة» اهـ.

ومن أهل العلم من شنع على مجاهد في قوله، فقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عَزَّوَجَلَّ. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة».

وهذه الشناعة الباعث عليها هو الانتصار للسنة وصيانة العقيدة، لكن يبقى أن مجاهدًا إمامٌ أخذ علم التفسير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وما قوله من جنس قول المعتزلة نفاة الرؤية، كلا والله، وحاشاه، كيف لا وهو ممن فسر الزيادة في قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بالرؤية؟!

وقد حكى ابن كثير نفسه ذلك عن مجاهد[٢]: ويُحمل كلام مجاهد على أن المؤمنين ينتظرون الثواب، وأعلاه النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا كتفسير السلف للكوثر بالخير العظيم، وهو نهر في الجنة، والساق في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] بالشدة، مع عدم نفي الساق لله؛ لأنه إذا كشفها حصلت شدة وكربة على المنافقين، كما هو مفصل في غير هذا الموضع.

وقد أشار إلى هذا التوجيه عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] فقال: «إن احتج محتج منهم بقول مجاهد: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، قال:

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٠).

(٢) البداية والنهاية (٢٠/ ٣٦٣).

(٣) الرد على الجهمية، (ص٦٧).

تنتظر ثواب ربها؟ قلنا: نعم، تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلىٰ وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

وقد ورد عن مجاهد أيضًا إثبات الرؤية في الآية نفسها، فقال مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: تنظر إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١).

فبهذا يتبين أنه لا حجة لأحد بقول مجاهد في تقرير مذهب الجهمية والمعتزلة نفاة الرؤية.

وقد أنكرت المعتزلة والجهمية والخوارج والنجارية الرؤية، وهذا لا شك أنه تكذيب للقرآن، وردٌّ لمتواتر السنة.

قال الإمام أحمد في رواية أبي داود السجستاني(٢): «من قال: إن الله لا يرىٰ؛ فهو كافر».

وقال في رواية أبي بكر المروّذي(٣): «من زعم أن الله لا يُرىٰ في الآخرة؛ فهو كافر».

وقال في رواية حنبل بن إسحاق(٤): «من زعم أن الله لا يُرىٰ في الآخرة؛ فقد كفر بالله، وكذّب بالقرآن، ورد علىٰ الله أمره».

وقال في رواية ابن هانئ(٥): «من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر».

(١) أصول أهل السنة والجماعة (٢/ ٥١٥ - رقم ٨٠١).
(٢) المسائل، (ص٢٦٣).
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٥٩).
(٤) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٥).
(٥) المسائل (٢/ ١٥٢).

وقال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا [يعني الرؤية] قيل له: كفرت بالله العظيم».

بل وحكىٰ الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاتفاق علىٰ ذلك، فقال[(٢)]: «وكان ممَّا بيَّنه صَلَّىٰ اللهُ عليه وآله وسَلَّم لأمَّته في هذه الآيات: أنه أعلمَهم في غير حديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ** عَزَّوَجَلَّ»، رواه جماعةٌ من صحابته رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ، وقَبِلها العلماءُ عنهم أحسن القَبول، كما قَبِلوا عنهم عِلمَ الطهارة والزكاة والصيام والحجِّ والجهادِ، وعلمَ الحلال والحرام، كذا قَبِلوا منهم الأخبارَ: أنَّ المؤمنين يرون اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يشكُّون في ذلك، ثمَّ قالوا: مَن ردَّ هذه الأخبار فقد كفر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة، فهو كافر؛ فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرِّف ذلك كما يعرَّف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصر علىٰ الجحود بعد بلوغ العلم له؛ فهو كافر».

وتعلق نفاة الرؤية بقوله تعالىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سأله رؤيته في الدنيا: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وزعموا أن (لن) تفيد النفي المؤبد.

و(لن) لا تفيد النفي المؤبد، قال ابن مالك[(٤)]:

ومن رأىٰ النفي بـ (لن) مؤبدًا فقوله اردد وسواه فاعضدا

---

(١) الشريعة (٢/ ٦).

(٢) الشريعة (٢/ ٧).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٨٦).

(٤) الكافية الشافية بشرحها (٣/ ١٥١٥)، بواسطة شرح الطحاوية (١/ ٢١٤).

ويدل لذلك من القرآن قوله تعالىٰ من تمني الكفار الموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَاۢ﴾ [البقرة: ٩٥]؛ فإنهم يتمنونه في الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧].

والحكمة في احتجاب الله عن خلقه في الدنيا دون الآخرة، هو أنه لو تجلىٰ لهم لآمن به من في الأرض كلهم جميعًا ضرورةً من غير تكليف، بغير رسل، ولا كتب، ولا دعاة، ولم يعصوه طرفة عين.

وتعلق نفاة الرؤية بقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولا متعلق لهم في ذلك؛ لأن الإدراك ليس بمرادف للرؤية، وإنما هو قدر زائد علىٰ الرؤية، وهو الإحاطة بالمرئي.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلب الاستدلال بالآية علىٰ منكري إثبات الرؤية، وبيَّن من الآية نفسها ما يدل علىٰ إثبات الرؤية، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفة كمال، وكان ذلك دليلًا علىٰ إثبات الرؤية لا علىٰ نفيها، لكنه دليل علىٰ إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحقُّ الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها».

وقال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الآية(٢): «معناها عند أهل العلم: أي: لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه عَزَّوَجَلَّ، وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكُّون في رؤيته، كما يقول الرجل: رأيت السماء. وهو صادق، ولم يحط بصره بكل السماء، ولم يدركها، وكما يقول الرجل: رأيت البحر. وهو صادق، ولكنه لم

(١) الرسالة التدمرية، (ص٥٩).

(٢) الشريعة (٢/ ٥٠).

يدرك بصره كل البحر، ولم يحط ببصره، وهو صادق؛ هكذا فسره العلماء، إن كنت تعقل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا تدركه الأبصار فالآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل؛ لأنه ليس كل من رأىٰ شيئًا يقال: إنه أدركه، كما لا يقال: أحاط به، كما سئل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن ذلك، فقال: ألست ترىٰ السماء؟ قال: بلىٰ، قال: أكلها ترىٰ؟ قال: لا.

ومن رأىٰ جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة، لا يقال: إنه أدركها. وإنما يقال: أدركها؛ إذا أحاط بها رؤية».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٢]: «بين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص، أو اشتراك لفظي؛ فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية؛ فإن الإدراك يُستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد؛ كالأعمىٰ الذي طلب رجلًا هاربًا منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فنفىٰ موسىٰ الإدراك مع إثبات الترائي، فعُلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو إدراك القدرة، أي: ملحوقون محاط بنا، وإذا انتفىٰ هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضًا، ومما يُبيِّن ذلك أن الله تعالىٰ ذكر هذه الآية يمدح

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣١٧).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣١٧ - ٣١٩).

بها نفسه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ومعلوم أن كون الشيء لا يُرىٰ ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدحًا إن لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، ولأن المعدوم أيضًا لا يُرىٰ، والمعدوم لا يُمدح؛ فعُلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه».

وخالفت الأشاعرة أهل السنة في الرؤية؛ فالرؤية التي يثبتونها غير الرؤية التي يثبتها أهل السنة، فهم يثبتون رؤية من غير مقابلة، وبعضهم يؤول الرؤية إلىٰ معنىٰ العلم الضروري، فصاروا إلىٰ قول المعتزلة.

قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «قال الأشعري: إنَّ الله سبحانه يُرىٰ يوم القيامة علىٰ الحقيقة، وأظهر الرد علىٰ من أنكرها.

وأفصح في بعض كتبه أنه يُرىٰ بالأبصار، وقال في موضع آخر: «لا تختص الرؤية بالبصر، ولا تكون عن مقابلة؛ لأنَّ ما يرىٰ مقابلة كان جسمًا».

فهو إذا قال: إنه يرىٰ بالأبصار؛ لم يجز في العقل أن تكون عن غير مقابلة، وإن قال: إن الرؤية لا تختص بالبصر؛ عاد إلىٰ قول المعتزلة، وصارت الرؤية في معنىٰ العلم الضروري.

وقد حكي عن بعض متأخريهم أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلتُ: إنَّ الرؤية هي العلم لا غير».

وقول النبي ﷺ: «**سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته**» متفق عليه، دال علىٰ أنّ رؤية المؤمنين لربهم تكون عن مقابلة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ رد علىٰ الأشاعرة، وبيَّن أن قولهم هو قول المعتزلة، فقال[2]: «فشبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي؛ فإن الكاف

---

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، (ص١١٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٨٤).

- حرف التشبيه - دخل على الرؤية. وفي لفظ للبخاري: «**يرونه عيانًا**». ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانًا مواجهة، فيجب أن نراه كذلك.

وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجهه؛ فهذه غير متصورة في العقل، فضلًا عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر. ولهذا صار حُذَّاقُهم إلى إنكار الرؤية، وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسَّروا الرؤية بزيادة انكشاف، ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة».

وابن فورك الأشعري قال: «إن الله يرى لا في جهة؛ لأنه ﷺ قال: «**لا تضامون في رؤيته**»، ومعناه: لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته؛ فإنه لا في جهة»، كذا قال، فإن هذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه لفظه، ولا قاله أحد من أئمة العلم، بل هو تفسير منكر عقلًا وشرعًا ولغة.

فإن قوله: «**لا تضامون**» يروى بالتخفيف، أي: لا يلحقكم ضيم في رؤيته، كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال، وهو سبحانه يتجلى تجليًا ظاهرًا، فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته، وهذه الرواية المشهورة، وعلى رواية التشديد فهي من التَّضام: (انضمام بعضهم إلى بعض)، وليس معناه: (أنه لا تضمهم جهة)، والراءون كلهم في جهة واحدة على الأرض، أرض القيامة أو في الجنة، وكل ذلك جهة، ووجود نفسهم لا في جهة مكان ممتنع حسًّا وعقلًا.

وأما قول أبي بكر ابن فورك: «هو يرى لا في جهة كذلك يراه غيره» فهذا تمثيل باطل؛ فإن الإنسان يمكن أن يرى بدنه، ولا يمكن أن يرى غيره إلا أن يكون بجهة منه»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٣ - ٨٦).

والرؤية في الآخرة عامَّة للرجال والنساء، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقد حكىٰ بعض العلماء خلافًا في النساء: هل يرين الله عَزَّوَجَلَّ في الجنة كما يراه الرجال؟

فقيل: لا يرونه؛ لأنهن مقصورات في الخيام لا يبرزن منها، وقيل: لنقص عقولهن ودينهن، ورغبتهن في الدنيا، وقيل: بل يرونه سبحانه؛ لأنه لا مانع من رؤيته في الخيام والقصور وغيرها.

والنساء إذا دخلن الجنة ذهب عنهن ما كان يعتريهن من النقص في الدنيا، وصرن أزواجًا مطهرة من كل أذًىٰ، وطِبن أخلاقًا وخلقًا، فلا مانع لهن من رؤيتهن لربهن عَزَّوَجَلَّ، والله سبحانه أعلم.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانفطار: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦]».

والمؤمنون يرون ربهم في عرصات يوم القيامة، وفي روضات الجنات[٢]، ويراه المبرزون من المقربين الأخيار في مثل طرفي النهار بكرة وعشيًّا[٣].

وأما الكفار فلا يرونه بحال، وقيل: يراه جميع أهل الموقف: مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار، فلا يرونه بعد ذلك. وقيل: يراه المنافقون دون الكفار[٤].

والذي رجَّحه شيخ الإسلام أنهم لا يرونه، فقال[٥]: «والعمدة قوله سبحانه:

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٦٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٠).

(٣) البداية والنهاية (٢٠/ ٣٦١).

(٤) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، (ص٣٦٤).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٠١ - ٥٠٢).

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإنه يعمُّ حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم يوم ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وهو يوم القيامة.

فلو قيل: إنه يحجبهم في حال دون حال لكان تخصيصًا للَّفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين؛ فإن الرؤية لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به، فلا يجوز أن يساويهم المؤمنون في عقاب ولا جزاء سواه؛ فعلم أن الكافر محجوب علىٰ الإطلاق بخلاف المؤمن.

وإذا كانوا في عرصة القيامة محجوبين فمعلوم أنهم في النار أعظم حجبًا، وقد قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وقال: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، وإطلاق وصفهم بالعمىٰ ينافي الرؤية».

ولا يصح الاستدلال لرؤية الكافر بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ﴾ [الملك: ٢٧] فالمراد: الموعود به من العذاب، بدليل تتمة الآية: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، فلا دليل فيه؛ لأن اللقاء الذي تكون فيه المعاينة والرؤية هو الذي اقترن بالتحية، وقيل كذلك: إن الضمير عائد علىٰ العمل، فهو رؤيته في الكتاب مسطورًا مثبوتًا(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٠١ – ٥٠٢).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القضاء والقدر

ومن صفات الله تعالىٰ أنه الفعَّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخَلْق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم.

يهدي من يشاء بحكمته، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وروىٰ ابن عمر، أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»، فقال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: صدقت. رواه مسلم، وقال النبي ﷺ: «**آمنت بالقدر، خيره وشرِّه، وحلوه ومرِّه**».

❁ الشَّرح:

الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وعلاقة التوحيد بالقدر معلومة، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1]: «القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر؛

(١) السنَّة، لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٤٢٢).

كان كفره بالقضاء نقضًا للتوحيد، ومن وحَّد الله وآمن بالقدر؛ كان العروة الوثقىٰ لا انفصام لها».

فبالإيمان بالقدر يتحقَّق التوحيد، فإذا علم العبد أن الله هو الذي يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم، وأنه الذي يُثبِّت العبد إلىٰ أن يوافيه، وأنه في سيره إلىٰ الله في هذه الحياة الدنيا يتولاه الله ويرزقه، ويعافيه ويكفيه؛ أوجب له ذلك سؤال ربه، ودعاءه، وعبوديته، والتوكُّل عليه، ورجاءه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من تدبَّر طريقة القرآن تبيَّن له أن الله سبحانه يدعو عباده بهذا إلىٰ الوجه الأول، فهذا الوجه يقتضي التوكل علىٰ الله، والاستعانة به، والدعاء له ومسألته دون ما سواه، ويقتضي أيضًا محبته وعبادته لإحسانه إلىٰ عبده، وإسباغ نعمه عليه، فإذا عبده وأحبَّه وتوكَّل عليه من هذا الوجه؛ دخل في الوجه الأول. وهكذا مَن نزل به بلاء عظيم وفاقة شديدة، أو خوف مقلق، فجعل يدعو الله ويتضرع إليه حتىٰ فتح له من لذيذ مناجاته له باب الإيمان والإنابة إليه، وما هو أحب إليه من تلك الحاجة التي قصدها أولًا، لكنه لم يكن يعرف ذلك أولًا حتىٰ يطلبه ويشتاق إليه، فعرّفه إياه بما أقامه له من الأسباب التي أوصلته إليه. والقرآن مملوء من ذكر حاجة العبيد إلىٰ الله دون ما سواه، ومن ذكر نعمائه عليهم، ومن ذكر ما وعدهم به في الآخرة من صنوف النعيم واللذات، وليس عند المخلوق شيء من هذا؛ فهذا الوجه يحقِّق التوكُّل علىٰ الله، والشكر له، ومحبته علىٰ إحسانه».

وجمل عقيدة التوحيد والإيمان بالقدر كان يُعَلِّمها النبيُّ ﷺ الصبيان

(١) طريق الهجرتين، (ص١٧٢).

والغلمان، يربيهم بالعقيدة الصحيحة؛ ليستقبلوا سني عمرهم بالتوكل على الله والثقة به، مع بذل أسباب نصرة الله وحفظه.

قال النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**يا غلام! إني أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**»، رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الإيمان بالقدر من قسم توحيد الربوبية، فلا يقع شيء إلا بمشيئة الله، والله خالق لفعل العبد، ولكل ما يقدره سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والإيمان بالقدر متعلق بتوحيد العبودية من جهة كسب العبد وتألهه لله وحده لا شريك له.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «والعبد له ملاحظتان: ملاحظة للوجه الأول، وملاحظة للوجه الثاني، والكمال أن لا يغيب بأحد الملاحظتين عن الأخرى، بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيئته، ويشهد مع ذلك فعله وجنايته، وطاعته ومعصيته؛ فيشهد الربوبية والعبودية، فيجتمع في قلبه معنى قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، مع قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر: ٥٤- ٥٦]».

والإيمان بالقدر له متعلق بتوحيد الأسماء والصفات أيضًا، من جهة الإيمان

(١) شفاء العليل (١/ ٢٢٣).

بحقائق صفات الله التي يُقدِّر بها المقادير من علم الله ومشيئته وخلقه وحكمته.

ومراتب القدر أربعةٌ مجموعةٌ في قول الشاعر:

علـــم كتابـــة مولانـــا مشـــيئته وخلقـــه وهـــو إيجـــاد وتكـــوين

فالمرتبة الأولىٰ: العلم: وهو علم الله السابق بما سيكون من أعمال العباد وأفعالهم؛ فهو يعلم ما الخلق عاملون قبل أن يُوجدهم، ويعلم ما كان، وما يكون، وما لو كان كيف يكون، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «القضاء والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القدر قدرة الله.

واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان، وقال: إنه شفىٰ بهذه الكلمة، وأفصح بها عن حقيقة القدر».

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا ذلك**[2]: «ولهذا كان مصدر الخلق والأمر والقضاء والشرع عن علم الرب وعزَّته وحكمته، ولهذا يقرن تعالىٰ بين الاسمين من هذه الثلاثة كثيرًا، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ٢]، وقال في حم بعد ذكر تخليق العالم: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]، وذكر نظير هذا في الأنعام فقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

---

(١) طريق الهجرتين، (ص٢٦٠).

(٢) طريق الهجرتين، (ص٢٦١ - ٢٦٣).

فارتباط الخلق بقدرته التامة يقتضي أن لا يخرج موجود عن قدرته، وارتباطه بعلمه التام يقتضي إحاطته به وتقدمه عليه، وارتباطه بحكمته يقتضي وقوعه علىٰ أكمل الوجوه وأحسنها، واشتماله علىٰ الغاية المحمودة المطلوبة للرب تعالىٰ.

وكذلك ارتباط أمره بعلمه وحكمته وعزته؛ فهو عليم بخلقه وأمره، ولهذا كان الحكيم من أسمائه الحسنىٰ، والحكمة من صفاته العلىٰ، والشريعة الصادرة عن أمره مبناها علىٰ الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوث بالكتاب والحكمة، والحكمة هي سنة الرسول ﷺ، وهي تتضمن العلم بالحق والعمل به، والخبر عنه، والأمر به؛ فكل هذا يسمَّىٰ حكمة، وفي الأثر: «الحكمة ضالة المؤمن»، وفي الحديث: «**إن من الشعر حكمة**»، فكما لا يخرج مقدور عن علمه وقدرته ومشيئته؛ فهكذا لا يخرج عن حكمته وحمده، وهو محمود علىٰ جميع ما في الكون من خير وشر حمدًا استحقه لذاته، وصدر عنه خلقه وأمره، فمصدر ذلك كله عن الحكمة، فإنكار الحكمة إنكار لحمده في الحقيقة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدِّثًا عن مراتب القدر(١): «تؤمن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشرِّه، والإيمان بالقدر علىٰ درجتين، كل درجة تتضمَّن شيئين:

فالدرجة الأولىٰ: الإيمان بأن الله تعالىٰ عليم بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق: **فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن**

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٤٨ - ١٤٩).

إلىٰ يوم القيامة. **فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفَّت الأقلام وطويت الصحف**، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا التقدير - التابع لعلمه سبحانه - يكون في مواضع جملة وتفصيلًا؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه؛ بعث إليه ملكًا **فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد** ونحو ذلك؛ فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه؛ لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رحمه الله**:

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علَّمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «**وقني شر ما قضيت**».

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجَّة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أمر ونهىٰ إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا علىٰ معصية، ولا اضطره إلىٰ ترك طاعة، وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

فدلَّ علىٰ أن للعبد فعلًا وكسبًا؛ يُجزىٰ علىٰ حسنه بالثواب، وعلىٰ سيِّئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

❁ الشَّرح:

العبد له إرادة ومشيئة يختار بها الفعل، لذلك يحاسبه الله علىٰ فعله، قال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ومع هذا فعبودية العبد لله هو حقٌّ لله، وهو لمصلحة العبد في دينه ودنياه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال النبي ﷺ: «**حقُّ الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» متفق عليه، وعبودية المخلوق وطاعته لله هي لمصلحة العبد لنفسه؛ فإنه يعتق رقبته من النار، ويصون نفسه عن الضار؛ فإن الله لا ينهىٰ عباده إلا عمَّا هو متمحض في الضرر، أو ضرره أكثر من نفعه، قال

تعالىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ويصون العبد بطاعة الله واجتناب نهيه المجتمع عما يضره، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ فالله خَلَق الأرض وفطر الخَلْق علىٰ الإسلام والتوحيد، وبَعَث الرسل بذلك؛ فلزوم التوحيد وطاعة الرسل صلاح للأرض وأهلها، والخروج عن الشرع بالشرك والبدع والمعاصي إفساد لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن آيات الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات المخبرة بأن العباد فاعلون؛ لا تنافي آيات القدر المتضمنة أن الله خَلَق أفعال العباد؛ فإن كثيرًا من الناس تاهوا في الغايات المقصودة، كما تَاهَ كثير من الناس في الأسباب الفاعلة، ولا بد من توحيد الربوبية بأن يكون الله خالق كل شيء، وبأن يكون الله هو المعبود المقصود بذاته بالأفعال لا سواه.

ولا يدفع ذلك من إثبات فعل العبد وقدرته ومشيئته واعتقاده، كما أنه لابد من إثبات انتفاع العبد بالفعل، وأنه يعمل مصلحته ومنفعته، وأنه وإن قصد غيره فمقصده هذا؛ لأن في كون ذلك مقصودًا معبودًا صلاحه وانتفاعه».

فإذا تبيَّن أن للعبد إرادة ومشيئة يختار بها فعله، فلا بد أن تكون إرادته تابعة لشرع الله وأمره؛ ليحقِّق عبوديته لله، ولتكون أعماله علىٰ الصواب والسداد، وتكون مصلحة له في سعادته في الدارين، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة، (ص١٥٥).

تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، وقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما(١).

وبهذا نعرف أن خلق الله وأمره كله لحكمة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأن مشيئة العبد كما أنها تابعة لمشيئة الله كونًا - فلا يقع في ملك الله إلا ما شاء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] - إلا أنه ينبغي للعبد أن يختار ويفعل ما أمر الله به؛ لأنه تحقيق للعبودية، ولأن أوامر الله كلها حكمة.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فكما أنه تعالىٰ أخبر: أنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه فعَّال لما يريد، وأنه إذا أراد أمرًا قال له: «كن» فيكون، وأن كلَّ شيء خلقَه بقدَر، وكل صغير وكبير مستطر، فكذلك قد أخبر: أنه الحكيم الذي شملت حكمته كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض ومن فيهن بالحق، ولم يخلقهما باطلًا؛ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [ص: ٢٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالات علىٰ الأصلين، وهما: عموم مشيئته لكل موجود، وشمول حكمته للخلق والأمر. هذا الذي يتعين علىٰ المكلَّفين الاعتراف به واعتقاده».

والله خلق عباده علىٰ الفطرة، وكون المولود يولد علىٰ الفطرة - كما جاء في

---

(١) صححه الحافظ النووي. جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٣).

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية، (ص٢٩).

«الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غير كافٍ وحده للحكم بإسلام كل مولود؛ إذ لا بد له من الإيمان بالإسلام ولزوم شرائعه، وإلا كان كافرًا؛ لعدم انقياده، وهو كفر التولي؛ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**»، قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا معنىٰ الحديث:** «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**»(١): «الصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ولا يلزم من كونهم مولودين علىٰ الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق، الذي هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مُغَيِّر؛ لما كان إلا مسلمًا. وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع؛ هي فطرة الله التي فطر الناس عليها».

وأهل السنَّة والجماعة يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة؛ إقرارًا بربوبية الله وافتقارًا إلىٰ هدايته، لا احتجاجًا بالقدر علىٰ الذنوب والمعاصي.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٤٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٤٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العبد إذا اعترف وأقر بأن الله خالق أفعاله كلها؛ فهو علىٰ وجهين: إن اعترف به إقرارًا بخلق الله كل شيء بقدرته ونفوذ مشيئته، وإقرارًا بكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، واعترافًا بفقره وحاجته إلىٰ الله، وأنه إن لم يهده فهو ضال، وإن لم يتب عليه فهو مُصر، وإن لم يغفر له فهو هالك؛ خضع لعزته وحكمته، فهذا حال المؤمنين الذين يرحمهم الله ويهديهم ويوفقهم لطاعته.

وإن قال ذلك احتجاجًا علىٰ الربِّ، ودفعًا للأمر والنهي عنه، وإقامة لعذر نفسه؛ فهذا ذنب أعظم من الأول، وهذا من أتباع الشيطان، ولا يزيده ذلك إلا شرًّا، وقد ذكرنا أن الربَّ سبحانه محمود لنفسه ولإحسانه إلىٰ خلقه، ولذلك هو يستحق المحبَّة لنفسه ولإحسانه إلىٰ عباده. ويستحق أن يرضىٰ العبد بقضائه؛ لأن حكمه عدل، لا يفعل إلا خيرًا وعدلًا، ولأنه لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له «**إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»، فالمؤمن يرضىٰ بقضائه لما يستحقه الرب لنفسه - من الحمد والثناء - ولأنه محسن إلىٰ المؤمن».

والبدعة في القدر ظهرت في آخر عهد الصحابة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في آخر عصر الصحابة حدثت (القدرية)، وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع. وكانوا قد آمنوا بدين الله، وأمره ونهيه ووعده ووعيده،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٣١٦ - ٣١٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٦).

وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي؛ لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون؛ لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضًا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد. فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق الصحابةَ؛ أنكروا إنكارًا عظيمًا وتبرءوا منهم، حتىٰ قال عبد الله بن عمر: «أخبر أولئك أني بريء منهم، وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه؛ ما قبله الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر»، وذكر عن أبيه حديث جبريل، وهذا أول حديث في صحيح مسلم، وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضًا مختصرًا»».

ونقص علم المبتدعة في القدر، وعدم قدرتهم علىٰ فقه النصوص والجمع بين الشرع والأمر والنهي؛ جعلهم ينكرون مراتب القدر كلها: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وصاروا بسبب ذلك مبطلين ومعطلين لتوحيد الألوهية، ومشركين في توحيد الربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض الشرع، فصاروا حزبين؛ حزبًا يعظِّمون الشرع والأمر والنهي والوعد والوعيد، واتباع ما يحبه الله ويرضاه، وهجر ما يبغضه وما يسخطه، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر؛ فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، كما قطعت الخوارج ما أمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة؛ ففرَّقوا بين الكتاب والسنة، وفرَّقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين، وفرَّقوا بين المسلمين، فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢١١ - ٢١٣).

وبيَّن شيخ الإسلام ما وقع القدرية فيه بسبب جهلهم بالجمع بين الشرع والأمر والنهي، فقال[(١)]: «أنكروا أن يكون الله علىٰ كل شيء قدير، ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليمًا، وأنكروا أن يكون خالقًا لكل شيء، وأن يكون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنكروا أن يكون الله فعَّالًا لما يشاء».

وأزال شيخ الإسلام جهل من عجز عن الجمع بين الشرع والأمر والنهي، وبَيَّن ائتلاف النصوص، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إرادته قسمان: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير؛ فالقسم الأول: إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي، سواء وقعت أو لم تقع، كما في قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما القسم الثاني: وهو إرادة التقدير، فهي شاملة لجميع الكائنات، محيطة بجميع الحادثات، وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنىٰ لا بالمعنىٰ الأول؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وفي قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وفي قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ونظائره كثيرة.

وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي، دون ما لم يحدث، كما أن الأولىٰ تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث، والسعيد من أراد منه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢١٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٩٧ - ٢٠٠).

تقديرًا ما أراد به تشريعًا، والعبد الشقي من أراد به تقديرًا ما لم يرد به تشريعًا.

والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين؛ كان بصيرًا، ومن نظر إلى القدر دون الشرع، أو الشرع دون القدر؛ كان أعور، مثل قريش الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فإن هؤلاء اعتقدوا أن كلَّ ما شاء الله وجوده وكونه - وهي الإرادة القدرية - فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية، ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده، قالوا: فيكون قد رضيه وأمر به؛ قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بالشرائع من الأمر والنهي ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرمتموه، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ في هذا ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وهو توهمكم أن كلَّ ما قدره فقد شرعه، ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] أي: تكذبون وتفترون بإبطال شريعته، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده وشريعته، ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته، لكنه يمنُّ على من يشاء فيهديه فضلًا منه وإحسانًا، ويحرم من يشاء؛ لأن المتفضِّل له أن يتفضل، وله ألَّا يتفضل، فترك تفضُّله على من حرمه عدل منه وقسط، وله في ذلك حكمة بالغة.

وهو يعاقب الخلقَ على مخالفة أمره وإرادته الشرعية، وإن كان ذلك بإرادته القدرية؛ فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضًا بعقابها، كما أنه سبحانه قد

يقدر علىٰ العبد أمراضًا تعقبه آلامًا، فالمرض بقدره والألم بقدره، فإذا قال العبد: قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب؛ كان بمنزلة قول المريض: قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم، وقد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي، أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب. وهذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه؛ بل اعتلاله بالقدر ذنب ثانٍ يعاقب عليه أيضًا، وإنما اعتل بالقدر إبليس حيث قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحِجر: ٣٩]، وأما آدم فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فمن أراد الله سعادته؛ ألهمه أن يقول كما قال آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو نحوه، ومن أراد شقاوته؛ اعتل بعلة إبليس أو نحوها، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومثله مثل رجل طار إلىٰ داره شرارة نار، فقال له العقلاء: أطفئها لئلا تحرق المنزل. فأخذ يقول: من أين كانت؟ هذه ريح ألقتها، وأنا لا ذنب لي في هذه النار. فما زال يتعلَّل بهذه العلل حتىٰ استعرت وانتشرت وأحرقت الدار وما فيها، هذه حال من شرع يحيل الذنوب علىٰ المقادير، ولا يردها بالاستغفار والمعاذير، بل حاله أسوأ من ذلك بالذنب الذي فعله، بخلاف الشرارة؛ فإنه لا فعل له فيها، والله سبحانه يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه؛ فإنها لا تنال طاعته إلا بمعونته، ولا تترك معصيته إلا بعصمته، والله أعلم».

ومعرفة مرتبة المشيئة في القدر توجب علىٰ الموحِّد ردَّ الأمور إلىٰ مشيئة الله، والاستعانة به في فعل الأمور؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال تعالىٰ عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «علمت أنه من الممتنع علىٰ الله أن يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به، ولكن استثنوا بمشيئته التي يضل بها من يشاء، ويهدي من يشاء، ثم قال شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩] فردَّ الأمر إلىٰ مشيئته وعلمه؛ فإن له سبحانه في خلقه علمًا محيطًا، ومشيئته نافذة وراء ما يعلمه الخلائق، فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا، ولله علم آخر ومشيئة أخرىٰ وراء علومنا ومشيئتنا، فلذلك ردَّ الأمر إليه، ومثله قول إبراهيم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، فأعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها إلىٰ مشيئة الرب وعلمه، ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء أنه فاعله حتىٰ يستثني بمشيئة الله؛ فإنه إن شاء فعله، وإن شاء لم يفعله».

فعلاقة القدر بتوحيد الأسماء والصفات ظاهرة جدًّا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وتأمل قول النبي ﷺ: «**ماضٍ فِيَّ حكمك، عدل فِيَّ قضاؤك**» كيف ذكر العدل في القضاء مع الحكم النافذ، وفي ذلك ردٌّ لقول الطائفتين القدرية والجبرية؛ فإن العدل الذي أثبتته القدرية منافٍ للتوحيد، معطِّلٌ لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته، والعدل الذي أثبته الجبرية منافٍ للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل.

والعدل الذي هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا وهذا، ولم يعرفه إلا الرسل وأتباعهم، ولهذا قال هود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦]، فأخبر

(١) شفاء العليل (٢/ ٥١٢ - ٥١٣).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٦٠٢).

عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء، ثم أخبر أنه في هذا التصرُّف والحكم علىٰ صراط مستقيم».

والإيمان بالقدر يوجب تحقيق توحيد العبودية، فإذا علم العبد أن أزِمَّة الأمور كلها بيد الله، وأنه هو الذي يُقَدِّرُ المقادير؛ اجتهد في الطاعة التي توجب رضا الرب؛ فيتولاه الله ويكفيه ويرزقه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، والكفاية علىٰ قدر العبودية، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ العبد إذا علِم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خيرٍ وشرٍّ، ونفعٍ وضرٍّ، وأن اجتهاد الخَلْق كلِّهم علىٰ خلاف المقدور غيرُ مفيد البتة؛ علم حينئذٍ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع؛ فأوجب ذلك علىٰ العبد توحيدَ ربه - عَزَّوَجَلَّ - وإفراده بالطاعة، وحفْظ حدوده. فمن علِم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله؛ أوجب ذلك إفرادَه بالخوف والرجاء، والمحبة والسؤال، والتضرُّع والدعاء، وتقديم طاعته علىٰ طاعة الخلق جميعًا، وأنه يتَّقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا، وإفراده بالاستعانة والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء، ودعاء من يرجون نفعه من دونه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]».

(١) جامع العلوم والحكم، (ص٣٦٤ - ٣٦٥).

فعلاقة القدر بالتوحيد ظاهرة جدًّا، فالإيمان بالقدر من توحيد الله في ربوبيته؛ لأنه من توحيد الله بأفعاله، والفرقتان الجبرية والقدرية ضلَّتا في توحيد الله في هذا الباب؛ فالجبرية نفوا فعل العبد الذي جعل الله له قدرة تامة وإرادة جازمة يختار بها فعله، وقالوا: هو مجبور، والقدرية نفوا تقدير الله لفعل العبد، وأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته وإرادته ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وهدىٰ الله أهل السنَّة لِما اختلف فيه الجبرية والقدرية من الحق في أفعال العبد والقدر، فقالوا: العبد مختار لفعله، يفعل بقدرة وإرادة جازمة، والله خالق لفعله، ولا يقع شيء في ملك الله إلا بقدره ومشيئته.

قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والذين أشركوا به تعالىٰ في الربوبية منهم من أثبت معه خالقًا آخر، وإن لم يقولوا: إنه إله مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية.

وربوبيته سبحانه للعالم الكاملة المطلقة تُبطل أقوالهم؛ لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات».

وقال العلامة تقي الدين أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا العلاقة بين الإيمان بالقدر والتوحيد، وما وقع فيه القدرية من الشرك(٢): «وشرك القدرية مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه. ولهذا شبَّههم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد روىٰ أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا

(١) تجريد التوحيد المفيد، (ص٥٩ – ٦١).

(٢) تجريد التوحيد المفيد، (ص٦٥ – ٦٦).

أنهم «**مجوس هذه الأمة**»، وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالىٰ كلها مصرِّحة بالرد علىٰ أهل الإشراك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية.

فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات.

وحقيقة قول القدرية المجوسية أنه تعالىٰ ليس ربًّا لأفعال الحيوان، ولا تتناولها ربوبيته؛ إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وليس في الوجود موجب ومقتضٍ إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلىٰ آخرهم مجمعون علىٰ أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

وقال العلامة ابن القيم أيضًا[2]: «فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، وهو معنىٰ كونه ربَّ العالمين، وكونه القائم بتدبير عباده؛ فلا خلق ولا رزق، ولا عطاء ولا منع، ولا قبض ولا بسط، ولا موت ولا حياة، ولا إضلال ولا هدىٰ، ولا سعادة ولا شقاوة، إلا بعد إذنه، وكلُّ ذلك بمشيئته وتكوينه؛ إذ لا مالك غيره ولا مدبِّر سواه ولا ربَّ غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُقِرُّ فِي

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣٩٩).

(٢) شفاء العليل (١/ ٤٠٧).

﴿ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]، وقال: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، وقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المشيئة إرادة الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله، فيقال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله ثم شئت. ولا يقال: ما شاء الله وشئت».

والله عَزَّوَجَلَّ لا يحاسب عباده بما يكون من أفعالهم بسابق علمه، وإنما يحاسبهم بعد وقوع الفعل منهم؛ لكمال عدله، ولا تخرج أفعال العباد عن قضاء الله السابق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم، وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون، ثم أخرجهم إلىٰ هذه الدار؛ ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعملوها، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذارًا إليهم، وإقامة للحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: كيف تعاقبنا علىٰ علمك فينا، وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا؟! فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم؛ حصل العقاب علىٰ

(١) شفاء العليل (١/ ٤١٣).
(٢) شفاء العليل (١/ ٣٥٦ - ٣٥٧).

معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زيَّن لهم من الدنيا، وبما ركَّب فيهم من الشهوات؛ فذلك ابتلاء بشرعه وأمره، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، فأخبر في هذه الآية أنه خلق السموات والأرض ليبتلي عباده بأمره ونهيه، وهذا من الحقِّ الذي خلق به خلقَه.

وأخبر في الآية التي قبلها أنه خلق الموت والحياة ليبتليهم أيضًا، فأحياهم ليبتليهم بأمره ونهيه، وقَدَّر عليهم الموت الذي ينالون به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب».

والعلاقة بين مرتبة العلم والكتابة معلومة ظاهرة؛ فالكتابة دالة علىٰ علم الله السابق بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكتابته السابقة تدل علىٰ علمه بها قبل كونها، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قال مجاهد: علم من إبليس المعصية وخلقه لها».

والتقدير خمسة أقسام:

التقدير الأول: التقدير السابق قبل خلق السموات والأرض، ودليله ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣٢٥).

«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء».

التقدير الثاني: عقيب خلق آدم، قدر الله أعمال بني آدم وأرزاقهم، وآجالهم وسعادتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله أخذ علىٰ آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر، فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم، وكتب أجلهم ورزقهم ومصيباتهم». رواه الطبري.

التقدير الثالث: عند نفخ روح الجنين، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد»**.

التقدير الرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣، ٤]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١): «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنَة؛ من موت وحياة ورزق ومطر، حتىٰ الحجاج، يقال: يحج فلان، ويحج فلان».

التقدير الخامس: التقدير اليومي في كل يوم، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قال مجاهد(٢): من شأنه أنه: يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر

---

(١) شفاء العليل (١/ ٢٦٩).

(٢) شفاء العليل (١/ ٢٧٦).

ويعز ويذل، ويفك عانيًا، ويشفي مريضًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويتوب علىٰ قوم، ويكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، ويضع أقوامًا ويرفع آخرين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق».

والله عَزَّوَجَلَّ كما نعت نفسه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فمن أقبل علىٰ الله وفَّقه الله لكل خير وهداه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧]، فإن قلت: ما هو الجواب عن قوله ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ لم يبق بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار**» رواه البخاري؟!

فالجواب: أن عمل هذا الصنف مدخول؛ إما من جهة عدم الإخلاص، أو خبيئة كبر؛ أوجب له سوء الخاتمة، وإلا فإن سنَّة الله أن يزيد الذين اهتدوا هدًىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما كون الرجل «**يعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب**»؛ فإن هذا عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، ولو كان عملًا صالحًا مقبولًا للجنة، قد أحبه الله ورضيه؛ لم يبطله عليه.

وقوله: «**لم يبق بينه وبينها إلا ذراع**»، يشكل علىٰ هذا التأويل، فيقال: لما كان العمل بآخره وخاتمته؛ لم يصبر هذا العامل علىٰ عمله حتىٰ يتم له، بل كان فيه آفة كامنة، ونكتة، خذل بها في آخر عمره؛ فخانته تلك الآفة والداهية والباطنة

(١) شفاء العليل (١/ ٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) الفوائد (٣٦٤-٣٦٦).

في وقت الحاجة؛ فرجع إلىٰ موجبها، وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة؛ لم يقلب الله إيمانه كفرًا وردَّة، مع صدقه فيه، وإخلاصه، بغير سبب منه يقتضي إفساده عليه، والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض.

وأما شأن إبليس: فإن الله سبحانه قال للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فالربُّ تعالىٰ كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكِبْر والحسد ما لا يعلمه الملائكة، فلمَّا أُمروا بالسجود؛ ظهر ما في قلوبهم من الطاعة والمحبة والخشية والانقياد فبادروا إلىٰ الامتثال، وظهر ما في قلب عدوه من الكِبْر والغش والحسد، فأبىٰ واستكبر وكان من الكافرين.

أما خوف أوليائه من مَكْرِه فحقٌّ؛ فإنهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم، فيصيرون إلىٰ الشقاء؛ فخوفهم من ذنوبهم، ورجاؤهم لرحمته، وقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ٩٩] إنما هو في حقِّ الفجار والكفار، ومعنىٰ الآية: فلا يعصي ويأمن مقابلة الله له علىٰ مكر السيئات بمَكْرِه به إلا القوم الخاسرون.

والذي يخافه العارفون بالله من مكْرِه: أن يؤخِّر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع اغترار، فيأنسوا بالذنوب؛ فيجيئهم العذاب علىٰ غرة وفترة.

وأمر آخر: وهو أن يغفلوا عنه، وينسوا ذكره؛ فيتخلَّىٰ عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته، فيسرع إليهم البلاء والفتنة، فيكون مكْرُه بهم تخليه عنهم. وأمر آخر: أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من نفوسهم، فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون. وأمر آخر: أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه، فيفتنون به، وذلك مكر».

وحديث جبريل في أركان الإيمان، أن النبي ﷺ قال: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشرِّه**»، فالشرُّ في المقدور وليس في فعل الله، من ذلك ما يصيب العبد من مصائب فتكون سببًا في تكفير ذنوبه مع احتسابه، وسببًا في رفعة درجاته، وسببًا في خضوعه لله وافتقاره إليه، قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمسلم**» رواه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه.

فالشر في المقضي، وليس في قضاء الله، وهذا الشر نسبي، تأمَّل هذا في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أكله من الشجرة، كيف ترتب على ذلك من إهباطه للأرض وتكليفه وذريته، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وظهور من يعبد الله من عباده المؤمنين، وما يقومون به من إصلاح الأرض بالدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): ««**لا يقضي الله للمؤمن**»، المؤمن هو الذي لا يصر على ذنب، بل يتوب منه؛ فيكون حسنة، كما قد جاء في عدة آيات، إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة بعمله، لا يزال يتوب منه حتى يدخل بتوبته منه الجنة، والذنب يوجب ذل العبد وخضوعه ودعاء الله واستغفاره إياه، وشهوده بفقره وحاجته إليه، وأنه لا يغفر الذنوب إلا هو، فيحصل للمؤمن - بسبب الذنب - من الحسنات ما لم يكن يحصل بدون ذلك، فيكون هذا القضاء خيرًا له، فهو في ذنوبه بين أمرين:

إما أن يتوب فيتوب الله عليه، فيكون من التوابين الذين يحبهم الله، وإما أن

---

(١) الفتاوى العراقية (٢/ ١٠٣٠).

يُكَفِّرَ عنه بمصائب، تصيبه ضراء فيصبر عليها، فيُكَفِّر عنه السيئات بتلك المصائب، وبالصبر عليها ترتفع درجاته».

ولا حجة لأحد في الاحتجاج بالقدر علىٰ كفره أو معصيته أو نقصه أو تضييعه لمصالح دينه ودنياه؛ فكل إنسان له قدرة تامة وإرادة جازمة يختار بها فعله، ومن ذلك سبيل الهداية أو الغواية، قال تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]، أي: علىٰ قصد قادرين.

والله خلق كلَّ مخلوق علىٰ الفطرة التي لو لزمها ولم ينحرف عنها؛ كان من أهل السعادة: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**».

وليس لأحدٍ أن يحتجَّ بالقدر علىٰ ذنوبه ومعاصيه أو كفره، بدعوىٰ أن الشيطان هو الذي أغواه، فنقول: إنك أنت الذي اخترت أن يكون له سلطان عليك، بطاعته ومعصيتك ربك، وإلا لو أطعت ربك وأخلصت له؛ لم يكن للشيطان عليك سبيل، قال تعالىٰ للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وكل مخلوق قد وكل به قرينه من الملائكة والشياطين، كما جاء في «صحيح مسلم»، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن للقلب لمَّة من الملَك، ولمَّة من الشيطان؛ فلمَّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمَّة الشيطان: إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فإذا كانت حسنات الإنسان أقوىٰ؛

(١) النبوات (٢/ ١٠٦٢ - ١٠٦٣).

أُيِّد بالملائكة تأييدًا يقهر به الشيطان، وإن كانت سيئاته أقوىٰ؛ كان جند الشيطان معه أقوىٰ، وقد يلتقي شيطان المؤمن بشيطان الكافر؛ فشيطان المؤمن مهزول ضعيف، وشيطان الكافر سمين قوي.

فكما أن الإنسان بفجوره يؤيِّد شيطانه علىٰ ملكه، وبصلاحه يؤيِّد ملَكه علىٰ شيطانه، فكذلك الشخصان يغلب أحدهما الآخر؛ لأن الآخر لم يؤيد ملَكه فلم يؤيده، أو ضعف عنه؛ لأنه ليس معه إيمان يعينه».

وقد أبطل الله مذهب المحتجين بالقدر علىٰ الكفر والمعاصي والذنوب؛ فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۢ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزُّخرُف: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍۢ مُّبِينٍۢ﴾ [يس: ٤٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهذه أربعة مواضع في القرآن، بيَّن سبحانه فيها أن الاحتجاج بالقدر من فعل المشركين المكذبين للرسل».

ومشركو قريش كانوا يحتجُّون بالقدر علىٰ شركهم وكفرهم، ثم أسلم عامتهم.

---

(١) طريق الهجرتين، (ص٢٥٤).

وقد يقول قائل معترضًا علىٰ ما قاله أهل السنَّة والجماعة من أن الاحتجاج بالقدر لم يقع إلا من الكافرين والمشركين؛ بأنه وقع من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ **قال لآدم**: أنت أبونا، خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة!

فقال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لمَ تلومني علىٰ ذنب كتبه الله عليَّ؟

قال نبيُّنا ﷺ: «**فحج آدم موسىٰ، فحج موسىٰ آدم، فحج آدم موسىٰ**»، متفق عليه.

فهذا احتجاج بالقدر علىٰ المصائب، لا علىٰ المعايب، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «احتج آدم بالقدر علىٰ المصيبة».

وقال(٢): «والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب».

وأما عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلًا، فقال لهما: «**ألا تصليان؟**».

فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بعثها؛ فانصرف رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. رواه البخاري ومسلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحتجَّ بالقدر علىٰ ترك واجب، ولا فعل محرَّم».

وقال(٤): «واحتجاج غير المُفرِّط بالقدر صحيح».

---

(١) شفاء العليل (١/ ٢٦٦).

(٢) شفاء العليل (١/ ٢٦٦).

(٣) شفاء العليل (١/ ٢٢٨).

(٤) شفاء العليل (١/ ٢٢٩).

ونظير الاحتجاج بالقدر في حق غير المفرِّط؛ ما وقع للنبي ﷺ وأصحابه في رجوعهم من غزوة تبوك، فقد غلبهم النوم عن صلاة الفجر، فقال النبي ﷺ: «**إن الله قبض أرواحنا حيث شاء**» رواه البخاري.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا احتجاج صحيح، صاحبه يعذر فيه؛ فإن النائم غير المُفَرِّط».

لا ينبغي أن يغتر الإنسان بحوله وقوته؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه وإن قلنا: إن العبد له قدرة تامة وإرادة جازمة يختار بها فعله؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا يقع في مُلك الله إلا ما أراده، ولا مشيئة لمخلوق إلا بتمكين الله لعبده في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

ومع ما قرَّره أهل السنة والجماعة من أن أفعال العباد مخلوقة، كما دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله ﷺ: «**والله خلق كل صانع وصنعته**»[٢].

فإنه لا يُنسب لله شيء مما يقع من أفعال العباد من الشر أو الظلم؛ فهذه كسب للعبد وأعماله، والله عدل لا يظلم أحدًا، والشرُّ ليس إليه.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وكونه خلق أفعال العباد، وفيها الظلم؛ لا يقتضي وصفه بالظلم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، كما أنه لا يوصف بسائر القبائح التي

---

(١) شفاء العليل (١/ ٢٢٩).

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (رقم ١٧)، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (رقم ١٦٣٧).

(٣) جامع العلوم والحكم، (ص٤٢٣).

يفعلها العباد، وهي خلقه وتقديره؛ فإنه لا يوصف إلا بأفعاله، لا يوصف بأفعال عباده؛ فإن أفعال عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو لا يوصف بشيء منها، إنما يوصف بما قام به من صفاته وأفعاله».

ونكتة المسألة: أن القائل إذا قال: هذه التصرفات فعل الله، بمعنىٰ المصدر؛ فهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل، وإن قال: فِعل الله. وأراد به أنها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات؛ فهذا حقٌّ(١).

فالشرُّ ليس في قضاء الله وقدره وفعله، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما الشرُّ في مفعوله، لا في فعله تعالىٰ؛ فقضاء الله منزَّه عن الشر، يدلُّ لذلك أمور كثيرة، منها:

١ - **قوله تعالىٰ**: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فتصرُّفاته كلها خير.

٢ - ثناء النبي ﷺ علىٰ ربِّه بتنزيهه عن الشر في دعاء الاستفتاح في صلاته، في قوله: «**لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك**» رواه مسلم.

٣ - تنزه الله عن الظلم، وتمدحه نفسه لذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، والظلم: هو وضع الشيء في غير محلِّه، والله منزَّه عن ذلك؛ لا يضع الأشياء إلا في موضعها.

٤ - معاني أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا، وهي كثيرة متنوعة في الدلالة علىٰ أن الشرَّ ليس إلىٰ الله، فمنها: (القدوس) وهو المنزَّه عن كل شرٍّ ونقص وعيب، و(السلام) وهو الذي سلم من العيوب والنقائص؛ فسلم سبحانه من

(١) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٢٢).

إرادة الظلم والشر، ومن فعله ونسبته إليه.

ومن أسمائه (الكبير) وهو الذي تكبَّر وتعظَّم عن كل سوء، و(العزيز) الذي عز عن كل سوء وشر، و(العلي) الذي علا عن كل سوء ونقص، وهو (المحسن الجواد الحكيم العدل) في كلِّ ما خلقه، وفي كلِّ ما وضعه في محله وهيَّأه، وهو (السبوح) الذي تنزه عن كل سوء[١].

والشر الذي في المقضي ليس شرًّا محضًا، بل هو شر نسبي، وهذا مقتضىٰ حكمة الله تعالىٰ، وتأمل هذا في مثال آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أكله من الشجرة، وما حصل لذريته من التكليف بعد ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لولا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة؛ لما ترتب علىٰ ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالىٰ: من امتحان خلقه وتكليفهم، وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وإظهار آياته وعجائبه، وتنويعها وتصريفها، وإكرام أوليائه، وإهانة أعدائه، وظهور عدله وفضله، وعزته وانتقامه، وعفوه ومغفرته، وصفحه وحلمه، وظهور من يعبده ويحبه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان.

فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة، ولم يخرج من الجنة هو وأولاده؛ لم يكن شيء من تلك، ولا ظهر من القوة إلىٰ الفعل ما كان كامنًا في قلب إبليس يعلمه الله ولا تعلمه الملائكة، ولم يتميَّز خبيث الخلق من طَيِّبِهِ، ولم تتم المملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب، وعقوبة وإهانة، ودار سعادة وفضل،

(١) شفاء العليل، (ص٣٠١ - ٣٠٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٠٨ - ٤٠٩).

ودار شقاوة وعدل».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلق أفعال العبد الظاهرة والباطنة؛ فهو الذي يجعل الإيمان والهدىٰ في القلب، ويجعل التوبة والإنابة والإقبال والمحبة والتفويض وأضدادها، والعبد في كل لحظة مفتقر إلىٰ هداية يجعلها الله في قلبه، وحركات يحركها بها في طاعته، وهذا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو خلقه وقدره، وكان من دعاء النبي: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها**»، وعلَّم حصين بن المنذر أن يقول: «**اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**».

وعامة أدعيته متضمنة لطلب توفيق ربه وتزكيته له، واستعماله في محابه».

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات**»، فالخير والشر، والحلو والمر، كله قَدَّرَهُ الله سبحانه، وقد دل علىٰ ذلك القرآن أيضًا والإجماع؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩].

والمعنىٰ: أن ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك؛ عقوبة لك، كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) طريق الهجرتين، (ص٦١٤ - ٦١٥).

وهذا مما كان يعتقده العرب في الجاهلية، فضلًا عن إسلامهم، قال أحمد بن يحيىٰ ثعلب: «لا أعلم عربيًّا قدريًّا». قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقَدَر؟ قال: «معاذ الله! ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره، أهل الجاهلية والإسلام، ذلك في أشعارهم وكلامهم كثير»(١).

وقد حكىٰ الإجماع علىٰ هذا الاعتقاد أبو القاسم الطبري اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال(٢): «وهو مذهب أهل السنة والجماعة، يتوارثونه خلفًا عن سلف، من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب».

ولما ظهر من ينكر أن الشر بقدر؛ أنكر عليهم الصحابة ذلك، فقد سمع ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا رجلًا يقول: الشر ليس بقدر، فقال ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا(٣): «بيننا وبين أهل القدر: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] حتىٰ بلغ ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] والعجز والكيس بقدر».

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «لو أراد الله تعالىٰ أن لا يُعصىٰ ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة».

قال العلامة أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «يقال للقدري: يا من لعب به الشيطان، يا من ينكر أن الله تعالىٰ خلق الشر، أليس إبليس أصل كل شر؟ أليس الله خلقه؟

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٩٣ - ٥٩٤، رقم ٩٤١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٩٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١١٤ - رقم ٢٠٠٧٣) عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: أن رجلًا قال لابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا، فذكره. إسناده صحيح.

(٤) رواه الآجري في الشريعة (١/ ٤٤٠ - رقم ٥٦١).

(٥) الشريعة (١/ ٤٦٢).

أليس الله تعالىٰ خلق الشياطين وأرسلهم علىٰ من أراد ليضلوهم عن طريق الرشد؟ فأي حجة لك يا قدري؟ يا من قد حُرم التوفيق، أليس الله تعالىٰ قال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]».

وقال أبو بكر المروذي: قال رجل لأبي عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن عندنا قومًا يقولون: إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر، ويقولون: القرآن مخلوق. فقال: هذا كفر، هؤلاء قدرية جهمية، الخير والشر مقدَّر علىٰ العباد، قيل له: الله خلق الخير والشر؟ قال: نعم، الله قدَّره[1].

وقال أبو الحارث: سمعت أبا عبد الله وقد سُئل عن القدر، فقال: الخير والشر بقدر، والزنا والسرقة وشرب الخمر كله بقدر[2].

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: إن قومًا يحتجُّون بهذه الآية: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩].

قال أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، والله قضاها[3].

والله يضلُّ من يشاء ويهدي إليه من ينيب، فالله لكمال عدله ركَّب وخلق في

---

(١) السنة للخلال (١/ ٥٤٣ - رقم ٩٠٠).

(٢) السنة للخلال (١/ ٥٤٣ - رقم ٩٠٢).

(٣) السنة للخلال (١/ ٥٤٥ - رقم ٩٠٩).

عباده كلهم أسبابَ فعل الخير والشر، قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠]؛ فهدىٰ الله من أناب إليه، وزكىٰ نفسه بطاعة الله، ويسر الله لمن أقبل عليه طريق الجنة وفعل الطاعات، قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧].

وأضلَّ الله بعدله من أعرض عنه ولم يقبل وَحْيه وهديه، قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فهذه الآيات وغيرها كثير دالٌّ علىٰ أن ضلال العبد بسببه، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله، وأن إركاسهم بسبب كسبهم وأعمالهم».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فأخبر سبحانه عن عدم قابلية الإيمان فيهم، وأنهم لا خير فيهم يدخل بسببه إلىٰ قلوبهم، فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به، وإن سمعوه سماعًا تقوم به عليهم حجته، فسماع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم.

ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٦٦٢).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٦٤٣).

هذا السماع الخاص، وهو الكبر والتولي والإعراض؛ فالأول مانع من الفهم، والثاني مانع من الانقياد والإذعان؛ فأفهام سيئة وقصود ردية، وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاء، كما أن نسخة الهدىٰ وعلم السعادة فَهْم صحيح وقصد صالح، والله المستعان».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وأما الإضلال السابق الذي ضلَّ به عن قبوله أولًا والاهتداء به؛ فهو إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدىٰ ولا يليق به، وأن محلَّه غير قابل له؛ فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته؛ فهو أعلم حيث يجعلها أصلًا وميراثًا، وكما أنه ليس كلُّ محل أهلًا لتحمل الرسالة عنه وأدائها إلىٰ الخلق، فليس كل محل أهلًا لقبولها والتصديق بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

فتأمَّل ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، فعِلم الله السابق مطابق للواقع في عدم شكر الكافرين لرب العالمين، وهو الموجب لإضلالهم؛ فسبحان الله لكمال علمه وعدله، لا إله إلا هو».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ولتكن قصة إبليس منك علىٰ ذكر، تنتفع بها أتم انتفاع؛ فإنه لما عصىٰ ربَّه تعالىٰ ولم ينقد لأمره، وأصر علىٰ ذلك؛ عاقبه بأن جعله داعيًا إلىٰ كل معصية، فعاقبه علىٰ معصيته الأولىٰ بأن جعله داعيًا إلىٰ كل معصية وفروعها، صغيرها وكبيرها، وصار هذا الإعراض والكفر منه عقوبةً

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٦٤٤).

لذلك الإعراض والكفر السابق، فمن عقاب السيئة السيئة بعدها، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها».

والقدر سر الله، لا يعلمه العباد إلا بعد وقوعه، ونحن مأمورون بفعل ما أمرنا الله به، وموجب الإيمان بالقدر خيره وشره ترك الاعتراض على ما يقضيه الله كونًا، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، والله لا يفعل إلا لحكمة، ولا يقضي إلا بعدل؛ فهذا ما يسلِّم به الموحدون إذا حارت عقولهم - لنقصها - عن فهم حكمة الله وعدله في قضائه وقدره، والخوض في تعليل ما تحار فيه العقول يقع من المرتابين، وربما يوقعهم في الكفر والإلحاد، فمثل هؤلاء واجب عليهم الأخذ بنصيحة النبي ﷺ حيث قال: «**وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(١).

فالموحدون عقولهم شاهدة بصحة الشرع وحكمة الرب، وهم في أحوالهم كلها مصدِّقون للشرع، سواء أدركوا الحكمة في أفعال الله أو خفيت عليهم لنقص عقولهم؛ فهذا إيمانهم بحكمة الله في أمره وقدره وشرعه.

قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الوقوف مع النقل مقام الصديقين».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «والنهي عن الخوض في القدر يكون علىٰ وجوه، منها:

ضرب كتاب الله بعضه ببعض: فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرىٰ، ويقع التجادل في ذلك. وهذا قد روي أنه وقع في عهد النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ غضب من

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسّنه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ١١٢).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٤٩).

(٣) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف، (ص٥١ - ٥٤).

ذلك ونهىٰ عنه، وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك.

ومنها الخوض في القدر إثباتًا ونفيًا بالأقيسة العقلية: كقول القدرية: «لو قدر وقضىٰ ثم عذب؛ كان ظالمًا».

وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد علىٰ أفعالهم، ونحو ذلك.

ومنها الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن عليٍّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون علىٰ حقيقة ذلك».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

الإيمان قول وعمل

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله تعالىٰ وإخلاص القلب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ كله من الدين.

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»، فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة: ١٢٤]، **وقال:** ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح: ٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان**»، فجعله متفاضلًا.

❁ الشَّرح:

الإيمان هو اعتقاد القلب، وقول اللسان وعمل الظاهر والباطن؛ فالباطن له عمل، وهو إقرار القلب ويقينه، وطمأنينته، وميله وحبه للإيمان والمؤمنين، وكراهيته للكفر والفسوق والعصيان، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالىٰ ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وعمل الظاهر: قول اللسان من ذكر الله، وعمل الجوارح: ما يلتزمه العبد من صلاة، وحج، وعمرة، وجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وغيره.

وقد أشار النبي ﷺ في قوله: «الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها شهادة أن لا

إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق»[١] إلىٰ أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، كما أشار إلىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

ولا يصح تفسير الإيمان بالتصديق؛ فالشرع ليس إخبارًا وحسب، بل هو أخبار وأوامر، وأخباره منها ما يتضمن أوامر، ولا يكتفىٰ فيها بمجرد التصديق بل لابد فيها من الإقرار، والانقياد لأمر الله ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الإيمان وإنْ كان يتضمَّن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأنَّ التصديق إنما يعرض للخبر فقط؛ فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمرٌ، وكلام الله خبَرٌ وأمرٌ؛ فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عملٌ في القلب جِماعُه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قُوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد؛ فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإنَّ اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد».

ولو قدر أن الإيمان لغةً هو التصديق، فإن هذا التعريف جزء من التعريف الشرعي الذي هو أعمُّ من التعريف اللغوي، وهو مجرد التصديق علىٰ التسليم لذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فالتصديق الذي هو الإيمان، أدنىٰ أحواله أن يكون نوعًا من التصديق العام، فلا يكون مطابقًا له في العموم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم (١/ ٥١ - رقم ٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (١/ ٦٣ - رقم ٥٧).

(٢) الصارم المسلول، (ص٥١٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٢٧).

والخصوص، من غير تغيير للبيان ولا قلبه، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفًا من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق».

وأما الأدلة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه في نصوص الكتاب والسنة فكثيرة جدًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، إلىٰ غير ذلك من النصوص الكثيرة(١).

وهل شرعت الشرائع، وفرضت الفرائض، وحرمت المحرمات، وقدرت المصائب والفتن والامتحانات إلا تمحيصًا وتحقيقًا للإيمان وزيادته؟!

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وجدنا أعمال البر، وصناعات الأيدي، ودخول المساكن؛ كلها تشهد علىٰ اجتماع الاسم، وتفاضل الدرجات فيها؛ هذا في التشبيه والنظر، مع ما احتججنا به من الكتاب والسنَّة، فهكذا الإيمان هو درجات ومنازل، وإن كان سمىٰ أهله اسمًا واحدًا، وإنما هو عمل من أعمال تعبد الله به عباده، وفرضه علىٰ جوارحهم، وجعل أصله في معرفة القلب، ثم جعل المنطق شاهدًا عليه، ثم الأعمال مصدقة له».

وقال هشام بن عمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ومما يُبيِّن لأهل العقل أن الإيمان قول

---

(١) الصارم المسلول، (ص٥٢٠).

(٢) الإيمان، (ص٧٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٥٣ - ١٥٥).

وعمل، يزيد وينقص؛ ما جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث: «**أن الحياء شعبة من الإيمان**»، و«**أن حسن العهد من الإيمان**»، وأن الإيمان عرًى، و«**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»، وأن للإيمان أركانًا ودعائم، وذروة وحقيقة ومحضًا، وصريحًا وصدقًا وبرًّا، وحلاوةً وزينةً ولباسًا وطهرًا».

فحيث لا يوجد عمل فإنه دالٌّ على عدم الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القرآن والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة؛ فإن تلك إنما فسرتها السنَّة، والإيمان بيَّنَ معناه الكتاب والسنَّة وإجماع السلف».

وكلُّ النصوص الواردة في زيادة الإيمان دالَّة على نقصان الإيمان ولا بد، فقد قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرءون: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، في غير موضع. قيل: فينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص(٢).

وقد نُقل عن الإمام مالك في رواية التوقفُ في القول بنقص الإيمان.

قال الحافظ ابن عبد البر(٣): «وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد، ووقف في نقصانه».

---

(١) الإيمان (ص١٢٢).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٥٠ - رقم ١١٤٢)، والآجري في الشريعة (١/ ٢٧١ - رقم ٢٦٤)، كلهم من طريق عمر بن أيوب، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو الفتح نصر بن المغيرة، قال: قيل لسفيان... فذكره. إسناده صحيح.

(٣) التمهيد (٩/ ٥٢٥).

واعتذر عنه وعن غيره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله(١): «لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن(٢)، ولم يجدوا ذكر النقص».

وهذا ليس قولًا واحدًا لمالك في المسألة، بل هي رواية انفرد بها ابن القاسم، والروايات الكثيرة المشهورة عنه توافق قولَ سائر الأئمة في ثبوت النقصان كالزيادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «والروايات الأخرىٰ عنه، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص».

والغرض من هذا التنبيه علىٰ اختلاف الرواية عن مالك في نقصان الإيمان، وأن المشهور عنه هو ما لزم فيه الجادة من إثبات النقصان كالزيادة؛ فلا يجوز لأحد أن ينسب إليه التوقف في النقصان علىٰ أنه مذهب مستقر له.

وكان السلف يزجرون من لا يثبت النقص.

قال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «سمعت سفيان يقول: «**الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص**»، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: «يا أبا محمد، لا تقول: ينقص»، فغضب وقال: «اسكت يا صبي، بل حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء»».

وأما تحرُّج البعض من قول: «الإيمان يزيد وينقص»، واستعمال: «الإيمان يتفاضل»؛ فهذا لا وجه له.

قال ابن هانئ النيسابوري: «سمعت أبا عبد الله سأل ابن أبي رزمة: ما كان

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٠٧).

(٢) ونظير هذا قول مالك أيضًا: إن القتل خطأٌ أو عمد، وليس فيه شبه عمد؛ لأنه لم يرد في القرآن. وقد ورد في السنة في حديث الهذليتين.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٠٦).

(٤) أصول السنة (ص٥٣ - رقم ٥)، إسناده صحيح.

أبوك يقول عن عبد الله بن المبارك في الإيمان؟

قال: كان يقول: الإيمان يتفاضل(١).

قال أبو عبد الله: يا عجباه، إن قال لكم: يزيد وينقص؛ رجمتموه، وإن قال: يتفاضل؛ تركتموه، وهل شيء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان؟!(٢).

ومن أدلة نقصان الإيمان غير أدلة الزيادة قوله ﷺ: «من اقتنىٰ كلبًا ليس بكلب ماشية أو ضارية؛ نقصَ كل يوم من عمله قيراطان»(٣).

والعمل من الإيمان، ونقصانهما واحد، وقد ساق ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩) هذا الحديث مستدلًّا به علىٰ نقصان الإيمان(٤).

وكذلك وصفُه ﷺ النساء بقوله: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين»(٥) **دالٌّ** علىٰ نقص الإيمان، فإن قلت: كيف ذلك وهي قائمة في تلك الحال بما وجب عليها من ترك الصلاة؟!

فالجواب كما قال الحافظ ابن رجب(٦): «نقصان دينها بالنسبة إلىٰ من هي طاهرة تصلي وتصوم».

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «من رأىٰ منكم منكرًا

---

(١) روىٰ الخلَّال في السنَّة (٤/ ٥٨ - رقم ١١٦٣) عن ابن المبارك، أنه قال: الإيمان قول وعمل، يتفاضل.

(٢) المسائل، رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري (٢/ ١٢٧ - رقم ١٧٢٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب: (من اقتنىٰ كلبًا ليس بكلب صيد أو ماشية) (٩/ ٦٠٨ - رقم ٥٤٨٠)، ورواه مسلم، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب، وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها (٣/ ١٢٠١ - رقم ١٥٧٤).

(٤) أصول السنة (ص٢١١)، (ص٢١٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (١/ ٤٠٥ - رقم ٣٠٤).

(٦) فتح الباري (١/ ١٧٠).

فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)]؛ دالٌّ علىٰ نقص الإيمان[(٢)].

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال[(٣)]: **«ما من نبي بعثه الله في أمَّة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**.

وكذلك حديث شُعَب الإيمان: «الإيمان بضع وستون شعبة[(٤)]**، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق»**؛ يدل علىٰ نقصان الإيمان[(٥)].

وكذلك حديث الجهنميين، أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أخرجوا من

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٦٩ - رقم ٧٨).

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٧٥)، واستدل بذلك ابن منده في الإيمان (١/ ٧٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٧٠ - رقم ٨٠).

(٤) لفظة (وستون) رواها سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، قطعًا بدون شك، كما في الصحيحين.

ورواه سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي هريرة مرفوعًا: (بضع وستون) بدون شك، كما في «سنن أبي داود».

ورواها أيضًا سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا بالشك: (بضع وسبعون أو بضع وستون)، كما في «صحيح مسلم».

فالصواب أن نأخذ ما اتفق عليه سهيل بن أبي صالح وسليمان بن بلال: (بضع وستون). انظر «صيانة صحيح مسلم» لابن الصلاح، (ص١٩٦).

(٥) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٧٦).

كان في قلبه (مثقال حبة) من خردل من إيمان»(١)؛ دالٌّ علىٰ نقصان الإيمان(٢).

وكذلك قوله ﷺ: «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»(٣)؛ دالٌّ علىٰ نقصان الإيمان(٤).

وتأويل النبي ﷺ طول القميص وقصره في الرؤيا دليلٌ علىٰ زيادة الدين ونقصانه.

ومن صريح ما ورد في السُّنَّة دلالةً علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف» رواه مسلم.

وهذا الكلام في زيادة الإيمان ونقصانه معلوم متفق عليه عند أهل السنة، لكن هل يجري مثل هذا التفاضل في الإسلام؟!

قال العلامة أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «إن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعصية، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص».

وقال العلامة أبو عبد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦): «إن الإسلام لا يجوز أن يقال فيه: يزيد وينقص».

والحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحدث عن هذه المسألة بحسب متعلقاتها، من

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١/ ٧٢ - رقم ٢٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة (١/ ٧٢ - رقم ٣٠٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٦٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣ - رقم ١٤٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٦٩).

(٥) الشريعة (١/ ٢٦٥).

(٦) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٨٥٤).

حيث هو بالنسبة لمن تديَّن به، حيث قال[١]: «والدين يوصف تارة بالقوة والصلابة وتارة بالرقة والضعف، كما يوصف بالنقص تارة وبالكمال تارة أخرىٰ. ويوصف الإسلام تارة بأنه حسن، وتارة بأنه غير حسن، والإيمان يوصف بالقوة تارة وبالضعف أخرىٰ.

هذا كله إذا أُخذ الدين والإسلام والإيمان بالنسبة إلىٰ شخص شخص، فأما إذا نظر إليه بالنسبة إلىٰ نفسه من حيث هو هو؛ فإنه يوصف بالنزاهة.

قال أبو هريرة: «الإيمان نزهٌ؛ فإن زنا فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع راجعه الإيمان».

ويوصف الإيمان بالجيد كذلك؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان**»[٢].

والصواب أن الإسلام يزيد وينقص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا علىٰ كلام لمحمد بن نصر المروزي - رحم الله الجميع -[٣]: «وأما ما ذكره من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان؛ فهذا أيضًا حقٌّ، كما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة؛ فإن مَن نقص من الصلاة والزكاة والصوم أو الحج شيئًا؛ فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك.

---

(١) فتح الباري (١/ ٢٣٠).

(٢) رواه علي بن المديني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني، قال: سمعت فضالة بن عبيد، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:... فذكره، وقال: هذا إسناد مصري صالح، والراوي عن ابن لهيعة أحد العبادلة، وهو عبد الله بن المبارك. تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣).

(٣) الإيمان، (ص٣٩٦).

ومن قال: إن الإسلام هو الكلمة فقط، وأراد بذلك أنه لا يزيد ولا ينقص؛ فقوله خطأ».

وقال شيخ الإسلام أيضًا موضحًا(١): «والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها، وأحمد إنما منع الاستثناء فيه على قول الزهري: هو الكلمة.

هكذا نقل الأثرم والميموني وغيرهما عنه، وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قولَ من قال: الإسلام الكلمة؛ فيستثنى في الإسلام كما يستثنى في الإيمان؛ فإن الإنسان لا يجزم بأنه قد فَعَل كل ما أُمر به من الإسلام، وإذا قال النبي ﷺ: «**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»، و«**بني الإسلام على خمس**»؛ فجزمه بأنه فَعَل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بإيمانه؛ فقد قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي: الإسلام كافة، أي: في جميع شرائع الإسلام».

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ هو أنه وقع في كلام بعض السلف تفسير الإيمان بالمعرفة، فلا تظن أن تفسيرهم هذا من جنس تعريف الجهمية للإيمان؛ فهذا جهل وسوء ظن بالسلف.

وحيث صدر منهم ذلك فمرادهم بالمعرفة هو فعل القلب، كما فعل البخاري في «صحيحه»، حيث بوَّب وقال(٢): «باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**»، وأن المعرفة فعل القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «مراده بهذا التبويب أن المعرفة

(١) الإيمان، (ص٣٧٩).
(٢) كتاب الإيمان، (ص٦).
(٣) فتح الباري (١/ ٨٨).

بالقلب التي هي أصل الإيمان فعلٌ للعبد وكسب له، واستدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]؛ فجعل للقلوب كسبًا، كما جعل للجوارح الظاهرة كسبًا.

والمعرفة هي مركَّبة من تصوُّر وتصديق، فهي تتضمَّن علمًا وعملًا وهو تصديق القلب؛ فإن التصور قد يشترك فيه المؤمن والكافر، والتصديق يختصُّ به المؤمن؛ فهو عمل قلبه وكسبه».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان» تبيينٌ للتلازم بين القول والعمل والمعرفة لاعتقاد الباطن وعمله.

فالقول قرين العمل وملازمه، قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والإيمان بالله هو باللسان والقلب، وتصديق ذلك العمل؛ فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقَّههم الله تعالىٰ في الدين، بعلم الحلال والحرام: أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالىٰ؛ علمتم أن الله تعالىٰ أوجب علىٰ المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله: العمل، وأنه تعالىٰ لم يثن علىٰ المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدخول إلىٰ الجنة والنجاة من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقرن مع

---

(١) أصول السنة، ص (٢٠٧).

(٢) الشريعة (١/ ٢٧٧).

الإيمان العمل الصالح؛ لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتىٰ ضمَّ إليه العمل الصالح، الذي قد وفَّقهم له؛ فصار الإيمان لا يتم لأحد حتىٰ يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه، لا يخفىٰ علىٰ من تدبَّر القرآن وتصفَّحه، وجده كما ذكرت».

فكيف يكون الرجل مؤمنًا ولا يصدق عمله دعواه؟! فالإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، كما قال الحسن البصري[1]. بل إن الرجل يُمتحن في دعواه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن الإيمان قول وعمل - أعني في الأصل -: قولًا في القلب، وعملًا في القلب.

فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره، فيصدق القلب أخباره تصديقًا يوجب حالًا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنًا إلا بمجموع الأمرين، فمتىٰ ترك الانقياد كان مستكبِرًا، فصار من الكافرين».

وقال شيخ الإسلام[3]: «ألا ترىٰ أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو

---

(١) ومعنىٰ عبارة الحسن البصري بيَّنها شيخ الإسلام، حيث قال: (قوله: ليس الإيمان بالتمني - يعني الكلام -، قوله: التحلي؛ يعني أن يصير حلية ظاهرة له، فيظهره من غير حقيقة من قلبه، ومعناه: ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال). مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٩٤).

(٢) الصارم المسلول، (ص٥٢٠).

(٣) الصارم المسلول، (ص٥٢٠).

رسالة الله، وقد تضمَّنت خبرًا وأمرًا؛ فإنه يحتاج إلىٰ مقام ثانٍ، وهو تصديقه خبر الله، وانقياده لأمر الله، فإذا قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»؛ فهذه الشهادة تتضمَّن تصديق خبره والانقياد لأمره، «وأشهد أن محمدًا رسول الله» تضمَّنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله، فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار، فلما كان التصديق لابد منه في كلتا الشهادتين - وهو الذي يتلقىٰ الرسالة بالقبول - ظنَّ مَن ظنَّ أنه أصل لجميع الإيمان، وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه، وهو الانقياد».

ومما يدل علىٰ دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ليس عليهم أحج من هذه الآية».

وقال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فوصف الله عَزَّوَجَلَّ الدين قولًا وعملًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «قال تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، وكلُّ من لم يصدِّق لم يصلِّ.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

---

(١) السنة للخلال (١٠٣٨).

(٢) السنة للخلال (١٠٢٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٦٦).

ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٣-٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤].

ومثل هذا كثير، قد ينفي الشيء الذي نفيه يستلزم نفي غيره، لكن تذكر تلك اللوازم علىٰ سبيل التصريح للفرق بين دلالة اللوازم ودلالة المطابقة، كما قد ذكرنا نحو ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وأن كل من لبس بالباطل فلا بد أن يكتم بعضَ الحق، وبيَّنا أن هذا ليس من باب النهي عن المجموع المقتضي لجواز أحدهما، ولا من باب النهي عن فعلين متباينين حتىٰ لا يعاد فيه حرف النفي، بل هو من باب النهي عن المتلازمات(١)، كما يقال: لا تكفر وتكذب بالرسول، ولا تجادل في الله بغير علم ولا هدًىٰ ولا كتاب منير».

عنوان العمل الصلاة، فمن ضيَّعها فهو لغيرها أضيع، ويصح أن يوصف مضيعها بأنه تارك للعمل، وأحكام السلف علىٰ الأشخاص كانت منوطة بالصلاة.

ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما سئل النبي ﷺ: أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها**»(٢).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إن النبي - ﷺ - كان إذا سئل عن أفضل الأعمال؛ فتارةً يذكر الإيمان بالله ورسوله لدخوله في مسمىٰ الأعمال - كما سبق تقريره -، وتارة يذكر أعمال الجوارح؛ لأن المتباديَ إلىٰ الفهم عند

---

(١) يعني: لازم الإيمان الصلاة.

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (٢/ ٩ - رقم ٥٢٧).

(٣) فتح الباري (٤/ ٢١٤).

ذكر الأعمال مع الإطلاق أعمال الجوارح، دون عمل القلب واللسان؛ فكان إذا تبين له أن ذلك هو مراد السائل ذكر الصلاة له، كما ذكرها في حديث ابن مسعود هذا؛ فإن الصلاة أفضل أعمال الجوارح، وحيث أجاب بذكر الإيمان أو بذكر الصلاة؛ فإنما مقصوده التمثيل بأفضل مباني الإسلام.

ومراده المباني بجملتها؛ فإن المباني الخمس كالشيء الواحد، وكلُّ من دخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، أو بالصلاة - علىٰ رأي من يرىٰ فعلها إسلامًا - فإنه يؤمر ببقية المباني، ويلزم بذلك، ويقاتل علىٰ تركه».

وقال الحافظ ابن رجب أيضًا(١): «ومراده في كلا الجوابين سائر المباني، لكنه خصَّ بالذكر أشرفها، فكأنه قال: الشهادتان وتوابعهما، والصلاة وتوابعها ولوازمها، وهو بقية المباني الخمس. ويشهد لهذا: قول النبي - ﷺ -: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**». فتوهَّم طائفة من الصحابة أن مراده أن مجرد هذه الكلمة يعصم الدم حتىٰ توقفوا في قتال من منع الزكاة، حتىٰ بيَّن لهم أبو بكر - ورجع الصحابة إلىٰ قوله -: أن المراد: الكلمتان بحقوقهما ولوازمهما، وهو الإتيان ببقية مباني الإسلام. وقد تبيَّن صحَّة قولهم بروايات أُخَر تصرِّح بإضافة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلىٰ الشهادتين في شرط عصمة الدم. وكذلك قوله - ﷺ -: «**من قال: لا إله إلا الله؛ لم تمسه النار، أو دخل الجنة**»، إنما أراد الشهادتين بلوازمهما وتوابعهما، وهو الإتيان ببقية أركان الإسلام ومبانيه».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من صلىٰ صلاتنا،**

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢١٤ - ٢١٥).

واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ، فلا تخفروا الله في ذمته»، رواه البخاري.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وقد دلَّ هذا الحديث علىٰ أن الدم لا يعصم بمجرد الشهادتين، حتىٰ يقوم بحقوقهما، وآكد حقوقهما الصلاة؛ فلذلك خصَّها بالذكر، وفي حديث آخر أضاف إلىٰ الصلاة الزكاة».

وكذلك حكم السلف علىٰ الرقبة التي تعتق، ووصفُها بالإيمان منوط بالصلاة.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وظاهر كلام الخرقي أن المعتبر الفعل دون السن، فمن صلىٰ وصام ممن له عقل يعرف الصلاة والصيام، ويتحقق منه الإتيان به بنيته وأركانه؛ فإنه يجزئ في الكفارة، وإن كان صغيرًا».

وقد عكر علىٰ هذا الأصل الأصيل في التلازم بين الإيمان والعمل عمومات فُهمت علىٰ غير الوجه الصحيح، وهذه العمومات ثلاثة أقسام:

١ - النصوص الواردة في ذكر الإيمان بالشهادتين دون ذكر شرائع الإسلام والأعمال.

٢ - النصوص الواردة في عدم خلود من لم يعمل خيرا قط في النار، وإخراجه منها.

٣- النصوص الواردة في رجحان الشهادتين في مقابل كلِّ السيئات وإدخالها صاحبها الجنة. فالجواب عن هذا كالآتي:

أولًا: الأحاديث الواردة في أن من أتىٰ بالشهادتين دخل الجنة، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه علىٰ الرحل، فقال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك،

---

(١) فتح الباري (٣/ ٥٦).

(٢) المغني (١٣/ ٥١٨).

قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلَّا حرمه الله علىٰ النار**»، قال: يا رسول الله، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يتكلوا**». فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا(١).

وهذا مما يستدل به المرجئة، قال العلامة الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت: «**من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**» قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض علىٰ ما تقدم ذكرنا له، وهذا قول علماء المسلمين، ممن نفعهم الله تعالىٰ بالعلم، وكانوا أئمَّة يقتدىٰ بهم، سوىٰ المرجئة الذين خرجوا من جملة ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم في كل بلد»(٢).

فهذا الحديث وغيره يجب أن يُفهم في ضوء نصوص أخرىٰ من القرآن والسنَّة، حيث رُتب فيها دخول الجنة علىٰ الأعمال الصالحة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ولذلك لما قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة (لا إله إلا الله)؟ قال: بلىٰ، ولكنه ليس مفتاح إلا له أسنان، فمن جاء به بأسنانه فتح، وإلا لم يفتح(٣).

وقال الحسن بن عميرة: قيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة، قال: من قال: لا إله إلا الله، فأدىٰ حقَّها وفرضها؛ دخل الجنة(٤).

ووجَّه الزهري أحاديث دخول الجنة بالشهادتين حيث لم تُذكر شرائع الإسلام

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١/ ٢٦٦ - رقم ١٢٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ٦١ - رقم ٣٢).

(٢) الشريعة (١/ ٢٤٧).

(٣) علقه البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: «لا إله إلا الله» (٣/ ١٠٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٥٢).

بقوله(١): «إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي».

وقال الحافظ ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقولٌ آخرُ لجماعة آخرين من أهل الجماعة، قالوا: لم يُرد النبي ﷺ أن تؤمن بالله في خبر جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كمال الدين والإيمان، ولكن أراد الدخول في الإيمان الذي يخرج به من ملل الكفر، ويلزم من أتىٰ به اسم الإيمان وحكمه من غير استكمال منه للإيمان كله».

وقال الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وجائز أن يكون اختصارًا من رسول الله ﷺ فيما خاطب به كفار العرب عبدة الأوثان، الذين كان توحيدهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مضمومًا بسائر ما يتوقف عليه الإسلام، ومستلزمًا له، والكافر إذا كان لا يقرُّ بالوحدانية كالوثني والثنوي، فقال: «لا إله إلا الله»، وحاله الحال التي حكيناها؛ حكم بإسلامه.

ولا نقول - والحالة هذه - ما قاله بعض أصحابنا من أن من قال: «لا إله إلا الله» يحكم بإسلامه، ثم يجبر علىٰ قبول سائر الأحكام؛ فإن حاصله راجع إلىٰ أنه يجبر حينئذ علىٰ إتمام الإسلام، ويجعل حكمه حكم المرتد إن لم يفعل من غير أن يصير بذلك مسلمًا في نفس الأمر، وفي أحكام الآخرة».

والمقصود هنا بالأحاديث التي جاء فيها أن من قال: «لا إله إلا الله» فهو مؤمن، أو دخل الجنة؛ بيان ما يتميَّز به المسلم ظاهرًا في الدنيا عن أهل الملل كاليهود والنصارىٰ، ولم يرد بذلك أن صاحبها يدخل الجنة بمجرد هذا الإقرار.

---

(١) جامع الترمذي (٥/ ٢٤)، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

(٢) كتاب الإيمان (١/ ٣٤٦).

(٣) صيانة صحيح مسلم، (ص١٧٣ - ١٧٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لما كان كل من أتىٰ بالشهادتين صار مسلمًا متميزًا عن اليهود والنصارىٰ، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري علىٰ المسلمين».

ثم قال شيخ الإسلام موضحًا أكثر[(٢)]: «قوله: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، فإنما أريد من أظهر الإسلام، فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا؛ هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام، فالمسمَّىٰ واحد في الأحكام الظاهرة؛ ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» أجابه بأن المراد: حكمها في الدنيا حكم المؤمنة، لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار».

وقد سئل الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن حديث**: «**من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**» هل هو منسوخ؟

فأجاب: «بل هو محكم ثابت، لكن زيد فيه، وضم إليه شروط أخر، وفرائض فرضها الله علىٰ عباده»[(٣)].

وبمثل قول الحافظ عبد الغني المقدسي أجاب الحافظ ابن رجب، حيث قال[(٤)]: «المراد من هذه الأحاديث: أن «لا إله إلا الله» سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو

---

(١) كتاب الإيمان، (ص٣٩٧).

(٢) كتاب الإيمان (ص٣٩٨).

(٣) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣).

(٤) كتاب التوحيد، (ص٣٩).

لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه، وهو الأظهر».

ثانيًا: حديث: «**لم يعمل خيرًا قط**»:

فالجواب: هو تحقيق «الخير» المنفي في الحديث؛ فإن حققت المنفي زال الإشكال، واتضح المقال.

وينبغي ذكر قاعدة الشريعة في الأسماء الشرعية في النصوص؛ حتىٰ يتضح المراد، وهذه القاعدة مأخوذة من استقراء نصوص الشرع، كقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١)، وقوله: «**ليس المسكين بهذا الطوَّاف**»(٢)، وقوله: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا**»(٣)، وقوله: «**ليس الشديد بالصرعة**»(٤)، وقوله: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦): «إن الشارع لا ينفي مسمىٰ اسم

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (١/ ٥٣ - رقم ١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (١/ ٦٥ - رقم ٤٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (٣/ ٣٤١ - رقم ١٤٧٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٤/ ١٩٩٧ - رقم ٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري، كتاب الآداب، باب الحذر من الغضب (١٠/ ٥١٨ - رقم ٦١١٤)، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٤/ ٢٠١٤ - رقم ٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه أحمد (٣/ ١٣٥)، وأبو يعلىٰ (٥/ ٢٤٦ - رقم ٢٨٦٣)، وصححه ابن حبان (١/ ٢٠٨ - رقم ١٩٤)، وقال العلامة الألباني في تحقيقه علىٰ «الإيمان» لابن تيمية، (ص١١): «وهو حديث صحيح».

(٦) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٨١).

شرعي إلا لانتفاء كماله الواجب».

وبهذا يتبيَّن أن الخير المنفي ليس الخير كله والعمل كله، وإنما بعضه، وهو كماله الواجب.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنما هذه اللفظة «**لم يعملوا خيرًا قط**» من الجنس الذي يقول العرب: ينفي الاسم عن الشيء؛ لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنىٰ هذه اللفظة علىٰ هذا الأصل: لم يعملوا خيرًا قط علىٰ التمام والكمال، لا علىٰ ما أوجب عليه وأمر به».

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فإن الإيمان لا يُنفىٰ إلا بانتفاء بعض واجباته، كما قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»».

ثالثًا: النصوص الواردة في رجحان الشهادتين في مقابل كل السيئات:

فيراد بالسيئات بعضها وليس كلها؛ فهؤلاء مؤمنون، من أعمالهم الشهادتان ولوازمهما وحقوقهما، ومن أعظمها الصلاة، ولا يُراد الشهادتان مجردتين عن حقوقهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الحسنةُ الواحدة قد يقْتَرنُ بها من الصدق واليقين ما يجعلها تُكفِّر الكبائرَ؛ كالحديث الذي في صاحب البطاقة الذي يُنشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، ويؤتىٰ ببطاقة فيها كلمة: لا إله إلا الله، فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات؛ وذلك لعظم ما في قلبه من الإيمان واليقين.

---

(١) التوحيد (٢/ ٧٣٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٥).

(٣) مختصر الفتاوىٰ المصرية، (ص٥٧٧).

وإلا فلو كان كلُّ من نطق بهذه الكلمة تُكفِّر خطاياه؛ لم يدخل النارَ من أهل الكبائر المؤمنين بل والمنافقين أحدٌ، وهذا خلاف ما تواترَتْ به الآياتُ والسُّنَنُ، وكذا حديث البَغيِّ».

وأما خروج من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان؛ فهذا دليل علىٰ ذهاب بعض الإيمان، وهو الذي من أجله أُدخل النار، وبقاء بعضه وهو الذي من أجله يُخرج من النار إلىٰ الجنة، وهذا فصل ما بين أهل السنَّة وسائر الفرق الذين جعلوا الإيمان قطعة واحدة، إما أن يبقىٰ كله أو يذهب كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبطلًا عقيدة فرق الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية[1]: «فلم يقولوا بذهاب بعضه، وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: «**يخرج من النار كلُّ من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»».

وقال شيخ الإسلام[2]: «وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»، فأخبر أنه يتبعض ويبقىٰ بعضه، وأن ذاك من الإيمان؛ فعُلم أن بعض الإيمان يزول ويبقىٰ بعضه».

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس في معنىٰ حديث البطاقة، حيث قال[3]: «يتضمَّن من محبة الله والخضوع له، والذل وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلىٰ بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض؛ ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلىٰ المعاصي والإصرار عليها.

---

(١) شرح حديث جبريل، (ص٣٨٣).

(٢) شرح حديث جبريل، (ص٣٩٤).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٣٠ - ٣٣٢).

ومن عرف هذا؛ عرف قولَ النبي ﷺ: «**إن الله حرَّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»، وقوله: «**لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله**»، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أُشكلت علىٰ كثير من الناس، حتىٰ ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم علىٰ نار المشركين والكفار، وأوَّل بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنىٰ: لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة.

والشارع - صلوات الله وسلامه عليه - لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قول اللسان فقط؛ فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنىٰ بالقلب - علمًا ومعرفة ويقينًا وحالًا - ما يوجب تحريم قائلها علىٰ النار.

وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب؛ فإنما هو القول التام، كقوله: «**من قال في يوم: سبحان الله وبحمده، مائة مرة؛ حُطَّت عنه خطاياه، أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**»(١)، وليس هذا مرتبًا علىٰ مجرد قول اللسان.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (١١/ ٢٠٦ - رقم ٦٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧١ - رقم ٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم، من قالها بلسانه غافلًا عن معناها، معرضًا عن تدبُّرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيًا مع ذلك ثوابها؛ حطَّت من خطاياه بحسب ما في قلبه؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمَّل حديثَ البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يُعذب.

ومعلوم أن كلَّ موحِّد له مثل هذه البطاقة، وكثيرٌ منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات، لمَّا لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات؛ انفردت بطاقته بالثقل والرزانة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه هو التوحيد، وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول: (لا إله إلا الله)؛ فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلًا لا نقدر أن نضبطه».

ولذلك حُقَّ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقول[٢]: **«لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح به».**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٦٤).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وصححه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف، كما أشار إلىٰ ذلك د. محمد البراك في تحقيقه لرموز الكنوز (١/ ٣١٣)، حاشية (٢).

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦١) مبيِّنًا معنىٰ هذه العبارة[١]: «لم يُرد الأعمال؛ لأن العقل يقطع باستحالته، وإنما أراد المعنىٰ القائم بقلبه؛ من قوة إيمانه، وصفاء بصيرته، وتحقيقه في تصديقه».

علىٰ كل حال لا يرتاب المسلم في ضلال مرجئة الجهمية، الذي جعلوا الإيمان مجرد المعرفة، ونفوا الكفر عمن لم يأت بأركان الإسلام خصوصًا الصلاة.

وكان من أسباب ضلال المرجئة أخذهم بمجمل النصوص مقطوعة عن نصوص بيانها.

قال العلامة الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «سبيل المجمل، أن يُرَدَّ إلىٰ المُفَسَّر، ويُبنىٰ عليه».

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الذي أضل المرجئة، استدلالهم بأخبار مجملة غير مفسرة».

❁ ❁ ❁

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣١٤).

(٢) أعلام الحديث (٢/ ١١٢٤).

(٣) التوحيد (٢/ ٨١٦).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، وصح به النقل عنه، فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع علىٰ حقيقة معناه.

مثل حديث الإسراء والمعراج، وكان يقظة لا منامًا، فإن قريشًا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقبض روحه؛ لطمه ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربه فرد عليه عينه.

❁ الشَّرح:

خبر النبي ﷺ حَقٌّ وصدق، وهو خبر يقين يورث الاعتقاد بحقائقه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن كان الخبر الوارد بذلك خبرًا تقوم به الحُجَّة مقام المشاهدة والسَّماع؛ وجبت الدينونة علىٰ سامعه بحقيقته في الشهادة عليه بأنَّ ذلك جاء به الخبر، نحو شهادته علىٰ حقيقة ما عاين وسمع».

المسلم يتلقىٰ دينه من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنَّما يُكذِّب بآيات الله الكافرون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ

---

(١) التبصير في معالم الدِّين (ص١٣٩).

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

حقيقة الإسلام تصديق خبر الله عَزَّوَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ، والانقياد لأمرهما ونهيهما، قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٠هـ)**(١): «إنَّ الإسلام اسم للخضوع والإذعان، فكلُّ مُذْعِنٍ لحكم الإسلام ممن وحَّدَ الله وصَدَّق رسوله بما جاء به من عنده، فهو مسلم».

ولا يتحقق الإيمان إلا بتصديق الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ فيما أخبرا به، فمن كذّب بشيء منه كان كافرًا، ومن صدّقه واعتقده وعمل بموجبه كان مؤمنًا. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ [الحديد: ١٩].

فالتكذيب بالوحي كفر بالله العظيم،

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**: «من كذَّب بآية أو بحرف من القرآن، أو ردَّ شيئًا مما جاء به رسول الله ﷺ؛ فهو كافر».

من كذَّب بكلمات الله الشَّرعية، وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ النبوية؛ لم يكن من المؤمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المؤمن إنَّما فارق الكفر بالإيمان بالله وبرسله، وبتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا».

---

(١) التبصير في معالم الدِّين (ص١٨٣).

(٢) الاستقامة (٢/ ١٧٩).

تكذيب الوحي هو دين الكافرين، فكانوا لجهلهم يُكذِّبون الوحي ويعارضونه، بالجهل والقياس الفاسد والمعقول غير الصَّريح، والمنقول غير الصحيح، والهوىٰ.

قال أبو عمرو الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبيُّ ﷺ فردَّهم إلىٰ الشريعة والاتِّباع، فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع، ويستقبح ما استقبحه».

وكل ما لا يحيط العقل والحس بعلمه، خصوصًا أمور الغيب؛ فإنَّ واجبه السكوت عما لا يعلمه، وتلقي علم ذلك من العليم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علمًا.

وتكذيب خبر الله عَزَّوَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ لا يقع من مسلم، وإنَّما يقع من كافر زنديق، فالله عَزَّوَجَلَّ قوله حق وكلماته صدق، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدق في الأخبار وعدل في الأحكام.

وحجة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلقه قد قامت ببيان رسله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

قال العلامة أبو حفص ابن شاهين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٥هـ)**[2]: «إنِّي أدين الله بكل حديث صحَّ عن رسول الله ﷺ، لا أعارضه، ولا أتوقف عنه».

النبي ﷺ بلَّغ عن الله دينه، وأوجب الله علينا الدينونة بما بَلَّغَنَا من دينه، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) الاعتصام (١/ ١٥٧).

(٢) الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السُّنَّة (ص٢٥٠).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إذا لم نُقِرَّ بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه، رددنا علىٰ الله أمره، قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]».

وقال العلامة أبو زكريا السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**[(٢)]: «كل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ؛ فهو عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، فطاعة الرسول ﷺ وقبول قوله؛ واجب علىٰ الكافة، فمن خالفه أو ردَّ عليه خلع ربقة الإسلام من عنقه».

فتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله؛ يكون بتصديق خبره، والانقياد لأمره ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّه إذا ثبتت الرسالة؛ ثبت ما أخبر به الرسول ﷺ، مما ينكره بعض أهل البدع؛ كعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وكالصِّراط، والشفاعة، والحوض، ونحو ذلك مما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ».

الكافرون والمبتدعون المكذِّبون لأخبار الوحي؛ لهم وعيد شديد لظلمهم بتكذيب أخبار الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا أخبار الوحي بالتصديق، وكانوا أكمل عقولًا من الكافرين في زمانهم، وأكمل عقولًا من المبتدعة بعدهم من الجهمية والمعتزلة والخوارج.

وكان اعتقاد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بحقائق ما أخبر به ﷺ من كل شيء علىٰ وجه العموم، وأمور الغيب علىٰ وجه الخصوص؛ يقينيًّا، قال حنظلة الأسيدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٠٠).

(٢) منازل الأئمة الأربعة (ص١٣٤).

(٣) شرح الأصبهانيَّة (ص٧٢٤).

كنَّا عند رسول الله ﷺ، وحدَّثنا عن الجنَّة والنَّار، كأنَّا نراها رأي عين»، رواه مسلم.

لذلك نعتهم الله بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

كان الصحابي يُحدِّث عن رسول الله ﷺ موقنًا بصدقه؛ ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ الصَّادق المَصْدوقُ.

وكان من أمكن الصحابة في الإيمان والتصديق والعمل الصالح أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصدِّيق ليست فضيلة في مجرَّد تحرِّي الصدق، بل في أنَّه علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلًا، وصدَّق ذلك تصديقًا كاملًا في العلم والقصد والقول والعمل».

العقل علمه محدود بما يدركه، وما غاب عنه لا يمكنه نفيه، ولا القول فيه بغير علم، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

العقل شهد بصحَّة الشرع، وأنَّ علومه بالنسبة إليه لا شيء؛ فتكذيب أخبار وعلوم الوحي قدح في العقل الذي شهد بصحة الوحي.

وما يتوهَّم معارضته للعقل من نصوص الوحي؛ تجده معقولات ضالَّة غير صريحة، ومن رُزق حسن الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ أدرك أنَّ العقل الصَّريح يوافق النقل الصَّحيح، لا يخالفه.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «لا يُتصوَّرُ أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدًا».

(١) منهاج السُّنَّة (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٢٧).

الشيطان يُلقي في نفوس أوليائه وساوسه، فيتلقاها المبتدع بالقبول لإعراضه عن الاهتداء بالقرآن والسُّنَّة، فيكون ذلك سببًا لضلاله وإضلاله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قال العلامة ابن أبي العزِّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُعارِضَه بخيال باطل يسَمِّيه معقولًا».

تاه المبتدعة في ضلالات العقائد الزائغة، بسبب تَنكُّبِهِمْ عن تصديق أخبار الوحي، وكان تصديق المسلمين لأخبار الوحي من أسباب هدايتهم للحق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من رغب عن أنباء النُّبُوَّة - يعني أحاديث النبي ﷺ -؛ فقد تقطَّعت من بين يديه أسباب الهُدىٰ، ولَقي حجَّته فتنته، وتلك أبلغ الشرور في القُلُوب عُقُوبَة».

الملاحدة كذبوا بالوحي؛ لحصرهم العلوم بمدركات الحسِّ، والمعتزلة كذبوا بالوحي، لعدم إحاطة عقولهم بخبر الله عَزَّوَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ.

والحس والعقل الصريح يوافق الوحي، لا يخالفه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ [هود: ١٧].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٢٨).

(٢) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (٢/ ٣٢٥).

(٣) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٤٢٥).

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمَّة ودلائلها الظاهرة، فتيقَّن تلك البيِّنة. ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي: يتلو هذه البيِّنة والبرهان برهان آخر، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: وهو شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعَلِمَ بعقله حسنه؛ فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

الحس يوافق الوحي، لا يخالفه، فالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ لا يخبران إلا عن حق موجود، والغيب يعلمه الله، والله لا يخبر إلا عن حق وصدق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القرآن لا يَرِدُ بخلاف المحسوس».

ولا يزال الله عَزَّوَجَلَّ يُري خلقه وعباده أنواعًا من المخلوقات والحوادث ما يتيقَّن معه موافقة الحس للوحي، قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وأنت إذا تأملت عقائد الفرق المبتدعة؛ وجدتها قد كذَّبت بما جاء في القرآن والسُّنَّة، وابتدعت ما ليس في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا سنَّة رسول الله ﷺ، فهم أهل أهواء، لا يأتمون بالكتاب والسُّنَّة، ويقولون في دين الله بغير علم، بالجهل والهوىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد تكلَّم أهل البدع معهم - الكفَّار - في مسألة حدوث العالم والمعاد والصِّفات والنُّبوَّات، بما أضافوا إلىٰ دين المسلمين من الأقوال التي ليست في كتاب الله، ولا في حديث عن رسول الله، ولا قالها أحد من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان.

---

(١) جامع الرسائل، المجموعة الثانية، (ص٣٢٤).

(٢) الصَّفدية (٢/ ٣٢٨).

ولا أحد من أئمَّة المسلمين، وإنَّما هي مأخوذة عن أهل الكلام المبتدع المحدَث المذموم عند السَّلف والأئمة، الذي أصله مأخوذ عن الجهمية والمعتزلة».

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل حديث الإسراء والمعراج، وكان يقظة لا منامًا، فإنَّ قريشًا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

الشَّرح:

الإسراء والمعراج من أعظم الكرامات التي أكرم الله بها نبيه ﷺ، حيث كلَّمه الله وقرَّبه وأراه جنته، وجعله إمامًا للنبيين جميعًا صلوات الله وسلامه عليهم، وأراه جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته الحقيقية.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[1]: «مما خَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظَّم به شأنه؛ زيادة منه له في الكرامات أنَّه أسرىٰ بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتىٰ وصل به إلىٰ بيت المقدس، ثم عرج به إلىٰ السموات، فرأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ، رأىٰ ملائكة ربه عَزَّوَجَلَّ، ورأىٰ إخوانه من الأنبياء، حتىٰ وصل إلىٰ مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات، وفرض عليه وعلىٰ أمته خمس صلوات، وذلك بمكة في ليلة واحدة، ثم أصبح بمكة، سَرَّ الله به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين الكافرين وجميع الملحدين».

الإسراء والمعراج من أعظم دلائل نبوة رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «نبيُّنا ﷺ لمَّا أُسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ إنَّما أُسري به ليرىٰ من آيات ربه الكبرىٰ، وهذا هو

(١) الشريعة (ص٤١٨).
(٢) النبوات (١/ ٥٣٠ - ٥٣٢).

الذي كان من خصائصه: أنَّ مسراه كان هذا، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٢-١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، فهذا الذي كان من خصائصه ومن أعلام نبوَّته.

وأما مجرَّد قطع تلك المسافة فهذا يكون لمن تحمله الجنُّ، وقد قال العفريت لسليمان: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل: ٣٩] وحمل العرش من القصر من اليمن إلىٰ الشام أبلغ من ذلك، وقال ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠]، فهذا أبلغ من قطع المسافة التي بين المسجدين في ليلة ومحمد ﷺ أفضل من الذي عنده علم من الكتاب ومن سليمان، فكان الذي خصه الله به أفضل من ذلك، وهو أنه أسري به في ليلة ليريه من آياته، فالخاصة أن الإسراء كان ليريه من آياته الكبرىٰ، كما ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٣-١٧].

فهذا ما حصل مثله لا لسليمان ولا لغيره، والجن وإن قدروا علىٰ حمل بعض الناس في الهواء، فلا يقدرون علىٰ إصعاده إلىٰ السماء، وإراءته آيات ربه الكبرىٰ، فكان ما آتاه الله محمدًا خارجًا عن قدرة الجنِّ والإنس، وإنما كان الذي صحبه في معراجه جبريل الذي اصطفاه الله لرسالته، و﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]».

الإسراء والمعراج فيه تعظيم وتفخيم لأمر الصلاة، حيث فرضها الله في السماء،

وكلَّم الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ بفرضيتها مباشرة بدون واسطة جبريل عليه السلام.

فقد أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ بيت المقدس، راكبًا البراق في صحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم عُرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلىٰ السماء الدنيا، ثمَّ للتي تليها، ثمَّ الثالثة، ثمَّ إلىٰ التي تليها، ثمَّ الخامسة، ثمَّ التي تليها، ثمَّ السابعة، ثمَّ عُرج به إلىٰ سدرة المُنتهىٰ، وفرض الله عليه الصلوات تلك اللَّيلة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إنَّما فرضها الله ليلة المعراج، وخاطب بها الرسول ﷺ بلا واسطة، لم يبعث بها رسولًا من الملائكة».

وصلاة النبي ﷺ بالنبيين إمامًا في بيت المقدس؛ فيه دليل علىٰ أنَّ الصلاة مما اتَّفقت الشرائع علىٰ فرضها، وفيه ظهور فضل النبي ﷺ علىٰ سائر الأنبياء، وفيه حث لأتباع الأنبياء علىٰ الائتمام بمن ائتم به أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام.

الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسُّنَّة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣].

وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**أُتيت بالبُراق فركبته، حتىٰ أتيت بيت المقدس**»، الحديث.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّلاة، باب كيف فُرضت الصَّلاة في الإسراء (ص٦٢-رقم ٣٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السَّموات، وفرض الصَّلوات (ص٨٤ – رقم ٤١٥) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٣٧٥، ٣٧٦).

«لمَّا كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلىٰ الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

قال العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٨هـ)**[١]: «إنَّ الإسراء لا خلاف فيه؛ إذْ هو نص القرآن العظيم علىٰ سبيل الإجمال، وجاءت السُّنَّةُ الثابتة بتفصيله وشرح أعاجيبه، فورد عن عِدَّةٍ من الصحابة الكرام من الرِّجال والنِّساء نَحْو الثلاثين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

وقع الخلاف بين أهل السير في تعيين اليوم الذي أُسري فيه النبي ﷺ مع إجماعهم علىٰ ثبوته وحقيقته.

قال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٧٧هـ)**[٢]: «الإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة، فلا تأثير لاختلاف أهل السير في تاريخه وتعيين سنته ووقته».

علىٰ كل حال لا يختلف المسلمون أنَّ الإسراء والمعراج كان بمكة قبل هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ المعراج كان بمكة قبل الهجرة بإجماع النَّاس».

الإسراء والمعراج ثابت بمتواتر السُّنَّة.

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «روىٰ حديث الإسراء والمعراج

---

(١) لوامع الأنوار (٣٠/ ٣٥٣).

(٢) معارج القبول (٣/ ١٠٧٤).

(٣) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٤/ ١٩٧).

(٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١١٦).

جماعة؛ منهم: عليٌّ، وابن مسعود، وأُبَيُّ بن كعب، وحذيفة، وسعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «روىٰ قصة الإسراء عن النبي ﷺ: أبو ذر، وأنس بن مالك، ومالك بن صعصعة، وجابر بن عبد الله، وشداد بن أوس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم، كلها صحاح مقبولة مرضية عند أهل النقل، مخرَّجة في الصحاح».

والإيمان بالإسراء والمعراج مما أجمعت عليه الأُمَّة.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٠٠هـ)**[(٢)]: «أجمع القائلون بالأخبار، والمؤمنون بالآثار، أنَّ رسول الله ﷺ أُسري به إلىٰ فوق سبع سموات، ثم إلىٰ سدرة المنتهىٰ، أُسري به ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، مسجد بيت المقدس، ثم عُرج به إلىٰ السماء بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من ليلته إلىٰ مكة قبل الصبح».

وأنكر قوم من المبتدعة المعراج دون الإسراء، وزعموا أنه لم يرد ذكره في القرآن.

قال قِوام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[(٣)]: «اعتراض المبتدعة وغيرهم علىٰ حديث المعراج، قالوا: لم يأت ذكر العروج في القرآن، وإنَّما أتىٰ فيه ذكر الإسراء إلىٰ المسجد الأقصىٰ».

ثم ردَّ عليهم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال**[(٤)]: «يدل علىٰ صحَّة المعراج قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم: ٧]، وقوله: ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ثم الأخبار

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٥٦، ١٥٧).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٥٥).

(٣) الحُجَّة في بيان المحَجَّة (١/ ٤٣٠).

(٤) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (١/ ٤٣٣).

المتواترة بالأسانيد المُتَّصلة أنَّه عُرج به إلىٰ السماء».

فالإسراء والمعراج ورد ذكرهما جميعًا في القرآن، فالإيمان بهما تصديق للقرآن، والنبيُّ ﷺ حدَّث الناس أولًا بالإسراء ثم بالمعراج ليزداد تصديقهم بخبره في المعجز وما هو أكثر إعجازًا.

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٦١هـ)**(١): «إن قيل: المعراج والإسراء في ليلة واحدة، فهلَّا أخبرهم بعروجه إلىٰ السماء مقترنًا بالإسراء؟

قلت: استدرجهم إلىٰ الإيمان بذكر الإسراء أولًا، فلما ظهرت أمارات صدقه ووضحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدَّثهم النبي ﷺ به، وأنزله الله تعالىٰ في كتابه في سورة النجم».

فالمعراج قرين الإسراء، قرينه في ذكره في القرآن، وورد في متواتر السُّنَّة في سياق واحد مع الإسراء؛ فالإيمان بهما تصديق لأخبار الوحي وما أجمع عليه المؤمنون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «صعوده ليلة المعراج إلىٰ ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن».

ودلالة ألفاظ آية الإسراء عظيمة الفوائد، كثيرة المعاني.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «في قوله تعالىٰ: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، دون: [بعث بعبده]، و[أرسل به]؛ ما يفيدُ مصاحَبَتَهُ له في مَسْراه، فإنَّ الباء هنا للمصاحبة، كهي في قوله: «هاجَرَ بأهله وسافرَ بغُلَامِهِ»، وليست للتعدية؛ فإنَّ [أسرىٰ]

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١١٦).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٤/ ١٩٧).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١١٦١، ١١٦٢).

يتعدَّىٰ بنفسه، يقال: سَرَىٰ به وأَسْرَاه، وهذا لأنَّ ذلك السُّرَىٰ كان من أعظم أسفاره ﷺ، والسفرُ يعتمد الصاحبَ، ولهذا كان ﷺ إذا سافر يقول: «**اللهم أنت الصَّاحِبُ في السَّفَرِ**»».

وتأمل أيها المسلم دلالات ألفاظ آيات القرآن في حادثة الإسراء والمعراج علىٰ عظم ما فيها من المعجزات؛ قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فقوله: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ تعظيم لله الذي آتىٰ عبده محمدًا ﷺ معجزةً ليست لغيره من الأنبياء ولا الإنس ولا الجن، وتنزيه لله عن النقائص.

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كلمة ﴿سُبْحَٰنَ﴾، كلمة ممتنعة لا يجوز أن يوصف بها غير الله؛ لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله، ولا تنصرف حسب ما ينصرف كثير من المصادر؛ لأنه لما لم يستقم الوصف به لغير الله، ولم تنصرف جهاته، لزم أيضًا منهاجًا واحدًا في الصرف».

وقال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أراد بقوله: ﴿لَيْلًا﴾ بلفظ التنكير: تقليل مدة الإسراء، وأنه أُسري به في بعض الليل من مكة إلىٰ الشام مسيرة أربعين ليلة؛ وذلك أن التنكير فيه قد دل علىٰ معنىٰ البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة [من الليل]، أي: بعض الليل. كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل».

---

(١) تفسير القرآن (٣/ ٢١٢).

(٢) رموز الكنوز (٤/ ١١٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يعني: بيت المقدس. وسُمي أقصىٰ لأنه أبعد المساجد التي تُزار، وقيل: لبعده من المسجد الحرام. ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركًا؛ لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة، ومنه يُحشر الناس يوم القيامة».

والإسراء والمعراج كان بجسد النبي ﷺ وروحه والذي يدل علىٰ أنه أُسري بروح النبي ﷺ وجسده أدلة كثيرة، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ظاهر القرآن يدل علىٰ أنه بروحه وجسده ﷺ يقظةً، لا منامًا؛ لأنه قال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولأنه قال: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ والتَّسبيح إنما يكون عند الأمور العظام؛ فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتىٰ يُتعجب منه، ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]؛ لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وقوله هنا: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

ومن أوضح الأدلة القرآنية علىٰ ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]؛ فإنها رؤيا عين يقظة، لا رؤيا منام، كما صحَّ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره.

ومن الأدلة الواضحة علىٰ ذلك: أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سببًا لتكذيب قريش، لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار؛ لأن المنام قد يُرىٰ فيه ما لا يصح؛ فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب.

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٩٢).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٥٦ - ٣٥٨).

فزعم المشركون أن من ادعىٰ رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة، فصار فتنة لهم، وكون الشجرة المكونة التي هي شجرة الزقوم علىٰ التحقيق فتنة لهم، أن الله لما أنزل قوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤]، قالوا: ظهر كذبه؛ لأن الشجر لا ينبت بالأرض اليابسة، فكيف ينبت في أصل النار؟! كما تقدم في البقرة.

ويؤيد ما ذكرنا من كونها رؤيا عين يقظة قوله تعالىٰ هنا: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الآية [الإسراء: ١]، وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٧، ١٨].

وما زعمه بعض أهل العلم من أن الرؤيا لا تُطلق بهذا اللفظ لغة إلا علىٰ رؤيا المنام مردود، بل التحقيق أن لفظ الرؤيا يطلق في لغة العرب علىٰ رؤية العين يقظة أيضًا، ومنه قول الراعي وهو عربي قح:

فكبر للرُّؤيا وهش فؤاده ... وبشَّر نفسًا كان قبل يلومها

فإنه يعني رؤية صائد بعينه. ومنه أيضًا قول أبي الطيب:

ورؤياك أحلىٰ في العيون من الغمض

قال صاحب اللسان: وزعم بعض أهل العلم أن المراد بالرؤيا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، رؤيا منام، وأنها هي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]، والحق الأول.

وركوبه ﷺ علىٰ البراق يدل علىٰ أن الإسراء بجسمه؛ لأن الروح ليس من شأنها الركوب علىٰ الدواب كما هو معروف.

وعلىٰ كل حال فقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه، أنه أسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وأنه عُرج به من المسجد الأقصىٰ حتىٰ جاوز السموات السبع.

وقد دلت الأحاديث المذكورة علىٰ أن الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه، يقظة لا منامًا، كما دلت علىٰ ذلك أيضًا الآيات التي ذكرنا».

والإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بلا ريب، وتنازع العلماء في تعيينه متىٰ كان، قال أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اختلف العلماء في ذلك أيضًا، واختُلف في ذلك علىٰ ابن شهاب؛ فروىٰ عنه موسىٰ بن عقبة أنه أُسري به إلىٰ بيت المقدس قبل خروجه إلىٰ المدينة بسنة.

وروىٰ عنه يونس عن عروة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: تُوفّيت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قبل أن تُفرض الصلاة. قال ابن شهاب: وذلك بعد مبعث النبي ﷺ بسبعة أعوام.

وروىٰ عنه الوقاصي قال: أُسري به بعد مبعثه بخمس سنين.

قال ابن شهاب: وفُرض الصيام بالمدينة قبل بدر، وفُرضت الزكاة والحج بالمدينة، وحُرمت الخمر بعد أُحد.

وقال ابن إسحاق: أُسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ وهو بيت المقدس، وقد فشا الإسلام بمكة في القبائل.

وروىٰ عنه يونس بن بكير قال: صلت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع النبي ﷺ. وسيأتي. قال أبو عمر: وهذا يدلك علىٰ أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام؛ لأن خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قد تُوفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بثلاث، وقيل: بأربع. وقول

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٠).

ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب، علىٰ أن ابن شهاب قد اختُلف عنه كما تقدّم. وقال الحربي: أُسري به ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة».

وهذا الاختلاف في تعيين يوم وشهر الإسراء والمعراج، دليل علىٰ أنه لم يكن من عمل الصحابة الاحتفال به؛ إذ لو كان ذلك من عملهم لم يخطئوا يومه وشهره، ولم يختلفوا فيه.

والإسراء والمعراج نزل به القرآن، وتواترت به الأحاديث، وهو من أعظم معجزات النبي ﷺ وآياته، لم تحصل لغيره من الأنبياء، أراد الله أن يظهر فضله علىٰ جميع النبيين - عليهم الصلاة والسلام - فكان إمامهم في صلاته بهم في بيت المقدس، وهو بيان واضح صريح إلىٰ أتباعهم بالائتمام به واتباع شرعه الذي أوحي إليه، فإذا كان النبيون جميعًا يأتمون به، فأتباعهم أولىٰ وأحرىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير، لأجل ما أراه من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء، وبهذا تميّز عمن يقطع المسافة كرامة لولي، أو بتسخير الجن، كما في قصة بلقيس، حيث ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]؛ فإن قطع الجسم للمسافة البعيدة إنما كان لما أوتيه سليمان من الملك، كما كانت الريح ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ [ص: ٣٦-٣٨] وهذا تسخير ملكي.

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٤/ ١٩٨).

وقطع محمد ﷺ كان لما أراه الله من الآيات التي ميّزه بها علىٰ سائر النبيين، وكان ذلك فتنة؛ أي محنة وابتلاءً للناس؛ ليتبيّن من يؤمن به ممن يكذبه، وأحاديث المعراج، وصعوده إلىٰ ما فوق السموات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة، والنار، والملائكة، والأنبياء؛ في السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهىٰ وغير ذلك معروف متواتر في الأحاديث وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله يظهر به تحقيق قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]».

والأنبياء - عليهم السلام - أموات في قبورهم، قبض الله أرواحهم، إلا عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رفعه الله إليه حيًّا بروحه وجسده، فكيف رآهم النبي محمد ﷺ في السماء؟ وكيف رأىٰ موسىٰ قائمًا يُصلي في قبره، كما رواه مسلم، ورآه أيضًا في السماء السادسة؟

فأما بالنسبة لعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالأمر واضح؛ فهو حي بروحه وبدنه، رفعه الله إليه، وأما بالنسبة لسائر النبيين الذين رآهم في السماء، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأىٰ أرواحهم في صور أجسادهم».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنّهم قد مُثِّلُوا له، فرآهم غير مرّة، فرأىٰ موسىٰ في مسيره قائمًا يصلّي في قبره، ثم رآه في بيت المقدس، ثم رآه في السماء السادسة هو وغيره».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وروح رسول الله ﷺ صعدت إلىٰ هناك في

(١) تاريخ الإسلام، السيرة النبوية (ص٢٦٩).

(٢) زاد المعاد (ص٣٤٤).

حال الحياة ثم عادت، وبعد وفاته استقرَّت في الرفيق الأعلىٰ مع أرواح الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومع هذا فلها إشراف علىٰ البدن وإشراق وتعلق به، بحيث يَرُدُّ السلام علىٰ من سلم عليه، وبهذا التعلق رأىٰ موسىٰ قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، ومعلوم أنه لم يُعرج بموسىٰ من قبره، ثم رُدَّ إليه، وإنما ذلك مقام رُوحه واستقرارها، وقبره مقام بدنه واستقراره إلىٰ يوم معاد الأرواح إلىٰ أجسادها؛ كما أنه ﷺ في أرفع مكان في الرفيق الأعلىٰ مستقر هناك، وبدنه في ضريحه غير مفقود، وإذا سلَّم عليه المسلِّم ردَّ الله عليه روحه حتىٰ يرد عليه السلام، ولم يفارق الملأ الأعلىٰ».

وتكلم العلماء في معنىٰ ومناسبة شق صدر رسول الله ﷺ وغسل قلبه في حادثة الإسراء، مع أنه قد حصل له ذلك وهو صغير، قال قوَّام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥هـ)[١]: «قولهم: شق الصدر وغسل القلب إنما كان في حال صغره. قيل: شق صدره مرتين؛ مرة: في حال الصغر؛ ليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء في الانشراح، ومرة عند الإسراء به؛ ليصير حاله مثل حال الملائكة؛ لأنه يُراد به العروج إلىٰ مقام المناجاة».

وفي حادثة الإسراء والعروج بالنبي ﷺ إلىٰ السماء، وبلوغه إلىٰ مكان يسمع فيه صريف الأقلام، بيان حفاوة الله بنبيه ﷺ؛ حيث فُتحت له السماء بصحبة جبريل، تحييه الملائكة والنبيون - عليهم السلام - ويريه الله من عظيم آياته ما تعجز عن وصفه الألسنة وتحار فيه العقول، ويُكرمه الله بتشريع تقر به الأعين في أعظم مقام في السماء؛ وهو الصلاة.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٠٢).

وفي حادثة المعراج بيان عظيم أدب النبي ﷺ في قصر طرفه وبصره إلىٰ حيث أُذن له برؤيته، قال تعالىٰ: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما ذهب يمينًا ولا شمالًا، ﴿وَمَاطَغَىٰ﴾ ما جاوز ما أُمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة؛ فإنه ما فعل إلا ما أُمر به، ولا سأل فوق ما أُعطي.

وما أحسن ما قال الناظم:

رأىٰ جنة المأوىٰ وما فوقها ولو رأىٰ غيره ما قد رآه لتاها».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن الرسول ﷺ رأىٰ في هذا المعراج من آيات الله الكبرىٰ ما لم يكن يراه من قبل، وما لا يستطيع الصبر عليه أحد من البشر، ونحن لو رأينا سرادقًا عظيمًا لملك من الملوك لانبهرنا وتعجبنا، وجعلنا نلتفت يمينًا وشمالًا، لكن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يتغيّر عقله ولا اتزانه، بل كان علىٰ أكمل ما يكون من الاتزان».

وفي حادثة المعراج بيان اغتباط النبيين عليهم السلام بعضهم بعضًا في كثرة أتباعهم؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن مالك بن صعصعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ صُعد به حتىٰ أتىٰ السماء السادسة، فخلص إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلَّم عليه، فقال موسىٰ: مرحبًا بالأخ الصالح والنبيّ الصالح. فلما تجاوز النبي ﷺ بكىٰ موسىٰ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ص١٣١٢).

(٢) تفسير سورة النجم (ص٢١٣، ٢١٤).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا يجوز أن يتأول بكاؤه علىٰ الحسد له؛ لأن ذلك لا يليق بصفات الأنبياء والأولياء، وإنما بكىٰ من ناحية الشفقة علىٰ أمته، إذ قصر عددهم عن مبلغ عدد أمة محمد ﷺ».

ولا شك أن كثرة أتباع النبي من جملة فضائله، قال تعالىٰ عن يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ ﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فصاروا في موازينه؛ لأنه الداعي لهم».

ومن الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج: بيان عظم فضل الله علىٰ رسله، في اصطفائهم للنبوة والرسالة، والنبي ﷺ في عروجه إلىٰ السماء رأىٰ آدم في السماء الدنيا، ويحيىٰ وعيسىٰ في السماء الثانية، ويوسف في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسىٰ في السماء السادسة، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السماء السابعة مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور الذي يدخله كلَّ يوم سبعون ألفًا من الملائكة، يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافًا، ثم لا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وأفضلهم محمد ﷺ، كما قال النبي ﷺ: «**أنا سَيِّدُ ولد آدم**». ولما التقىٰ بهم في الإسراء أَمَّهم في الصلاة؛ فإبراهيم إمام الحنفاء صلىٰ وراء محمد ﷺ، ومعلوم أنه لا يُقدّم في الإمامة إلا الأفضل؛ فالنبي ﷺ هو أفضل أولي العزم.

---

(١) شرح السنة (١٣/ ٣٤٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٤٩).

(٣) شرح الأربعين النووية (ص٦٥).

وإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يلي مرتبة النبي ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]».

والمفاضلة بين النبيين - عليهم السلام - باعتبار علو مقاماتهم في السماء في حادثة الإسراء، دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧]،

إلا أنه ينبغي ملاحظة مجموع أدلة فضيلة كل نبيّ مقارنة بغيره، فالفضيلة بنوع لا تستلزم الفضيلة مطلقًا، وكذلك لا بد من ملاحظة المعنىٰ المقصود من جعل هذا النبي في خصوص تلك السماء.

قال قوَّام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[١]: «قولهم: رأىٰ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السماء الدنيا، وإدريس في السماء الرابعة. يقتضي أن يكون إدريس أفضل من آدم.

قيل: مكان آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السماء الدنيا لعلة أوجبت ذلك، وهي أن أرواح ذريته تُعرض عليه؛ فلهذا المعنىٰ جُعل مكانه في السماء الدنيا».

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة رؤية النبي ﷺ النبيين عليهم السلام في المعراج، وفي المفاضلة بين النبيين - عليهم السلام - باعتبار مقاماتهم في كل سماء، فقال[٢]: «وأما رؤيته ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء، لما رأىٰ آدم في السماء الدنيا، ورأىٰ يحيىٰ وعيسىٰ في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسىٰ في السادسة،

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٠٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٢٨، ٣٢٩).

وإبراهيم في السابعة - أو بالعكس - **فهذا رأىٰ أرواحهم مصورة في صور أبدانهم.**

وقد قال بعض الناس: لعله رأىٰ نفس الأجساد المدفونة في القبور. وهذا ليس بشيء.

لكن «عيسىٰ» صعد إلىٰ السماء بروحه وجسده، وكذلك قد قيل في «إدريس».

وأما «إبراهيم» و«موسىٰ» وغيرهما، فهم مدفونون في الأرض.

والمسيح - صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ سائر النبيين - لابد أن ينزل إلىٰ الأرض علىٰ المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة؛ ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف، وإدريس، وهارون؛ لأنه يريد النزول إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة، بخلاف غيره.

وآدم كان في سماء الدنيا؛ لأن نَسَم بنيه تُعرض عليه؛ أرواح السعداء - والأشقياء، لا تُفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط - فلا بد إذا عُرضوا عليه أن يكون قريبًا منهم.

وأما كونه رأىٰ موسىٰ قائمًا يُصلي في قبره، ورآه في السماء أيضًا، فهذا لا منافاة بينهما؛ فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة، في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن».

ومن الدروس المستفادة من حادثة الإسراء والمعراج: بيان تعاضد الشرع والفطرة؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁: «أن رسول الله ﷺ أُتي ليلة أُسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك الفطرة، ولو أخذت الخمر غوت أمتك».

ويدل لذلك أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧] بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البيّنة.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي: يتلو هذه البيّنة. والبرهان برهان آخر ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

ومن فوائد حادثة المعراج هو تحية الضيف والزائر بما يناسب المقام؛ فإن النبي ﷺ في عروجه إلىٰ السماء سلّم علىٰ الملائكة والنبيين، فردوا السلام جميعًا، وقالوا له: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قول الملائكة للنبي ﷺ ليلة الإسراء: «مرحبًا به» أصل في استعمال هذه الألفاظ وما ناسبها عند اللقاء، نحو: أهلًا وسهلًا، ومرحبًا وكرامة، وخير مقدم وأيمن مورد، ونحوها.

ووقع الاقتصار منها علىٰ لفظ «مرحبًا» وحدها؛ لاقتضاء الحال لها؛ فإن الرَّحْبَ هو السعة، وكان قد أفضىٰ إلىٰ أوسع الأماكن، ولم يطلق فيها «سهلًا»؛ لأن معناه: وطِئْتَ مكانًا سهلًا، والنبي ﷺ كان محمولًا إلىٰ السماء».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ويدخل في رد التحية كل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٩٥).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٣٢).

تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعًا، فإنه مأمور بردِّها أو أحسن منها».

ومن فوائد المعراج: إثبات العلو لله تعالىٰ، قال العلامة أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أدلة العلو(١): «وما ذكر رسول الله ﷺ من قصته حين أُسري به، فعُرج به إلىٰ سماء بعد سماء، حتىٰ انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ، التي ينتهي إليها علم الخلائق فوق سبع سموات، ولو كان في كل مكان كما يزعم هؤلاء، ما كان للإسراء والبراق والمعراج إذًا من معنًىٰ، وإلىٰ من يعرج به إلىٰ السماء، وهو - بزعمكم الكاذب - معه في بيته في الأرض ليس بينه وبينه ستر؟! تبارك اسمه وتعالىٰ عما تصفون».

والنبي ﷺ في الإسراء رأىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صورته الحقيقية ولم يرَ ربه في المعراج؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣-١٥]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول الله ﷺ فيها جبريل علىٰ صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء».

ثم قال ابن كثير(٣): «وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسىٰ، حدثنا حماد ابن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جبريل وله ستمائة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت، ما الله به عليمٌ»**. إسناده حسن.

(١) الرد علىٰ الجهمية (ص٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (ص١٣١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (ص١٣١١).

وروىٰ مسلم عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت: يا رسول الله! رأيت ربَّك؟ **فقال: نورٌ أنَّىٰ أراه؟!»**.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وإلىٰ هذا مال جماعة من الأئمة قديمًا وحديثًا؛ اعتمادًا علىٰ هذا الحديث، واتِّباعًا لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قالوا: هذا مشهور عنها، ولم يُعرف لها مخالف من الصحابة، إلا ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه رآه بفؤاده، ونحن نقول به.

وما روي في ذلك من إثبات الرؤية بالبصر، فلا يصح شيء من ذلك، لا مرفوعًا، بل ولا موقوفًا».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

ومن أقوىٰ الأدلة علىٰ أن النبي ﷺ لم يرَ ربه في المعراج، هو أنه ذكر لأصحابه الآيات العظيمة التي رآها، ولم يذكر رؤيته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مما يدل علىٰ عدم وقوعه، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، وقال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «بهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «ليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه

---

(١) الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ (ص٢٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (ص١٣١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (ص١٣١٢).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٠٩، ٥١٠).

بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور، أنى أراه؟!**».

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، ولو كان قد أراه نفسه بعينه، لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢)**﴾[النجم: ١٢]، ﴿**لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)**﴾ ولو كان رآه بعينه، لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما **في قوله**: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين، أُريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به، وهذه «رؤيا الآيات»؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم؛ حيث صدّقه قوم وكذّبه قوم، ولم يُخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه».

وينبغي على طالب العلم ملاحظة انفكاك الجهة في قولي عائشة رضي الله عنها، وابن عباس رضي الله عنهما، فعائشة رضي الله عنها نفت الرؤية البصرية، وابن عباس رضي الله عنهما أثبت الرؤية القلبية، وبذلك تأتلف أقوال الصحابة، وتتفق، ولا تختلف.

قال ابن القيم رحمه الله(١): «وقد حكى «عثمان بن سعيد الدارمي» في [كتاب الرد له] إجماع الصحابة، على أنه ﷺ لم يرَ ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٧، ٥٠٨).

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يقل: رآه بعيني رأسه. وعليه اعتمد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدىٰ الروايتين؛ حيث قال: إنه رآه. ولم يقل: بعيني رأسه.

ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويدل علىٰ صحة ما قال شيخنا في معنىٰ حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «**حجابه النور**». فهذا النور هو - والله أعلم - النور المذكور في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**رأيت نورًا**»».

وفي استفتاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل سماء، وسؤال كل نبيّ فيها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عمن معه، وإجابته بأنه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقول كل نبيّ لجبريل: وقد أُرسل إليه؟ دليل علىٰ توكيد الميثاق الذي أخذه الله علىٰ النبيين - عليهم السلام - الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بُعث وأُوحي إليه.

قال العلامة ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد قول آدم لنبينا محمد: «**الابن الصالح والنبي الصالح**»[1]: «يدل أنه علىٰ العهد في ذلك كله، وأنه قد كان عند آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علمه».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٥٧).

وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه[(١)].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضًا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان به؛ فهم كالشيء الواحد».

وبهذا يتبين أن أهل الكتاب الذي كفروا بمحمد ﷺ مكذبون لأنبيائهم، لم يتبعوهم فيما بشروا به من نبوة خاتم النبيين، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فمن أعظم دروس حادثة الإسراء والمعراج تقرير عقيدة الإيمان بالنبيين جميعًا؛ عليهم السلام، فالنبي ﷺ التقىٰ بالأنبياء قبله في عروجه إلىٰ السماء، ثم صلىٰ بهم جميعًا لما نزل إلىٰ بيت المقدس بعد عروجه في السماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إن الله صان قبور الأنبياء عن أن تكون مساجد صيانة لم يحصل مثلها في الأمم المتقدمة، لأن محمدًا ﷺ وأمته أظهروا التوحيد إظهارًا لم يظهره غيرهم، فقهروا عبّاد الأوثان، وعُبّاد الصلبان، وعُبّاد النيران.

---

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٢/ ٩٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٣٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٧٣، ٢٧٤).

وكما أخفىٰ الله بهم الشرك فأظهر الله بمحمد ﷺ وأمته من الإيمان بالأنبياء وتعظيمهم وتعظيم ما جاءوا به[١] وإعلان ذكرهم بأحسن الوجوه ما لم يظهر مثله في أمة من الأمم، وفي القرآن يأمر بذكرهم كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم: ٥١] الآيات، وقوله: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧]، وذكر بعده سليمان إلىٰ قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [ص: ٤١]، إلىٰ قوله : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥] إلىٰ قوله: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ﴾ [ص: ٤٨]، فأمر بذكر هؤلاء، وأما موسىٰ وقبله نوح وهود وصالح فقد تقدم ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر: ٥] . وقد أُمر بذكر موسىٰ وغيره أيضًا في سورة أخرىٰ كما تقدم.

فالذي أظهره الله بمحمد ﷺ وأمته من ذكر الأنبياء بأفضل الذكر، وأخبارهم، ومدحهم، والثناء عليهم، ووجوب الإيمان بما جاءوا به، والحكم بالكفر علىٰ من كفر بواحد منهم، وقتله، وقتل من سبّ أحدًا منهم، ونحو ذلك من تعظيم أقدارهم ما لم يوجد مثله في ملة من الملل».

وحديث المعراج يدل علىٰ أن إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنبياء بني إسرائيل، وليس بجد لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأنه قال في سلامه للنبي ﷺ: «**مرحبًا بالنبي الصالح والأخ**

---

(١) مما ثبت عنهم بالطرق الصحيحة مما أخبرنا الله عنهم في القرآن ونبينا ﷺ في السنة وبقي – محكمًا موافقًا لشريعة الإسلام لم تنسخه.

الصالح». ولم يقل: والولد الصالح. كما قال آدم وإبراهيم - عليهما السلام -.

وقال شيخنا العلامة المجدّد المحقق محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «رسل الله: هم الذين أوحىٰ الله إليهم بالشرائع، وأمرهم بتبليغها، وأولهم نوح، وآخرهم محمد ﷺ.

الدليل علىٰ أن أولهم نوح قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]؛ يعني: وحيًا؛ كإيحائنا إلىٰ نوح والنبيين من بعده، وهو وحي الرسالة، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ [الحديد: ٢٦]؛ ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾؛ أي: ذرية نوح وإبراهيم، والذي قبل نوح لا يكون من ذريته، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦]، قد نقول: إن قوله: ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ يدل علىٰ ما سبق.

إذًا من القرآن ثلاثة أدلة تدل علىٰ أن نوحًا أول الرسل، ومن السنة ما ثبت في حديث الشفاعة: «أن أهل الموقف يقولون لنوح: أنت أول رسول أرسله الله إلىٰ أهل الأرض»، وهذا صريح.

أما آدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو نبي وليس برسول، وأما إدريس فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم وبعض المفسرين أيضًا، إلىٰ أنه قبل نوح، وأنه من أجداده، لكن هذا قول ضعيف جدًّا، والقرآن والسنة ترده، والصواب ما ذكرنا».

وفي حادثة المعراج بيان شفقة الأب آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ بنيه وذريته، فإنه إذا نظر إلىٰ الأسودة عن يمينه من نسم بنيه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكىٰ، قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما ضحكه لأجل أن ما قبل يمينه من

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص٤٣، ٤٤).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٥٦، ١٥٧).

أهل الجنة، فيسر بدخول أجزاء منه إلىٰ الجنة؛ فإن ذريته أبعاضه، وهذا يشهد لما ذكرنا من أنه يسره علو درجات ذريته فوقه.

فأما بكاؤه إذا نظر قبل شماله من أجل أنهم من أهل النار، فإنه من أجل أنهم من صلبه ومن ذريته، وكيف كان من ذريته من يدخل النار».

ومن فوائد حادثة الإسراء والمعراج: ظهور صدق النبي ﷺ ومن صدّق به، خصوصًا أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذب المكذبين للنبي ﷺ من المشركين، خصوصًا أبا جهل.

ففي الصحيحين من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن قريشًا لمَّا كذبت النبي ﷺ جلّىٰ الله لرسوله ﷺ بيت المقدس، فأخذ يخبرهم عنه، وهو ينظر إليه.

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صديقيّته فوق كل أحد، وأسبق من كل أحد في كل المقامات منذ بُعث نبينا محمد ﷺ، بمنطوق كلام النبي ﷺ؛ ففي الصحيحين عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت! وقال أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: صدقت**».

ولمّا قال المشركون لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس! فقال الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لئن كان قال ذلك لقد صدق، نعم، أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء. رواه البيهقي.

ومن فوائد حادثة الإسراء والمعراج أن الملائكة والنبيين - عليهم السلام - لا يعلمون الغيب؛ ففي الصحيحين من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «**فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لخازن السماء الدنيا: افتح! قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. قال: فأُرسل إليه؟ قال: نعم**».

وخازن كل سماء من الملائكة يقول لجبريل عليه السلام: «**وقد أُرسل إليه؟**».

وسواء كان معنىٰ «أُرسل إليه» رسالة البعثة والوحي، أو أرسل الله إليه يستدعيه إلىٰ السماء(١).

فالملائكة والنبيون - عليهم السلام - مخلوقون ليس لهم من الربوبية شيء، فما اختص الله بعلمه لا سبيل إلىٰ معرفته إلا بما يوحي الله إلىٰ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

فخازن كل سماء من الملائكة والنبيين - عليهم السلام - لم يكونوا يعلمون أنه قد بُعث محمد ﷺ حتىٰ سألوا جبريل، فأعلمهم.

والإسراء والمعراج ألفاظه اتفق علىٰ روايتها الثقات، واتحد مخرجها في أصل الحادثة وتفاصيلها، وبعض من قصر حفظه عن رتبة الثقات خالف في بعض ألفاظه، فلا تُقبل مخالفته للثقات، كما أنه لا يكون ذلك سببًا في رد الحديث جملة وتفصيلًا.

وقد سلك البعض مسلكًا خاطئًا في تنزيل أخطاء بعض الرواة منزلة تعارض الروايات الصحيحة، وجعل مخرج ذلك في الجمع بين الروايات الخاطئة والصحيحة القول بتعدد حادثة الإسراء والمعراج، وهذا خطأ شنيع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وكان الإسراءُ مرَّةً واحدة، وقيل: مَرَّتين؛ مرة يقظةً، ومرةً منامًا. وأربابُ هذا القول كأنَّهُم أرادوا أن يجمعوا بين حديثِ

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣١٣).

(٢) زاد المعاد (ص٣٤٤)، ط ـ مؤسسة الرسالة ناشرون.

شريك، وقوله: «**ثم استيقظتُ**»، وبين سائرِ الروايات.

ومنهم مَنْ قال: بل كان هذا مرتين؛ مرة قبل الوحي لقوله في حديث شريك: «وذلك قبل أن يُوحَىٰ إليه»، ومرة بعد الوحي، كما دلَّت عليه سائر الأحاديث، ومنهم مَن قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرَّتين بعده، وكل هذا خبط.

وهذه طريقةُ ضعفاء الظاهرية مِنْ أرباب النَّقْلِ الذين إذا رأوا في القصة لفظةً تُخالِفُ سياقَ بعضِ الروايات؛ جعلُوه مرةً أخرىٰ، فكلما اختلفت عليهم الرواياتُ عدَّدوا الوقائع.

والصوابُ الذي عليه أئمةُ النقل: أن الإسراء كان مرةً واحِدةً بمكَّة بعد البعثة.

ويا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارًا، كيف ساغ لهم أن يظنُّوا أنه في كل مرة تُفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردَّد بين ربه وبين موسىٰ حتىٰ تصيرَ خمسًا، ثم يقول: «**أمضيتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي**» ثم يعيدها في المرة الثانية إلىٰ خمسين، ثم يحطها عشرًا عشرًا؟!

وقد غلَّط الحُفَّاظُ شريكًا في ألفاظ مِن حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدَّم وأخَّر، وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن في بعض روايات حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الإسراء اختصارًا لم يذكر فيه «بيت المقدس»، ووجهه كما وجّه اختلاف بعض ألفاظ روايات الحديث، فقال[1]: «لم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس، وكأن بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينساه، أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارةً فيسوقه كلَّه، وتارة يُحدِّث مخاطبه بما هو الأنفع له.

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٢٩٠).

ومن جعل كلَّ رواية إسراءً علىٰ حِدَةٍ - كما تقدَّم عن بعضهم - فقد أبْعَدَ جدًّا، وذلك أنَّ كلَّ السِّياقات فيها السلام علىٰ الأنبياء، وفي كلٍّ منها تعريفه بهم، وفي كلِّها يُفرض عليه الصلوات، فكيف يُمكن أن يُدَّعَىٰ تعدُّدُ ذلك! هذا في غاية البعد والاستحالة».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا حصل الوقوف علىٰ مجموع هذه الأحاديث؛ صحيحها وحسنها وضعيفها؛ يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرىٰ رسول الله ﷺ من مكة إلىٰ بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز علىٰ من عدا الأنبياء - عليهم السلام -، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرىٰ مرة علىٰ حدة، فأثبت إسراءات متعددة؛ فقد أبعد وأغرب، وهرب إلىٰ غير مهرب، ولم تحصل علىٰ مطلب.

وقد صرَّح بعضهم من المتأخرين بأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أُسري به مرة من مكة إلىٰ بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلىٰ السماء فقط، ومرة إلىٰ بيت المقدس ومنه إلىٰ السماء، وفرح بهذا المسلك، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات، وهذا بعيد جدًّا، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنقله الناس علىٰ التعدد والتكرر».

فالواجب علىٰ طالب العلم سلوك منهج علماء الحديث المحققين الذين يميّزون الصحيح والصواب من الخطأ في اختلاف الرواة، فيقبلون ما اتحد مخرجه مما رواه الثقات، ويردون ما خالف ذلك من أوهام الرواة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ص٧٨٨).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ومن ذلك أنَّ ملك الموت لما جاء إلىٰ موسىٰ عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربه فردَّ عليه عينه.

❁ الشَّرح:

جاء ملك الموت إلىٰ موسىٰ، في صورة بشر، فلطمه موسىٰ عليه الصلاة والسلام بمقتضىٰ طبيعته البشرية في دفع السوء عن نفسه.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاء ملك الموت إلىٰ موسىٰ، فقال له: أجبْ رَبَّكَ،** قال: **فلطم موسىٰ عَيْنَ مَلَكِ المَوت، ففقأها،** قال: **فرجع الملك إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: إنَّك أرسلتني إلىٰ عَبْدٍ لله لا يُريد المَوْتَ، وقد فقأ عيني،** قال: **فَرَدَّ إليه عينه،** قال: **ارجع إلىٰ عَبْدِي، فقلْ له: الحياة تُريد؟ فإنْ كنت تُرِيدُ الحياة فضع يدَكَ علىٰ مَتْن ثَوْرٍ، فما وارَتْ يدك من شَعْرةٍ؛ فإنَّك تعيش بها سنةً، قال: ثُمَّ مَهْ؟ قال: ثم تَموتُ، قال: فالآن من قريب، قال: رَبِّ أَدْنني من الأرض المُقَدَّسَة رَمْيةً بحَجَر**»، قال رسول الله ﷺ: «**لو أنِّي عنده لأريتكم قبره إلىٰ جانب الطريق عِنْدَ الكثيب الأحمر**» متفق عليه.

ملك الموت مأمور من الله عَزَّوَجَلَّ بقبض الأرواح، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١]، وموسىٰ عليه الصلاة والسلام أحب البقاء في الدنيا للزيادة من الخير في عبودية الله عَزَّوَجَلَّ وإظهار دينه.

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠هـ)[(١)]:

«وجه الحديث عندي أنَّ موسىٰ عليه السلام كان من الدنيا في دار عبادة وخدمة،

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٣٢٩).

فجاء ملك الموت لينقله إلىٰ دار راحة ونعمة، فكره أنْ يراه الله مسرعًا إلىٰ الخلاص من خدمة ربه، وحمل أعباء الأثقال من مداراة خلقه، طالبًا تعجيل الراحة بالتنعم في دار الخلد بالعطايا السنية، فلطم ملك الموت، فعاد ملك الموت عليه السلام في صورة شاك - من الشكوىٰ -، فقيل له: يضع يده علىٰ متن ثور، فله بكل شعرة سنة، فلو كان موسىٰ عليه السلام إنَّما فرق من الموت لقبل ما أنعم به عليه من كثرة السنين، ولكنَّه قال: من الآن، وأراد أنَّ موافقتي لاختيار ربي خير من موافقتي لاختيار نفسي».

في هذه المرة التي جاء فيها ملك الموت إلىٰ موسىٰ عليه السلام لم يكن حضر أجله، لذلك رجع الملك إلىٰ ربه يُخبره بما صنع موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

ملك الموت لا يعصي الله ما أمره، وهذه صفة جميع الملائكة؛ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وموسىٰ عليه الصلاة والسلام رسول كريم من أولي العزم من الرسل، والرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله عَزَّوَجَلَّ.

مجيء ملك الموت إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام هذه المرة كان كالتهيئة للمرة القادمة، وهذا من إحسان الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ كليمه حيث لم يفجأه بالموت.

وقال العلامة المُحدِّث الفقيه المُفسِّر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**(١): «قد اصطفىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسىٰ برسالاته وبكلامه، وأيَّدَهُ بالآيات الظَّاهرة، والمعجزات الباهرة؛ كاليد البيضاء، والعصا، وانفلاق البحر، وغيرها مما نطق به القرآن، ودلَّتْ عليه الآثار، وكلُّ ذلك إكرام من الله عَزَّوَجَلَّ أكرمه بها، فلمَّا دَنَتْ وفاته وهو بشر يكرهُ الموت طبعًا، ويجد ألمه حسًّا، لَطُفَ

(١) شرح السُّنَّة (٥/ ٢٦٧).

له بأنْ لم يفاجئه به بَغْتَةً، ولم يأمُر المَلَك الموكَّل به أنْ يأخذه به قهرًا، لكن أرسله إليه مُنذِرًا بالموت، وأمره بالتعرُّض له علىٰ سبيل الامتحان في صورة بشر، فلما رآه موسىٰ استنكر شأنه، واستوعر مكانه، فاحتجز منه دفعًا عن نفسه بما كان من صكِّه إيَّاه، فأتىٰ ذلك علىٰ عينه التي رُكِّبَتْ في الصورة البشرية التي جاء فيها دون صورة الملكية التي هو مجبول عليها».

وحال موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع ملك الموت؛ هو نظير حال نبي الله داود عليه السلام في معاملة البشر، حيث ظنهم كذلك، فإنَّهم تصوروا له في صورة البشر.

قال تعالىٰ ﴿ ۞ **وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ** ﴾ [ص: ٢١، ٢٢].

قال العلامة أبو سُليمان حَمد بن محمد الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٨هـ)**[١]:

«نظر نبي الله موسىٰ عليه السلام إلىٰ صورة بشريَّة هجمت عليه من غير إذنٍ، يُريد نفسه، ويقصد هَلَاكَه، وهو لا يُثْبِتُه مَعرفةً، ولا يستيقن أنَّه مَلكُ الموت، ورسولُ ربِّ العالمين، فيما يُراوِدُه منه، عَمَدَ إلىٰ دفعه عن نفسه بيده وبطْشِه، فكان ذلك ذهاب عينه.

وقد امتُحِن غيرُ واحد من الأنبياء صلوات الله عليهم بدُخُول الملائكة عليهم في صورة البَشر؛ كدخول المَلَكيْن علىٰ داود عليه السلام في صورة الخَصْمين لَمَّا أراد الله عَزَّوَجَلَّ من تعريفه إياه بذنبه وتنبيهه علىٰ ما لم يَرْضَه من فعله».

۞ ۞ ۞

---

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١/ ٦٩٩).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن ذلك أشراط الساعة

الشَّرح:

العلم بالساعة هو من الإيمان بيوم الحساب؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ استخلفنا في الأرض لنعبده ويحاسبنا؛ قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

والله عَزَّوَجَلَّ أخفىٰ علم الساعة علىٰ خلقه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، لكنَّه سبحانه جعل لها علامات دالة علىٰ قرب قيامها؛ قال تعالىٰ: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

قال جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للنبي ﷺ: **أخبرني عن السَّاعة؟** قال رسول الله ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السَّائل**»، رواه البخاري ومسلم.

أفادنا سؤال جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وجواب النبيِّ ﷺ؛ أنَّ قيام السَّاعة لا يعلمه ملك مُقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، وأنَّه مما اختصَّ الله بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه.

وفي السُّؤال والجواب تعليمٌ للنَّاس بأنَّ الغيبيَّات التي استأثر الله بعلمها لا يجوز لأحدٍ أن يقول فيها بغير علم، ويجب علىٰ العالم والمتعلِّم أن يرد علم ذلك إلىٰ الله، وأن يقول كما قال أعلم الخلق بالله: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

وأشراط السَّاعة نوعان: صغرىٰ وكبرىٰ، وغالب أشراط السَّاعة قد ظهر، ولم يبقَ من الصُّغرىٰ إلا يسير وقليل جدًّا مما لم يظهر. والمسلم يستعد لحساب اليوم الآخر، ويأخذ بأسباب موافاة الله برضاه، سواء ظهرت علامات الساعة أو بقي منها شيء لم يظهر؛ لأنَّ الإنسان إذا مات - وهذا لا يعلم أجله إلا الله -؛ قامت قيامته الصغرىٰ، وانقطع عن العمل، وصار في برزخه يُنَعَّم أو يُعَذَّب بحسب عمله الذي يُجزىٰ به.

وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض علامات الساعة الكبرىٰ، وعلامات السَّاعة الكبرىٰ إذا ظهرت تتابعت، فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا لم أَنْسَهُ بعد، سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ أول الآيات خروجًا طلوع الشَّمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة علىٰ النَّاس ضُحًىٰ، وأيُّهُمَا ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرىٰ علىٰ إثرها قريبًا**».

وكان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتذاكرون أشراط السَّاعة؛ عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطَّلَعَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذكرون؟**» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعة؛ قال: «**إنَّها لن تقوم حتىٰ تروا قبلها عشر آيات**»، فَذَكَرَ الدُّخَان والدَّجَّالَ والدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىٰ ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تَطْرُدُ النَّاس إلىٰ محشرهم. رواه مسلم.

والعلم بأشراط السَّاعة والإيمان بها هو من الإيمان باليوم الآخر؛ فالمؤمنون بالله يعملون لليوم الآخر لإيمانهم به، ولاعتقادهم بأنَّهم سيحاسبون بما عملوه في الدُّنيا، والكُفَّار في غفلة عن ذكر الآخرة، والتفقُّه والعمل لليوم الآخر؛ غرَّتهم الحياة الدُّنيا وفنوا بمتاعها عن العمل لها، والدَّهريُّون من الكفَّار: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقيام السَّاعة يكون عند خلو الأرض من سبب خلقها، فالله عَزَّوَجَلَّ خلقنا لعبادته، فإذا اندرست علوم الوحي وتعطَّلت الأرض من عبادة الله؛ أقام الله سبحانه السَّاعة.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الخلق**»، رواه مسلم.

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل خروج الدجال.

❁ الشَّرح:

من علامات الساعة الكبرىٰ خروج الدَّجَّال، والدَّجَّال يخرج من جهة المشرق، قال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدَّثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدَّجَّال يخرج من أرض بالمشرق يُقال لها: خراسان، يتَّبعه أفواج كأنَّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقة**»(١).

وجاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ «**أنَّه إذا خرج تبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة**». متفق عليه.

قال العلَّامة أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الطَّيالِسَة: هي جمع طَيْلَسان بفتح اللام، ولا تكسره العرب في المشهور، وحكاه البكريُّ بكسر اللام، وهو الكساء، وهو أعجميٌّ معرَّب، والهاء في جمعه للعجمة.

ويدلُّ هذا علىٰ أنَّ اليهود أكثر أتباع الدَّجَّال».

وجاء في «صحيح مسلم» من حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ ذكر الدَّجَّال وقال: «**إنَّه خارجٌ خَلَّةً بين الشَّام والعراق**».

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «في كتاب «العين»: الخلة: موضع حزن، وصخور.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال (ص٥١٣ - رقم ٢٢٣٧)، وقال الترمذي: «وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة، وهذا حديث حسن غريب».

(٢) المفهم (٧/ ٢٩٣).

(٣) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٢).

قال: ورواه بعضهم: «حلُّه» بضم اللام، وبهاء الضَّمير؛ أي: نزوله وحلوله، قال: وكذا ذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»».

ويمكث الدَّجَّال في خروجه أربعين يومًا، وقد روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال، وقال له الصَّحابة: يا رسول الله! وما لُبْثُه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيَّامه كأيَّامكم**».

قال الصَّحابة: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنَة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ**».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «معنىٰ: «**اقدروا له قدره**»: أنَّه إذا مضىٰ بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظُّهر كل يوم؛ فصلُّوا الظهر، ثم إذا مضىٰ بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر؛ فصلُّوا العصر، وإذا مضىٰ بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب؛ فصلُّوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتىٰ ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنَة فرائض كلها مؤدَّاة في وقتها.

وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة؛ فقياس اليوم الأوَّل أن يقدر لهما كاليوم الأوَّل علىٰ ما ذكرناه، والله أعلم».

والمسيح الدجَّال يمسح الأرض كلها إلا الحرمين، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجَّال، إلَّا مكَّة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافِّين**

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٢).

تَحْرُسُها، فينزل بالسَّبْخَة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هما حرمان آمنان منه».

وقد جعل الله دلائل كذب الدَّجَّال معه يبصرها كل مسلم؛ فإنَّه أعور العين، ناقص الخلقة، والله ليس بأعور، كامل الصفات، وهو خالق كل مخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والله عَزَّوَجَلَّ في السماء، بائن من خلقه، والدجَّال مخلوق يمشي في الأرض.

الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والدجَّال شرُّ المفسدين يدعو إلىٰ ربوبيته والشرك به مع الله.

الدَّجَّال مكتوب بين عينيه: كافر، قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الدَّجَّال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب»**، رواه مسلم من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الصحيح الذي عليه المحققون أنَّ هذه الكتابة علىٰ ظاهرها، وأنَّها كتابة حقيقيَّة، جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالىٰ لكلِّ مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك».

ومع ما ذكره النبيُّ ﷺ من دلائل كذب الدَّجَّال، فإنَّه قال: **«من سمع به فلينأ عنه»**، وهؤلاء الذين أخذوا بوصيَّة النبيِّ ﷺ ونأوا وانحازوا عن الدجَّال؛ يأتيهم

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (ص١٠٥).

(٢) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٥٢٠).

المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ويشهد لهم بأعيانهم بأنَّهم في الجنة؛ ففي حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنَّ رسول الله ﷺ ذكر الدَّجَّال، وقال: «**ثم يأتي عيسىٰ ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه؛ فيمسح عن وجوههم، ويُحَدِّثُهم بدرجاتهم في الجنَّة**»، رواه مسلم.

أما عن صفات الدجال الخَلْقية؛ فقد روىٰ مسلم من حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال ذات غداة، فقال: «**إنَّه شابٌّ قطط، عينُهُ طافئة، كأنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّىٰ بن قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»، رواه مسلم.

والدجَّال أعور العين اليسرىٰ كما ورد في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، رواه مسلم. وورد في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن النبيِّ ﷺ أنَّه أعور العين اليمنىٰ، رواه الترمذي وصحَّحه.

قال الحافظ ابن كثير (١): «قد ورد في بعض الأحاديث أن عينه اليمنىٰ عوراء، وجاء اليسرىٰ؛ فإما أن تكون إحدىٰ الرِّوايتين غير محفوظة، أو أنَّ العور حاصل في كلٍّ من العينين، ويكون معنىٰ العور: النقص والعيب».

ومن شرِّ فتنة الدَّجَّال أن الكنوز تتبعه؛ فمن اتَّبعه أرسل عليه السَّماء مدرارًا، وأخرجت له الأرض الزرع، وأسبغت ضروع المواشي له اللبن.

عن النوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قال:** ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال، فقال: «**يأتي علىٰ القوم فيدعُوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له؛ فيأمر السَّماء فتُمطر، والأرض فتُنْبت، فتروح عليهم سارحَتُهم أطول ما كانت ذُرًا، وأَسْبَغَه ضُروعًا، وأمدَّهُ**

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (ص١٠١).

خَوَاصِرَ. ثم يأتي القوم فيدعوهم فيَرُدُّون عَلَيْه قَوْلَهُ؛ فينصرف عنهم فيُصْبحون مُمحلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويَمُرُّ بالخَرِبة، فيقول لها: أخرجي كُنُوزَكِ؛ فتتبعُهُ كُنوزُها كيعاسيب النَّحْل»، رواه مسلم.

وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدَّجال منه! معه نهران يجريان؛ أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأَجَّج؛ فإمَّا أدْرَكَنَّ أحدٌ فليأتِ النهر الذي يراه نارًا»، رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ونزول عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتله.

الشَّرح:

ينزل المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن عاث الدَّجَّال في الأرض فسادًا، فينزل بعد قتل الدَّجَّال للمؤمن الذي حاجَّه في كفره؛ ففي حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدعو** - الدجَّال - **رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسَّيف، فيقطعه جزلتين رَمْيَةَ الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلَّلُ وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم؛ فينزل عند المنارة البيضاء شَرْقيَّ دمشق، بين مَهْرُودَتَيْن، واضعًا كفَّيْهِ علىٰ أجنحة مَلَكَيْن، إذا طأطأ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذا رفعه تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كاللُّؤْلُؤِ؛ فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيْثُ ينتهي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُه حتىٰ يُدْرِكَهُ بباب لُدٍّ فيقتله**»، رواه مسلم.

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أما المنارة: فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق».

وقال النووي(٢): «هذا الحديث من فضائل دمشق».

وقال النووي أيضًا(٣): «وأما «المهروذتان»؛ فرُوي بالدال المهملة، والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة؛ كما هو المشهور،

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٣).
(٢) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٣).
(٣) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٣).

ومعناه: لابس مهروذتين؛ أي: ثوبين مصبوغين بورس، ثم بزعفران، وقيل: هما شُقَّتان، والشقة: نصف الملاءة».

وقال الحافظ النووي(١): «قوله ﷺ: «**يدركه بباب لُدٍّ**»؛ هو بضم اللام وتشديد الدَّال مصروف، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا؛ يكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد**».

قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**(٢): «قوله: «**يكسر الصليب**»: يريد إبطال النصرانية، والحكم بشرع الإسلام. ومعنىٰ قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أنَّ أعيانها نجسة؛ لأنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما يقتلها علىٰ حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يُباح إتلافه.

وقوله: «**ويضع الجزية**»، معناه: أنَّه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم علىٰ الإسلام؛ فقد رُوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ في نزول عيسىٰ: «**وتهلك في زمانه الملل كلُّها إلا الإسلام، ويهلك الدجَّال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفَّىٰ فيصلِّي عليه المسلمون**».

وقيل: معنىٰ وَضْع الجزية: أنَّ المال يكثر حتىٰ لا يوجد محتاج ممَّن يُوضَع فيهم الجزية، يدلُّ عليه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**فيفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد**»».

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص٢٠٢٣).
(٢) شرح السنَّة (١٥/ ٨١).

وينزل عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في زمن المهدي، ويُقدِّمه المهدي ليصلِّي بالنَّاس فيأبىٰ، ويأتم بالمهدي.

وهذه الفضيلة الخاصَّة لا تستلزم أنَّ المهدي أفضل من عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ الفضيلة بنوع لا تستلزم الفضيلة مطلقًا، وعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أولي العزم من الرسل؛ فهو أفضل من المهدي.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فَأَمَّكُمْ؟**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون علىٰ الحقِّ ظاهرين إلىٰ يوم القيامة، فينزل عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا؛ فيقول: لا، إنَّ بعضكم علىٰ بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأُمَّةَ**»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد، (ص ٧٨ - رقم ٣٩٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد، (ص ٧٨ - رقم ٣٩٥).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وخروج يأجوج ومأجوج.

❁ الشَّرح:

ظهور يأجوج ومأجوج على الناس من علامات الساعة الكبرى، ويأجوج ومأجوج خلق عددهم كثير، أكثر بني آدم عددًا؛ قال العلامة أبو المظفر السَّمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «يُقال: إنَّ الخلق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء كلهم يأجوج ومأجوج، وجزء واحد هم سائر الخلق.

ويقال: إنَّ جزءًا من ألف جزء سائر الخلق، والباقي هم يأجوج ومأجوج».

وقوم يأجوج ومأجوج حجزهم ذو القرنين عن الخروج والإفساد في الأرض بالسدِّ الذي بناه؛ فمُنعوا به عن الخروج وراءه والإفساد في الأرض.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قال الحافظ عبد الرزَّاق الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «لا يفقهونه إلا بعد جُهد؛ لأنَّهم لم يكونوا يعرفون غير لغتهم، وقرأ

(١) تفسير القرآن (٣/ ٤٠٨).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٢).

حمزة والكسائي: (يُفْقِهون) بضمِّ الياء وكسر القاف، أي: لا يكادون يُفقهون السامع؛ لغرابة لغتهم».

والزُّبَر جمع زُبْرَة، وهي القطعة من الحديد، والصدفان: الجبلان، وساوىٰ بين الصدفين؛ أي: حاذاهما، والقطر هو النحاس(١).

قال شيخ المفسِّرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «يقول تعالىٰ ذكره: فلمَّا رأىٰ ذو القرنين أنَّ يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يَظْهَروا ما بنىٰ من الرَّدم، ولا يقدرون علىٰ نَقْبِه؛ قال: هذا الذي بنَيْته وسوَّيْته حاجِزًا بين هذه الأمَّة ومَن دون الردم؛ رحمة من ربِّي، رحِمَ بها مَن دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتىٰ بنَيْتُه وسوَّيْتُه؛ ليكفَّ بذلك غائلة هذه الأُمَّة عنهم».

ويأجوج ومأجوج خلق حبسهم ذو القرنين وراء السدِّ الذي بناه من حديد ونحاس، فإذا أذن الله في خروجهم قبل القيامة وبعد خروج الدَّجَّال(٣)؛ انهدم السدُّ، قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وخروجهم علىٰ الناس يكون سراعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾، قال الحافظ عبد الرزَّاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «﴿يَنسِلُونَ﴾ من النَّسَلان، وهو مُقَارَبَةُ الخَطْوِ مع الإِسْراع».

وإذا خرج يأجوج ومأجوج علىٰ النَّاس عاثوا في الأرض فسادًا، فلا يدعون

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٥١).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤١٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٥٣).

(٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٦٦٩).

شيئًا أخضر إلا أكلوه، ويمرون بالأنهار والبحيرات العظيمة فيشربون ماءها؛ فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يبعث الله يأجوج ومأجوج - وهم من كلِّ حدب يَنْسِلون - فيمُرُّ أوائلهم علىٰ بحيرة طَبَرِيَّة، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماء»**.

ويتعاظم غرور يأجوج ومأجوج بإفسادهم في الأرض، فيسيرون إلىٰ جبلٍ ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل من في السَّماء. فيرمون بنُشَّابهم إلىٰ السَّماء، فيردُّ الله عليهم نُشَّابهم مخضوبة دمًا». رواه مسلم من حديث النوَّاس بن سمعان.

وينحاز المسلمون عن يأجوج ومأجوج، حتىٰ يبعث الله عَزَّ وَجَلَّ دودًا في أعناقهم فتهلكهم، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يرغب نبيُّ الله عيسىٰ وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيُصبحون فَرْسَىٰ، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الأرض، فلا يجدون في الأرض موْضِعَ شِبْرٍ إلا ملأهُ زَهَمُهُم ونَتْنُهُم، فيرغب عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله، فيُرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت، فتحملهم، فتَطْرَحهم حيث شاء الله، ثُم يُرسلُ الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وَبَرٍ، فيَغْسِلُ الأرض حتَّىٰ يتركَها كالزَّلَفَة، ثم يُقال للأرض: أَنْبِتي ثَمرَتَكِ، ورُدِّي بركَتَكِ»**، رواه مسلم من حديث النوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والنَّغَفُ هو دود، وفَرسَىٰ: أي: هلكىٰ قتلىٰ، والزَّهَم: النتن والرائحة الكريهة، والزَّلَفة هي الأرض الملساء التي لا شيء فيها(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) المفهم (٧/ ٢٨٥، ٢٨٦).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وخروج الدابة.

❁ **الشَّرح:**

دابة الأرض تخرج بعد طلوع الشمس من مغربها، وقد روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: «**أوَّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابَّة**»، وقد دلَّ القرآن علىٰ أنَّها تخاطب النَّاس، فيفهمون كلامها، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وبعد طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فحينئذ يكون قول الدابَّة للكافرين: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢] في محلِّه.

وصفة الدابَّة لم يُرو فيها شيء مرفوع صحيح عن النبيِّ ﷺ، والله أعلم.

قال العلَّامة أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما كيفيَّة صفتها وخلقتها، وبماذا تُكلِّمهم؛ فالله أعلم بذلك».

وفي بعض الآثار عن الصَّحابة؛ أنَّ الدابَّة تخرج من صَدْعٍ من جبل الصفا، قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أكثر الأحاديث والآثار تُؤذن أنها تخرج من الصفا، وهو قول ابن مسعود وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعامة المفسرين».

وروىٰ أبو داود الطيالسي وأحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله

(١) المفهم (٧/ ٢٤١).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٥).

ﷺ: «**تخرج دابَّةُ الأرض ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان عليهما السلام، فتَخْطِمُ أنف الكافر بالعصا، وتجلي وجه المؤمن بالخاتم، حتىٰ يجتمع الناس علىٰ الخِوان، يُعرف المؤمن من الكافر**»، وفي إسناده عليُّ بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صحَّ به النقل.

❁ الشَّرح:

طلوع الشمس من مغربها من أول أشراط الساعة الكبرىٰ، باعتبار تغير أحوال العالم العلوي.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: «**أوَّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة**» رواه مسلم.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّ طلوع الشمس من مغربها علىٰ خلاف عادتها المألوفة؛ أول الآيات السماوية».

وإذا طلعت الشمس من المغرب؛ انتهىٰ وقت التوبة، ولا ينفع أحد إيمان بعد ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقومُ السَّاعة حتىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مغربها، فإذا طلعت ورآها النَّاس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا يَنْفَع نَفْسًا إيمانها**»، وقرأ قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «أجمع المفسرون علىٰ أنَّه أراد به طلوع الشمس من مغربها».

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٦٦)، تحقيق العلامة الألباني.

(٢) تفسير القرآن (٢/ ١٥٩).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّما كان كذلك، والله أعلم، لأنَّ ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدَّالَّةِ علىٰ اقترابها ودُنُوِّها، فعُومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة».

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**» رواه مسلم.

وهذا الحديث قطعي الدلالة في عدم قبول التوبة بعد انتهاء وقتها وهو طلوع الشمس من مغربها، وهو في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقوله عَزَّوَجَلَّ ﴿نَفْسًا﴾؛ نكرة في سياق الشرط فتفيد عموم الحكم للكافر والفاسق.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩هـ)**[٢]: «أي: لا تقبل توبة كافر بالإيمان، ولا توبة فاسق بالرجوع عن الفسق».

الإيمان بطلوع الشمس من مغربها إيمان بقيام الساعة وغلق باب التوبة؛ دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة والإجماع، والعقل والحس.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

والأحاديث في ذلك عن النبي ﷺ؛ رواها عدد من الصحابة، رواها البخاري

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٣).

(٢) تفسير القرآن (٢/ ١٦٠).

ومسلم في صحيحيهما، وقد أجمعت الأُمَّة علىٰ تلقي أحاديث الصحيحين بالقبول، وقد رواها أيضًا أصحاب السنن والمسانيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذه الأحاديث متواترة».

وأفول الشمس بغروبها كل يوم، وفناؤها كليًّا يوم القيامة؛ من أعظم الأدلة علىٰ نفي ربوبيتها، وهذا من أعظم الأدلة التي حاج بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصابئة عباد الكواكب علىٰ تفرُّد الله عَزَّوَجَلَّ وحده بالربوبية المستلزم لعبوديته وحده.

وأفول الشمس يوميًّا بغروبها دليل حسي وعقلي علىٰ أفولها كليًّا، يوم القيامة؛ فيكون يوم القيامة هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، خلاف المعهود في الدنيا من تكوير الليل والنهار بغروب الشمس وطلوعها.

ولذلك قال النبي ﷺ وهو يشاهد غروب الشمس: «**يوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها**»، وهذا حين تطلع الشمس من مغربها.

الشمس مأمورة، تطلع كل يوم من المشرق، وهي مربوبة لله عَزَّوَجَلَّ، تذهب كل يوم فتسجد لله عَزَّوَجَلَّ.

عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ لي حين غربت الشمس: «**تدري أين تذهب؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»، متفق عليه.

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٣).

وهكذا الإنس يجب عليهم عبودية الله عَزَّوَجَلَّ في كل يوم وليلة.

فطلوع الشمس كل يوم من المشرق؛ فيه حث علىٰ العمل لليوم الآخر، فيوشك أن تطلع من المغرب.

ولذلك حثنا النبي ﷺ علىٰ العمل الصالح حال السعة قبل وجود الموانع أو العوائق أو انقطاع العمل.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحدكم، وأمر العامة**» رواه مسلم. قال قتادة: أمر العامة: أمر الساعة.

فيجب علىٰ المسلم المبادرة إلىٰ العمل الصالح قبل حضور أجله أو الساعة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» رواه مسلم.

وطلوع الشمس من المغرب من الأمور العظام الخارجة عن العادة، وهو من أعظم الأدلة علىٰ ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ مجرىٰ كل شيء ومستقره بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

قال العلامة عبد الرحمن بن محمد العُلَيْمِيُّ المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٢٧هـ)**(١): «﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾؛ أي: موضع ستستقر فيه، وهو مغربها، لا تجاوزه، ومستقرها تحت العرش، ورد به الحديث عن النبي ﷺ».

فالشمس لها مستقر مكاني يومي وهو المغرب، ومستقرها الزماني يوم القيامة، وهو فناؤها.

---

(١) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٥/ ٤٨٣).

وفي استئذان الشمس رب العالمين كل يوم؛ دليل علىٰ أنَّها لا تعلم متىٰ تطلع من المغرب، ولا متىٰ تقوم الساعة، فهي مربوبة مسيَّرة بأمر الله.

ولذلك أبطل سيد الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربوبية النمرود بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد قرَّب الله الآخرة، فجعلها كغد؛ ليبادر الناس إلىٰ العمل الصَّالح، فلا تغرَّنَّهم الدنيا بمتاعها وزخارفها عن السير إلىٰ الدار الآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبي ﷺ قال: «**كُنْ في الدنيا كأنَّك غريب، أو عابر سبيل**» رواه البخاري.

وكان ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **يقول**: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصَّباح، وإذا أصْبَحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمَرَضك، ومن حياتك لموتك» رواه البخاري.

وقال بكر بن عبد الله المُزَني: أنَّ امرأةً من أهل اليمن كانت تقول إذا أصبحتْ: يا نَفْسُ، اليومُ يَوْمُكِ لا يَوْمٌ غيرُه. فتعمل في ذلك اليوم ما شاء الله أنْ تَعْمَلَ، فإذا أمستْ قالت: يا نفسُ، الليلةُ لَيْلَتُكِ لا ليلةٌ لك غَيْرُهَا. فتعملُ في تلك الليلة ما شاء الله أن تَعْمَلَ حتىٰ تُصْبِحَ، فلم يزل ذلك دأبُها حتىٰ مَضَتْ(١).

❁ ❁ ❁

(١) الزهد لأبي حاتم الرازي (ص٥٤ – رقم ٥٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعذاب القبر ونعيمه حقٌّ، وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة.

الشَّرح:

عذاب القبر حق، دل علىٰ ذلك القرآن ومتواتر السنة والإجماع والعقل الصريح.

قال تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور».

وقال العلامة عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في هذه الآية حجَّة علىٰ صحَّة عذاب القبر».

ومن أدلة القرآن علىٰ ثبوت عذاب القبر قوله تعالىٰ عن الكفار: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

والعذاب يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذَّب في الدنيا».

ومن الأدلة علىٰ ثبوت عذاب القبر؛ قوله تعالىٰ في المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٧).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٦٢٣).

(٣) الروح، (ص١٠٦).

﴿مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أهل السنَّة يؤمنون بعذاب القبر - أعاذنا الله وإياك من ذلك - قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة: ١٠١]».

والأحاديث عن النبي ﷺ في ثبوت عذاب القبر كثيرة، أذكر بعضها:

(١) **عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» رواه البخاري ومسلم.

(٢) **وعن أبي أيوب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: خرج النبي ﷺ وقد وَجَبَتِ الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «**يهود تعذب في قبورها**» رواه البخاري ومسلم.

(٣) **وعن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت**: دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت: إن أهل القبور يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذَّبتُها، ولم أُنعِم أن أصدقها، قالت: فخرجت، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت عليَّ، فزعمَتْ أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قال: «**صدقت، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها**»، قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوَّذ بالله من عذاب القبر. رواه البخاري ومسلم.

(٤) **وعن علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: لما كان يوم الأحزاب، قال رسول الله ﷺ في أحزاب الكفر: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة**

---

(١) أصول السنة، (ص١٥٤).

الوسطىٰ حتىٰ غابت الشمس» متفق عليه.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم، رواه عن النبي ﷺ: عليٌّ بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي ﷺ وأختها أسماء، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم».

وقد اعتضد الدليل العقلي والحسي مع الدليل النقلي في إثبات عذاب القبر؛ فإن النائم روحه فارقت بدنه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدرك الإنسان إذا استيقظ من نومه ما كان فيه حال النوم من النعيم والعذاب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم؛ فإن ما ينعَّم به أو يعذَّب في نومه يجري علىٰ روحه أصلًا والبدن تَبَع له، وقد يقوىٰ حتىٰ يؤثِّر في البدن تأثيرًا مشاهدًا، فيرىٰ النائم في نومه أنه ضُرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرىٰ أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترىٰ النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرىٰ علىٰ الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٢-١٧٤).

(٢) الروح، (ص٨٩).

كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلىٰ بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم؛ فإن تجرُّد الروح هنالك أكمل وأقوىٰ، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب في الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلًا».

وعذاب القبر ونعيمه يكون علىٰ الروح والبدن جميعًا، تُنَعَّم الروح وتُعَذَّب منفردة عن البدن، وتُنَعَّم متصلة بالبدن، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون علىٰ الروح منفردة عن البدن[1].

والفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، يقولون أن الأبدان لا تُنعَّم ولا تُعذَّب، ويعتقدون أن العذاب والنعيم لا يكون إلا للروح فقط.

وطوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر، يقولون: إن العذاب والنعيم علىٰ الأبدان فقط، ويجعلون الروح هي الحياة.

والأدلة من الوحي تدل علىٰ أن العذاب علىٰ الروح والبدن جميعًا، حتىٰ في حال مفارقة الروح للجسد، قال النبي ﷺ لأبي قتادة رضي الله عنه عندما قضىٰ دين الميت: «**الآن برَّدت عليه جلده**»، رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ويدل لذلك أيضًا ما يحصل للنائم في حال مفارقة الروح، فإنه يجد أحيانًا أثرًا في جسده لما يحصل لروحه في منامه.

ويدل لذلك أيضًا أن الإنسان هو مجموع الروح والبدن، والعذاب والنعيم لمجموعهما الذي هو الإنسان.

---

(١) الروح، (ص٧٢ - ٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح. ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما. فكذلك القرية: إذا عذب أهلها خربت، وإذا خربت كان عذابًا لأهلها؛ فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر، كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما».

وقال العلامة المجدد محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «العذاب والنعيم في البرزخ للروح والجسد جميعًا؛ لأنهما اللذان تساعدا علىٰ الطاعة أو علىٰ المعصية، للروح بالأصالة وللجسد بالتبع، بكيفية الله أعلم بها؛ فإن الروح قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتصال به».

وعذاب القبر ينال كل من استحقه من الموتىٰ، سواء دُفِنَ أو لم يُقبَر؛ فإن الله لا يعجزه شيء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذاب القبر هو عذابُ البرزخ، فكلُّ مَن مات وهو مستحقٌّ للعذاب ناله نصيبُه منه، قُبِرَ أو لم يُقْبَر، فلو أكلته السِّباع، أو أُحرق حتىٰ يصير رَمادًا، ونُسف في الهواء، أو صُلِب، أو غَرِق في البحر؛ وصل إلىٰ رُوحه وبدنِه من العذاب ما يصل إلىٰ القبور».

أنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقالوا: البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، وهم ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناءً علىٰ أن الروح لا تبقىٰ بعد فراق البدن،

(١) الإيمان، (ص١٠٨- ١٠٩).
(٢) شرح العقيدة الواسطية، (ص١٤٦).
(٣) الروح، (ص٨١).

وعندهم أن البدن لا ينعم ولا يُعذَّب[١].

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر بأنَّ الميت قد فارقه الروح، وزايلتهُ المعرفة، فلو كان يألم وينعم لكان حيًّا لا ميتًا، والفرق بين الحي والميت الحس؛ فمن كان يحس الأشياء فهو حي، ومن كان لا يحسها فهو ميت[٢].

والردُّ عليهم معلوم، بأن شعور البدن وإحساسه بالنعيم أو العذاب لا يفارق الميت؛ إذ لا تزال روحه متعلقة بالبدن، ولذلك تعاد روحه إلىٰ بدنه عندما يأتيه الملكان ويسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟

وبما ذكرت من أدلة القرآن والسنَّة كفاية في الرد علىٰ المعتزلة، وبمخالفتهم لإجماع الأمَّة تتيقن ضلالهم.

قال المرُّوذي: قال أبو عبد الله - أحمد بن حنبل -[٣]: «عذاب القبر حقٌّ، لا ينكره إلا ضالٌّ أو مضل».

والإجماع علىٰ الإيمان بعذاب القبر معلوم متوارث، من الطبقة الأولىٰ، طبقة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، كلهم يستعيذون بالله من عذاب القبر في صلاتهم، ولا يزال المسلمون يصلُّون داعين ربهم أن يعيذهم من عذاب القبر؛ فهذا إجماع عملي معلوم متيقن.

سألت عائشة رضي الله عنها النبيَّ ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذاب القبر**»، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلىٰ صلاة إلا تعوذ من عذاب

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٤).

(٢) التبصير في معالم الدين، (ص٢٠٦).

(٣) الروح لابن القيم (٤/ ٢٨٤).

القبر. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**» رواه مسلم.

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت: ٢٨٧)(١): «صحَّت الأخبار عن رسول الله ﷺ في استعاذته من عذاب القبر وتعوذه منه، وثبت عنه ﷺ أن أمته ستبتلىٰ في قبورها، وهي أخبار ثابتة توجب العلم، وتنفي الريب والشك، والله نسأل أن يعيذنا من عذابٍ في قبورنا، وأن يجعلها علينا رياضًا خضراء تُنَوَّر لنا فيها».

❁ ❁ ❁

(١) السنة، (ص٣٨١).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق.

❁ الشَّرح:

في القبر فتنة وابتلاء عظيم، وهو من أسباب تكفير ذنوب المؤمنين؛ فإن النبي ﷺ قال: «**أُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم نحوًا من فتنة المسيح الدجال**»، رواه البخاري ومسلم من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولذلك ذكر النبي ﷺ أن ضمة القبر تصيب كل مخلوق، ابتلاءً وفتنة، ولو كان من أفضل الصالحين، فقال: «**لو نجا أحدٌ من ضمة القبر لنجا منها سعد بن معاذ**»، رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن حبان.

ضمَّة القبر والسؤال في القبر والامتحان فيه من الابتلاء في القبر لكل الخلق، أما عقاب القبر فهذا يختصُّ بمن استحقه من أهل الوعيد.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هذه الضمَّة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك.

فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠).

دون لقاء ربه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، فنسأل الله تعالىٰ العفو واللطف».

فالألم الذي يحصل لكل الموتىٰ في قبورهم بسبب ضَمَّة القبر؛ عام للمؤمنين والكافرين، يصيب صالحي المؤمنين كما يصيب غيرهم، فهذا الألم ليس عقابًا علىٰ الكفر والذنوب، وإنَّما هو من فتنة القبر.

وهذا الألم الذي يصيب المؤمنين في القبور؛ سبب لتكفير ذنوبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الألم التي هي عذاب؛ فإنَّ ذلك يُكفر الله به خطاياه، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذًىٰ، حتىٰ الشوكة يشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»».

وذكر شيخ الإسلام ما بين العذاب والعقاب من العموم والخصوص، فقال[2]: «العذاب أعم من العقاب؛ فإنَّ العذاب هو الألم، وليس كل من تألَّم بسبب كان ذلك عقابًا له علىٰ ذلك السبب، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه**»، فسمىٰ السفر عذابًا، وليس هو عقابًا علىٰ ذنب».

وابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر سؤال منكر ونكير مع فتنة القبر؛ لأنَّ هول رؤية الملكين وسؤالهما من فتنة القبر.

قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٧٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٧٤).

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سُئل في القبر شهد أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾»، متفق عليه.

يجيب المسلم الملكين بما اعتقده في الدنيا وعاش عليه، فالله يُثبِّت المؤمنين لصدقهم في إيمانهم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ قال: **ذلك إذا قيل له في القبر: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، جاءنا بالبينات من عند الله، فآمنت به وصدقت، فيقال له: صدقت، علىٰ هذا عشت، وعليه متَّ، وعليه تُبعث**»، رواه أحمد وصححه الحاكم والذهبي(١).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فتنة القبر وعذابه ونعيمه؛ تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها ونعيم القبر وعذابه».

صحَّ الحديث عن النبي ﷺ بتسمية الملكين بمنكر ونكير.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ المَيِّتَ إذا قُبر أتاه ملكان أسودان أزرقان، أحدهما منكر، والآخر نكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنَّك تقول هذا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، ثم ينوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلىٰ أهلي**

---

(١) المستدرك وتلخيصه (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٨٤).

فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس، الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك»[(١)].

قال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله، نُقِرُّ بمُنْكَرٍ ونكِيرٍ، وما يُروىٰ في عذاب القبر؟

فقال: سبحان الله! نعم نُقِرُّ بذلك، ونقوله.

قلت: هذه اللَّفْظَةُ، تقول: منكر ونكير، هكذا، أو تقول: ملكين؟

قال: منكر ونكير.

قلت: يقولون: ليس في حديثٍ منكر ونكير.

قال: هو هكذا، يعني: أنَّهما منكر ونكير[(٢)].

والعلماء في متون العقيدة وشروحاتها يُسمُّون الملكين بالفتانين؛ لقوله ﷺ: «**أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**»، ولحديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإنْ مات جرىٰ عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان**» رواه مسلم.

المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان من الله وكرامته، يُبشره ملك الموت الموكل بقبض روحه، قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هذا يُقال لها عند الاحتضار، وفي يوم

(١) رواه ابن حبان كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٥/ ٤٨-رقم ٣١٠٧) وإسناده علىٰ شرط مسلم.

(٢) الروح (ص٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٦٤).

القيامة أيضًا، كما أنَّ الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك هاهنا».

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «**المؤمن إذا حضره الموت، بُشر برضوان الله وكرامته**».

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢].

قال عطاء الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرحم ما يكون الله بعبده إذا أُدخل قبره، وتفرَّق الناس عنه وأهله».

المسلم يتولاه الله في قبره، كما تولاه الله في دنياه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

قال ثابت البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «بلغنا أنَّ المؤمن حيث يبعثه الله من قبره يتلقاه مَلَكاه اللَّذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن. فيؤمِّنُ الله خوفه، ويُقرُّ الله عينه، فما من عظيمة تغشىٰ الناس يوم القيامة إلَّا هي للمؤمن قُرَّة عين لما هداه الله، ولما كان يعمل في الدُّنيا».

إذا مات الإنسان تبعه عمله إلىٰ قبره، فالإنسان في هذه الدنيا إذا آمن وعمل صالحًا؛ كان في أمْن وسعادة في قبره، وإذا قامت قيامته دخل الجنة.

ففي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**».

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٣٥٨).

وروىٰ **أحمد وأبو داود من حديث البراء بن عازب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي ﷺ قال: «**أنَّ الميِّت في قبره يأتيه رجل حسن الثياب طيِّبُ الريح، فيقول له: أبشر بالذي يَسُرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول - الميِّت -: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح**».

فالمؤمن يخرج من الدنيا إلىٰ قبره وإلىٰ معاده بعمله، فالنجاة والسعادة في التزود إلىٰ الدار الآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «المؤمن يأتيه عمله الصالح في قبره في أحسن صورة، فيبشِّره بالسعادة من الله، والكافر بعكس ذلك.

والأعمال الصالحة تحيط بالمؤمن في قبره، في «صحيح ابن حبان» عن أبي هريرة مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده، إنَّه ليسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلىٰ الناس من قبل رجليه، فيؤتىٰ من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ليس قِبَلي مدخل...**»، وذكر سائر الأعمال كذلك، وقال في الكافر: «**يؤتىٰ من هذه الجهات فلا يوجد شيء، فيجلس خائفًا مرعوبًا**»».

المؤمن يُلهم الصواب في الجواب؛ لأنَّه عاش حياته علىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ واتباع رسوله ﷺ وإقامة حقيقة الدين وشرائع الإسلام وأعماله خصوصًا أركانه، فالله يجازي بالإحسان إحسانًا، ويُوفق الصادقين في دينهم إلىٰ صواب الجواب، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي.

---

(١) حديث يتبع الميت ثلاث، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٢/ ٤٣٣).

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «لأنَّه كان عاش على الإيمان بذلك، ولهذا يُقال له في الجواب: على هذا عشت».

وقال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ».

أمَّا الكافر فإنَّه يضل عن الجواب، فيقول للملكين: لا أدري، ويلقى الله يوم القيامة ولا حُجة له، فيكذب في جوابه نافيًا شركه وعمله السيئ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾، كما يقولون يوم المعاد: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]، قال الله مكذبًا لهم في قيلهم ذلك: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص١٤٧).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٦٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٧٨).

ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: بئس المقيل، والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبِّرًا عن آيات الله واتباع رسله، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم».

السؤال في القبر عام للمُسلم والمنافق والكافر، دلَّ علىٰ ذلك القرآن والسُّنَّة.

قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ هذا في فتنة القبر، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ».

وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النبي ﷺ كان يتعوذ من فتنة القبر وعذاب القبر.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العبد إذا وُضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه، وإنَّه ليسمع قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتاه ملكان فيُقْعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرَّجُلِ؟** - لمحمد ﷺ -، **فأما المؤمن فيقول: أشهد أنَّه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلىٰ مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة، فيراهما جميعًا.**

وأمَّا المنافق والكافر؛ فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرَّجُل؟

فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول النَّاس. فيقال: لا دَرَيْتَ، ولا تَلَيْتَ.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٠٨).

ويُضرب بمطارق من حديد ضَرْبةً، فيصيحُ صَيْحَةً يسمعها من يليه غير الثقلين»[١].

فالسؤال في القبر حق، دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة والإجماع.

قال الإمام أحمد في «أصول السُّنَّة» من رواية عبدوس العطار[٢]: «الإيمان بعذاب القبر، وأنَّ هذه الأُمَّة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وكيف أراد. والإيمان به والتصديق به».

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٠٠هـ)**[٣]: «الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وكذلك الإيمان بمنكر ونكير».

وقال العلامة حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ) فيما أجمعت الأُمَّة علىٰ اعتقاده**[٤]: «عذاب القبر حق، يُسأل العبد عن ربه، وعن نبيه، وعن دينه، ويُرىٰ مقعده من الجنَّة أو النار.

ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبور، نسأل الله الثبات».

فالميت يُسأل في قبره عن ربه ونبيه ودينه، وكما توجه إليه هذا السؤال إذا قامت قيامته الصغرىٰ فإنَّه يُسأل عن ذلك كله إذا قامت القيامة الكبرىٰ، يوم يقوم الناس كلهم جميعًا لله رب العالمين لا شريك له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «قد أخبر الله في كتابه أنَّه يسأل الكافر يوم القيامة؛

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (ص٢٢٥- رقم ١٣٧٤)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار (ص١٢٤٣ – رقم ٧٢١٦).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٨).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٢، ١٧٥) باختصار.

(٤) إجماع السلف في الاعتقاد (ص٤٩، ٥٠).

(٥) الروح (ص٢٩١).

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، فإذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يُسألون في قبورهم؟!».

يسأل الملكان الميِّت عن ربه؛ لأنَّه الذي خلقه وفطره علىٰ الإسلام، ورباه بوحيه الذي فيه هدايته ونجاته وزكاته، ويسأله عن نبيه لأنَّه رسول الله الذي جعله الله حجة علىٰ خلقه، وبلَّغ عن الله دينه، ويسأله عن دينه لأنَّه هو حقيقة الشهادتين، يسأله الملكان بأمر الله عن تحقيقه للشهادتين.

فحقيقة الدين كله هما الشهادتان وحقوقهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الإيمان بالله ورسله يتضمن ما أخبرت به الرسل من الخبر وما أمرت به من العمل».

ومن الإحسان إلىٰ الميِّت تلقينه كلمة التوحيد عند احتضاره، قال النبي ﷺ: «**لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله**»، رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا التلقين لما نزل به الموت، فهذا الذي ينفعه التلقين، وأما تلقين الميت بعد الدفن؛ فهذا لا يدل عليه النص.

ومن ختم الله عَزَّ وَجَلَّ له بالتوحيد؛ كان مثواه الجَنَّة.

عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»، رواه أبو داود.

ومن الإحسان إلىٰ الميت قبل دفنه إخلاص الدعاء له في الصلاة عليه،

---

(١) جامع المسائل، المجموعة الثامنة (ص٢١٠).

والدعاء له بالمغفرة والتثبيت له في قبره عند السؤال.

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله، فيشفعون فيه إلا شَفَّعَهُمُ الله فيه»، رواه مسلم.

ومن الإحسان إلىٰ الميِّت بعد دفنه سؤال الله له المغفرة والتثبيت عند السؤال.

عن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنَّه الآن يُسأل**»، رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن غريب.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الصور ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا بُهمًا، فيقفون في موقف القيامة.

الشَّرح:

إذا وقعت أشراط الساعة نفخ إسرافيل في الصور نفخة الفزع، فيفزع كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يموت بسببها جميع الموجودين من أهل السموات والأرض، من الإنس والجن والملائكة، إلا من شاء الله، فقيل: هم حملة العرش، وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت».

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)]: الراجفة هي النفخة الأولىٰ، والرادفة هي النفخة الثانية.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]؛ ففيه إثبات صيحة واحدة، تكون هي البداية، وتليها صيحتان بعد ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٤).

(٢) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وهي صحيفة صحيحة. فتح الباري (١٣/ ٢٧١).

والسنَّة دلت علىٰ ثبوت نفخة الصعق، وكذلك نفخة البعث، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرىٰ، فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسىٰ** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنىٰ الله، أم رفع رأسه قبلي، ومن قال: أنا خير من يونس بن متَّىٰ؛ فقد كذب**».

قال الحافظ الفقيه المفسِّر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: صَعِقَ الرجل يَصعَق: إذا أصابه فزعٌ، فأغمي عليه، وقوله: «**باطش بجانب العرش**»، أي: قابض عليه بيده، وقوله: «**أم كان ممن استثنىٰ الله**»، يريد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

قوله: «**أم حوسب بصعقة الطور**»، أي: عُفي من الصعق مع الناس لما كان من صعقة الطور، كما أخبر الله تعالىٰ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا صُعق الناس يوم القيامة، إما أن يكون جُوزي بصعقة الطور فلا يُصعق يومئذ، وإما أن يكون صُعق فأفاق، أي: صُعق صعقة خفيفة، فأفاق قبل الناس كلهم».

وأما مقدار ما بين النفختين فأربعون، كما دلت السنَّة علىٰ ذلك، والحديث أجمل مقدار الأربعين، وهو أبلغ في بيان هول القيامة والنفخ في الصور، ولا ريب أن كل أحوال ومقامات الآخرة مهولة عظيمة، يجعلها الله يسيرة علىٰ المؤمنين.

---

(١) شرح السنة (١٥/ ١٠٧).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٤٧٧).

قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٖ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنٗا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٠].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿يَوْمٖ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] فما طول هذا اليوم؟! فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنه ليُخفَّف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: أربعون يومًا؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ، قال: «**ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبتوا كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلىٰ إلا عظمٌ واحد، وهو عجبُ الذَّنَب، ومنه يُركَّب الخَلْق يوم القيامة**».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «قوله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**. قالوا: يا أبا هريرة، أربعين يومًا؟ قال: أبيْتُ... إلىٰ آخره» معناه: أَبَيْتُ أن أجزم أن المراد أربعون يومًا، أو سنة، أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسَّرة من رواية غيره في غير مسلم: أربعون سنَة».

وينام الناس في قبورهم بين النفختين، فإذا نُفخت النفخة الثالثة - نفخة البعث والنشور -؛ قام الخلق جميعًا لربِّ العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا

---

(١) رواه أحمد، وإسناده ليس بالقوي؛ لأنه من رواية ابن لهيعة عن درَّاج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، والآيات قبله شاهدة لمعناه.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩١ - ٩٢).

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، والنسلان هو: المشي السريع، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلىٰ ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أُبَيُّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، ومجاهد، والحسن، وقتادة رحمهم الله: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين. فلذلك يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ﴾، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون - قاله غير واحد من السلف -: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة. ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن، والله أعلم».

والنصوص من الوحي يفسِّر بعضها بعضًا، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: ١٣- ١٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٤٦).

قال العلَّامة عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المراد بقوله: (يومئذ): الحين الواسع، الذي يقع فيه النفختان، والنشور، والحساب، كما تقول: رأيته في عام كذا، أو في يوم كذا، وإنما كانت رؤيتك إياه في جزء منه».

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول تعالىٰ مخبِرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، كما هو مصرَّح به مفسرًا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتىٰ يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم - الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا - بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ [غافر: ١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، أي: الذي هو واحد، وقد قهر كلَّ شيء، وحكم بالفناء علىٰ كل شيء. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرىٰ، وهي النفخة الثالثة: نفخة البعث، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، أي: أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا صاروا أحياءً ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة».

---

(١) رموز الكنوز (٨/ ٢٥٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٦٩).

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧].

قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الراجفة: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، أي: تضطرب، وهي النفخة الأولىٰ، وُصفت بما يحدث بحدوثها.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧] وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، وكل شيء تبع شيئًا فقد ردفه».

فالحاصل أنّ الأدلة من القرآن والسُّنَّة دلَّت علىٰ أنَّ النفخ في الصور ثلاث: نفخة فزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا فَرَغ الله من خلق السموات والأرض خَلَق الصُّورَ، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه علىٰ فِيه، شاخص بصره إلىٰ العرش، ينتظر متىٰ يؤمر**». قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، وما الصُّورُ؟ قال: «**قرنٌ**». قال: وكيف هو؟ قال: «**قَرْنٌ عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولىٰ نَفْخَةُ الفَزَع، والثانية نَفْخَةُ الصَّعْق، والثَّالثة نفخة القيام لربِّ العالمين**» رواه أبو يعلىٰ وإسحاق بن راهويه[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يُرسل الله ريحًا باردة من قِبَلِ الشام، بعد إهلاك المسيح عيسىٰ ابن مريم للدَّجال، فتقبض روح كل مؤمن، فيبقىٰ شرار الخلق، ثم يُنفخُ في الصُّور، فلا يسمعه أحد إلا**

---

(١) رموز الكنوز (٨/ ٤٦٨).

(٢) قال الحافظ أبو موسىٰ المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث وإنْ كان في إسناده من تُكلِّم فيه؛ فعامَّةُ ما فيه يُروىٰ مفرَّقًا بأسانيد ثابتة». البداية والنهاية (١٩/ ٣٢٣).

أصغىٰ لِيتًا وَرَفَعَ ليتًا» رواه مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): ««**أصغىٰ ليتًا، ورفَع لِيتًا**»، أي: رَفَع صفحة عُنقه وأمال الأخرىٰ، يستمع هذا الأمر العظيم، الذي قد هال النَّاس وأزعجهم عمَّا كانوا فيه من أمر الدنيا وشُغْلهم بها، ووقوع هذا الأمر العظيم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ثم بعد ذلك بمُدَّة يأمر الله تعالىٰ إسرافيل أن ينفخ نفخة الصَّعْق ، فيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يأمُرُه فيَنْفُخُ فيه أخرىٰ، فيقوم الناس لرب العالمين، كما قال تعالىٰ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]».

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٣٠٤).

﴾ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

حتىٰ يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ.

﴾ الشَرح:

النبي ﷺ كريم الخصال، حسن الشمائل، ساعٍ في هداية الناس إلىٰ أسباب دخول الجنة.

ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه كما نعته الله عَزَّوَجَلَّ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن أفضل خصاله موالاته للمؤمنين، وحرصه الشديد علىٰ نفع المؤمنين دينيًّا ودنيويًّا.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**»، رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وذلك أنَّه لا نجاة لأحدٍ من عذاب الله، ولا وصول له إلىٰ رحمة الله إلا بواسطة الرسول ﷺ، بالإيمان به، ومَحَبَّتِهِ، وموالاته، واتِّبَاعِهِ، وهو الذي يُنْجيه الله به من عذاب الدُّنْيَا والآخرة، وهو الذي يُوصِلُهُ إلىٰ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخرة.

فَأَعْظَمُ النِّعَم وأَنْفَعُهَا نِعْمَةُ الإيمان، ولا تَحْصُلُ إلا به ﷺ. وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نَفْسِهِ وماله؛ فإنَّه الذي يُخْرِجُ الله به من الظُّلُمَاتِ إلىٰ النور، لا

(١) الجوابُ الباهرُ في زُوَّار المقابر (ص١١٠).

طريق له إلَّا هُوَ، وأمَّا نَفْسُهُ وَأَصلُهُ فلا يُغْنُونَ عنه من الله شيئًا. وهو دَعَا الخَلْقَ إلىٰ الله بإذنِ الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]».

ومن أفضل خصال الخير في رسول الله ﷺ؛ حرصه علىٰ نفع أمته في الآخرة أكثر، وسعيه في نجاتهم من النار بشفاعته صلوات الله وسلامه عليه.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**لكل نبي دعوةٌ يدعو بها، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في يوم القيامة، وهي نائلة من لا يُشرك بالله شيئًا**».

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ[١]: «هذا الحديث يدل علىٰ قوَّة فقه رسول الله ﷺ، وفضل فهمه؛ لأنّه رأىٰ أن ما يستعجل في الدنيا يفنىٰ هو ونفعه، فادَّخر ذلك لما يبقىٰ هو وأثره».

شفاعات النبي ﷺ نوعان: عامَّة، وهي التي يشاركه فيها غيره من صالحي المؤمنين. وخاصَّة، وهي التي لا يشاركه فيها غيره، وهي الشفاعة العظمىٰ في أهل الموقف أنْ يقضىٰ بينهم، والشفاعة في أهل الجنَّة أنْ يدخلوا الجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٢]: «أمَّا الشفاعة يوم القيامة؛ فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم؛ أنَّ له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنَّه يشفع فيمن يأذن الله له أنْ يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١٦٠)، باختصار.

(٢) قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٦٠، ٦١).

نبيُّ الرحمة صلوات الله وسلامه عليه رؤوف رحيم بأُمَّته، اشتدت شفقته علىٰ أُمَّته في الدنيا خشية الحساب في الآخرة، فلمقامه عند ربه أرضاه الله في أمته، فكل سعادة وأمان في الدنيا والآخرة فإنَّما نالته أُمَّته بسببه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ تلا قوله في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه فقال: «**اللَّهم أمتي أمتي**» وبكىٰ، وقال الله تعالىٰ: «**يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد، وربك أعلم، فاسأله: ما يبكيك؟**»، فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ، قال: وهو أعلم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**». رواه مسلم.

نبي الله محمد ﷺ هو الحاشر، الذي يُحشر الخلق علىٰ قدمه، والناس يُبعثون من قبورهم ويُحشرون إلىٰ ربهم، في صعيد واحد في الموقف، فتصيبهم شدَّة، ويصيبهم كرب عظيم، فيأتون سيد ولد آدم فيشفع إلىٰ ربهم أن يُقضىٰ بينهم.

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «سمَّىٰ لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماءً، فقال: «**أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا المَاحِي الذي يمحو الله بِيَ الكُفْرَ، وأنا الحَاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علىٰ قَدَمَيَّ، والعَاقِبُ الذي ليس بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»» متفق عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أمَّا الحاشر؛ فالحشر هو الضمُّ والجمع، فهو الذي يُحشر الناسُ علىٰ قدمه، فكأنَّه بُعث ليُحشر الناس».

---

(١) زاد المعاد (ص٣١).

وقال العلامة الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله: «**يُحشر الناس على قدمي**»؛ أي: أنَّه يُحشر أول الناس، كقوله: «**أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض**»».

الشفاعة العظمىٰ هي من فضائل النبي ﷺ التي هي خصائص، فهذه الفضيلة لا يشاركه فيها أحد من النبيين ﷺ فضلًا عن سائر الخلق أجمعين.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أحد من الأنبياء قَبْلي، نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرة شَهْر، وجُعِلَتْ لي الأرض مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأُحلَّتْ لي الغنائم، ولم تُحَلَّ لأحدٍ قَبْلي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبي ﷺ يُبعثُ إلىٰ قَوْمِهِ، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»، متفق عليه.

وبهذه الخصائص خصوصًا الشفاعة العظمىٰ صار النبي ﷺ سيد ولد آدم.

قال العلامة المحدِّث الفقيه المفسر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**[(٢)]: «قوله: «**أُعطيت الشَّفاعة**»؛ فهي الفضيلة العظمىٰ، التي لا يُشاركُهُ فيها أحد يوم القيامة، وبها ساد الخلق كلهم حتىٰ قال: «**أنا سيِّدُ ولد آدم**»، وهو المقام المحمود الذي أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ».

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**أنا أَوَّلُ من تَنْشَقُّ عنه الأرض، وأَوَّلُ شافع، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»، رواه مسلم.

ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن سَلَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدم ولا فَخْرَ، وأنا أَوَّلُ من تَنْشَقُّ عنه الأَرْضُ، وأنا أَوَّلُ شافع وَمُشفَّعٍ، بيَدي لواء الحَمْدِ، تَحْتِي آدم فمن دونه**».

---

(١) شرح السُّنَّة (١٣/ ٢١٢).

(٢) شرح السُّنَّة (١٣/ ١٩٧).

وقد دلَّ علىٰ ثبوت الشفاعة العظمىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقد فسَّره الصحابة والتابعون بالشفاعة في أهل الموقف، وفسَّره بعض العلماء بلواء الحمد الذي يُعطاه في الموقف، وفسَّره مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقعود النبي ﷺ علىٰ العرش.

وهذه كلها أفراد لأنواع المقام المحمود، وهي غير متعارضة.

قال الحافظ عبد الرزاق الرَّسعني رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٦١هـ)**(١): «المقام المحمود مطلق في كل ما يجب الحمد للنبي ﷺ من أنواع الكرامات، والشفاعة، والقعود علىٰ العرش؛ نوعان مما يتناوله الإطلاق، فحينئذ لا منافاة بين القولين ولا مناقضة بين الروايتين».

النبي ﷺ مقامه محمود في الدنيا والآخرة، ومن مقاماته التي يحمده عليها الخلائق جميعًا شفاعته إلىٰ ربه في أنْ يُقضىٰ بين الناس، بعد الكرب الشديد الذي يصيبهم في المحشر حيث تقترب الشمس منهم مقدار ميل.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُبصرهم الناظر، ويُسمعُهُمُ الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلىٰ ما أنتم فيه، إلىٰ ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه، وما بلغنا؟**

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٢٠).

فقال: إنَّ ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيْتُ، نفسي! نفسي! نفسي! اذْهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سَمَّاك الله عبدًا شكورًا، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلىٰ ربك؟

فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي، نفسي! نفسي! نفسي! اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربِّك، أما ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي! نفسي! نفسي! اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ، فيقولون: يا موسىٰ، أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبكلامه إلىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، أما ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟

فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفسًا لم أُؤْمَرْ بقتلها، نفسي! نفسي! نفسي! اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ، فيأتون عيسىٰ: فيقولون: يا عيسىٰ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم، وروح منه، وَكَلَّمْت الناس في المهد، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ فيقول عيسىٰ: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي! نفسي! اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ، فيأتون محمدًا.

فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئًا لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سلْ تعطه، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمَّتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنَّة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب». متفق عليه.

كل مقامات يوم القيامة ومنها المكث في المحشر عسيرة علىٰ الكافرين، يسيرة علىٰ المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

الناس في الحياة الدنيا يصيبهم بلاء وجهد شديد من الشمس في المناطق الحارَّة، مع ارتفاعها في السماء، فكيف مع دنوها مقدار ميل.

قبول شفاعة خاتم المرسلين محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فيه ظهور فضله علىٰ كل النبيين والخلق أجمعين، وهو من أعظم دلائل نبوته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «من آياته ودلائل نبوته شفاعته يوم القيامة في الخلق».

حديث الشفاعة العظمىٰ فيه فضل الخضوع لله بالسجود، وذكر الله بحمده، حيث كان ذلك سببًا في قبول الشفاعة.

حديث الشفاعة العظمىٰ فيه معرفة الخلق بفضل أولي العزم من الرسل، حيث يأتونهم ليشفعوا لهم، وهم نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ،

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٥٥) باختصار.

ويأتون آدم أولًا وإن لم يكن من أولي العزم من الرسل لأنّه أبو البشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «بيَّن المسيح أنَّ محمدًا هو الشفيع المشفع؛ لأنَّه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر، وبيَّن محمدٌ عبد الله ورسوله أفضل الخلق وأوجهُ الشفعاء وأكرمهم علىٰ الله».

مقام الشفاعة العظمىٰ مقام محمود، لا يناله أحد من البشر إلا سيدهم وخيرهم وأفضلهم، صلوات الله وسلامه عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «شفاعته ﷺ الأولىٰ، وهي العظمىٰ الخاصة به من بين سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وهي التي يَرْغَبُ إليه فيها الخلق كلهم، حتىٰ إبراهيم الخليل وموسىٰ الكلِيم، ويَتَوَسَّلُ الناس إلىٰ آدم فمن بعده من المُرْسَلين، فكلٌّ يَحِيدُ عنها، ويقول: لسْتُ بصاحبها، حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ سيد ولد آدم في الدُّنيا والآخرة محمد ﷺ، فيقول: «**أنا لها، أنا لها**»، فيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أنْ يأتِيَ لفصل القضاء بين الخلق، ويُريحَهم مما هم فيه، ويُمَيِّزَ بين مؤمنهم وكافرهم، بمجازاة المؤمنين بالجنَّة، والكافرين بالنار».

أحاديث الشفاعة العظمىٰ متواترة، رواها العدد الكثير من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٠٠هـ)**[٣]: «روىٰ حديث الشفاعة بطوله: أبو بكر الصديق، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٥٥) باختصار.

(٢) البداية والنهاية (٢٠/ ١٨٦، ١٨٧).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٦٦، ١٦٧).

الخطاب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسىٰ عبد الله بن قيس، وأبو هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنه ﷺ يوم القيامة يتوسَّل الناس بشفاعته، وهذا حق كما تواترت به الأحاديث».

وقال العلامة محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٨هـ)**[2]: «الشفاعة العظمىٰ التي يشفع فيها لأهل الموقف حتىٰ يُقْضَىٰ بينهم بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع، آدم إلىٰ نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام، وهي المقام المحمود، وقد وردت من حديث: الصِّدِّيق الأعظم، وأنس، وأبي هريرة، وابن عبَّاس، وابن عمر، وحذيفة، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد الخدري، وسلمان الفارسيِّ، هؤلاء ورد أمر الشَّفاعة في أحاديثهم مُطَوَّلًا، وورد مُخْتَصَرًا من حديث أُبَيِّ بن كَعْبٍ، وعبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن سَلام، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

طوائف المبتدعة الذين كذَّبوا بالشفاعة هم من الخوارج والمعتزلة فهم من أنكر الشفاعة في خروج عصاة الموحِّدين من النار، وفيمن استحق دخول النار منهم أن لا يدخلها، أما الشفاعة العظمىٰ فلا ينكرها أحد من أهل القبلة، والله أعلم.

قال العلامة محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٨هـ)**[3]: «الشفاعة العظمىٰ مُجْمَعٌ عليها، لم يُنْكِرْها أحد ممن يقول بالحشرِ».

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٩٩).

(٢) لوامع الأنوار (٣/ ١٣٦).

(٣) لوامع الأنوار (٣/ ١٤٦).

وأهل السُّنَّة والجماعة يقولون بمقتضىٰ هذه الأحاديث، ويثبتون الشفاعة للنبي ﷺ في أهل الموقف أن يُقضىٰ بينهم.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٠٠هـ)**(١): «يعتقد أهل السُّنَّة ويؤمنون أنَّ النبيَّ ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة».

أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، ومع هذا كذَّب بها المبتدعة، ولم يؤمنوا بها، وهذا من شقائهم؛ فإنَّ الشفاعة إحسان إلىٰ المؤمنين.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كل هذا - أحاديث الشفاعة - يُكذِّب به جميع طوائف أهل البدع: الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، وسائر الفرق المبتدعة، وأمَّا أهل السُّنَّة: أئمَّة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله، ويصدِّقونه، وهم أهل الحق».

مقامات النبي ﷺ في الدار الآخرة كلها محمودة، وأعظمها وأفضلها ما اختُصَّ به دون سائر الخلق جميعًا، وهو الشفاعة في أهل الموقف أن يُقضىٰ بينهم، والشفاعة في أهل الجنَّة أنْ يدخلوها.

قال تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أجمع المفسرون أنَّ هذا مقام الشفاعة، وقد ثبت هذا عن النبي ﷺ، وفي رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قرأ قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: «**هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي**»».

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٦٤).

(٢) التمهيد (١٩/ ٧٠).

(٣) تفسير القرآن (٣/ ٢٦٩).

وقال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المقام المحمود هو المقام الذي يحمده فيه الأوَّلون والآخرون، مقام الشفاعة العظمىٰ، حين يستشفع الخلائق بآدم ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، وكلهم يعتذر ويتأخَّر عنها، حتىٰ يستشفعوا بسيِّد ولد آدم ليرحمهم الله من همِّ الموقف وكربِهِ، فيشفع عند ربِّه، فيشفِّعه ويقيمه مقامًا يغبطه به الأوَّلون والآخرون، وتكون له المنَّة علىٰ جميع الخلق».

وقد أجمل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مقامات النبي** ﷺ **العظيمة الكثيرة المحمودة في الدار الآخرة فقال**[٢]: «لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، فهو أول من تنشق عنه الأرض ويُبعث راكبًا إلىٰ المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه، وله الشفاعة العظمىٰ عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق، وذلك بعدما تسأل الناس آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسىٰ ثم عيسىٰ، فكل يقول: لست لها، حتىٰ يأتوا إلىٰ محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها، أنا لها**»، كما سنذكر ذلك مفصلًا في هذا الموضع إن شاء الله تعالىٰ.

ومن ذلك أنَّه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلىٰ النار فيُردُّون عنها، وهو أول الأنبياء يقضىٰ بين أُمَّته، وأولهم إجازة علىٰ الصراط بأُمَّته، وهو أول شفيع في الجنَّة كما ثبت في «صحيح مسلم»، وفي حديث الصور: أنَّ المؤمنين كلهم لا يدخلون الجَنَّة إلا بشفاعته، وهو أول داخل إليها، وأُمَّته قبل الأمم كلهم،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٥٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٠٤، ١٠٥) ط: ابن الجوزي.

ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلىٰ منزلة في الجَنَّة لا تليق إلا له، وإذا أذن الله تعالىٰ في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدَّتهم إلا الله تعالىٰ، ولا يشفع أحد مثله، ولا يساويه في ذلك».

علَّم النبيُّ ﷺ أُمَّته كل شيء، ومن أهم ما علَّمهم الأسباب التي تنال بها الشفاعة، وهي توحيد الله عَزَّوَجَلَّ والأعمال التي هي من حقائق التوحيد.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال النبي** ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنَّه من صلَّىٰ عليَّ مرَّة صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنَّها درجة في الجنَّة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أنْ أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**» رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ طلبه من أمته الدعاء ليس هو طلب حاجة من المخلوق، بل هو تعليم لأمته ما ينتفعون به في دينهم، وبسبب ذلك التعليم والعمل بما علَّمهم يعظم الله أجره، فإنَّا إذا صلينا عليه مرة صلىٰ الله علينا عشرًا، وإذا سألنا الله له الوسيلة؛ حلت علينا شفاعته يوم القيامة.

وكل ثواب يحصل لنا علىٰ أعمالنا فله مثل أجرنا من غير أنْ ينقص من أجرنا شيء؛ فإنَّه ﷺ قال: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»».

فالحاصل أنَّ الشفاعة بأنواعها الخاصَّة والعامَّة؛ حق، دلَّ علىٰ ثبوتها

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٢١).

القرآن، ومتواتر السُّنَّة، والإجماع، ولا ينكر الشفاعة إلا ضال مضل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة متَّفقون علىٰ ما اتَّفق عليه الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -، واستفاضت به السنن، من أنَّه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمَّته، ويشفع أيضًا لعموم الخلق.

فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره؛ فإنّه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ، وله من الفضائل التي ميَّزه الله بها علىٰ سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده».

❁ ❁ ❁

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٠٥).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> ويحاسبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الشَّرح:

الحساب حق لا ريب فيه، وذلك أن الله لم يخلق خلقه عبثًا، ولم يكتب لهم الخلود في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥،١١٦].

وفي الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، أنه قال: «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها**»، رواه مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢،٩٣].

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن الله عَزَّوَجَلَّ يسأل العباد عن كلِّ قليل وكثير في الموقف، وعن كلِّ ما اجترموا؛ ليسأل الصادقين عن صدقهم».

والحساب يوم القيامة بالعدل، قال تعالىٰ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حاكم العدل لا يجور، وإنما يجازي بالعدل».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، فالله عَزَّوَجَلَّ يقبل القليل من العمل ويضاعف

---

(١) الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة، (ص٢٢٥).

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب (١/ ١٣٥).

حسناته، ويغفر كلَّ الزلل لمن تاب منه.

ومن العدل في الحساب يوم القيامة أن يقيم الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان حسيبًا علىٰ نفسه، قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «عدل الله عليك من جعلك حسيب نفسك».

حساب المؤمنين أنواع بحسب تحقُّقهم بإخلاص التوحيد، والإتيان بشعب الإيمان، والمسارعة في الخيرات؛ فأكمل الناس توحيدًا يدخلون الجنة بغير حساب، والسابقون للخيرات تعرض أعمالهم، والظالمون لأنفسهم يناقش حسابهم.

وأما الكافرون فإنهم يُعرفون بسيماهم، فيؤمر بهم إلىٰ النار، لا يُسألون عن ذنوبهم سؤال استعلام، وإنما يُسألون سؤال توبيخ وتقريع، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، أي: يوم القيامة، فإن قال قائل: قد قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وأمثال هذا من الآيات، وهاهنا قال: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، فكيف وجه التوفيق بين الآيتين؟ والجواب: إنَّا بينَّا أن في القيامة مواقف، ففي موقفٍ يُسألون، وفي موقف لا يُسألون.

ويقال: لا يُسألون سؤال استعلام، وإنما يُسألون علىٰ معنىٰ إظهار قبائحهم

(١) رموز الكنوز (٤/ ١٣٩).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ١٥٧).

ليفتضحوا علىٰ رؤوس الجميع.

وعن قتادة قال: الكافر لا يُحاسب، بل يؤمر به إلىٰ النار من غير حساب ولا سؤال.

وقال بعضهم: ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لأنهم يُعرفون بسيماهم، قال الله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة مَن توزن حسناتهم وسيئاتهم؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالهم فتحصىٰ، فيوقفون عليها، ويُقرَّرون بها».

وقال شيخ الإسلام في صفة حساب الكافر[٢]: «أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنىٰ الأول؛ فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار. وإن أريد المعنىٰ الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقىٰ لهم حسنات يستحقون بها الجنة؛ فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قَلَّتْ سيئاته، ومن كان له حسنات خُفِّف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخفُّ عذابًا من أبي لَهَب.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، والنار دَرَكَات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابًا من بعض - لكثرة سيئاته، وقلَّة

(١) العقيدة الواسطية، (ص٤٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٠٥ - ٣٠٦).

حسناته - كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة».

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أصناف الناس وأحوالهم في الدار الآخرة، وصفة حسابهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

فذكر الله عَزَّوَجَلَّ عاقبة الناس بحسب سعيهم في الدنيا، فالمؤمنون سعوا في فكاك رقابهم من النار، وحقَّقوا الإيمان بالأعمال الصالحة التي كانت سببًا في يسر حسابهم ودخولهم الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩]، فالمؤمنون هم أصحاب اليمين.

والكافر الذي أوتي كتابه وراء ظهره؛ كان كافرًا بالآخرة والحساب، فكان كفره سببَ خلوده في النار: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، وهذا حال كثير من كفرة زماننا هذا؛ فنوا بمتاع الدنيا عن العمل للآخرة.

هذه القسمة الثنائية لكل الخلق، دلَّ عليها أيضًا حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**»، رواه مسلم.

فالناس صنفان: مؤمنون وكافرون، والمؤمنون درجات عند الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والعمل الصالح.

أصناف الناس ثلاثة يوم الحساب، قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ٧-١٢].

قال شيخ المفسِّرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة، يقول - جل ثناؤه -: وكنتم أزواجًا ثلاثة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون؛ فجعل الخبر عنهم مغنيًا عن البيان عنهم - علىٰ الوجه الذي ذكرنا - لدلالة الكلام علىٰ معناه، فقال: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] يعجب نبيه محمدًا منهم، وقال: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلىٰ الجنة، أي شيء أصحاب اليمين!

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٩]، يقول - تعالىٰ ذكره -: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلىٰ النار، والعرب تسمي اليد اليسرىٰ: الشؤمىٰ، ومنه قول أعشىٰ بني ثعلبة:

فأنحىٰ علىٰ شؤمىٰ يديه فذادها ... بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما

وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، وهم الزوج الثالث، وهم الذين سبقوا إلىٰ الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأوَّلون»[(٢)].

فالكافرون هم أصحاب الشمال، أصحاب المشأمة، يؤتون كتبهم بشمائلهم، وتلوىٰ إلىٰ وراء ظهورهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [البلد: ١٩، ٢٠].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أنه – الكافر - يؤتىٰ كتابه بالشمال، ولكن تلوىٰ يده حتىٰ تكون من وراء ظهره؛ إشارة إلىٰ أنه نبذ كتاب الله

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٢) هم سادات السابقين، والآية عامة تشمل كل من استبق الخيرات وكان من السابقين المبادرين إلىٰ الطاعات.

(٣) تفسير جزء عم، (ص١١٤).

وراء ظهره؛ فيكون الأخذ بالشمال، ثم تلوىٰ يده إلىٰ الخلف إشارةً إلىٰ أنه قد ولىٰ ظهره كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولم يبال به، ولم يرفع به رأسًا، ولم ير بمخالفته بأسًا».

وقد ذكر الله تعالىٰ أقسام المؤمنين في يوم الدين، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

فكلُّ المؤمنين يدخلون الجنة، أكملهم من سبق المؤمنين إلىٰ دخولها، ولم يلحقه عذاب، وعصاة المؤمنين منهم من يدخل الجنة بعد أن يدخل النار ويُنقَّىٰ من ذنوبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه».

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «القول المشهور: أن الظالم لنفسه من المؤمنين، وعلىٰ هذا يستقيم نسق الآية».

وقال الإمام جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ هذه الآية؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق، ثم قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]».

المسلمون باعتبار الحساب يوم القيامة ثلاثة أصناف:

الأول: من يدخل الجنة بلا حساب، وهؤلاء هم صفوة الموحِّدين، وأكمل

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٥/ ٣١٤).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ٣٥٨).

(٣) تفسير القرآن (٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠).

الناس إيمانًا، الذين لا يسترقون وعلىٰ ربهم يتوكلون، وهم سبعون ألفًا، كما جاء في «الصحيحين» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد ورد مرفوعًا من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن «**مع كل ألف سبعين ألفًا**»[١].

وورد مرفوعًا - أيضًا - أن «**مع كل واحد أو رجل سبعين ألفًا**»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «هذا يحتمل أن يكون مع كل واحد من الألوف، ويحتمل أن يكون مع كلِّ واحد من الآحاد، وهو أشمل وأكثر».

الثاني: من يحاسب حساب عرضٍ، وهؤلاء هم أولياء الله المتقون، تُعرض أعمالهم مجرد عرض بلا نقاش، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**»، متفق عليه.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «معنىٰ قول النبي ﷺ: «**من نوقش الحساب عذب**»، النقش: هو الاستقصاء، حتىٰ لا يترك منه شيء. ثم قال سفيان: أبشروا، فإنه ما استقصىٰ كريم قط».

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٨٠)، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٥)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٢٩) من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٨)، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجوَّد إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤١١).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٦/ ٤١٧)، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٠٠).

(٣) البداية والنهاية (٢٠/ ٦٢).

(٤) سنن الصالحين (٢/ ٨٥٣).

الثالث: من يحاسب حساب المناقشة، فيحاسب حسابًا شديدًا، ويدخل النار، ثم يدخل الجنة بعد ذلك.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السابق هو الذي لا يحاسب أصلًا يوم القيامة، والمقتصد هو الذي يحاسب حسابًا يسيرًا ويدخل الجنة، والظالم هو الذي يحاسب حسابًا شديدًا ويدخل النار، ثم ينجو.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**»، فلما انصرف قلتُ: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك**»[(١)].

والله عَزَّوَجَلَّ يجازي بالإحسان إحسانًا، فمن أحسن في دنياه أحسن الله إليه في دنياه وبرزخه وآخرته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إن جزاءهم من جنس أعمالهم، فكما أخذوا ما أمرهم به في الدنيا، وقابلوه بالرضا والتسليم وانشراح الصدر، أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك.

ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلىٰ ذلك، وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له، والقيام بحقوقه وحقوق عباده، ثم ذكر ليلهم وأنهم قليل هجوعهم منه».

والويل والوعيد والعذاب الشديد لمن ضلَّ عن الهدىٰ، وكَفَر بالله، وسعىٰ

---

(١) رواه أحمد، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (صحيح علىٰ شرط مسلم)، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥١٨).

(٢) بدائع التفسير (٣/ ٣٥).

في العمل الباطل، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١١- ١٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذكر أعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها، وهي الخوض الذي هو كلامٌ باطل، واللعب الذي هو سعيٌ ضائع؛ فلا علم نافع ولا عمل صالح».

❁ ❁ ❁

(١) بدائع التفسير (٣/ ٥٥).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

الشَّرح:

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الميزان بعد الحساب؛ لأن الوزن يكون بعد الحساب في الدار الآخرة.

وهو ميزان حقيقي له كفتان، يوزن فيه الخلق وأعمالهم وصحائف أعمالهم، والأدلة على ثبوت الميزان: القرآن، ومتواتر السنَّة، والإجماع.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، رواه

البخاري ومسلم.

وعن **أبي مالك الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**الحمد لله تثقل الميزان**»، رواه مسلم.

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الصحيحة الدالة علىٰ أن الميزان حق.

قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الأخبار التي في ذكر الميزان أخبار كثيرة، صحاح، لا تذهبُ عن أهل المعرفة بالأخبار؛ لكثرتها وصحتها وشهرتها، وهي من الأخبار التي توجب العلم».

وقال العلامة محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في أحاديث الميزان(٢): «قد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر».

وأجمعت الأمة علىٰ إثبات الميزان، والإيمان به حقيقة، قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان(٣): «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا، وكان من مذهبهم: الميزان حق، الذي له كفتان، يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق».

والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد جملة من أحاديث الميزان، قال(٤): «قد أجمعت علىٰ معناها الأمة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ(٥): «قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ

---

(١) السنة (٢/ ٣٦٣).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٧).

(٤) منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة، (ص١١٨).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥)، المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٢٠٣).

﴿ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]؛ فهو في كتاب الله، فمن ردَّ علىٰ النبي ﷺ ردَّ علىٰ الله سبحانه».

وقال أبو عبد الله عبيد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن الإيمان بالميزان واجب لازم».

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إثبات ميزان الآخرة مذهب الفرقة الناجية القاهرة، ومن خالفهم رُمي بمخالفة الشريعة، ونُبز بالبدعة الشنيعة».

والوزن يكون بعد الحساب، قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، يكون الجزاء بحسبها(٣).

وتأولت المعتزلة الميزانَ علىٰ أنه العدل والقضاء(٤)، وأنه مجرد مثل، توهمًا منهم أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن! كذا قالوا.

والذي لا مرية فيه أن الميزان حقيقي، وأن الوزن حقيقي، فهناك ميزان تُوزن فيه الأعمال وصحائفها، ويثقل وترجح أحد كفتيه.

وكذلك العبد يُوزن، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «**اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥]». متفق عليه.

---

(١) الشرح والإبانة، (ص٢٢٣).

(٢) منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة، (ص١٣٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٤٧٢).

(٤) منهاج السلامة، (ص١٢٧).

وأخبر النبي ﷺ أن ساقي عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثقل في الميزان من أُحُد(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «فأما الميزان الموضوع يوم القيامة فقد **تواترت** بذكره الأحاديث كما رأيت، وهو ظاهر القرآن العظيم: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩]، وهذا إنما يكون لشيء محسوس».

وقال الحافظ ابنُ كثير مبطلًا اعتراض المعتزلة(٣): «إن العمل نفسه وإن كان عرضًا قد قام بالفاعل، يُحيلُه الله تعالىٰ يوم القيامة، فيجعله ذاتًا تُوضع في الميزان».

والنصوص السابقة التي ذكرتها دلَّت علىٰ وزن الأعمال، ووزن العامل، وجاءت نصوص أخرىٰ تدل علىٰ وزن صحائف الأعمال.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ سيُخلِّصُ رجلًا مِن أمَّتي علىٰ رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، فينشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجِلًّا، كلُّ سِجلٍّ مدُّ البصرِ، ثمَّ يقولُ له: أتُنكِرُ شيئًا مِن هذا؟ أظلَمك كتَبتي الحافظون؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أفلك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فيُبهَتُ الرَّجلُ ويقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلىٰ، إنَّ لك عندنا حسنةً، وإنَّه لا ظُلْمَ عليك اليومَ. فيُخرِجُ له بطاقةً فيها: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: احضُرْ وزنَك، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلَّاتِ؟ فيقولُ: إنَّك لا تُظلَمُ. قال: فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ؛ فطاشت السِّجلَّاتُ، وثقُلَتِ البطاقةُ**»(٤).

---

(١) رواه أحمد، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (إسناده جيد قوي)، البداية والنهاية (١٩/ ٥٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٥١٤).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٥٠٢).

(٤) رواه أحمد وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (١/ ٢٢٤)، وجوَّده ابن ناصر الدين الدمشقي في «منهاج السلامة» (ص٥١)، وصححه مرعي الكرمي الحنبلي في «تحقيق البرهان» (ص٦٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «تقدم ما يدل علىٰ الأول - وزن العمل -، وعلىٰ الثاني - وزن كتب الأعمال - وعلىٰ أن العامل نفسه يوزن مع عمله».

والأحاديث النبوية تدل علىٰ أن الميزان واحد، والقرآن ورد بذكر موازين متعددة، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث مفردًا، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون».

وذكر بعض العلماء في صفة الميزان أن له لسانًا، وليس في ذلك شيء مرفوع عن النبي ﷺ، وإنما هي آثار عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يصح(٣)، وأما أثر الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو حسن(٤).

قال عبد الملك بن أبي سفيان: ذُكر الميزان عند الحسن، فقال: «له لسان وكفتان»(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦):

أفمـا تُصـدِّقُ أنَّ أعمـالَ العبـا ... دِ تُحَـطُّ يـومَ العـرضِ في الميـزانِ
وكـذاكَ تثقـلُ تـارةً وتخـفُّ أخـ ... ـرىٰ ذاكَ في القـرآنِ ذو تبيـانِ

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٥١٤).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد، (ص١٢١).

(٣) منهاج السلامة، (ص١٠٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥)، ومنهاج السلامة، (ص١٠٤).

(٥) رُوي من طريق علي بن حرب ثنا الأسود بن عامر، ثنا هريم، عن عبد الملك بن أبي سفيان، قال: ذُكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان، وكفتان. شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦/ ١٢٤٥- رقم ٢٢١٠)، ومنهاج السلامة (ص١٠٤).

(٦) النونية بشرح ابن عيسىٰ (٢/ ٥٩٣).

وَلَـــهُ لِسَـــانٌ كِفَّتَـــاهُ تُقِيمُـــهُ وَالكِفَّتَـــانِ إِلَيـــهِ نَاظِرَتَـــانِ
مَـا ذَاكَ أَمـرًا مَعنَوِيًّـا بَـل هُـوَ الـ ـمَحسُوسُ حَقًّـا عِنـدَ ذِي الإِيمَـانِ

وقال العلامة **محمد بن أحمد السفاريني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد دلت الآثار علىٰ أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان».

❁ ❁ ❁

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٥).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

> ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلىٰ من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

﴿ الشَّرح:

الحوض مورد عذب، أول كرامات الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين يوم القيامة.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الحوض مخلوق موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «**إني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن**»».

وتحدث الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن واقعه، فقال[(٢)]: «الحوض في موقف القيامة قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا علىٰ أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط».

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «المعنىٰ يقتضيه، فإن الناس يخرجون عِطاشًا من قبورهم كما تقدم؛ فيُقدم قبل الصراط والميزان».

والعلم بالحوض واعتقاد ثبوته ووجوده من علم العامة، يعرفه الخاص والعام، وما كان يجهله العجائز ولا العامة فضلًا عن العلماء.

قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٤)]: «قد تركت بعدي عجائز، ما تُصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربَّها أن يوردها حوض محمد ﷺ».

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد، (ص٨١).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٦).

(٣) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، (ص٢٦٢).

(٤) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٦/ ٩٦ - رقم ٦٠٠)، والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ٨٧).

الحوض مادته من الكوثر، وهو نهر في الجنة، له ميزابان يمدان الحوض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

والأحاديث الواردة في صفة الحوض كثيرة متواترة، ومما ورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِن أَيْلَةَ مِن عَدَنٍ، لَهو أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ باللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِن عَدَدِ النُّجُومِ، وإنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْه كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا يومَئذٍ؟ قالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن أَثَرِ الوُضُوءِ**». رواه مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(١): «تلخص من مجموع الأحاديث المتواترة صفة هذا الحوض العظيم، والمورد الكريم، من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الإشباع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه ينبت في حال من المسك، ورضراض من اللؤلؤ، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه».

ويُذاد عن الحوض من كذَّب به، وهم الخوارج وطوائف من المعتزلة والملاحدة.

قال أبو بَرزَة الأسلمي رضي الله عنه: «من كذَّب به فلا سقاه الله منه»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٣): «أَخْلِق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كَذَّب بكرامةٍ لم ينلها».

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٤٦٦).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الحوض (رقم ٤٧٤٩).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٣).

وقول **النبي** ﷺ: «**سُحقًا لمن بدل بعدي**» يدل على أن المُبدِّل المرتد يُذاد عن الحوض.

قال شريك بن عبد الله القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المذودين عن الحوض**[١]: «أهل الرِّدة».

وقال العلامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «المبتدعون الذين بدَّلوا سنَّتَهُ وأحلوا محلَّها بدعتهم؛ فإنه ﷺ يُبعدهم عنه بقوله: «**فسحقًا، فسحقًا، فسحقًا**»».

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ واسط، (ص٢٦٠).

(٢) ابن باديس حياته وآثاره (٢/ ٣١٥).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:**

والصراط حقٌّ يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

❁ الشَّرح:

الصراط جسر منصوب علىٰ جهنم، أدَقُّ من الشعرة وأحَدُّ من السيف.

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الصراط هو الطريق، وسمي الصراط طريقًا لأنه يُعْبر منه إلىٰ الجنة، يمر علىٰ وسط النار حتىٰ ينتهي إلىٰ الجنة، ولا يمر إلىٰ الجنة إلا منه».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**وَيُضْرَبُ الصِّراطُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أنَا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجِيزُ، ولا يَتَكَلَّمُ يومَئذٍ إلَّا الرُّسُلُ، ودَعْوَىٰ الرُّسُلِ يومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، هلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدانَ؟ قالوا: نَعَمْ يا رَسولَ اللهِ، قَالَ: فإنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ ما قَدْرُ عِظَمِها إلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بأَعْمالِهِمْ**» رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ... ثم يؤتىٰ بجهنم تعرض كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا... ثم يضرب الجسر**» قلنا: وما الجسر يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا؟ قال: «**دحض مزلة له كلاليب وخطاطيف وحسكة،**

(١) شرح العقيدة الواسطية، (ص١٥٧).

تكون بنجد يقال لها: عقيفا، يقال لها: السعدان؛ فيمر المؤمنون كلمح البرق وكالطرف وكالريح وكالطير وكأجود الخيل والراكب؛ فناجٍ مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوش في نار جهنم، فوالذي نفسي بيده ما أحد بأشد مناشدة في الحق يراه مضيًّا له من المؤمنين في إخوانهم».

الصراط مزلة مدحضة، كلاليبه تخطف الكافرين، أي تأخذهم سريعًا إلىٰ جهنم؛ فهم أولىٰ بها، لا يجاوزون الصراط إلىٰ الجنة.

وكذلك المنافقون يُحال بينهم وبين الجنة، وينتهي بهم سيرهم في المحشر إلىٰ النار، وبئس المصير.

ويجوز الناس الصراطَ بحسب سَيرهم علىٰ الصراط في الدنيا، فمن سبق بالخيرات واتبع صراطَ الله المستقيم، ولازم السير عليه مجتنبًا البدع والمحدثات وأنواع الضلالات؛ سار آمنًا علىٰ صراط الآخرة، ومرَّ مرور البرق، ومن تثاقل عن الطاعات واتبع الشهوات؛ تخطفته كلاليب الصراط.

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد حُف به كلاليب، هو مثل السير علىٰ الصراط المعنوي، وهي شبه التردد والتثاقل والسير بالهوينىٰ، فكما أن الكلاليب في هذا الصراط المعنوي في الدنيا من الشبهات والشهوات تخطفهم، فتلك الكلاليب تخطف الناس علىٰ قدر ما تخطفهم الشبهات والشهوات في تلك الأعمال وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدنيا خطفتهم في الآخرة، ومن خطف سقط في جهنم».

وكل مخلوق لابد له من ورود الصراط، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، (ص١٥٨).

رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فيه بيان نعمة الله علىٰ المتقين: أنهم مع الورود والعبور عليها وسقوط غيرهم نجوا منها».

والورود يأتي بمعنىٰ الحضور والرؤية دون الدخول، قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد يذكر الورود بمعنىٰ الحضور، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، أي: حضر».

ومن السلف من فسَّر الورود في الآية بورود النار، فيجعلها الله بردًا وسلامًا علىٰ المؤمنين، وينجيهم منها؛ فتكون معاينتهم لها إظهارًا لفضل الله عليهم بنجاتهم منها، ومرور الناجين علىٰ الصراط هو معنىٰ ورودهم النار.

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم علىٰ الصراط المنصوب علىٰ متن جهنم».

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «الوارد في النار يمرون فوقها علىٰ الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًّا».

فالمرور علىٰ الصراط هو من معنىٰ ورود النار، لأنَّ الصراط منصوب علىٰ متنها.

ومن العلماء من قال: إن ورود النار لا يستلزم دخولها، قال العلامة ابن أبي العز

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٤/ ٢٩٠).

(٢) تفسير القرآن (٣/ ٣٠٧).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٦٠١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٤٧١).

الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا﴾ [هود: ٩٤]. ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصَّهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك».

وقد فسَّر حَبْرا الأمة وساداتها في التفسير ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الورود بدخول النار[٢].

ومن العلماء من جعل دخول النار خاصًّا بالكافرين، وهذا قول عكرمة وسعيد بن جبير[٣]، وهو مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

وقال أبو سمية[٥]: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، فلقيت جابر بن عبد الله، فذكرت له، فقال وأهوىٰ بأصبعيه إلىٰ أذنيه: صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الورود الدخول، لا يبقىٰ برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون علىٰ المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت علىٰ إبراهيم**»، حتىٰ قال: «**إن للنار** - أو قال: **جهنم** - **ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذي اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًّا**»، رواه أحمد.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧١).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٥/ ٥٩٤).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٣٠٧).

(٤) رموز الكنوز (٤/ ٤٥١).

(٥) أبو سُمَيَّة، مشهور بكنيته. الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنىٰ (٣/ ١٥٨٤).

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وبقوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، والمؤمنون آمنون من الخزي؟ قلت: لا يلزم من ورود النار علىٰ الوجه الذي ذكرناه سماع حسيسها، ولا الدخول، ذلك يكون إذا دخلها دخول تعذيب وخلود، لا دخول ورود».

والذي يدلُّ لقول ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الورود هو دخول النار؛ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسَّه النار إلا تحلة القسم**»، قال الزهري: «كأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]» رواه أبو داود الطيالسي.

ومجموع ما ورد من الأخبار فيمن يدخل النار يدلُّ علىٰ أن عصاة الموحدين إذا دخلوا النار عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم، ثم يحييهم الله في نهر الحياة، ثم يدخلون الجنَّةَ بعد ذلك، وهؤلاء هم «الجهنميون».

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ [مريم: ٧١]، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورود المسلمين المرور علىٰ الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها»، رواه الطبري.

يُساق الناس إلىٰ الصراط، فإذا انتهىٰ المنافقون إلىٰ الصراط طفئ نورهم، وأشفق المؤمنون أن يطفأ نورهم، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]،

---

(١) رموز الكنوز (٤/ ٤٥٣).

ويبشرهم الله بالطمأنينة والجنة(١).

قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

فالصراط المنصوب علىٰ جهنم الإيمان به يقين، دلَّ علىٰ ذلك القرآن والسنَّة والآثار عن الصحابة والتابعين، وهو مما أجمعت عليه الأمَّة، لا يُكذِّب به إلا كافر مشاقٌّ للمؤمنين غير متبع لسبيلهم.

قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهما الله(٢): «أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا - فكان من مذهبهم: الصراط حق».

وقال العلامة حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «قد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوىٰ من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور علىٰ ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها، ولو بالإصرار علىٰ صغيرة؛ فخالفوا الكتاب والسنَّة والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة».

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨ - ١٩٩).

(٣) معارج القبول (٢/ ٨٥٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا فيدخلون الجنة بشفاعته.
ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

الشَّرْح:

الشفاعة لغة تدل على مقارنة الشيئين، من ذلك: الشفع خلاف الوتر(١).

والشفاعة في الاصطلاح: التوسط في أمر، فيترتب عليه خير من دفع ضر أو جلب نفع(٢).

والشفاعة ثابتة بالكتاب، ومتواتر السنة، والإجماع.

أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وَأَمَّا الأحاديث فَسَيَأتي ذكر بَعْضِهَا، وَهِي كَثِيرَةٌ جدًّا بَلَغت حَدَّالتوَاتُر(٣)، قَالَ الْحَافِظ الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «هى مِنَ الْمُتَوَاتِر الْقَطعى».

والشفاعة نَوعَانِ: عَامَّة، وَخَاصَّة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١).

(٢) محاسن التأويل (٥/ ١٤١٩).

(٣) ساق الحافظ الذهبي وحده في كتابه (إثبات الشفاعة) أحاديث ثلاثة وعشرين صحابيًّا، وقد جمع محدث اليمن العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الشفاعة) الأحاديث فيه بما لم يسبق إليه، جاوز مجموعها المائتين.

(٤) إثبات الشفاعة، (ص٢٠).

أَمَّا الْعَامَّة فَهِى فيمَن اسْتَحَقَّ دخولَ النَّارِ أَنْ لا يَدْخُلَهَا[١]، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أن يخرج مِنْهَا، وَهِي عَامَّةٌ لكلٍّ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمَلائِكَةِ وَالشُّهَدَاءِ وَالْمُؤمِنِينَ.

عن أبى سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبى ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار، فيُخرِج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا**»[٢].

وأما الشفاعة الخاصة فهى التى لا يشارك فيها أحد نبينا محمدًا ﷺ، وهى أنواع:

١ - **الشفاعة العظمىٰ**: وهو أن يشفع النبى ﷺ في أهل الموقف في أن يقضىٰ بينهم، بعد أن يعتذر جميع الأنبياء عليهم السلام[٣]، وهذا هو المقام المحمود الذي يبعثه الله لنبينا، صلوات الله وسلامه عليه.

فائدة: قال أبو بكر عبد العزيز بن غلام الخلال[٤]: «سمعت بعض شيوخنا يقول: إنما امتنع سائر الأنبياء من الشفاعة؛ لأنهم عوتبوا قبل الغفران، فأحجمهم عن ذلك الهجوم عليه، ونبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ غُفر له قبل العتاب».

٢ - الشفاعة لأهل الجنة في أن يدخلوا الجنة:

(١) قال الدكتور عبد العزيز الشهوان محقِّق كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٩٠) معلقًا علىٰ هذا التقسيم؛ ما نصُّه: (لم أقف إلىٰ الآن علىٰ حديث يدل عليه).

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه قد يستدل عليها بقول الرسول ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه»؛ فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك). القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٣٣٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ (١٣/ ٤٢٠ - رقم ٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧ - رقم ٣٠٢) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٧١ - رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤ - رقم ٣٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) بدائع الفوائد (٤/ ٢١٦).

فعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ لا أفتح لأحد قبلك**»(١).

٣ - شفاعته ﷺ في عمِّه أبي طالب:

أبو طالب مات كافرًا، علىٰ ملَّة عبد المطلب، والكفار لا تنفعهم الشفاعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، والنبي ﷺ قد شفع في عمِّه؛ لنصرته له، فلم تنفعه شفاعته كاملة، فلم تُخرجه من النار، ولكنها خفَّفَت عنه العذابَ، وليس ذاك لأحد سوىٰ رسول الله ﷺ.

وقد قال العباس بن عبد المطلب للنبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؛ قال: «**نعم، هو في ضحضاح، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٢).

والناس في الدار الآخرة مقامات، وأعظمهم مقامًا نبينا ﷺ؛ لذلك فهو صاحب المقام المحمود، ثم يتفاوت الناس بعد ذلك في شفاعاتهم تبعًا لمقاماتهم.

فعن أبي سعيد الخدري ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتىٰ يدخلوا الجنة**»(٣).

وقد أنكر الخوارج والمعتزلة والزيدية الشفاعة لأهل الذنوب، وقالوا: من

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة» (١/ ١٨٨ - رقم ٣٣٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (١/ ١٩٤ - رقم ٣٥٧).

(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة (٤/ ٦٧٢ - رقم ٢٤٤٠).

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الشفاعة» (ص١٦٨): هذا حديث حسن.

يدخل النار لا يخرج منها، لا بشفاعة، ولا غيرها.

وعند هؤلاء ما ثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب(١).

واحتجَّ هؤلاء المنكرون للشفاعة بالنصوص التى فيها نفى الشفاعة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وجواب أهل السنَّة أن الشفاعة المنفية يراد بها شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ومفهوم المخالفة أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين، كما نبَّه علىٰ هذا الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

قال طلق بن حبيب: «كنت أشد الناس تكذيبًا بالشفاعة، حتىٰ لقيت جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقرأت عليه كلَّ آية أقدر عليها فيها ذكر خلود النار، فقال لي: أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بالسنَّة مني؟ قلت: لا، قال: فإن الذي قرأتَ هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبًا، فعُذِّبوا ثم أخرجوا من النار.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام، (ص١٠ - ١١).
(٢) شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٥١).

وأومأ بيده إلىٰ أذنيه، فقال: صُمَّتَا إذا لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ ونحن نقرأ الذي تقرؤه»[١].

والثاني: أنه يُراد بذلك نفى الشفاعة التى أثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض؛ فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع؛ لحاجته إليه رغبة ورهبة، وكما يعامل المخلوق بالمعاوضة.

فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصوِّرون تماثيلهم فيستشفعون بها، ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلىٰ الله بدعائهم وعبادتهم؛ ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلىٰ الملوك بخواصهم؛ لكونهم أقرب إلىٰ الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلىٰ إجابة شفاعته رغبة ورهبة.

فأنكر الله هذه الشفاعة، فقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]، وقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٤/ ٣٤٩ - رقم ٥٦٧١).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

محمد خاتم النبيين

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وسيد المرسلين، لا يصحُّ إيمان عبد حتىٰ يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يُقضىٰ بين الناس في القيامة إلَّا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمَّة إلا بعد دخول أمته.

صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيِّين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، أمَّتُه خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

❁ الشَّرح:

الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام رسل الله، بُعثوا بالتوحيد وبالدعوة إلىٰ عبادة الله بما شرع، قال النبي ﷺ: «**إنَّا معاشر الأنبياء ديننا واحد**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

والحواريون هم أتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأنصاره، كلهم أنصار رسلهم علىٰ الشريعة التي بُعثوا بها، هؤلاء هم أصحاب الأنبياء حقًّا، قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وهؤلاء هم الذين ورد القرآن بمدحهم والثناء عليهم، قال تعالىٰ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

قال العلامة أبو العباس القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٨٤هـ)**[(١)]: «إنَّ تعظيم الحواريين لا نزاع فيه، وأنَّهم من خواص عباد الله الذين اتَّبعوا عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يبدلوا، وكانوا معتقدين بظهور نبينا محمد ﷺ في آخر الزمان، علىٰ ما دلت عليه كتبهم، وإنَّما كفر وخالف الحادثون بعدهم».

وقد أخذ الله الميثاق علىٰ النبيين وأتباعهم أنَّه إذا بعث محمد ﷺ اتبعوه وآمنوا به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

قال عليُّ بن أبي طالب وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «لم يبعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه».

فالإيمان بالرسل جميعًا متلازم، وقد كفَّر الله من آمن ببعض الرسل دون بعض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «جعل الإيمان بهم - الرسل - متلازمًا، وكفَّر من قال: إنَّه آمن ببعض وكفر ببعض».

فالنصارىٰ واليهود اليوم الذين لا يؤمنون بخاتم النبيين والرسل محمد ﷺ

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (ص٧٦)، باختصار.

(٢) التدمرية (ص١٧١).

ولا يتبعونه؛ كفار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة من يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**»، رواه مسلم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من كان مُتَّبعًا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يُبَدَّل ولم يُنسخْ فهو علىٰ دين الإسلام، كالذين كانوا علىٰ شريعة التوراة بلا تبديل قبل مبعث المسيح عليه السلام، والذين كانوا علىٰ شريعة الإنجيل بلا تبديل قبل مبعث محمد ﷺ.

وأَمَّا من اتَّبَعَ دينًا مُبَدَّلًا، ما شرعه الله، أو دينًا منسوخًا؛ فهذا قد خرج عن دين الإسلام؛ كاليهود الذين بَدَّلُوا التَّوْرَاةَ، كَذَّبُوا المسيح عليه السلام، ثم كذَّبوا محمدًا ﷺ، والنَّصارىٰ الذين بَدَّلُوا الإنجيل، وكذَّبوا مُحَمَّدًا ﷺ.

فهؤلاء ليسوا علىٰ دين الإسلام الذين كان عليه الأنبياء، بل هم مُخَالفون لهم فيما كَذَّبُوا به من الحَقِّ، وابتدعوه من الباطل».

والمدح لصوامع وبيع أهل الكتاب إنَّما كان لمن اتَّبع التوراة والإنجيل قبل التحريف وقبل نسخهما بالإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

---

(١) الجواب الباهر في زُوَّار المقابر (ص٥٧).

قال العلامة أبو العباس القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الصوامع أمكنة الرهبان في زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالىٰ فيها علىٰ دين صحيح.

وكذلك البيعة والصلاة والمسجد، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالىٰ فيها، وبُدِّلت شرائعه، وكانت محل العصيان والطغيان، لا محل التوحيد والإيمان.

وهذه المواطن في أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها، إنَّما النزاع لما تغيَّرت أحوالها، وذهب التوحيد، وجاء التثليث، وكُذِّبت الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

ولذلك ذمَّ النبي ﷺ صوامع وبيع وكنائس أهل الكتاب بعد تحريفهم للتوراة والإنجيل ونسخهما بالإسلام؛ لأنَّ أهل الكتاب حرَّفوا التوحيد إلىٰ الشرك، وعبدوا الله بما لم يشرع من البدع.

عن عائشة أنَّ أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصُّوَر، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصَّالح أو العبد الصَّالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرار الخلق عند الله**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما اليهودية والنصرانية المتضمِّنة للمنسوخ المبدَّل، وهي التي عليها اليهود والنصارىٰ الذي كذَّبوا محمدًا ﷺ، فهذه ليست دين أحد من الأنبياء، لا موسىٰ، ولا عيسىٰ، ولا غيرهما.

فإذا قال أهل الكتاب للمسلمين: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فقد أمرهم الله أن يقولوا: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، فلا يجوز لنا اتباع

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (ص٧٤).

(٢) تفسير آيات أُشكلت (١/ ٢٨١-٢٨٥).

ما اختص به أهل التوراة والإنجيل من الشرع المنسوخ، فكيف بالمبدَّل؟! بل نتَّبع ملَّة إبراهيم، وهي عبادة الله وحده بما أمر به».

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضىٰ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين -؛ لما روىٰ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا نقول - والنبي ﷺ حيٌّ -: أفضلُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي»، فيبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فلا ينكره.

وصحَّت الرواية عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث».

وروىٰ أبو الدرداء عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علىٰ أفضل من أبي بكر**».

وهو أحقُّ خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ؛ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة علىٰ جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم علىٰ ضلالة.

ثم من بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفضله وعهد أبي بكر إليه.

ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لتقديم أهل الشورىٰ له.

ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**».

وقال ﷺ: «**الخلافة من بعدي ثلاثون سنة**»، فكان آخرها خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشَّرح:

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خير الأمة، كما قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين**

يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخير الصحابة والأمة هو أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انتدب رسول الله ﷺ في مرضه الصدِّيق للصلاة بالناس، وقال النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، وإنّ الله قد اتخذ صاحبكم خليلًا**» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله ﷺ: «**لو كنت متَّخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا**»؛ يدل علىٰ أنَّه ليس في الأرض أحد لا من الرجال ولا من النساء أفضل عنده من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر في حضرة الصحابة يوم السقيفة: «أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلىٰ رسول الله ﷺ» رواه البخاري[2].

وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **علىٰ منبر الكوفة**: «خير هذه الأمة بعد نبيِّها: أبو بكر وعمر».

وأجمع الصحابة في عهد النبي ﷺ وبموافقته علىٰ أنَّ أفضل الأمَّة الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد روىٰ البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنَّا نقول - ورسول الله ﷺ حَيٌّ -: «أفضل أمَّة النبي ﷺ بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «حكىٰ غير واحد من العلماء إجماع أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ أنَّه - الصدِّيق - أعلم الصَّحابة، فهو أعلمهم وأشجعهم وأجودهم وأدْيَنهم باتِّفاق أهل المعرفة من المسلمين».

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (رقم ٣٦٦٨).

(٣) جواب الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفتيا الحمويَّة (ص٧٩).

فضيلة أبي بكر بسابقته معلومة؛ فهو أول من أسلم من الرجال، فهو سيد السابقين الأولين وخيرهم.

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أيُّ الناس كان أول إسلامًا؟ قال: أبو بكر الصدِّيق(١).

قال أبو عبد الله عبيد الله بن بطَّة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فضَّل الله أوائل هذه الأمَّة علىٰ أواخرها، ولو لم يكن للسابقين بالإيمان فضل علىٰ المسبوقين، للحق آخر هذه الأمة أولها في الفضل».

وكما أنَّ الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سبق الأمة بإسلامه فإنه سبق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأنواع الفضائل، خصوصًا الصدقة في سبيل الله، حتىٰ قال الفاروق: «لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا»، رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وفضيلة أبي بكر بتصديقه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان تصديقه يقينيًّا فاق به الأمَّة، فالصدِّيق نعته الخاص؛ لأنّه أمكن الصحابة في هذا الوصف، لذلك عندما ارتج جبل أحد بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر وعثمان، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان**»، رواه البخاري.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقال الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو وُزن إيمان أبي بكر بالأمة لرجح بها»(٣).

قال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنّما فضلهم بشيء كان في قلبه».

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٨٩).

(٢) الإبانة (٢/ ٨٣٧).

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (ص٣٤٨-رقم ٧٩٦)، وهو أثر صحيح.

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٦٥٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الصدِّيق ليست فضيلة في مجرَّد تحرِّي الصدق، بل في أنَّه علم ما أخبر به النبيُّ ﷺ جملة وتفصيلًا، وصدَّق ذلك تصديقًا كاملًا في: العلم، والقصد، والقول والعمل».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أمَّا الصدِّيق: فهو الذي كمَّل مقام الصديقية لكمال بصيرته، حتىٰ كأنَّه قد باشر بصرُه مما أخبر به الرسول ﷺ ما باشر قلبه، فلم يبق بينه وبين إدراك البصر إلا حجاب الغيب، فهو كأنَّه ينظر إلىٰ ما أخبر به من الغيب من وراء ستوره، وهذا لكمال البصيرة».

الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول الدعاة إلىٰ الله من الصحابة، من حين أسلم قام داعيًا إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أسلم علىٰ يديه ستة أو خمسة من العشرة: عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة».

وهؤلاء السادة السابقون الأوَّلون؛ هم الذين قام بهم الإسلام.

أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان صاحب النبي ﷺ في الدعوة إلىٰ الله حين بدأ الإسلام غريبًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «كان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يخرج مع النبي ﷺ يدعو معه الكفار إلىٰ الإسلام في الموسم، ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة».

وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول خطيب في الإسلام، خرج الصحابة في أول الإسلام

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٢٧، ١٢٨).

(٣) منهاج السنة (٧/ ٢٥).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٢٦).

من دار الأرقم إلىٰ المسجد الحرام، وتفرَّق الصحابة في نواحي المسجد، وكانوا قليلين، وقام أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خطيبًا.

خصوصية الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحبة النبي ﷺ وحده في الهجرة، وكان هذا من أعظم ما نصر به الصدِّيق الإسلام، حيث كانت هذه الهجرة سببًا في ظهور الإسلام وقيام دولته، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «كانا اثنين، الله ثالثهما».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «هاجرا في سبيل الله، والعدو يطلبهما من كل وجه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «لا ريب أنَّ الفضيلة التي حصلت لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الهجرة؛ لم تحصل لغيره من الصَّحابة بالكتاب والسنة والإجماع، فتكون هذه الأفضلية ثابتة له دون عمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم من الصحابة؛ فيكون هو الإمام».

أبو بكر الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أكمل الخلق صحبةً للنبي ﷺ.

فضيلة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بصحبة النبي ﷺ؛ هي أحسن خصال الخير، صحبوه علىٰ الاتباع له فيما يبلغه عن الله، وعنه تلقَّوا علم القرآن ومعانيه، وتواصوا معه علىٰ الحق الذي بُعث به، وجاهدوا لله عليه، فصحبوه علىٰ الإيمان بالله والعمل الصَّالح.

(١) منهاج السنة (٧/ ٢٤).
(٢) منهاج السنة (٧/ ١٢٠).
(٣) منهاج السنة (٧/ ١٢١).

كان الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخصَّ الصحابة صحبة للنبي ﷺ.

قال العلماء[١]: صحب أبو بكر النبي ﷺ من حين أسلم إلىٰ أن توفي، لم يفارقه سفرًا، ولا حضرًا، إلا فيما أذن له ﷺ في الخروج فيه من حج أو غزو، وشهد معه المشاهد كلها.

وقال النبيُّ ﷺ مبيِّنًا فضل الصدِّيق وخصوصيته في الصحبة: «**إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر**» رواه البخاري ومسلم.

ومن خصوصية الصحبة للصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّه قلما يمر يوم إلا ويزوره النبي ﷺ في بيته، رواه البخاري.

ومن خصوصية الصحبة للصدِّيق أنَّ النبي ﷺ كان يسمر معه الليل، يشاوره ويذاكره في أمور المسلمين، رواه الترمذي.

ومن خصوصية الصحبة للصدِّيق أنَّه كان أحب الصحابة إلىٰ النبي ﷺ، ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**».

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان هو خليفة رسول الله ﷺ حقًّا وصدقًا، قال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو بكر الصدِّيق خليفة رسول الله ﷺ في القرآن، لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فمن سمَّاه الله صادقًا فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله[٢].

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٠).

وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذاك امرؤ سماه الله الصدِّيق، علىٰ لسان جبريل، وعلىٰ لسان محمد ﷺ، كان خليفة رسول الله ﷺ علىٰ الصلاة، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا»، رواه الحاكم(١).

وقال معاوية بن قرَّة: «ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمون أبا بكر إلا خليفة رسول الله ﷺ، وما كانوا يجتمعون علىٰ خطأ أو ضلالة»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «كانوا يسمُّونه خليفة رسول الله ﷺ، ثم انقطع هذا الاتصال اللفظي بموته. قال أبو القاسم السهيلي: «ظهر سر قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ثم انقطع هذا بموته»».

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خليفة رسول الله ﷺ، فقد عهد النبي ﷺ إليه بالخلافة من بعده، ونصَّ علىٰ ذلك نصًّا صريحًا، لأنّه أفضل الأمَّة وأولاها بالخلافة، وليجري الأمر الشَّرعي بما قضاه الله كونًا أن يكون الصدِّيق هو خليفة رسول الله ﷺ بعده، فقد قال النبي ﷺ: «**يأبىٰ الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر**» رواه البخاري ومسلم.

وجعله النبي ﷺ أميرًا علىٰ الحج في السنة التاسعة من الهجرة، قبل وفاته بعام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «إنَّ الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استخلفه النبي ﷺ علىٰ الصلاة التي هي عمود الإسلام، وعلىٰ إقامة المناسك قبل أن يحج النبي ﷺ،

---

(١) قال السيوطي: «إسناده جيد»، تاريخ الخلفاء (ص١٠٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٣٥).

(٣) منهاج السنة (٧/ ٥١٠).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٥٠٨).

فنادىٰ: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»، وأردفه بعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور. فأمَّر أبا بكر علىٰ عليٍّ، فكان ممن أمره النبي ﷺ أن يسمع ويطيع لأبي بكر، وهذا بعد غزوة تبوك التي استخلف فيها عليًّا علىٰ المدينة».

أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعظم وأفضل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جهادًا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلىٰ الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار، وفي المشاهد كلها، إلىٰ أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك».

كان الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعظم الصحابة جهادًا في نصرة النبي ﷺ والذبِّ عنه؛ فقد روىٰ البخاري عن عروة بن الزبير رَحِمَهُٱللَّهُ قال: سألت عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: «رأيت عقبة بن أبي مُعيط جاء إلىٰ النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتىٰ دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [غافر: ٢٨].

فضيلة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في شجاعته وبصيرته في الحق وثباته عليه وهداية الصحابة إليه، ومقامه يوم وفاة النبي ﷺ لا يجهله أحد، فإنَّ هول الفاجعة أصاب الناس بالذهول عن سنة الله في خلقه عمومًا ورسوله ﷺ خصوصًا في الوفاة، فقام الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال: «من كان يعبد محمَّدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت».

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٢٧٢).

وأنفذ الصدِّيق لواء النبي ﷺ الذي عقده لأسامة بن زيد رضي الله عنهما لجهاد الروم، مع أن بعض الصحابة ومنهم الفاروق رضي الله عنه أشار بالاستعانة بهم لقتال المرتدين؛ فكان في إنفاذ لواء أسامة تشجيع للصحابة علىٰ قتال المرتدين، وتثبيت لأفئدتهم، وبث للرعب في قلوب المرتدين والروم معًا، حيث أيقنوا أن خروج جيش أسامة يدل علىٰ قوة وكفاية المؤمنين بالمدينة، وقوة جيش أسامة في قتال الروم، ونصر الله المؤمنين علىٰ المرتدين والروم الكافرين معًا.

وبعد أنْ حفظ الصدِّيق رضي الله عنه بيضة الإسلام، وقضىٰ علىٰ شر المرتدين، أنفذ لواء الإسلام لجهاد المجوس في العراق وفارس، ولجهاد الروم الصليبيين في الشام؛ ليُخرج الناس من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإسلام، ومن عبادة العباد إلىٰ عبادة ربِّ العباد، ومن جور الأديان إلىٰ عدالة الإسلام.

انتصر المسلمون، ودخل الناس في العراق في الإسلام، وكان ذلك الجهاد والانتصار والقتل لكسرىٰ وهرمز الأساس في ذهاب دولة المجوس، وهلاك دولة عباد النار، وتكامل النصر في عهد الفاروق بعد معركة القادسية.

وانتصر جيش الإسلام الذي أنفذه الصدِّيق إلىٰ الشام في عدَّة معارك، وتُوِّج النصر علىٰ الروم في معركة اليرموك، وكانت تلك الانتصارات الأساس في ظهور الإسلام في الشام وهلاك قيصر، واضمحلال دولته.

أبو بكر رضي الله عنه حفظ الله به دين الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وردَّة الناس إلا من شاء الله.

قال وكيع رحمه الله[1]: «لولا أبو بكر رضي الله عنه ذهب الإسلام».

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٦٦٠).

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّة العُكبري (ت: ٣٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا(١): «لأنَّ أهل الإسلام صاروا بعد النبي ﷺ ثلاث طوائف:

أ - طائفة ارتدت.

ب- وطائفة ذلت للسلم والهُدنة، وتركهم علىٰ ما اختاروه من منع الزكاة.

ج - وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحده بنفسه طائفة، فرأىٰ جهادهم، ومحاربتهم، فأطاع أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أمره، ورجعوا إلىٰ رأيه السديد المُوفَّق، فقاتل من عصاه بمن أطاعه، فأعلىٰ الله أمره، وأظهر نصره، وجمع شمل الإسلام به، فاستأنف بالإسلام دعوة مجددة، فأقام أَوَدَه - اعوجاجه -، وغسل دَرَنَه، وكان رحمة علىٰ العالمين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قام - الصدِّيق - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مقام رسول الله ﷺ، وأَقام الإسلام، فلم يخل بشيء، بل أدخل الناس من الباب الذي خرجوا منه، مع كثرة المخالفين من المرتدِّين وغيرهم، وكثرة الخاذلين، فكمل به من علمهم ودينهم ما لا يقاومه فيه أحد».

أبو بكر رضي الله عنه حفظ علىٰ الأُمَّة دينها، فقد استحرَّ القتل بالقرَّاء - حفَّاظ القرآن - في معركة اليمامة، فأمر الصدّيق رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف عن مشورة الفاروق رضي الله عنه.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر رضي الله عنه، رحمة الله علىٰ أبي بكر رضي الله عنه، هو أول من جمع ما

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٦٦٠).

(٢) منهاج السنة (٧/ ٥١٠).

بين اللَّوحين»، رواه ابن أبي داود في المصاحف(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون: أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حفظا على الناس القرآن، وجمعاه لئلا يذهب منه شيء».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وإذا تأمَّل المنصف ما فعله أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من ذلك جزم بأنّه يُعد في فضائله، وينوه بعظيم منقبته؛ لثبوت قوله ﷺ: «**من سَنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»، فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلىٰ يوم القيامة».

وأبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الأتقىٰ بنص القرآن، وليس لأحد عليه نعمة دنيوية، قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾ [الليل: ١٧-٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنَّ هذه السورة مكيَّة بالاتفاق، وكان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقيرًا بمكة في عيال النبي ﷺ، ولم يكن له مالٌ ينفق منه، بل كان النبي ﷺ قد ضمَّه إلىٰ عياله لما أصابت أهل مكة سنة.

الثاني: أنَّه قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٩]، وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان للنبي ﷺ عنده نعمة تجزىٰ، وهو إحسانه إليه لما ضمه إلىٰ عياله، بخلاف أبي بكر؛ فإنّه لم يكن له عنده نعمة دنيوية، لكن كان له عنده نعمة الدين، وتلك لا

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد صحيح»، فضائل القرآن (ص٥٧).

(٢) فضائل القرآن (ص٨٦).

(٣) فتح الباري (٩/ ١٣).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٣٧٨).

تُجزىٰ؛ فإن أجر النبي ﷺ فيها علىٰ الله، لا يقدر أحد يجزيه».

أبو بكر رضي الله عنه كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم، دلَّ علىٰ ذلك علمه في حياة النبي ﷺ وبعد مماته؛ ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: «**إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خيَّرَ عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**»، فبكىٰ أبو بكر وقال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا.

وفي الحديبية عندما صالح النبي ﷺ كفار مكة، ومنعوه من العمرة، قال الفاروق: علام نعطي الدنية في ديننا؟! فقال له النبي ﷺ: «**إنِّي رسول الله، ولن يضيِّعني أبدًا**»، ثم ذهب إلىٰ أبي بكر، فقال له ما قال للنبي ﷺ، فأجابه الصدِّيق رضي الله عنه بنحو ما أجابه النبي ﷺ، متفق عليه من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

قال الحافظ النووي رحمه الله(١): «جواب أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه بمثل جواب النبي ﷺ؛ فهو من الدلائل الظاهرة علىٰ عظيم فضله، وبارع علمه، وزيادة عرفانه، ورسوخه في كل ذلك، وزيادته فيه كله علىٰ غيره رضي الله عنه».

وكان أبو بكر رضي الله عنه حاضر الذهن لنصوص الوحي في الحوادث، كما حصل في وفاة النبي ﷺ؛ حيث تلا علىٰ الصحابة قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(٢): «النبي ﷺ كان يقدِّم الصديق في

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٤١).
(٢) منهاج السنة (٧/ ٣٨٤).

المواضع التي لا تحتمل المشاركة؛ كاستخلافه في الصلاة والحج، ومصاحبته وحده في سفر الهجرة، ومخاطبته وتمكينه من الخطاب والحكم والإفتاء بحضرته ورضاه بذلك، إلىٰ غير ذلك من الخصائص التي يطول وصفها».

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعله النبي ﷺ مرجعًا للمسلمين؛ ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فكَلَّمَتْهُ في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله! أرأيت إنْ رجعت فلم أجدك؟ كأنَّها تعني الموت، قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد كانت مرجعية الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سببًا في حفظ الإسلام، وائتلاف الأمَّة علىٰ الحق، وأعظم ما يدل علىٰ ذلك تبيين الصدِّيق للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موجب قتال مانعي الزكاة، فاهتدوا إلىٰ الصواب بتبيينه، وكان ذلك سبب إجماعهم علىٰ قتالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يتنازعوا في زمن أبي بكر في مسألة إلا فصَّلها، وارتفع النزاع، فلا يُعلم بينهم في زمانه مسألة تنازعوا فيها إلا ارتفع النزاع بينهم بسببه؛ كتنازعهم في وفاة النبي ﷺ ودفنه وميراثه، وتجهيزه جيش أسامة، وقتال مانعي الزكاة، وغير ذلك من المسائل الكبار.

بل كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خليفة رسول الله ﷺ فيهم حقًّا، يعلِّمهم، ويقوِّمهم، ويشجِّعهم، ويبيِّن لهم من الأدلة ما تزول معه الشبهة، فلم يكونوا معه يختلفون».

خصال الخير في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة، شهد بها المنصفون من الكفار، فضلًا عن المسلمين، قال ابن الدُّغُنَّة عندما رأىٰ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ساعيًا للخروج من مكة: «مثلك يا أبا بكر لا يُخْرج؛ فإنَّك تحمل الكلَّ، وتُقري الضيف، وتكسب

(١) منهاج السنة (٧/ ٥٠٩).

المعدوم، وتعين علىٰ نوائب الحق» رواه البخاري.

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنَّة**».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان**»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما علىٰ من يُدعَىٰ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعىٰ منها كلها أحد؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**». متفق عليه.

خصائص ومناقب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة، ذكرت شيئًا منها في شرح هذا المتن علىٰ سبيل الاختصار، وقد أجمل أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكرها، فقال للصدِّيق: «كُنْتَ أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدَّهم يقينًا، وأخوفهم لله عَزَّوَجَلَّ، وأعظمهم غنًىٰ في دين الله، وأحوطهم علىٰ رسول الله ﷺ، وأحدبهم علىٰ الإسلام، وآمنهم علىٰ أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم شورىٰ، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ورحمةً وفضلًا»(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) الشريعة للآجري (ص٤٩٩، ٥٠٠)، شرح أصول أهل السنَّة والجماعة (٧/ ١٣٧٥).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم عمر الفاروق.

❁ الشَّرح:

أسلم الفاروق في ذي الحجة في السَّنَة السَّادِسَةِ من النُّبوَّةِ، وهو ابن ست وعشرين سنة، أسلم بعد أربعين رجلًا وعشر نسوة[1]، فهو من سادات السابقين الأولين.

وبإسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أظهر المستضعفون من المسلمين إسلامهم، وأقبل الناس علىٰ الإسلام، وفَرَّق الله به بين الحق والباطل.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر»، رواه البخاري.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عزًّا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت خلافته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي ظاهرين حتىٰ أسلم عمر، وإنِّي لأحسب أن بين عيني عمر ملكًا يسدده، فإن ذُكر الصالحون فحي هلا بعمر»، رواه ابن أبي شيبة.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[2]: «قد أسلم جماعة من المسلمين بمكة قبل عمر، فكان يؤذيهم المشركون أذًىٰ شديدًا، ويستخفي كثير منهم بإسلامهم، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتمع إليه الجماعة منهم فيقرئهم القرآن سرًّا؛ خوفًا عليهم، فلما أسلم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فرَّج الله عَزَّوَجَلَّ عن المسلمين، وخرجوا وأظهروا إسلامهم، فأعزَّ الله الكريم المسلمين بإسلام عمر، وأضاء نور الإسلام، وقويت قلوب المسلمين، وعلموا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص١٧٩).

(٢) الشريعة (ص٥٧٢).

منع منهم، وفرَّج عنهم، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سيبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، ألم تسمع إلىٰ ما قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لما أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال المشركون: انتصف القوم منا».

الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أول قاض في الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، ولاه أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يكن في القوم بعد الصدِّيق أتقىٰ وأعلم وأعدل منه.

وعهد الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخلافة بعده إلىٰ الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين، أجمع الصحابة كلهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ تسميته بذلك.

عدل الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ضُرب به المثل.

ومن المأثور عن الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قوله لعماله: «إنِّي لم أرسل عُمَّالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرْسلهم إليكم ليُعَلِّمُوكم دينكم وسُنَّتكم، فمن فُعِلَ به شيء سوىٰ ذلك فليرفعه إليَّ، فوالذي نفسي بيده إذًا لأقصَّنَّه منه.

ألَا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهُم، ولا تَمْنَعُوهم حقوقهم فَتُكفِّرُوهم» رواه البخاري.

وفي كتاب الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي تلقته الأُمَّة بالقبول، قال: «القضاء فريضة مُحْكَمَةٌ، آس بين الاثنين في مجلسك ووجهك، حتىٰ لا يطمع شريف في حَيْفِكَ، ولا يَيْئس وضيع من عَدْلِكَ» رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ».

الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو الذي استجيب فيه دعاء النبي ﷺ أن يُعزَّ به الإسلام، فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنَّ النبي ﷺ قال: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إليك، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل**»، فكان أحَبَّهُمَا إليه عمر بن الخطاب، رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا الحديث دالٌّ علىٰ حبِّ الله لعمر ﵁، وأنَّ الله يعز به الإسلام وينصره في ابتداء ظهوره حين كان يحاربه كل الناس.

الفاروق ﵁ هو الذي جاء القرآن بموافقته في عدة مسائل، وهذه منقبة عظيمة له، تدل علىٰ أنَّه مُوفَّق للحق، ففي الصحيحين عن أنس ﵁ قال: قال عمر ﵁: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثلاث، ووافقني رَبِّي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتَّخَذْتَ من مقام إبراهيم مُصَلًّىٰ، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، قلت: يا رسول الله، إنَّه يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أَمَرْتَ أُمَّهَات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، وبلغني مُعاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فاسْتَقْرَيْتُ أُمَّهات المؤمنين، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرئهنَّ وَاحِدَةً واحدة، والله لَئِنِ انتهيتُنَّ وإلا لَيُبَدِّلَنَّ الله رسوله خيرًا مِنْكُنَّ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].

وموافقة القرآن للفاروق كثيرة غير محصورة في ثلاث مسائل، قال ابن عمر ﵄: ما نزل بالنَّاس أَمْرٌ قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن علىٰ نحو ممَّا قال عمر ﵁، رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان.

خير هذه الأمَّة وأفضلها بعد النبي ﷺ والصدِّيق؛ هو الفاروق ﵁.

قال محمد ابن الحَنَفِيَّة لأبيه عليِّ بن أبي طالب ﵁: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر ثم عمر، رواه البخاري.

وهذا ممَّا أجمع علىٰ اعتقاده الصحابة ﵃، ووافقهم عليه النبي ﷺ.

قال ابن عمر ﵄: «كُنَّا نُخَيِّرُ بين الناس في زمن رسول الله ﷺ، فَنُخَيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عُثْمَان بن عَفَّان، رواه البخاري.

أعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الصدِّيق هو الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَا أنا نائم رأيتني أُتِيتُ بقَدَح، فَشَرِبْتُ منه حتىٰ إنِّي أرَىٰ الرِّيَّ يخرج في أطْرَافي، ثم أعْطَيْتُ فَضْلِي عمر**»، قالوا: فما أَوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلم**».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أنَّ عِلْمَ عمر بن الخطاب وُضِع في كِفَّةِ الميزان، وَوُضع علم أهل الأرض في كِفَّةٍ؛ لرجح علم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» رواه زهير بن حرب في «العلم» وإسناده صحيح.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم»، رواه زهير بن حرب في كتاب «العلم»، وإسناده صحيح.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عمر كان أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله» رواه ابن أبي شيبة.

الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو العبقري الذي ليس له نظير، في جمعه لخصال الخير، وظهور الإسلام به، وحسن سياسته لأمصار الإسلام.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيت النَّاس مجتمعين في صعيد واحد، فقام أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فنَزَع ذنوبًا أو ذَنُوبين، وفي بعض نَزْعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فاستحالت في يده غَرْبًا، فلم أر عَبْقَرِيًّا في الناس يَفْرِي فَرِيَّهُ**»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أما العبقري فهو السيد، وقيل: الذي ليس فوقه شيء».

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦١).

وقال النووي[١]: «قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرىٰ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في خلافتهما، وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما».

فالفاروق هو أَوَّلُ من مَصَّرَ الأمصار؛ كالكوفة، والبصرة، والشام، ومصر.

وهو الذي ضرب الخراج علىٰ الأرض.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي كَتَبَ التاريخ للمسلمين، وكتبه من هجرة النبي ﷺ من مكَّة إلىٰ المدينة.

والفاروق هو أَوَّلُ من استقضىٰ القضاة في الأمصار، وهو أَوَّلُ من دَوَّنَ الدِّيوَان، وفرض للناس الأعطيات[٢].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من رأىٰ ابن الخطاب علم أنَّه خُلق غِنَاءً للإسلام، كان والله أَحْوَزِيًّا، نسيج وحده، قد أَعَدَّ للأمور أَقْرَانَهَا»، رواه ابن أبي شيبة.

كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد الاهتمام لأمر الرَّعية، فقد أمر الولاة في الأمصار بإغاثة المدينة عام الرمادة، وأكل مما تأكل الرَّعية.

وكتب إلىٰ عتبة بن فرقد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وهو بأذربيجان:** «أشبع المسلمين مما تَشْبَعُ منه في رَحْلِكَ» رواه البخاري ومسلم.

وقال الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لئنْ سَلَّمَنِي الله تعالىٰ لأدَعَنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلىٰ رجل بعدي أبدًا، فما أَتَتْ عليه إلا رابعة حتىٰ أُصِيبَ، رواه البخاري.

وعندما رأىٰ الفاروق مسجد رسول الله ﷺ ضاق بالمسلمين اشترىٰ ما حوله من المنازل، وزاد في بناء المسجد.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦١).

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص٣٠٠، ٣٠١).

كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمشي في الأسواق، ويطوف في الطرقات، ويقضي بين الناس في قبائلهم، ويعلمهم في أماكنهم، ويخلف الغزاة في أهليهم[١].

الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أظهر الله به الإسلام بجهاده، وقد جاهد مع النبي ﷺ، وشهد المشاهد كلها.

وكان من أعظم جهاده إخراج يهود خيبر من جزيرة العرب.

عقد الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الألوية والرايات لغزو العراق وفارس وخراسان، فقام بالجهاد بعد الصدِّيق، وأتم الله به ظهور الإسلام علىٰ العراق والشام، وكانت من المعارك العظيمة التي أظهر الله بها الإسلام معركة القادسية ونهاوند التي قضت علىٰ دولة المجوس.

فتح الفاروق المدائن عاصمة المجوس، ودخل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بقيادة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القصر الأبيض، واتخذ إيوانه مصلًّىٰ، وحين دخله تلا قوله تعالىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨][٢].

فتح الفاروق بيت المقدس وقيسارية من فلسطين والشام كلها، وهرب هرقل، وفتح مصر، وغزا الترك وجعل علىٰ غزوهم عبد الرحمن بن ربيعة، وتابع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك غزوهم.

الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جدَّد الدين، وأحيا السنن؛ فقد جمع الناس علىٰ قيام الليل في رمضان، وأحيا سنة النبي ﷺ في ذلك.

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٣٥٤).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٦٣)، ط: دار زمزم - الرياض.

قال العلامة ابن المبرد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٠٩هـ)**[(١)]: «لا يتوهَّم متوهم أنَّ التراويح من وضع عمر، ولا أنَّه أول من وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبي ﷺ، ولكن عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ أول من جمع الناس علىٰ قارئ واحد فيها، فإنَّهم كانوا يصلون لأنفسهم، فجمعهم علىٰ قارئ واحد. والتراويح سنة مؤكدة، وهي قيام رمضان، قال أحمد وأصحابه: «يستحب أن تكون في جماعة، وأن يوتر بعدها في الجماعة، ما لم يكن له تهجد، فإذا كان له تهجد فإن أحب متابعة الإمام أوتر معه، وإذا سلَّم شفعها بأخرىٰ، وإن أحب لم يوتر معه»».

ووعظ الفاروق عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ ولاته ورعيته بأسباب عزِّهم ونصرهم، وقال لهم: «كنتم أَذَلَّ النَّاس، وأحقرَ النَّاس، وأَقَلَّ النَّاس، فأعزَّكُمُ الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العِزَّ بغيره يُذِلَّكُمُ الله»، رواه أبو داود في الزهد.

وفي «الموطأ» أنَّ الفاروق رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ **كتب إلىٰ عماله:** «إنَّ أهمَّ أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حَفِظَ دينَه، ومن ضيَّعها كان لما سِواها من عمله أشد إضاعة».

الفاروق عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ؛ هو المُلْهم للحق، ففي الصحيحين عن عائشة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهَا: عن النبي ﷺ قال: «**قد كان في الأُمَم مُحَدَّثُون، فإن يَكُنْ من أُمَّتي فعمر**».

ومن أسباب توفيق الفاروق رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ للحق؛ هو فرار الشيطان منه، يَفْرُق من عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ؛ ففي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال للفاروق: «**والذي نفسي بيده، ما لَقِيَك الشَّيْطَانُ قَطُّ سالكًا فَجًّا، إلا سَلَكَ فَجًّا غير فَجِّك**».

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٣٤٩، ٣٥٠).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ جعل الحَقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه**»، رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**(١):

«إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يلقي في قلبه الحق، وينطق به لسانه، يلقيه الملك علىٰ لسانه وقلبه من الله عَزَّوَجَلَّ».

وقد خُتمت النبوَّة بمحمَّد ﷺ، ولو كان نبي بعد محمد ﷺ لكان الفاروق، قال عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب**»، رواه الترمذي وحسَّنه.

الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافر الدين، قيامه بشرائع الإسلام وعدله في الرعية وورعه التام وقيامه بالحق؛ دال علىٰ ذلك.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**بَيْنَا أنا نائم، رأيت الناس يُعْرضون عَلَيَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما دُونَ ذَلِكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عمرُ بن الخطَّاب وعليه قميص يَجُرُّهُ**»، قالوا: فما أَوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّينَ**».

وبعد أن طعن أبو لؤلؤة المجوسي الفاروق وُضع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سريره، فقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما خَلَّفْت أحدًا أَحَبَّ إليَّ أنْ ألقىٰ الله تعالىٰ بمثل عمله منك» رواه البخاري ومسلم.

وكان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائمًا بحقوق الله وبحقوق المخلوقين، قال العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وكان جارًا للفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: «عجبًا لعمر؛ نهاره صيام وحوائج النَّاس، وليله قيام».

---

(١) الشريعة (ص٥٦٤).

الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أغلق الله به باب الفتن، وذلك مما اصطفىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الفاروق له، فكان مهيبًا في نفوس الخلق، فلم يظهر أحد من الرَّعية شيئًا من البدع، ومن أظهر ذلك قمعه بالدُّرَّة، وكان قويًّا في أمر الله علىٰ نفسه وذريته ورعيته، مقيمًا لحدود الله، قاصدًا العدل الذي أمر الله به، وأن يكون الدين كله لله.

ساس الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دولة الإسلام وهو أعلم الخلق في زمانه، سدده الله فكان مُلْهمًا للحق، فبتقوىٰ الله وطاعته وإقامة حكمه بالعلم والعدل صلحت أمور الدولة والرعية، وكانت دولته منصورة.

وفي الصحيحين من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفِّرُها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر. فقال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا، بل يكسر، قال عمر: «إذًا لا يغلق أبدًا».

كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمانًا للأمة، قال رجل لخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبا سليمان! اتق الله، فإنَّ الفتن ظهرت، فقال: أما وابن الخطاب حي فلا، إنَّما تكون بعده، رواه أحمد(١).

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ عمر كان حِصْنًا حصينًا للإسلام، يَدْخُلُون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن»، رواه عبد الرزاق.

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بسند حسن»، فتح الباري (١٣/ ٢٠).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم عثمان ذو النورين.

❁ الشَّرْح:

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحابيٌّ رسول الله ﷺ، وصهره، وخليفة المسلمين، وأمير المؤمنين.

من السابقين الأولين، رابع من أسلم.

عثمان من أكمل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هجرة، كان أول المهاجرين إلىٰ الحبشة، وتابعه سائر المهاجرين علىٰ ذلك، ثم هاجر إلىٰ المدينة.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العُكبُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧هـ)[١]: «عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن جميع الصحابة: أحد الصحابة السابقين الأولين، ومن قرابة رسول الله ﷺ الأَدْنَيْنَ، ممن استجاب لله وللرسول في أول دعوته، فسبق بإسلامه، ونصح لله ولرسوله في إيمانه، فحسن في الإسلام بلاؤه، وعظم فيه غناؤه، وتقدمت هجرته، وقربت قرابته.

صِهرُ رسول الله ﷺ علىٰ ابنتيه، وخليفته بعد خليفتيه، أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين».

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معدود في البدريين؛ لأنَّ تخلُّفه عنها كان عن أمر رسول الله ﷺ لتمريض ابنته، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لم يشهد بدرًا، لتخلفه علىٰ تمريض زوجته رقية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكانت عليلة فأمره رسول الله ﷺ بالتخلف عليها،

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥١٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٥٠٥).

هكذا ذكره ابن إسحاق، وقال غيره: بل كان مريضًا به الجدري، فقال له رسول الله ﷺ: «**ارجع**»، وضرب له بسهمه وأجره؛ فهو معدود في البدريين لذلك.

وماتت رقية رضي الله عنها في سنة ثنتين من الهجرة، حين أتىٰ خبر رسول الله ﷺ بما فتح الله عليه يوم بدر».

عثمان رضي الله عنه أكمل الصحابة رضي الله عنهم مصاهرة للنبي ﷺ، قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله(١): «زوجه رسول الله ﷺ ابنتيه: رقية ثم أم كلثوم، واحدة بعد واحدة، وقال: «**لو كان عندي غيرهما لزوجتكها**»».

ومن أجل هذا سُمي بذي النورين، قال المهلب بن أبي صفرة: قيل لعثمان: ذو النورين؛ لأنَّه لم يُعلم أنّ أحدًا أرسل سترًا علىٰ ابنتي نبي غيره.

وقال أبو عبد الله ابن بطة العكبري رحمه الله(٢): «ما كان قط من بَدْو الدنيا إلىٰ انقضائها رجل صاهر نبيًّا علىٰ ابنتيه، وتزوَّج بابنتي نبي إلَّا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبذلك سُمي ذا النورين، فهو من خير الأصهار لخير الأحْمَاء، وتحته خير الأزواج».

عثمان رضي الله عنه كانت تستحي منه الملائكة، دخل رضي الله عنه علىٰ النبي ﷺ، فسوىٰ النبي ﷺ ثيابه، وقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»، رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

كان عثمان رضي الله عنه يعتق في كل جمعة رقبة، منذ أسلم، إلا أن لا يجدها تلك الجمعة، فيجمعها في الجمعة الثانية، رواه أحمد.

---

(١) الاستيعاب (ص٥٠٥).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥١٩).

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقتل نفسًا، ولا ارتد بعد إيمانه، ولا زنىٰ في جاهلية ولا إسلام، ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ[١].

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أتقياء الصحابة، الذين لا كان ولا يكون مثلهم، ولا يبلغ أحد شأو أتقيائهم وأفضلهم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بويع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة: بايعنا خيرنا، ولم نأل[٢].

وقد أجمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ ذلك، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم أرهم يعدلون بعثمان أحدًا» رواه البخاري.

وقد وافق إجماع الصحابة حدس الفاروق في قضاء الله الكوني؛ فإنَّه جعل الأمر بعده شورىٰ في ستة نفر: عثمان، وعليٍّ، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقال: إن يرد الله. بكم خيرًا يجمعكم علىٰ خير هؤلاء، كما جمعكم علىٰ خيركم بعد نبيكم ﷺ.

وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين»، رواه ابن أبي شيبة.

جهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه وماله عظيم، جاهد مع النبي ﷺ، وشهد المشاهد كلها أو أكثرها، فهو في عداد البدريين؛ لأنَّ تخلفه عنها كان بأمر النبي ﷺ وشهد أحدًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وشهد الخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدىٰ يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء، وحضر الفتح وهوازن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٧٦).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٤ – رقم ٧٣١) بإسناد صحيح.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٨٩).

والطائف وغزوة تبوك، وجهَّز جيش العسرة».

والجهاد في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس له نظير، ظهر بسببه دين الله في مشارق الأرض ومغاربها ظهورًا عظيمًا، كان من أسباب عز الإسلام وهداية الخلق وغنىٰ المسلمين وقوة دولة الإسلام.

قال العلامة عبد الرحمن بن محمد العُليمي المقدسي (ت: ٩٢٨هـ)[١]: «في زمنه كانت غزاة الإسكندرية، ثم سابور، ثم إفريقية، ثم قبرص، وإصطخر الأخيرة، وفارس الأولىٰ والأخيرة، ثم طبرستان، وسجستان، ثم الأساورة في البحر، ثم مرو».

وغزا المسلمون بأمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأندلس، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «لما افتتحت إفريقية بعث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عبد الله بن نافع بن عبد قيس، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلىٰ الأندلس، فأتيا من قبل البحر، وكتب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الذين خرجوا إليها يقول: إنّ القسطنطينية إنّما تُفتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس؛ فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام، قال: فساروا إليها فافتتحوها، ولله الحمد والمنَّة».

ومن جهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بماله: أنّه جهّز جيش العسرة بألف دينار، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»، رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حديث حسن.

وتصدَّق عثمان لجيش العسرة بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، رواه الترمذي.

---

(١) التاريخ المعتبر في أنباء من غبر (١/ ٢٦٠).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٤٤).

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشترىٰ بئر رومة من يهودي، بوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لئلا يتحكم اليهودي في موارد المسلمين المائية.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنَّة؟**» فاشتراها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه الترمذي.

أكمل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسيرة الجهاد التي بدأها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء بعده، وأضاف إليه إضافة نوعية، حيث أنشأ أسطولًا بحريًّا غزا به ما وراء البحر المتوسط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن جهاد عثمان**(١): «ولي الخلافة، ففتح الله علىٰ يديه كثيرًا من الأقاليم والأمصار، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدَّت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»، وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الصدِّيق والفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بإجماع الصحابة، وموافقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كنَّا نقول ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ: خير هذه الأمة: أبو بكر،

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٨٩، ١٩٠).

ثم عمر، ثم عثمان» رواه البخاري.

وشاور عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الصحابة في اختيار الخليفة بعد الفاروق، قال: فلم أرهم يعدلون بعثمان أحدًا، رواه البخاري.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله - الإمام أحمد - سُئل عن التفضيل، فقال(١): «أبو بكر، وعمر، وعثمان. وأما الخلافة فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة**». وقال ابن عمر: كنا نفاضل علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فنقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

ولا نتعدىٰ الأثر والاتباع، فالاتباع لرسول الله ﷺ ومن بعده لأصحابه إذا رضي أصحابه بذلك، وكانوا هم يفاضلون بعضهم علىٰ بعض، هو ذا، فلا يعيب بعضهم علىٰ بعض، فعلينا أن نتبع ما مضىٰ عليه سلفنا، ونقتدي بهم رضي الله عنهم».

عثمان رضي الله عنه سمَّاه النبي ﷺ «الشهيد»، وهذه شهادة له بعينه من المعصوم الذي لا ينطق عن الهوىٰ بأنَّه في الجنَّة، وأنَّه قُتل مظلومًا.

والأوباش الذين قتلوه انتهبوا داره(٢).

فهؤلاء قصدوا الدنيا، ولم يقصدوا القيام بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣).

وتقدم الغافقي بن حرب إلىٰ عثمان رضي الله عنه، وضربه بحديدة في فيه، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله(٤).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/ ١٤٥٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٧٨).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ١٧٧، ١٧٨).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «جاء من أوجه متواترة أنَّ رسول الله ﷺ بشَّره بالجنة، وعدَّه من أهل الجنة، وشهد له بالشهادة».

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خلافته خلافة نبوة بنص النبي ﷺ، وهذا يدل علىٰ أنَّه ساس دولة الإسلام علىٰ الكمال وأحسن الممكن، خلافة النبوَّة ليست لغير الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

عن سفينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**».

قال سفينة لسعيد بن جُمْهَان: فخذ سنتين أبي بكر، وعشرًا عمر، واثنتي عشرة عثمان، وَسِتًّا عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه، وصَحَّحه الإمام أحمد[٢].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «عمل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ اثنتي عشرة سنة ما ينكرون من إمارته شيئًا».

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو شيخ القُرَّاء بعد أبيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو أوَّل من كتب القرآن لرسول الله ﷺ، وكان يقوم به في ركعة، رواه النسائي في السنن الكبرىٰ بإسناد صحيح.

وهو الذي روىٰ عن رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»، رواه البخاري، فكان خير الأمة في ذلك، حيث جلس لإقراء القرآن للتابعين الذين

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٠٣).

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (رقم ١١٥).

(٣) تاريخ الإسلام، سيرة الخلفاء الراشدين (ص٤٧٧، ٤٧٨).

أدوا إلينا هذا القرآن، قال أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان، وأبيٌّ بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنَّهم كانوا لا يتجاوزون العشر آيات، حتىٰ يتعلَّموا ما فيها ويعملوا بها، فتعلَّمنا العلم والعمل جميعًا» رواه أحمد بإسناد صحيح.

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كُتَّاب الوحي، وعندما اقتُحم عليه وضُربت يده بالسيف قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله إنِّها أول يد كتبت المفصل(١).

قُتل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو يتلو القرآن، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ثبت من غير وجه أنَّ أول قطرة من دمه سقطت علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ويروىٰ أنَّه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضًا حين دخلوا عليه، وليس ببعيد فإنَّه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن».

قال أبو سلمة موسىٰ بن إسماعيل التبوذكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خيرهم يوم استخلفوه، وكان يوم قُتل خيرًا منه يوم استخلفوه، وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردة»(٣).

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صار خليفة المسلمين بإجماع الصحابة، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» رواه البخاري.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كانت بإجماعهم».

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٧٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٣) السنة للخلال (١/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٤) السنة للخلال (١/ ٣٢٠).

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧هـ)[١]: «رضوا - الصحابة - أجمعون بعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكان أول من بايعه: عليُّ بن أبي طالب وبقية الرَّهط، ثم علىٰ أثرهم جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار، وهم به وبخلافته راضون، لم يختلف فيه اثنان، ولم تفترق فيه فئتان، وذلك لما عرفوا من فضله، وسبق إسلامه، وحسن بلائه، وكثرة مناقبه وسوابقه، والمآثر التي كانت منه في مصالح المسلمين وتأييد الإسلام».

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الذي جمع الناس علىٰ قراءة قريش، وكتب المصحف إلىٰ الأمصار، وفعل ذلك عن إجماع الصحابة، فله الفضل والمنَّة علىٰ المسلمين في حفظ دينهم، ومنع اختلافهم في كتاب ربهم.

قدم حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيا، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من مناقبه - عثمان - الكبار، وحسناته العظيمة؛ أنَّه جمع الناس علىٰ قراءة واحدة، وكتب المصحف علىٰ العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل علىٰ رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أنَّ حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥١٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (ص٨٩ – رقم ٤٩٨٧).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٥).

الشام، ممن يقرأ علىٰ قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ علىٰ قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسىٰ، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة علىٰ سبعة أحرف يفضل قراءته علىٰ قراءة غيره، وربما خطَّأ الآخر أو كفَّره، فأدىٰ ذلك إلىٰ اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيئ بين الناس، فركب حذيفة إلىٰ عثمان فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارىٰ في كتبهم. وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأىٰ أن يكتب المصحف علىٰ حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم علىٰ القراءة به دون ما سواه؛ لما رأىٰ في ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف».

ومن جهل وظلم أعداء الله أنَّه ما كان خيرًا له عدُّوه في مثالبه؛ فقد اختاره رسول الله ﷺ سفيرًا له في مفاوضة كفار مكة عام الحديبية ليؤدي هو وأصحابه رضي الله عنهم نسك العمرة.

فلما أتاه الخبر الكاذب بأنَّ عثمان رضي الله عنه قد قُتل جمع أصحابه فدعاهم إلىٰ البيعة، فبايعوه علىٰ قتال أهل مكة يومئذ، وبايع رسول الله ﷺ عن عثمان حينئذ بإحدىٰ يديه الأخرىٰ، ثم أتاه الخبر بأنَّ عثمان رضي الله عنه لم يقتل، رواه أحمد.

وهذه الحادثة معدودة في أفضل مناقب عثمان ذي النورين، لاختيار النبي ﷺ له لمفاوضة كفار مكة؛ لأنَّه كان الأصلح لهذا الأمر، لأنَّه كان أعزَّ نفر ببطن مكة، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري.

وهذه الحادثة معدودة في خصائص ذي النورين لمبايعة النبي ﷺ عنه، فيد النبي خير من يده، وبيعته عنه أوكد وأفضل من بيعته عن نفسه.

النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم؛ انتصروا لعثمان وتعاهدوا علىٰ قتال من قتله، وهو تعليم للأمَّة لموالاته ونصرته.

عثمان رضي الله عنه معدود في أهل بيعة الرضوان، الذين حرَّم الله عليهم النار.

ومن أعظم مناقب ذي النورين؛ صبره علىٰ أن يُقتل مظلومًا دون أن تقتتل الأمة، وهذا لا يطيقه إلا قوي النفس شديد الصبر، وافر الإيمان.

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله(١): «لو لم يكن في عثمان رضي الله عنه إلا هاتان الخصلتان كفتاه؛ بذله دمه دون دماء المسلمين، وجمعه المصحف».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله(٢): «من المعلوم بالتواتر أنَّ عثمان رضي الله عنه من أكفِّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس علىٰ من نال من عرضه، وعلىٰ من سعىٰ في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم.

ورُوي أنَّه قال لمماليكه: من كفَّ يده فهو حر.

وقيل له: تذهب إلىٰ مكة؟ فقال: لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلىٰ الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول من خلف محمدًا في أمته بالسيف».

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله(٣): «منعه إياهم عن نصرته، يحتمل وجوهًا كلها محمودة:

---

(١) الشريعة للآجري (ص٥٨٨).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٨٦).

(٣) الشريعة (ص٥٩٩).

أحدها: علمه بأنَّه مقتول مظلوم لا شك فيه، لأنَّ النبي ﷺ قد أعلمه «**أنَّك تُقتل مظلومًا فاصبر**»، فقال: أصبر، فلما أحاطوا به علم أنَّه مقتول، وأنَّ الذي قاله النبي ﷺ له حق كما قال، لابد من أن يكون، ثم علم أنَّه قد وعده من نفسه الصبر، فصبر كما وعد، وكان عنده أنَّ من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها؛ فليس هذا بصابر، إذ وعد من نفسه الصبر».

تعنت أقوام علىٰ ذي النورين تولية أقاربه، وكان كثير منهم ممن ولاهم الخلفاء قبله، من أشهر أولئك معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ولَّاه الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولَّىٰ من أقاربه أكثر ممن ولَّىٰ عثمان من قرابته؛ كعبد الله وعبيد الله ابني عمه العباس، وقثم بن العباس وثمامة بن العباس(١).

وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له أسوة في رسول الله ﷺ الذي استعمل بني أمية في الولايات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أمَّا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فله أسوة في استعمال بني أمية بالنبي ﷺ؛ فقد استعمل عتَّاب بن أسيد الأموي علىٰ مكة، وأبا سفيان علىٰ نجران، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص».

نقم عليه أقوام إيثاره قرابته، وإيثار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبعض قرابته لم يكن منعًا لبقية الناس، بل أجزل لهم العطاء.

قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركت زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق. رواه ابن شبة في أخبار المدينة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «يؤثر أهله وأقاربه في الله؛ تأليفًا لقلوبهم من

---

(١) المنتقىٰ من منهاج السنة (ص٣٩٦).

(٢) المنتقىٰ من منهاج السنة (ص٣٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٩٠)، ط: دار زمزم - الرياض.

متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ، كما كان النبي ﷺ يعطي أقوامًا ويدع آخرين، يعطي أقوامًا خشية أن يكبهم الله علىٰ وجوههم في النار، ويكل آخرين إلىٰ ما جعل الله في قلوبهم من الهدىٰ والإيمان، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج علىٰ رسول الله ﷺ في الإيثار».

عبد الله بن سبأ اليهودي، ومن أخذ بمنهجه؛ عابوا عليه ما غفر له بنص القرآن، قالوا: إنَّه تولىٰ يوم أحد، فردَّ عليهم ابن عمر رضي الله عنهما بأنَّ الله تاب عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، رواه البخاري.

قال ابن عمر رضي الله عنه: «أمَّا عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه» رواه البخاري.

وتولي المعصية ليس كتولِّي المنافقين، كيف وقد أخبر الله الخلق أجمعين بتوبته عليه في قرآن يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، وعبد الله بن سبأ هو المنافق اليهودي الذي سعىٰ في هدم الإسلام.

وكان من أسباب قتل ذي النورين أنَّه كان لين العريكة، وكان قد ظهر من أمر من نقم عليه نظيره في عهد الفاروق رضي الله عنه، فقمعهم بحزمه، حيث جاء وفد مصري حدثاء عهد بإسلام للفاروق، وشكوا إليه ما رأوه من الصحابة، وقالوا: إنا نرىٰ أشياء في كتاب الله أُمر أن يعمل بها، فلا يعمل بها، فقال الفاروق رضي الله عنه لأدناهم: أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم، قال: فهل أحصيته في نفسك؟ قال: اللهم لا، وهكذا قال الفاروق لجميع أفراد الوفد المصري، ثم قال الفاروق رضي الله عنه: «ثكلت عمر أمُّه،

أتكلفونه أن يقيم الناس علىٰ كتاب الله، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات»، وتلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، «ثم قال: لو علم بكم أهل المدينة لوعظتهم بكم»، رواه الطبري[١].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «استطالوا حياته، وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمه، بضعًا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير».

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «إسناد صحيح، ومتن حسن».

(٢) نقله عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٨٨).

❁ **قال المصنف رحمه الله**:

ثم عليٍّ المرتضىٰ، رضي الله عنهم أجمعين.

❁ **الشرح**:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هو أول من أسلم من الصبيان، فله سابقة، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو ابن عمه، وهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم، زوج فاطمة رضي الله عنها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[1]: «إنَّه أول من أسلم من الغلمان، كما أنَّ خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصدِّيق أول من أسلم من الرجال الأحرار».

كان عليٌّ رضي الله عنه في حجر النبي صلى الله عليه وسلم يتولَّىٰ تربيته ورعايته، أمره النبي صلى الله عليه وسلم برد أمانات وودائع الناس في خروجه إلىٰ المدينة مهاجرًا، ثم هاجر رضي الله عنه إلىٰ المدينة، وآخىٰ النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سهل بن حنيف رضي الله عنه.

أما الروايات الواردة بمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابن عمه عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فكلها ضعيفة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[2]: «قد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها؛ لضعف أسانيدها، وركَّة بعض متونها».

عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله[3]: «زوَّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثنتين من

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢١١).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢١٢)، ط: دار زمزم - الرياض.

(٣) الاستيعاب (ص٥٣٠).

الهجرة ابنته فاطمة، سيدة نساء أهل الجنَّة، ما خلا مريم بنت عمران».

عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أفذاذ الصحابة شجاعة وفروسية وجهادًا، حامل لواء الإسلام في أكثر الغزوات، التي كانت سببًا في ظهور الإسلام وهداية الخلق، وإجراء حكم الله في الأرض.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أجمعوا علىٰ أنه صلىٰ القبلتين، وهاجر، وشهد بدرًا والحديبية، وسائر المشاهد.

وأنَّه أبلىٰ ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيمًا، وأنّه أغنىٰ في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم، وكان لواء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده في مواطن كثيرة.

وكان يوم بدر بيده علىٰ اختلاف في ذلك، ولمَّا قُتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم يعرف لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سابقته وفضله؛ لذلك جعله الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الستة الذين يتشاور الصحابة في اختيار خليفة المسلمين منهم.

عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سادات العلماء، أعلم الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة، وهو من أعلم الصحابة في التفسير والقضاء والفرائض.

وقد حثَّ علىٰ تدبُّر القرآن، ونفىٰ أن يكون عند آل البيت زيادة وخصوصية لألفاظ القرآن، قال أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلي: هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعهده للناس، قال: لا! والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة.

قال أبو جحيفة: وما في الصحيفة؟ قال: فكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلم

---

(١) الاستيعاب (ص٥٣٠).

بكافر، رواه البخاري ومسلم.

وكان عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُظهر علم السُّنَّة لمن خالفها، وإن كان من أهل البيت؛ ففي الصحيحين أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُلَيِّنُ في متعة النساء، فقال: مهلًا يا ابن عباس؛ فإنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية.

ومن رسوخ أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العلم؛ حثُّه علىٰ الاتباع، وتحذيره من معارضة المنقول بالمعقول، حيث قال: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولىٰ بالمسح من أعلاه»، رواه أحمد وأبو داود(١).

ومن المأثور عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الدال علىٰ ربانيته ورسوخه في العلم، قوله: «ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله» رواه الدارمي.

عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، وهذا غاية ما يكون في تزكية عليٍّ، وهو دال علىٰ أنه أتىٰ من الاعتقادات والأقوال والأعمال ما جعله عند ربه مرضيًّا.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «**لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يُحبه الله ورسوله، ويُحب الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه**»، فبات الناس يدوكون - يخوضون - ليلتهم، أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**»، فقالوا: يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه، فأتوني به**»، فلما جاء بَصَقَ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: أقاتلهم حتىٰ

(١) قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح» تنقيح التحقيق (١/ ٥٣٠).

يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ علىٰ رِسْلِكَ حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا؛ خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم**»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: «**إنَّ عليًّا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»؛ أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مطلق هذه الصفة.

وفي الحديث تلميح بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكأنّه أشار إلىٰ أنَّ عليًّا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتىٰ اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق».

عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استخلفه رسول الله ﷺ علىٰ المدينة في خروجه إلىٰ غزوة تبوك، وقال له: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ**» رواه البخاري ومسلم.

وهذا استخلاف له في هذه الغزوة فقط، وكان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يخرج مع النبي ﷺ مجاهدًا في كل الغزوات؛ فلذلك كُتب له أجر من جاهد في غزوة تبوك.

وقد ولىٰ النبي ﷺ علىٰ المدينة قبل غزوة تبوك غير عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وولىٰ علىٰ المدينة بعد غزوة تبوك غيره؛ فلم يدل هذا الحديث علىٰ استخلاف عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كل زمن حياته، ولا بعد مماته.

قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّه لا يعني به استخلافه بعد وفاته، وإنَّما يعني به استخلافه علىٰ المدينة عند خروجه إلىٰ غزوة تبوك، كما استخلف

(١) فتح الباري (٧/ ٩٢).
(٢) الاعتقاد (ص٥٠١).

موسىٰ هارون عند خروجه إلىٰ الطور، وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته وقد مات هارون قبل موسىٰ».

فالحديث لا يدل علىٰ استخلاف عليٍّ، وإنَّما هو خليفته في مدة ذهابه إلىٰ تبوك؛ فهو ليس بمنزلة هارون في النبوة ولا الأخوة.

قال العلامة أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فإذا بَطَلَتْ أُخُوَّةُ النَّسَبِ ومشاركة النُّبُوَّة؛ فقد صح وجه الاستخلاف، وإنْ جَعَلَ استخلافه في حياته علىٰ المدينة أصلًا، فقد كان ﷺ يستخلف في كُلِّ غزاة غزاها غيره من الصحابة كابن أمِّ مكتوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وخُفَافِ بن إيمَاءِ بن رَحَضَةَ الغِفَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وغيرهما من خلفائه».

وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه استدلَّ بنصوص الوحي علىٰ أنَّ رسول الله ﷺ عهد بالخلافة من بعده إلىٰ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «رضيه - أبا بكر - لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا»، والنبي ﷺ جعل أبا بكر أميرًا علىٰ عليٍّ في حج السنة التاسعة.

ونفىٰ عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يكون النبي ﷺ عهد بالخلافة من بعده إليه، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي تُوفِّيَ فيه، فقال النَّاس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذه بيده العبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: ألا تراه أنت! والله إنِّي لأُرَىٰ رسول الله ﷺ سيُتَوَفَّىٰ في وجعه، وإنِّي لأعْرِفُ في وجوه بني عبد المُطَّلب الموْتَ، فاذهب بنا إلىٰ رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا فأوْصىٰ بنا.

قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يُعْطِينَاها النَّاس

---

(١) الإمامة والرد علىٰ الرَّافضة (ص٢٢٢).

أبدًا، وإنِّي لا أسألها رسول الله ﷺ أبدًا[(١)].

وأوجب الله عَزَّوَجَلَّ علينا معشر المسلمين موالاة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإيمانه، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة: ٧١]، ولصحبته لرسول الله ﷺ.

ولأمير المؤمنين خصوصية في هذه الموالاة، لسبقه وغناه في الإسلام، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنَّه لعهد النبي ﷺ: أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»، رواه مسلم.

وهكذا كل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال النبي ﷺ في الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»، رواه مسلم من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن معاني موالاة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومنهم عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ذكرهم بالجميل والاستغفار لهم، وذكر محاسنهم، والذب عنهم، واتباعهم بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]: من بقي من أهل الإسلام إلىٰ أن تقوم الساعة، رواه ابن أبي حاتم.

وأما حديث: «**من كنت مولاه؛ فعليٌّ مولاه**»[(٢)]؛ فهو خبر بمعنىٰ الأمر، ففيه حثٌّ علىٰ موالاة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمعروف.

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المعانقة وقول الرَّجل: كيف أصبحت (ص١٠٩١-رقم ٦٢٦٦).

(٢) رواه أحمد وصححه ابن حبان، وهو حديث مروي عن جماعة من الصحابة، انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (رقم ١٧٥٠).

فالحديث نص في موالاة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيه نهيٌ عن موالاة غيره من الصحابة.

وألفاظ الحديث لا تدل علىٰ أنه عهد لعليٍّ بالخلافة، فعليٌّ نفسه وسادات آل البيت لم يفهموا ذلك.

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول في معنىٰ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»: يعني بذلك: ولاء الإسلام، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وأما قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أصبحت مولىٰ كل مؤمن»؛ يقول: ولي كل مسلم(١).

قال رافضي للحسن بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألم يقل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كنت مولاه؛ فعليٌّ مولاه**»؟

قال الحسن: أما والله، لو عنىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك الإمارة، والسُّلْطَان، والقيام علىٰ الناس؛ لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزَّكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، ولقال لهم: أيُّها الناس، إنَّ هذا ولي أمركم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنَّ أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

خصال الخير في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة، وفي هذا الشرح المختصر ذكرت جملًا منها، خصوصًا أمهاتها.

قال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم! لم كان صفو الناس إلىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا ابن أخي! إنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٣٣٧).

(٢) النهي عن سب الأصحاب، وما فيه من الإثم والعقاب (ص٧٨، ٧٩-رقم٢٢).

له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له السِّطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله ﷺ، والفقه في السُّنَّة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون(١).

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والله؛ سهمًا صائبًا من مرامي الله علىٰ عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله. أعطىٰ القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة».

عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بُويع له بالخلافة بالمدينة، فخلافته خلافة نبوة، بايعه الصحابة بعد قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان أفضل من بقي من الصحابة وخيرهم.

قال ابن سعد(٣): «بُويع عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

قال أصحاب رسول الله ﷺ لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل عثمان(٤): «لابُدَّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر منك».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «كل بيعة كانت بالمدينة فهي خلافة نبوَّة».

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله - الإمام أحمد - وذكر عليًّا وخلافته، فقال: أصحاب رسول الله ﷺ؛ رضوا به، واجتمعوا عليه، وكان بعضهم يحضر وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقيم الحدود، فلم ينكر ذاك، وكانوا يسمونه خليفة، ويخطب ويقسم

(١) الاستيعاب (ص٥٣٤).
(٢) الاستيعاب (ص٥٣٥).
(٣) تاريخ الخلفاء (ص٢٩٣).
(٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٦٣).
(٥) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٣٥).

الغنائم فلم ينكروا ذلك[١].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن التفضيل بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رضوان الله عليهم؟

فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ الرَّابع من الخلفاء.

قلت لأبي: إنَّ قومًا يقولون: إنَّه ليس بخليفة؟!

قال: هذا قول سوءٍ رديء.

وقال: أصحاب الرسول ﷺ كانوا يقولون له: يا أميرَ المؤمنين، أفنُكذِّبهم وقد حجَّ، وقطع، ورجَم، فيكون هذا إلَّا لخليفة؟[٢].

عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أقوم الصحابة اتباعًا للقرآن، وتحكيمًا له، كذب عليه الخوارج بقولهم: «حكَّمت الرجال»، وجعلوا فريتهم هذه سببًا في تكفيره وقتاله.

وهذا من الخوارج تزييف للواقع؛ فإنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حكَّم القرآن، والقرآن يقضي بأحكام العلماء من الصحابة في الخصومات الواقعة بعد وفاة النبي ﷺ، فهم الذين يعرفون أحكامه ومعانيه فيفتون به.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]: «إنّا لسنا حكمنا الرجال، إنَّما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنَّما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنَّما يتكلم به الرجال».

وقد حاج الخوارج ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذكر لهم أنَّ الله أمر بتحكيم الرجال

---

(١) السُّنَّة للخلال (١/ ٤١٣ - رقم ٦١٣).

(٢) السُّنَّة لعبد الله بن الإمام أحمد (ص٥٨٦-رقم ١٣٢٧).

(٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ١٢٦).

- بحكم الله - في خصومة الزوجين، فتحكيم الرجال بحكم الله في خصومة فئتي المؤمنين أولىٰ وأحرىٰ، رواه الحاكم.

ابتدأ الخوارج قتال أمير المؤمنين، قتلوا عبد الله بن سرح، وأغاروا علىٰ سرح المسلمين، ونهبوا ماشيتهم، وقطعوا السبل، وأخافوا الناس. أرسل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج من ينصحهم، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه فلم ينفع، ووعظهم كذلك أبو أيوب الأنصاري فلم ينجع، فسار إليهم عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوعظهم وحذَّرهم، فتنادىٰ الخوارج لقتال عليٍّ، وأقبلوا يقولون: لا حكم إلا لله، فبدءوا عليًّا بالقتال، فهزمهم أمير المؤمنين شرَّ هزيمة، وقتل منهم عشرة آلاف، ولم يُقتل من جيش عليٍّ إلا سبعة[1].

قال العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٥٦هـ)**[2]: «يكفيك من جهلهم وغُلوِّهم في بِدْعتهم حُكْمهم بتكفير من شهد له رسول الله ﷺ بصحة إيمانه، وبأنَّه من أهل الجنَّة؛ كعليٍّ وغيره من صحابة رسول الله ﷺ، مع ما وقع في الشريعة، وعُلم علىٰ القطع والثبات من شهادات الله ورسوله لهم، وثنائه علىٰ عليٍّ والصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عمومًا وخصوصًا».

عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولي الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاضطربت الأمور علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب ذلك، فأولياء المقتول عثمان، ابن عمه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ طالب عليًّا بالقصاص من قتلة عثمان، وكان القتلة في جيش عليٍّ، وخرج طلحة والزبير من الحجاز إلىٰ العراق مطالبين أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب بالقصاص

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣).

(٢) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ١١٤).

من قتلة عثمان، فطلب منهم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه المهلة، لأنَّ قتلة عثمان كانت لهم شوكة، وخشي عليٌّ أن يزداد بقتل قتلة عثمان الشرُّ.

كادت تنتظم الأمور بين عليٍّ وطلحة بخصوص القصاص من قتلة عثمان، فلما علم القتلة بذلك قاموا بالفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١): «أمَّا الحَرْبُ بين طلحة والزبير وبين عليٍّ، فكان كل منهما يُقاتل عن نفسه، ظانًّا أنه يدفع صوْلَ غيره عليه، لم يكن لعليٍّ غرض في قتالهم، ولا لهم غرض في قتاله، لكن لَمَّا عَلِمَ بعض قتلة عثمان أنَّ الأمر قد ينتظم بين الطَّرَفَيْنِ، فيتمكَّنُ منهم؛ حمل على أحد العَسْكَرَيْنِ، فَظَنَّ آخرون أنَّهم بدءوا بالقتال، فوقع القتال».

على كل حال، عندما ولي الخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ما استطاع القصاص من قتلة عثمان، فظهر أن عليًّا كان أولى الطائفتين بالحق.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان من خير الناس، وأفضلهم بعد الخلفاء الثلاثة، لكنَّه بُلي برعيَّته؛ فقد كانت رعيته ملتوية عليه، ولذلك كرههم أمير المؤمنين بما اضطروه إليه من السياسات التي لم يردها، وغير المعهودة عنه.

والنقص الذي ظهر في رعية عليٍّ رضي الله عنه؛ هو مما قضاه الله كونًا، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يأتي عام إلا والذي بعده شرٌّ منه**» رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله(٢): «لا يشك عاقل أنَّ السياسة انتظمت لأبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم ما لم تنتظم لعليٍّ رضي الله عنه.

---

(١) منهاج السُّنَّة (٦/ ٣٢٨).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٤٦٦).

فإن كان هذا لكمال المتولِّي، وكمال الرعيَّة، كانوا هم ورعيَّتهم أفضل.

وإن كان لكمال المتولِّي وحده فهو أبلغ في فضلهم.

وإن كان ذلك لفرط نقص رعية عليٍّ كان رعية عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنقص من رعية أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

رعية عليٍّ كانت ملتوية عليه، وخرج منها الخوارج والرافضة، وكان ذلك من أسباب ضعف فئته وتفرُّقها.

وظهر في عهده الغلاة الذين ادَّعوا فيه الألوهية، ومنهم من ركع له، فحرَّقهم في النار، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم كما قال النبيُّ ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**» رواه البخاري.

وهذا يدلُّ علىٰ اتفاق سادات آل البيت العلماء علىٰ قتل الغلاة الرافضة وإن اختلفوا في صفة قتلهم.

وظهر في العراق من يُفضِّله علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أوتين بأحد يفضلني علىٰ أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري».

أمَّا شيعة عليٍّ من سادات آل البيت المتقدمين؛ فكلهم يفضل الشيخين علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «كل شيعة عليٍّ الذين صحبوه؛ لا يُعرف عن أحد منهم أنَّه قدَّمه علىٰ أبي بكر وعمر، لا في فقه ولا علم ولا دين، بل كل شيعته الذين قاتلوا معه؛ كانوا مع سائر المسلمين متفقين علىٰ تقديم أبي

(١) منهاج السُّنَّة (٧/ ٥١٠).

ويذمُّه بكر وعمر، إلا من كان ينكر عليه وينمُّه، مع قلتهم وحقارتهم وخمولهم».

وبهذا نعرف الفَرْقَ بين الرافضة وسادات آل البيت المتقدمين.

قال محمد بن عليٍّ بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من فضلنا على أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقد برئ من سنة جدنا ﷺ، ونحن خصماؤه غدًا عند الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال الحسن بن صالح: سألت جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فقال: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير.

قلت: لعلك تقول ذاك تقية!!

فقال: أنا إذًا من المشركين، ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بحبهما، ولكن قومًا يتأكلون بنا الناس(٢).

هذه هي عقيدة آل البيت المتقدمين في موالاة سادات الصحابة والمفاضلة بينهما.

والمائلون عن عقيدة الصحابة وآل البيت الغلاة في أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أصناف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «هم ثلاث طوائف:

طائفة غلت فيه، وادَّعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرَّقهم بالنار.

وطائفة سبَّت أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رأسهم عبد الله بن سبأ، فطلب عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتله، حتى هرب منه إلى المدائن.

وطائفة كانت تفضِّله حتى قال: لا يبلغني عن أحد أنَّه فضَّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

وقد رُوي عن عليٍّ من نحو ثمانين وجهًا أنَّه قال على منبر الكوفة: خير هذه

---

(١) الشرح والإبانة عن أصول السُّنَّة والديانة (ص١٨٦-رقم ٢٢٨).

(٢) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة (ص١٨٥، ١٨٦-رقم ٢٢٦).

(٣) منهاج السُّنَّة (٧/ ٥١٠، ٥١١).

الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا».

ما ابتُلي به عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من جهاد الخوارج والرافضة؛ يُعدُّ من أفضل أعماله، فكل واحد من الخلفاء الراشدين الأربعة له فضله بما قام به من أمر الخلافة، قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضل أعماله قتال الخوارج».

وقال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «إنَّ كلًّا منهم قام في وقته بفرض كفىٰ فيه وأبلغ؛ فأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قام في قتال أهل الرِّدَّة المقام الذي شهد له أنَّه لم يكن علىٰ الحق فيه غيره، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قام في وقته من فتوح الأمصار، وبعث البعوث إلىٰ أطراف الأرض حتىٰ امتدت الكلمة وانتشرت الدعوة بما شُهِدَ له أنَّه كان فيه أوْحَدَ عَلَمًا.

وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قام في وقته من جمع القرآن ومنع الاختلاف وعمارة المسجد، وغير ذلك مما كان فيه عَلَمًا واحدًا.

وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قام في وقته لمَّا ثار من الأمر ما يشكل إلَّا علىٰ الراسخين في العلم مثله من انقلاب ممن كان يتظاهر بالخير ويزيد علىٰ المعهود في الدين غلوًّا وتشددًا من جُهَّالهم بقتل من قتل منهم، ومحاربة من حاربه، ما يشهد بأنَّه لم يكن يقوم غيره فيه مقامه، فصارت هذه الأركان الأربعة، من قتال من ارتدَّ عن الإسلام بترك الزكاة نقضًا فيه، وقتال من تجاوز الحد في التشدُّد غلوًّا، وقتال المشركين الأصليين، وحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بين هؤلاء الخلفاء الأربعة علىٰ

(١) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

قسمة سواء، فيَعْلمُ حينئذ كل ذي فطنة أنَّ هؤلاء الأصحاب أيَّد الله سبحانه دين نبيهم ﷺ بهم بعده، واحدًا بعد واحد».

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديُّون، الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ**».

الشَّرح:

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ زكَّىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضيهم، وأمر باتِّباعهم، وأَخْذِ الدِّين عنهم، وحذَّر من العدول عن سبيلهم.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حفظوا ميراث النبوَّة، وورَّثوه للأمَّة، فكانوا من أسباب هدايتها وسعادتها.

وقد تلقَّىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه؛ فكانوا أفقه الأُمَّة.

والله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه في اتِّباع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «رضي عن السَّابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التَّابعين إلا أن يتَّبعوهم بإحسان».

وقد أوجب الله علىٰ المؤمنين اتِّباع سبيل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتوعَّد الله مخالفهم بالنار، فقال سبحانه: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «الآية دلَّت علىٰ أنَّ متَّبع غير سبيل

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٣/ ٤٤١).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٢/ ٣٣٧).

المؤمنين مستحقٌّ للوعيد، كما أنَّ مشاقَّ الرَّسول ﷺ من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ مستحق للوعيد، ومعلوم أنَّ هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده، فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك لكان لا فائدة في ذكره».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ دال علىٰ حجية إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وتلقيهم معاني القرآن من النبي ﷺ مباشرة؛ دال علىٰ أنهم أفقه ممن بعدهم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إجماع الصحابة رضي الله عنهم حُجَّة ثابتة، وعلم صحيح، إذا كان طريق ذلك الإجماع التوقيف؛ فهو أقوىٰ ما يكون من السنن، وإن كان اجتهادًا ولم يكن في شيء من ذلك مخالفًا فهو أيضًا علم وحجة لازمة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وهكذا إجماع الأُمَّة، إذا اجتمعت علىٰ شيء، فهو الحق الذي لا شكَّ فيه؛ لأنَّها لا تجتمع علىٰ ضلال».

فالموجب لاتِّباع الصَّحابة رضي الله عنهم أنَّ القرآن نزل بلغتهم؛ فهم أعلم بمعانيه ممن بعدهم.

قال العلَّامة ابن أبي العزِّ الحنفيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «كفىٰ بالصَّحابة قدوةً في فهم معنىٰ القرآن، فهم أوَّل مخاطب به من الأمَّة، وبلسانهم نزل، وهم أخصُّ من غيرهم من أهل اللِّسان».

فتلقي الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ ألفاظ ومعاني القرآن مباشرة؛ هو الذي

(١) التمهيد (٤/ ٢٦٧).

(٢) التنبيه علىٰ مشكلات الهداية (٣/ ١١٣٥).

أوجب للمسلمين تلقِّي الدِّين عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمَّة، التي هي خير أمّة أُخرجت للنَّاس، وهم تلقَّوا الدِّين عن النبي ﷺ بلا واسطة، ففهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم».

وقد أمر النبي ﷺ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن يبلِّغوا عنه الدِّين الذي تلقَّوه منه، فقال: «**ليبلغ الشَّاهد منكم الغائب**»، متفق عليه من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلَّامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فهم حجَّة الله علىٰ خلقه بعد رسوله ﷺ، يؤدُّون عن الرَّسول ﷺ ما أدَّىٰ إليهم؛ لأنَّه بذلك أمرهم، فقال: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»، فمضوا علىٰ منهاج نبيهم ﷺ، متَّبعين حكم القرآن وسنَّة الرَّسول ﷺ».

والنبي ﷺ في ذكره لأسباب ائتلاف أمَّته علىٰ الحق، ومجانبتهم للضلال والباطل، حثَّ أمَّته علىٰ أخذ الدِّين عنه وعن صحابته؛ لئلا يقول من شاء ما شاء فتفترق أمّته، ولئلَّا تفترق أمَّته في الأفهام المغلوطة لنصوص القرآن والسُّنَّة، فقال: «**ستفترق أمّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النَّار، إلا ما أنا عليه وأصحابي**»[٣].

فالمتبع للقرآن والسنَّة يتلقىٰ معانيها من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والمبتدع يتلقىٰ دينه بهواه معرضًا عن فهم خير الناس.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٨٨).

(٢) السُّنَّة (ص١٥).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «الحديث صحيح مشهور في السُّنن والمساند»، مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتِّباع السَّلف».

يتفاضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بحسب سبقهم في الإسلام، وبحسب فضل كل واحد منهم في العلم والدِّين والجهاد، وغناه في الإسلام.

وخاصة الصَّحابة وصفوتهم وأفضلهم وأعلمهم هم الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فلهم سنَّة متَّبعة بأمر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: وعظنا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا، فقال: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعضوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الخلفاء الأربعة والصحابة كلهم مرضيون عند الصحابة وآل البيت، وثناء سادات آل البيت العلماء والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عليهم معلوم.

قال صلة: كان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا ذُكر عند عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: ما استبقنا إلىٰ خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢).

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٣): «أصحاب محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا علىٰ أحسن طريقة، وأقصد هداية، معدن العلم، وكنز الإيمان، وجُند الرحمن».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٥).

(٢) سير السلف الصَّالحين (١/ ١٢٣).

(٣) مختصر تفسير البغوي (ص٤٦٧).

وقال طاوس: قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخبرنا عن أصحاب رسول الله ﷺ، أخبرنا عن أبي بكر، قال: كان والله خيرًا كله، مع حدة كانت فيه.

قلنا: فعمر، قال: كان والله كيِّسًا حذرًا كالطير الحذر، الذي قد نصب له الشَّرَك فهو يراه، ويخشىٰ أن يقع فيه، مع العنف وشدة السير.

قلنا: فعثمان، قال: والله كان صوامًا قوامًا من أجل غلبة رقته.

قلنا: فعلي، قال: كان والله قد ملئ علمًا وحلمًا، من رجل غرَّته سابقته وقرابته[1].

أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠] فالآية استوعبت أصناف المؤمنين، فمن لم يرض عن الصحابة ويستغفر لهم فلا رضي الله عنه.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[2]: «من

(١) الاستيعاب (ص٥٣٥).

(٢) الشريعة (ص٨٠٢).

جاء إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ حتىٰ يطعن في بعضهم ويهوىٰ بعضهم، ويذم بعضًا ويمدح بعضًا؛ فهذا رجل طالب فتنة، وفي الفتنة وقع؛ لأنّه واجب عليه محبة الجميع، والاستغفار للجميع رضي الله عنهم».

الصحابة رضي الله عنهم هم خير الناس، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال العلامة أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رحمه الله[(١)]: «أجمعوا - الأئمة الأربعة - علىٰ أن أفضل الناس الأنبياء والرُّسل، وأفضل الناس بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام أصحابهم، وأفضل أصحابهم أصحاب محمد ﷺ».

سادات آل البيت ذكروا الصحابة بالجميل، والصحابة رضي الله عنهم ذكروا سادات آل البيت بالجميل.

قال أبو بكر رضي الله عنه: لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، رواه البخاري.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما من النفر الذين يدنيهم الفاروق عمر رضي الله عنه.

وقال عليُّ بن الحسين زين العابدين رحمه الله[(٢)]: «والله، ما قتل عثمان رضي الله عنه علىٰ وجه الحق».

وقال عكرمة لابن عباس رضي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه؛ فإنّه أوتر بركعة؟ قال: إنَّه لفقيه[(٣)].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

---

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٣٦، ١٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر معاوية (ص٦٣٣-رقم ٣٧٦٥).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كل من كان بينه وبين النبي ﷺ قرابة، رواه البخاري.

ومنهم سادات الصحابة كسعد وطلحة، والزبير وغيرهم. ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا أهل بيت النبي ﷺ، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إنَّهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيَّما إذا كانوا متَّبعين للسُّنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم؛ كالعباس وبنيه، وعليٍّ وأهل ذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أرجو لمن سلم عليه أصحاب النبي ﷺ الفوز غدًا لمن أحبهم؛ لأنَّهم كانوا عمادًا للدِّين، وقادة للإسلام، وأعوان رسول الله ﷺ، وأنصاره، ووزراء على الحق. واتِّباع أصحاب رسول الله ﷺ هي السُّنَّة، ولا يذكرون إلا بخير، ويترحَّم على أوَّلهم وآخرهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إنَّهم - الصحابة - خير الخلق، بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وإنَّهم الصَّفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرَمُها على الله».

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٤٨).

(٢) السُّنَّة للخلَّال (١/ ٤٨٢).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٦٠).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

> وكلُّ من شهد له النبيُّ ﷺ بالجنَّة، شهدنا له بها؛ كقوله: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة**».

❁ الشَّرح:

الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذرية عليٍّ وفاطمة الطيبة المباركة، جدُّهما رسول الله ﷺ.

وُلد الحسن في شعبان، وقيل: في النصف من رمضان، سنة ثلاث من الهجرة.

والنبي ﷺ هو الذي سمىٰ غلامي عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الحسن والحسين.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبي ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين، رواه أبو داود والنسائي.

مرَّ أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعليٌّ يمشي بجنبه، بالحسن بن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو يلعب مع الغلمان، فاحتمله أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ رقبته، وجعل يقول:

بأبي شبيه بالنبي ... ليس شبيهًا بعلي

وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يضحك، رواه البخاري.

وعن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** رأيت رسول ﷺ علىٰ المنبر والحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ جنبه، وهو يقول: «**إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» رواه البخاري.

حبُّ الحسن والحسين إيمان، وبغضهما نفاق، وحبُّهما هو من حب جدهما وموالاته صلوات الله وسلامه عليه.

قال أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كان النبي ﷺ يأخذني والحسن، ويقول: «**اللهم إني أُحِبُّهما فَأَحِبَّهما**»، رواه البخاري.

وهذا تعليم من النبي ﷺ للأمة موالاة الصحابة والقرابة.

الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما له حق الصحبة والقرابة من رسول الله ﷺ، فالواجب حبُّ آل البيت من غير غلو ولا تقصير.

والحسن والحسين رضي الله عنهما شهد لهما النبي ﷺ بالجنة، كما شهد لأبويهما، عن حذيفة رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**هذا مَلَكٌ لم ينزلْ قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يُسَلِّم عليَّ، ويُبشِّرني بأنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنَّة، وأنَّ الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة**» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

كان الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما ملازمًا للكتاب والسنة، رُزق حلمًا وعلمًا وحكمة، وقد أشار علىٰ أبيه أن لا يخرج من المدينة إلىٰ الجمل(١).

وأنكر الحسن رضي الله عنه عقائد ومقالات الرافضة، وبرئ من تشيُّعهم لآل البيت.

قال عمرو بن الأصم للحسن: إنَّ الشيعة تزعُمُ أنَّ عليًّا مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنَّه مبعوث ما زوَّجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله(٢).

بايع أهل العراق للحسن رضي الله عنه بعد وفاة أبيه رضي الله عنه، وبقي واليًا سبعة أشهر، ومن العلماء من يرىٰ أنه يشمله فضل خلافة النبوة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٣): «الدليل علىٰ أنَّه أحد الخلفاء الراشدين؛ الحديث الذي أوردناه في «دلائل النُّبوَّة»، من طرقٍ عن سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنةً، ثم تكون ملكًا**». وإنَّما

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٤٠٤).

كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فإنَّه نزل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ربيع الأوَّل من سنة إحدىٰ وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سَنَةً من موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّه تُوفِّي في ربيع الأوَّل سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النُّبوَّة - صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا -، وقد مدحه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ صنيعه هذا، وهو تركه الدُّنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمَّة، فنزل عن الخلافة، وجعل الملك بيد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ تجتمع الكلمة علىٰ أمير واحد».

وقال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلافته يسيرة وتابعة لأبيه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

بعد الصلح الذي كان بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سار الحسن بأهله وحشمه إلىٰ المدينة النبوية وأقام بها[2].

هيَّأ الله أسباب انتهاء الاقتتال والشر بين فئتي الشام والعراق، فكاتب الحسن بن عليٍّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودعاه إلىٰ الصلح.

فالحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كره خروج أبيه من المدينة إلىٰ الجمل؛ كره استمرار الفتنة، والفرقة، وانقطاع السبل، وإراقة الدماء، وطمع الكفار في غزو بلاد الإسلام.

فاختار الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما عند الله علىٰ الاقتتال علىٰ الملك، وظهر بذلك صبر الحسن وقوته علىٰ نفسه وسؤدده علىٰ المسلمين حيث كان سببًا في حفظ نفوسهم وأديانهم.

---

(١) التعليقات البازية علىٰ صحيح البخاري (٤/ ٤٣٣).

(٢) دُوَلُ الإسلام (١/ ٣٦).

فحقن الله بالصلح دماء المسلمين، واجتمعت الكلمة، وأُمنت السبل، وقويت الأُمَّة فصارت إلىٰ جهاد الكفار، بعد اقتتالها فيما بينها، فكان الصلح خيرًا للإسلام والمسلمين؛ حيث كان هذا الصلح سببًا في استمرار الجهاد وظهور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن المشهور المأثور عن الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنَّه قال[١]: «من اتَّكَلَ علىٰ حسن اختيار الله له؛ لم يتمنَّ شيئًا».

والحسن بن علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا عوَّضه الله خيرًا، فجعل الله المهدي من ذريته، فبه يقام العدل، والثواب الأخروي خير وأبقىٰ للحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

مات الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بالمدينة سنة تسع وأربعين، وله سبع وأربعون سنة، ودُفن بالبقيع، إلىٰ جنب أمه فاطمة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا.

الحسين بن علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا، أبو عبد الله الهاشمي، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقيل: سنة ثلاث.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كان الحسين فاضلًا ديِّنًا، كثير الصوم والصلاة والحج، قُتل رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدىٰ وستين، بموضع يقال له: كربلاء، من أرض العراق بناحية الكوفة».

وذكر المزني عن الشافعي عن سفيان بن عيينة، قال: قال لي جعفر بن محمد: تُوفي عليُّ بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ وهو ابن ثمان وخمسين، وقُتل الحسين بن علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا وهو ابن ثمان وخمسين، وتوفي عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٢).

(٢) الاستيعاب (ص٢٢١).

ثمان وخمسين، وتُوفي محمد بن علي بن حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ابن ثمان وخمسين سنة، قال سفيان: وقال لي جعفر بن محمد: وأنا بهذه السنة في ثمان وخمسين سنة، فتوفي فيها[1].

عقيدة أهل السنة كافة موالاة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكراهية الظلم الذي أصابه، جاء نفر من العراق إلىٰ عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسألوه عن دم البعوض للمحرم، فقال: «عجبًا لكم أهل العراق، تقتلون الحسين، وتسألون عن دم البعوض»[2].

ومقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مما قدَّره الله عَزَّ وَجَلَّ، والله عَزَّ وَجَلَّ له حكمة بالغة في ذلك؛ فإنَّ الحسين في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان صغيرًا، ولم يجاهد مع جده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأراد الله أن يُبلِّغه منازل الشهداء من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فابتلاه بتسليط الظالمين عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أكرمه الله تعالىٰ بالشهادة في هذا اليوم – عاشوراء –، وأهان بذلك من قتله، أو رضي بقتله، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء، فإنّه وأخوه سيدا شباب أهل الجنَّة، وكانا قد تربيا في عز الإسلام، لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر علىٰ الأذىٰ في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله تعالىٰ بالشهادة تكميلًا لكرامتهما، ورفعًا لدرجاتهما، وقتله مصيبة عظيمة».

آخر الأمرين من الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لزوم الجماعة، والرغبة عن الخروج، فليس للخوارج في انصرافه عن العراق حجة لمذهبهم، ولا للناصبة حجة في القدح فيه.

---

(١) الاستيعاب (ص٢٢٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ص٦٣١ – رقم ٣٧٥٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥١١، ٥١٢).

فالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما وصل العراق، ورأىٰ انصراف الناس عنه، طلب الرجوع إلىٰ الحجاز، أو الذهاب ليجاهد في سبيل الله، أو إتيان يزيد بن معاوية، فأبىٰ عليه عبيد الله بن زياد، وقتله شَمِرُ بن جوشن، وسنان النخعي ظلمًا[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **عن الحسين**[2]: «إنَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يفرِّق الجماعة، ولم يُقتل إلا وهو طالب للرجوع إلىٰ بلده، أو إلىٰ الثغر، أو إلىٰ يزيد، داخلًا في الجماعة، معرضًا عن تفريق الأمة».

❁ ❁ ❁

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٤٧).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٥٨٦).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ :

ونشهد للعشرة بالجنة.

﴿ الشَّرْح :

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سادات الأمة وخيرها، وأفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ العشرة المبشرون بالجنَّة، لسابقتهم وجهادهم وغناهم في الإسلام.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ كان علىٰ حراء، هو، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهْدَأْ، فما عَلَيْكَ إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيد**»، رواه مسلم.

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: أنا أشهد علىٰ رسول الله ﷺ بما سمعت أذناي، ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ، فإنِّي لم أكن أروي عنه كذبًا، إنَّه قال: «**أبو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وعبد الرحمن في الجنَّة، وسعد بن مالك في الجنَّة**»، وتاسع المؤمنين في الجنة، ولو شئت أن أسمِّيه لسمَّيْتُهُ، فضجَّ أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله! من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله والله عظيم، أنا هو، والعاشر رسول الله ﷺ، والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ؛ أفضل من عمل أحدكم لو عُمِّر ما عُمِّر نوح. رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح.

قال أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «يشهد للعشرة بالجنَّة، بلا شك ولا استثناء، وهم أصحاب حراء، النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان،

(١) الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والديانة (ص٢٨٨، ٢٨٩).

وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، فهؤلاء لا يتقدَّمهم أحد في الفضل والخير».

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وقد اتفق أهل السُّنَّة علىٰ تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم».

وقد شرحت شيئًا من فضائل الخلفاء الأربعة باختصار، ولابُدَّ هنا من ذكر ما يتيسَّر من مناقب وفضائل بقية العشرة.

فسعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك بن أُهَيْب، أبو إسحاق القرشي الزُّهريُّ.

وهو خال النبي ﷺ، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لأنَّ أمَّ النبي ﷺ زُهْرِيَّة، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، ابنة عم أبي وقاص».

سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أول من أسلم من هذه الأمة، فهو من سادات السابقين الأولين، قال سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت، ولقد مكثت سبع ليال وإنِّي لَثُلُثُ الإسلام، رواه البخاري.

سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الحارس الصالح، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «**ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**»، قالت: فسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله: «**من هذا؟**»، قال: سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتىٰ سمعت غطيطه، رواه البخاري ومسلم.

كان سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أُمَةً وحده في الجهاد؛ ففي السريَّة التي بعثها النبي ﷺ إلىٰ

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٥١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٠).

رابع، انكفأ المشركون علىٰ المسلمين، فحماهم سعد يومئذ بسهامه، وكان هذا أول قتال في الإسلام[١].

وكذلك حمىٰ الله به رسوله ﷺ في غزوة أحد، بعد أن ظهر الكافرون، وصار يرد عن النبي ﷺ المشركين، فصار النبي ﷺ يقول له: «**ارم فداك أبي وأمي**» رواه البخاري ومسلم.

سعد رضي الله عنه هو فارس الإسلام، وأول من رمىٰ المشركين بسهم، رواه البخاري.

شهد سعدٌ رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله[٢]: «شهد بدرًا، والحديبية، وسائر المشاهد».

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كسر الله به الأكاسرة المجوس، وأظهر الله به الإسلام في العراق وفارس، كما توطد به الإسلام في جزيرة العرب في جهاده مع رسول الله ﷺ.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله[٣]: «من مناقب سعد: أنَّ فتح العراق كان علىٰ يدي سعد، وهو كان مقدَّم الجيوش يوم وقعة القادسية، ونصر الله به دينه.

ونزل سعد بالمدائن، ثم كان أمير الناس يوم جَلُولاء، فكان النصر علىٰ يده، واستأصل الله به الأكاسرة».

سعد رضي الله عنه ولاه الفاروق رضي الله عنه الكوفة، وثار عليه أهل الكوفة في الوقت الذي كان يحشد فيه يزدجرد لقتال المسلمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٠١).

(٢) الاستيعاب (ص٣٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «شَكَوْه في كل شيء، حتىٰ قالوا: لا يحسن يصلي.

وكان الذي نهض بهذه الشكوىٰ رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه، فلما ذهبوا إلىٰ عمر فشكوه، قال لهم عمر: إنَّ الدليل علىٰ ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله».

وبعد تولي ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخلافة، عزل عن الكوفة المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأَمَّر عليها سعدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تورع سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن الولاية بعد وفاة عثمان، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد الستَّة الذين اختارهم الفاروق للخلافة بعده.

عن عامر بن سعد: أنَّ أباه سعدًا كان في غنم له، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فلما انتهىٰ إليه قال: يا أبة، أَرَضيت أن تكون أعرابيًّا في غنمك، والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**» رواه مسلم.

ومن مناقب هذا الصحابي الجليل اعتزاله الفتنة؛ فلم يشارك في قتال الجمل وصفين، وقد اغتبطه علىٰ هذه المنقبة العظيمة أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «لله منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر».

كان سعد مجاب الدعوة، ودعوته أصابت من ظلمه، منهم الذي شكاه كذبًا إلىٰ الفاروق.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «كان مجاب الدعوة، مشهورًا بذلك،

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٠٠).

(٢) الاستيعاب (ص٣٠٤).

تخاف دعوته، وتُرجىٰ، لاشتهار إجابتها عندهم؛ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال فيه: «**اللهم سدِّد سهمه، وأجب دعوته**»».

تُوفي سعد رضي الله عنه بالعقيق في قصره، علىٰ سبعة أميال من المدينة، وحُمِلَ إليها سنة خمس وخمسين[١]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[٢]: «وقد جاوز الثمانين علىٰ الصحيح».

جيء بسرير سعد رضي الله عنه إلىٰ أم سلمة رضي الله عنها، فجعلت تبكي، وتقول: بقية أصحاب رسول الله ﷺ[٣]، قال عامر بن سعد: كان سعد رضي الله عنه آخر المهاجرين وفاة[٤].

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، ابن عم الفاروق عمر رضي الله عنه وصهره، أسلم قبل عمر؛ فهو من السابقين الأولين.

كان أبوه زيد رضي الله عنه يكره ضلال الجاهلية، يبحث عن دين الحنيفية ومن يهدي إليه تفصيلًا. وكان يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، ويصلي إلىٰ الكعبة حتىٰ مات قبل البعثة. وشهد له النبي ﷺ أنَّه في الجنَّة.

بعث النبي ﷺ سعيد بن زيد رضي الله عنه إلىٰ طريق الشام يجس له الأخبار في غزوة بدر، وشهد ما بعدها من المشاهد والغزوات.

سعيد بن زيد رضي الله عنهما هو أحد الستة الذين اختارهم عمر للخلافة بعده، وأخبر الفاروق رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ.

وبعد مقتل عثمان بايع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الحافظ ابن المبردِ

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٧).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٧٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٣).

(ت: ٩٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فلما قُتل عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان ممن بايع لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولو أراد الإمرة لأطاعه عليها أكثر النَّاس؛ لفضله، ونبله علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكنَّه لم يطلبها».

توفي سعيد بن زيد بأرضه بالعقيق، ودُفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمس أو إحدىٰ وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة(٢).

وعبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري:

وُلد عبد الرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين، وهو من أول من أسلم علىٰ يد أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهاجر إلىٰ الحبشة ثم قدم قبل الهجرة، وهاجر إلىٰ المدينة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «شهد بدرًا، وما بعدها».

الصحابة كلهم يعرفون لعبد الرحمن فضله، كان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسير في طريق مكة، إذ رأىٰ عبد الرحمن بن عوف، فقال عثمان: «ما يستطيع أحد أن يعتدَّ علىٰ هذا الشيخ فضلًا في الهجرتين جميعًا»(٤).

هاجر عبد الرحمن إلىٰ المدينة، فآخىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الربيع أحد النُّقباء، فعرض عليه أن يشاطره ماله، فأبىٰ عليه، وذهب إلىٰ سوق المدينة، واتَّجر فيه حتىٰ صار من أغنياء القوم.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «من مناقبه أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد له بالجنَّة، وأنّه من أهل بدر الذين قيل لهم: «**اعملوا ما شئتم**»، ومن أهل هذه الآية: ﴿ لَّقَدْ

(١) محض الشَّيد في مناقب سعيد بن زيد (ص٢٤١، ٢٤٢).

(٢) الاستيعاب (ص٣١٩-٣٢٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٥٤)، ط: دار الحديث - القاهرة.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٧٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٧٨).

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقد صلى رسول الله ﷺ وراءه».

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أحد الستة الذين جعل فيهم الفاروق عمر رضي الله عنه الخلافة، وأخبر أنَّ النبي ﷺ توفي وهو عنهم راض.

تورع عبد الرحمن عن الخلافة، والصحابة جعلوا الأمر إليه في مشاورتهم فيمن يختارون.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله[(١)]: «من أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأُمة من أشار به أهل الحلِّ والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولَّاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه».

ومن كمال قيامه بأمر اختيار الخليفة بعد الفاروق عمر رضي الله عنه؛ أخذه العهد على عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما أنَّ من ولي منهما أن يحكم بالعدل، يحكم بالكتاب والسُّنَّة.

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ممن يفتي على عهد رسول الله ﷺ[(٢)].

وكان الفاروق رضي الله عنه **يسمِّي عبد الرحمن بن عوف**[(٣)]: «العدلُ الرِّضا».

كان عبد الرحمن من حكماء الصحابة وعلمائهم، أراد الفاروق عمر رضي الله عنه أن يخطب الناس في موسم الحج ليردَّ على من انتقص أبا بكر وقال: «إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة»، فقال عبد الرحمن: «أنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيِّرها عنك كل مطيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٥).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٥).

المدينةِ، فإنّها دار الهجرة والسُّنَّة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكّنًا، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها علىٰ مواضعها»، رواه البخاري.

كان عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أثرياء وأسخياء الصحابة، وقد كان غنيًّا شاكرًا، وكان عامة ماله من التجارة[١].

تصدَّق عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرةً بشطر ماله، وتصدَّق بخمسمائة فرس وراحلة في سبيل الله[٢].

وجاء المدينة سبعمائة راحلة لعبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحمل البر والدقيق والطعام، فتصدق بها في سبيل الله، رواه أحمد.

وقال جعفر بن برقان: بلغني أنَّ عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف نسمة. أخرجه أبو نعيم في «الحلية».

وقال طلحة بن عبد الله بن عوف: كان أهلُ المدينة عِيالًا علىٰ عبد الرحمن بن عوف؛ ثلث يُقرِضهُم ماله، وثلثٌ يقضي دينهم، ويَصِلُ ثلثًا[٣].

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين[٤].

واستخلف عمر عبد الرحمن علىٰ الحج سنة وَلِيَ الفاروق الخلافة[٥].

تُوفي عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وخلّف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، وترك ذهبًا قُطع بالفؤوس حتىٰ مَجِلَتْ أيدي الرجال منه[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٥٤).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٥٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٨).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٧).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٧).

(٦) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٣٤).

تُوفي عبد الرحمن ﵁ سنة اثنتين وثلاثين، وصلىٰ عليه عثمان ﵁، ودُفن بالبقيع، عاش خمسًا وسبعين سنة[١].

وطلحة بن عبيد الله هو ابن عثمان التيمي القرشي، أسلم قديمًا؛ فهو من السابقين الأولين.

أسلم علىٰ يدي أبي بكر الصدِّيق ﵁.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في طلحة**[٢]: «أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلىٰ الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا علىٰ يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشُّورَىٰ».

آخىٰ النبي ﷺ بين أصحابه بمكة قبل الهجرة، آخىٰ بين طلحة والزبير ﵄، وبعد الهجرة آخىٰ بين طلحة وأبي أيوب ﵄.

وقال ابنُ السكن: يقالُ: إنَّ طلحة تزوَّجَ أربع نسوة، عند النبي ﷺ أخت كلٍّ منهُنَّ؛ أمُّ كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحَمْنةُ بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنتُ أبي سفيان أختُ أمِّ حبيبة، ورُقَيَّةُ بنت أبي أميَّةَ أخت أم سلمة[٣].

بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلىٰ بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ﵄ إلىٰ طريق الشام يتجسّسان الأخبار، ثم رجعا إلىٰ المدينة، فقدماها يوم بدر، وضرب النبي ﷺ لطلحة بسهم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «شهد أحدًا، وما بعدها من المشاهد».

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤١٧).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤٢٢).

(٤) الاستيعاب (ص٣٨٦).

طلحة بن عبيد الله هو خاصة الصفوة من الصحابة، فكان ثاني اثنين، هو وسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجاهدون دون رسول الله ﷺ يوم أحد، بعد ظهور الكافرين.

قال أبو عثمان النهدي: «لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهنَّ رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد» رواه البخاري.

وقال قيس بن أبي حازم: رأيت يد طلحة التي وقىٰ بها النبي ﷺ قد شلَّت، رواه البخاري.

وفي مسند الطيالسي من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أتينا طلحة – يوم أحد –، ووجدنا به بضعًا وسبعين جراحة».

وبلاء طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجهاد؛ هو من موجبات دخوله الجنَّة، قال النبي ﷺ: «**أوجب طلحة**»، رواه أحمد والترمذي(١).

طلحة سماه النبي ﷺ الفياض لجوده وكرمه، دخل يومًا علىٰ زوجه خاثر النفس، فقالت له: ما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر، فقالت زوجه: وما عليك اقسمه، فقسمه حتىٰ ما بقي منه درهم، وكان المال أربعمائة ألف(٢).

وقال قبيصة بن جابر: صحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت أعطىٰ لجزيل مال من غير مسألة منه(٣).

كان طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أغنياء الصحابة.

قال الواقدي: حدثنا إسحاق بن يحيىٰ عن موسىٰ بن طلحة أنَّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بإسناد حسن»، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦).

(٢) سير السَّلف الصَّالحين (١/ ٢١٣).

(٣) سير السَّلف الصَّالحين (١/ ٢١٤).

سأله: كم ترك أبو محمد من العَين، قال: ترك ألفي ألف درهم ومئتي ألف درهم، ومن الذهب مئتي ألف دينار، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عاش حميدًا سَخِيًّا شريفًا، وقُتل فقيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

خرج طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الجمل، طالبًا تكفير ذنبه من التحريض علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «الذي كان منه في حق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَمغْفُلٌ وتأليب، فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم علىٰ ترك نصرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من بايع عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

قُتل طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل، وكان يومئذ أول قتيل.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «لا يختلف العلماء الثقات في أنَّ مروان قتل طلحة يومئذ، وكان في حزبه».

أخرج يعقوب بن سفيان عن قيس بن أبي حازم: أنَّ مروان بن الحكم رأىٰ طلحة في الخيل، فقال: هذا أعان علىٰ عثمان، فرماه بسهم في ركبته، فما زال الدم يَنْزِفُ حتىٰ مات(٤).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ(٥): «شهد طلحة بن عبيد الله يوم الجمل محاربًا لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فزعم بعض أهل العلم: أنَّ عليًّا دعاه، فذكَّره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله علىٰ نحو ما صنع الزبير، واعتزل في بعض

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣، ٣٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥).
(٣) الاستيعاب (ص٣٨٦).
(٤) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بسند صحيح»، الإصابة (٥/ ٤٢٣).
(٥) الاستيعاب (ص٣٨٦).

الصفوف، فرمي بسهم فقطع من رجله عرق النسا، فلم يزل دمه ينزف حتىٰ مات».

السيف محاء للذنوب، وطلحة والزبير وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم في الجنَّة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

أجمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الثناء علىٰ طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أدركت خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يقول: عثمان، وعليٌّ، وطلحة، والزبير؛ في الجنَّة».

تُوفي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل، سنة ست وثلاثين، وهو ابن ستين سنة[٢].

الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله القرشي، ابن عمة النبي ﷺ، فهو ابن صفية بنت عبد المطلب.

الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سادات الصحابة، من أول من أسلم، وهو من العشرة المبشرين بالجنَّة، وأحد السِّتَّة أصحاب الشورىٰ.

هاجر الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أرض الحبشة، ثم قدم علىٰ النبي ﷺ بمكة حتىٰ هاجر معه إلىٰ المدينة[٣].

شهد الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشاهد كلها، وكان به بضع وثلاثون ضربة، كلها مع النبي ﷺ[٤].

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «لم يتخلَّف الزبير عن غزوة غزاها

---

(١) سير السلف الصالحين (١/ ٢١٣).

(٢) الاستيعاب (ص٣٨٧).

(٣) سير السلف الصَّالحين (١/ ٢٢٩).

(٤) سير السلف الصَّالحين (١/ ٢٢٥).

(٥) الاستيعاب (ص٢٧١).

رسول الله ﷺ.

وآخىٰ رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حين آخىٰ بين المهاجرين بمكة، فلمَّا قدم المدينة وآخىٰ بين المهاجرين والأنصار آخىٰ بين الزبير وبين سلمة بن سلامة بن وقش».

الزبير حواري رسول الله ﷺ، وحواري الإسلام؛ ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**إنَّ لكل نبي حواريًّا، وحواريِّ الزبير**».

قال قوَّام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله **(ت: ٥٣٥هـ)**[١]: «الحواري: يعني: الناصر».

وقال الفاروق عمر رضي الله عنه **في الزبير**[٢]: «ركن من أركان الدين».

وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه: استخلِفِ الزبير، فقال: «أمَا إنَّه لأخْيَرُهم وأحبُّهم إلىٰ رسول الله ﷺ»، رواه البخاري.

وقالت عائشة رضي الله عنها **لعروة بن الزبير** رحمه الله: إن كان أبواك لمن ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، أبو بكر والزبير بن العوام[٣].

وقال الزبير رضي الله عنه: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين؛ يوم أحد ويوم قريظة، فقال: «**ارم فداك أبي وأمي**».

خرج الزبير رضي الله عنه إلىٰ الشام مجاهدًا مع الصحابة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[٤]: «تشرفوا بحضوره، وكانت له اليد البيضاء

---

(١) سير السَّلف الصَّالحين (١/ ٢٢٣).

(٢) معرفة الصحابة (١/ ١١١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٢٥).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٦).

والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلىٰ آخرهم».

كان الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أسخياء الصحابة، كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وكان يقسمه كل ليلة، وما يدخل بيته من خراجهم درهم(١).

وكان الزبير حسن المعاملة في البيع والشراء، فبارك الله في تجارته، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «كان الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تاجرًا مجدودًا في التجارة، وقيل له يومًا: بم أدركت في التجارة ما أدركت؟ فقال: لأني لم أشتر غبنًا، ولم أرد ربحًا، والله يبارك لمن يشاء».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ(٣): «قد كان الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جدًّا».

وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُٱللَّهُ(٤): «قتل الزبير، وترك أربع نسوة، فورثت كل امرأة منهن ربع الثمن: ألف ألف درهم».

خرج الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ الجمل، وقاتل فيه ساعة، فناداه أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وانفرد به، فذكَّره أنَّ رسول الله ﷺ قال له، وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلىٰ بعض: **«أما إنَّك ستقاتل عليًّا، وأنت له ظالم»**، فذكر الزبير، فانصرف عن القتال تائبًا، فاتبعه ابن جرموز، فقتله، فقال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بشر قاتل ابن صفية بالنار(٥).

---

(١) سير السَّلف الصالحين (١/ ٢٢٧).

(٢) الاستيعاب (ص٢٧٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

(٤) معرفة الصحابة (١/ ١١٢).

(٥) الاستيعاب (ص٢٧٣).

كانت وفاته سنة ست وثلاثين، وله سبع وستون أو ست وستون سنة.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قُتل الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بوادي السباع، بقرب البصرة، منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أنَّ من قُتل ظلمًا فهو شهيد».

❁ ❁ ❁

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٩٠).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

كلُّ من شهد له النبي ﷺ شهدنا له بها، كقوله: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»، وقوله: «**لثابت بن قيس إنه من أهل الجنة**».

ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنَّة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

الشَّرح:

هذه القطعة من العقيدة في الشهادة بالجنة والنار، وهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: الشهادة لموصوف، فنشهد لمن مات على الإسلام بأنه من أهل الجنة؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة[1]، قال تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥].

وأما التعيين فهذا لا يكون إلا عن طريق الوحي؛ لأن صلاح النية التي هي أحد شرطَي العمل الصالح محلها القلب، ولا يعلم السرائر إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وإنما نقف في الشخص المعين؛ فلا

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٦/ ١٧٩ –رقم ٣٠٦٢). ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٥ – رقم ١٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٩٥).

نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم؛ لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، ولكن نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء».

ولا يُشهد لمعين بالجنة لحديث الرجل الذي بالغ في قتال الكفار حتىٰ قال الصحابة فيه: ما أجزأ منا اليوم كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه من أهل النار**»، ثم كان آخر أمره أن قتل نفسه(١).

هذا في الظاهر أنه من أهل الجنة، لكن سريرته وخاتمته سيئة والعياذ بالله، لذلك بوَّب عليه البخاري: «باب: لا يقال: فلان شهيد».

وقال أبو محمد البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شرٍّ؛ فإنك لا تدري بما يُختم له عند الموت، ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، لا تدري ما سبق له عند الموت إلىٰ الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات علىٰ الإسلام، ترجو له الرحمة وتخاف عليه ذنوبه».

وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث قال**(٣): «مضت السنَّة من النبي ﷺ والخلفاء من بعده، واجتمع علماء الأمصار علىٰ ذلك:

أن لا يشهد أحدٌ علىٰ أحد بعد النبي ﷺ أنه في الجنة لصلاحه، وفضله، وسوابقه، ولا أحد أنه من أهل النار لارتكاب المعاصي والذنوب؛ ونكِلُ ذلك إلىٰ الله؛ فإنه الذي يتولىٰ السرائر. قال: ويحق عليك أن تعرف وتستيقن أن ما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**في الجنة**»، فهو في الجنة. كذلك الأمر عند أهل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب لا يقال: فلان شهيد (٦/ ٨٩ - رقم ٢٨٢٩)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح السنة، (ص٧٧ - رقم ٣٧).

(٣) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، رواية حرب الكرماني، (ص٣٩٠).

العلم من غير أن ينصب الشهادة».

وقال غالب القطان: لقيني الأشياخ من عبد القيس، فقالوا لي: ما شهادتك علىٰ مالك بن المنذر، وعلىٰ يزيد بن المهلب، وعلىٰ الحجاج بن يوسف؟ إن لم تشهد عليهم أنهم منافقون، براء من الإيمان، من أهل النار؛ فإنك شكَّاك بكتاب الله.

فأتيت الحسن، فأخبرته بمقالة الأشياخ، فقال الحسن: ابن أخي، رويدك بالشهادة تجرِ بك المعرفة، إنك من أهل الدين، لا يحل لأحد أن يشهد عليك أنك من أهل النار.

فأتيت محمد بن سيرين، فأخبرته بمقالة الأشياخ، فقال لي: أما مالك بن المنذر فأقرب ما كان منك جوارًا، وأعظمه عليك حقًّا، تشهد عليه؟! لا آمرك بالشهادة عليه، وأما يزيد بن المهلب فتعرف ركب الأزد؛ فإن شئت فتعرض له، وأما الحجاج بن يوسف، والمسكين الحجاج، المسكين أبو محمد انتهك الحرمة، وركب المعصية؛ فإنه يعذبه بذنبه، وإن يغفر له فإنا لا ننفس عليه المغفرة.

قال: فأتيت بكر بن عبد الله المزني، فأخبرته بمقالة الأشياخ، قال: لو أن الناس اجتمعوا يوم الجمعة، فقالوا لي: أتعرف أفضل هؤلاء رجلًا واحدًا؟ لقلت: أتعرفون أنصحهم لهم؟ فلو قيل له: إنه هذا. فعرفت أنه كذلك؛ لقلت: هذا أفضلهم، ولو قيل: أتعرف أشرهم رجلًا واحدًا؟ لقلت: أتعرفون أغشهم لهم؟ فلو قيل له: هذا. فعرفت أنه كذلك؛ لقلت: هذا أشرهم. ولو قيل لي: اشهد لأفضلهم أنه من أهل الجنة؛ لم أشهد. ولو قيل لي: اشهد علىٰ أشرهم أنه من أهل النار؛ لم أشهد. فإذا كان رجائي لشرهم، فكيف رجائي لخيرهم؟! وإذا

خشيتي علىٰ خيرهم، فكيف خشيتي علىٰ شرهم؟!(١).

ويبدو أن هذا الإجماع الذي حكاه إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي استقر عليه أهل السنَّة، وإلا فقد وُجد المخالف قبل؛ فالأوزاعي، ومحمد ابن الحنفية، ومحمد بن الهيثم المقري، وعبد الرحمن بن مهدي لا يشهدون حتىٰ للعشرة المبشرين بالجنة، ومنهم من ناظر الإمام أحمد بن حنبل علىٰ ذلك؛ كأحمد بن إبراهيم الدورقي، وعلي بن المديني(٢).

الثاني: الشهادة لمعيَّن، فنشهد لكلِّ من شهد له الوحي بأنه من أهل الجنة؛ لأن خبر الله ورسوله صدقٌ لا يدخله النسخ؛ كالعشرة المبشرين بالجنة، وثابت بن قيس بن شماس، بل ونشهد بالجنة لعموم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن الله قال فيهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لما سأله أهلُ الردَّة الصلح فقال**: «لا، حتىٰ تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار»(٣).

قال محمد بن الحسن بن هارون: سألت أبا عبد الله (الإمام أحمد) عن الشهادة للعشرة؟ قال: نعم، أشهدُ للعشرة بالجنة(٤).

وقال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ عَقَلَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَصَانَهُ عَنْ مَذَاهِبِ الرَّافِضَةِ وَالنَّاصِبَةِ؛ أَنْ يَشْهَدَ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ

(١) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، رواية حرب الكرماني، (ص٣٩٦).

(٢) السنة للخلال (١/ ٣٥٨ - ٣٦٠).

(٣) السنة للخلال (١/ ٣٥٥ - ٣٥٦).

(٤) السنة للخلال (١/ ٣٥٥).

(٥) الشريعة (٢/ ٤٢٥).

بِالْجَنَّةِ؛ إِذْ كَانَ عَلَىٰ حِرَاءَ فَتَزَلْزَلَ بِهِ الْجَبَلُ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَتَمَامُ سَائِرِ الْعَشَرَةِ، فَقَالَ لَهُ: «**اسْكُنْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**». وَكَذَا كَانُوا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ ضَمِنَ اللهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا يُخْزِيهِمْ، وَأَنَّهُ يُتِمُّ لَهُمْ نُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ».

وقال أبو عبد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «يشهد للعشرة بالجنة بلا شك، ولا استثناء، وهم أصحاب حراء: النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح؛ فهؤلاء لا يتقدمهم أحدٌ في الفضل والخير، ويشهد لكلِّ من شهد له النبي بالجنة، وأن حمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان، والتوبة والرحمة من الله».

ومن الأدلة القرآنية على أن جميع الصحابة في الجنة؛ قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ اللَّهُ **في فوائد الآية**(٢): «شاهد لكل من حضر مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنة، فيكونون مضمومين

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، (ص٢٨٨ - ٢٩٠).
(٢) نكت القرآن الدالة على البيان (١/ ٥٦٧ - ٥٦٨).

إلىٰ العشرة المشهود لهم بها، وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنة علىٰ من كان فيه شهادة هذه الآية له، وهي حق».

وينصُّ علماء السنَّة علىٰ بعض الصحابة بالشهادة لأعيانهم بالجنَّة، ممن يسيء الرافضة الظنَّ بهم؛ إظهارًا لشهادة العدول فيهم.

فقد قال قوام السنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قال بعض علماء السلف:... ونشهد أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أهل الجنة».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ومن مذهب أهل السنَّة: أنهم لا يشهدون علىٰ أحدٍ من أهل القبلة بالنار، وإن مات علىٰ كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحدٍ أنه في الجنة إلا من شهد له النبيُّ ﷺ، ونرجو لأهل القبلة الجنَّة، ونرغب في شهود جنازته، وعيادته».

وكذلك من شهد له الوحي بالنار، فنشهد أنه من أهل النار بعينه، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحن نشهد أن أبا لهب وأبا جهل في النار»(٣).

وكذلك الحال بالنسبة للأطفال، لا نشهد لأعيانهم؛ فأطفال الكفار قال النبي ﷺ في شأنهم: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». والطفل من المسلمين الذي مات وقالت عنه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «عصفور من عصافير الجنة»، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما يدريك؟**».

قال إسحاق بن منصور الكوسج للإمام إسحاق بن راهويه: أطفال المشركين؟

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يُعتمد عليه أن لا ينزلوا جنة ولا نارًا،

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

(٣) السنة للخلال (١/ ٣٦٦ - رقم ٤٩٨).

حتىٰ يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينزلهم.

وأما أولاد المسلمين فإنهم من أهل الجنة، ولكن لا يجوز لأحدٍ أن يشهد لولدٍ مسلم بعينه أن هذا من أهل الجنة، كنحو من يقول: المؤمنون أهل الجنة، ولا يُنَصَّب أحدًا بعينه»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «عزّىٰ بعض العلماء رجلًا بطفله، فقال له: «قد دخل بعضك الجنة فاجتهد أن لا تتخلف بقيتك عنها»، قلت: وفي جواز هذه الشهادة ما فيها؛ فإنا وإن لم نشك أن أطفال المؤمنين في الجنة لا نشهد به لمعيَّن أنه فيها، كما نشهد لعموم المؤمنين بالجنة ولا نشهد بها لمعيَّن سوىٰ من شهد له النصُّ، وعلىٰ هذا يُحمل حديثُ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وقد شهدت للطفل من الأنصار بأنه عصفور من عصافير الجنة، فقال لها النبي ﷺ: «**وما يدريك؟**...».

وهكذا نقول لهذا المعزي: وما يدريك أن بعض المعزي دخل الجنة. وسرُّ المسألة الفرق بين المعين والمطلق في الأطفال والبالغين، والله أعلم».

وأما من لم يشهد له الوحي بعينه بالجنة والنار، لكن تواتر ثناء المسلمين عليه خيرًا أو شرًّا، فهل يشهد له بذلك أنه من أهل الجنة أو النار؟

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ولهم في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: منهم من لا يشهد بالجنة لأحدٍ إلا الأنبياء، وهذا قول محمد ابن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نصٌّ، وهذا قولُ كثير من أهل الحديث.

---

(١) المسائل (٩/ ٤٧٤٠ - رقم ٣٤٠٥).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٥٧).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

والثالث: يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون، كما قال النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»(١)، وقال: «**يوشك أن تَعلموا أهلَ الجنة مِن أهل النار**»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن والثناء السيئ**»(٢)، فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة وأهل النار، وكان أبو ثور يقول: «اللهم اشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة»، ويحتج بهذا».

وقال والدنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ كلام شيخ الإسلام(٣): «وعلىٰ هذا فنشهد لهؤلاء الأئمة الذين أجمعت الأمَّة، أو جلُّها علىٰ الثناء عليهم بالجنَّة. لكن ليست شهادتنا لهم بالجنة كشهادتنا لمن شهد له الرسول ﷺ».

فائدة: قال ابن عقيل في الفنون(٤): «سؤالٌ عن قوله ﷺ: «**وجبت**»، والجواب: أنه يجوز أن يكون قوله ذلك مما أُلقي إليه من الوحي، ويُحتمل أن يكون لما ظهر له حين غُفر شرُّه لخيره».

والسؤال الذي يطرح نفسه، وهو أن قول النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»: هل يمكن أن يُعمم الآن مع تغيُّر الناس وظهور النقص في الشهداء؟

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس علىٰ الميت (٣/ ٢٨٨ - رقم ١٣٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن يثنىٰ عليه خير أو شر من الموتىٰ (٢/ ٦٥٥ - رقم ٩٤٩).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤١٦)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الثناء الحسن (٢/ ١٤١١ - رقم ٤٢٢١)، من حديث أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه، وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة».

(٣) الشرح الممتع (٥/ ٣٨٠).

(٤) الآداب الشرعية (١٢٣٦).

(٥) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٥٧٦ - ٥٧٧).

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] دليلٌ علىٰ أن شهادة المؤمنين مقبولة لبعضهم علىٰ بعض بالخير والشر، ولا تقبل إلَّا شهادة من جمع مع الإيمان أمانة وفضلًا واتقاءً لربه ومروءة؛ لأن المؤمنين الذين رأوا أعمال هؤلاء مع الله ورسوله كانوا كذلك، لا أن شهادة كلِّ من شمله اسم الإيمان مقبولة، وإن كان بضدِّ ما وصفنا به أصحابَ رسول الله ﷺ الذين رأوا أعمال القوم معه، وذلك أنهم شهداء الله في أرضه.

ولا يجوز أن يكون بها شهداء إلا المبرئين من العيوب، الطاهرين من أدناس الذنوب، الأمناء فيما يقولون وعليه يشهدون، لا يحملهم شنآن قوم علىٰ قول القبيح فيهم بغير علم، علماء بما يكون جرحًا ظاهرًا، لا يتأوَّلون علىٰ المرمىٰ بآرائهم، يتوقَّوْن أن يجرحوا إلا بالنصوص المتيقَّنَة المؤدِّيَة إلىٰ حقائق الجرح دون غيرها؛ فإن كثيرًا من الناس يرىٰ الشيء محرَّمًا بتأويل فيه، فيدين الله به، وغيره يراه محللًا وهو أمين يقتدي بصالح سلفه وصحابة نبيه ﷺ، قد تبين موضع الحجَّة فيما أداه إلىٰ تحليل ما أدىٰ الشاهد الآخر إلىٰ التحريم.

وإذا لم يجرح الرجل بالنصوص التي يستوي المجروحون بها في الذم؛ خاطر بدين السامعين بشهادته، وسيما إن كان مرموقًا بعيد التوقي، فلعلهم يهجرون المشهود عليه بشهادته، والهجران محرَّمٌ، أو تكون شهادته عليه بالخير في نحو ذلك؛ فيغر من يذكر إليه ويستنيم إلىٰ حسن الثناء عليه من أمن عنده، فيودعه أمواله أو يناكحه، ويبايعه، ويشاركه؛ فيكون فيه هلاكه».

ومما يدل علىٰ ما ذكره الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنَّ شهادة الناس قد لا تطابق الواقع»؛ حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**ويقال للرجل: ما**

أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبَّة خردل من إيمان»[(١)].

وكذلك لمَّا سأل النبيُّ ﷺ الصحابة عن المفاضلة بين رجلين مرَّا بهما، فلم يرضَ النبي ﷺ شهادته في أن أحدهما خيرٌ من الآخر، وقال ﷺ مصحِّحًا ومبيِّنًا لحقيقة الأمر في المفاضلة بينهما: «**هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا**»[(٢)].

وهنا آثارٌ ينبغي أن تُفهَم علىٰ وجهها، وإلا أوجبت أن يقال بنفي الشهادة بالجنة للصحابة، بل وللعشرة المبشرين لمن التبست عليه.

من ذلك: سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن المنافقين، هل يذكرني النبي ﷺ منهم؟ فقال حذيفة رضي الله عنه: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك[(٣)].

وكذلك لما قالت أم سلمة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «**إن من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبدًا**»، فقال عمر لأم سلمة رضي الله عنها: أنشدك بالله، أمنهم أنا؟ قالت: لا، ولن أُبرئ بعدك أحدًا[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «إنما أرادت: أني لا أفتح عليَّ هذا الباب، ولم ترد: أنك وحدك البريء من ذلك دون سائر الصحابة».

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة النار من الناس (١٣/ ٣٨ - رقم ٧٠٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه (١١/ ٢٧٣ - رقم ٦٤٤٧).

(٣) رواه وكيع بن الجراح في الزهد (٢/ ٧٩١ - رقم ٤٧٧) بإسناد صحيح.

(٤) رواه أحمد (٦/ ٣١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٤).

(٥) بواسطة إغاثة اللهفان (١/ ١٧١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

الشَّرح:

حذّر ابن قدامة هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تكفير المسلمين بغير مُكَفِّر،

وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس مجانبة لتكفير المسلمين، قال طلحة بن نافع الواسطي: سأل رجل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: هل كنتم تُسَمُّونَ أحدًا من أهل القبلة كافرًا؟ قال: معاذ الله. رواه أبو يعلىٰ في مسنده(١).

الخوارج يُكفِّرون المسلمين بكبائر الذنوب، وغلاتهم يُكفِّرون بالصغائر.

قال العلامة محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما الردُّ علىٰ الشراة في باب الذنوب؛ فإنهم يعدون صغيرها وكبيرها كفرًا، فإذا كان الكفر كفرًا والذنب كفرًا، فما الشيء الذي يغفره الله بعد الشرك لمن يشاء؟! هذا ما لا يذهب علىٰ المميزين إذا أبصروه وأعملوا الفكر فيه، مع أنه بحمد الله جلي واضح».

والمعتزلة والخوارج اختلفوا في الحكم علىٰ مرتكب الكبيرة، وقال الخوارج إنّه كافر، وقال المعتزلة هو في منزلة بين الكفر والإيمان. والأصل الذين بنىٰ عليه الخوارج والمعتزلة حكمهم بتكفير العاصي هو أن الإيمان عندهم قطعة واحدة؛ إما يبقىٰ كله أو يذهب كله.

واختلف الخوارج فيما بينهم في معاملة مرتكبي الكبيرة، والحكم علىٰ الدار التي يسكنونها.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في المطالب العالية: «صحيح موقوف»، سلسلة الآثار الصحيحة (١/ ٢٧٩).

(٢) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٢٧٣).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يقول الخوارج: المذنب كافر غير مؤمن، إلا أن الصفرية تجعله كالمشرك، وتجعل دار المذنب المخالف لهم دار حرب، وأما الإباضية فتجعله كافر نعمة، ولكنهم يخلدونه في النار إن لم يتب من الكبيرة، ولا يستحلون ماله كما يستحله الصفرية».

والوعيدية من المعتزلة والخوارج لهم طرق في تقرير عقيدتهم في تكفير المسلمين بالمعاصي:

الطريق الأول: استعمال النصوص الواردة في نفي دخول الجنة عمن فعل بعض الكبائر، كقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[٢].

الطريق الثاني: استعمال النصوص الواردة في إثبات الخلود في النار لمن أتىٰ ببعض الكبائر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وكقوله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[٣].

الطريق الثالث: نفي الإيمان عمن وقع في كبيرة، كقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الطريق الرابع: تشبيه بعض الذنوب بالشرك، كقوله ﷺ: «**مدمن الخمر**

---

(١) التمهيد (٩/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الآداب، باب ما يكره من النميمة (١٠/ ٤٧٢ - رقم ٦٠٦٥)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة (١/ ١٠١ - رقم ١٦٩) من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٣ - رقم ١٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كعابد وثن»، رواه أحمد.

الطريق الخامس: التعلُّق بالنصوص الواردة في حبوط العمل بفعل بعض الكبائر، فحملوها علىٰ الردَّة، كقوله ﷺ: «**من نام عن صلاة العصر فقد حبط عمله**»، رواه البخاري.

والجواب عن هذه الطرق كالآتي:

أما الطريق الأول الذي تعلقوا به من استعمال النصوص الواردة بنفي الجنة عمن أتىٰ ببعض الكبائر؛ فجوابه من وجوه:

أ - بيان المراد بنفي دخول الجنة، فليس المراد نفي دخول الجنة مطلقًا؛ فإن هذا لا يكون للموحِّدين، وإنما يكون للكافرين، فالمراد أنهم لا يدخلونها دخولًا أوليًّا لا يسبقه عذاب.

قال الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ومعنىٰ قوله: «**لا يدخل الجنة**» مع ما ثبت من أن كلَّ مسلم لا بد أن يدخل الجنةَ، وإن دخل النار: أنه لا يدخلها وقتَ دخول أهلها إليها إذا فتحت أبوابها للمتقين، إلا أن يعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

ب - أن نفي دخول الجنة يُراد به نوع خاصٌّ من الجنة لا كل الجنة، فهو يدخل الجنة، لكن لا يدخل أعلاها التي يدخلها من لم يقترف تلك الكبائر.

قال أبو بكر بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فمعنىٰ هذه الأخبار التي فيها ذكر بعض الذنوب التي يرتكبها بعض المؤمنين؛ فإن النبي ﷺ يعني قال: إن مرتكبها لا يدخل الجنة، معناها: أنه لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين

(١) صيانة صحيح مسلم، (ص٢٠٥).

(٢) التوحيد (٢/ ٨٧٥).

لم يرتكبوا تلك الذنوب والخطايا والحوبات».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وبيقين يعلم كلُّ عالم بلغة العرب: أنه جائز أن يقول القائل: لا أدخل الدار. إنما يريد بعض الدور».

ويدلُّ لهذا الجواب حديثُ أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الفردوس بيده، وحظرها علىٰ كل مشرك ومدمن خمر سكير**»[٢].

ج - أن نفي دخول الجنة يُراد به في وقت دون وقت.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ونقول أيضًا: معلوم متيقَّن عند العرب؛ أن المرء قد يقول: لا أدخل موضع كذا وكذا، ولا يدخل فلان موضع كذا وكذا. يريد مدة من المدد، ووقتًا من الأوقات.

قد يجوز أن يقول ﷺ: من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة؛ لأنه يُحبس عن دخول الجنة؛ إما للمحاسبة علىٰ الذنب، أو لإدخال النار ليعذَّب بقدر ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنبُ مما يستوجب به المرتكب النارَ إن لم يعفُ الله ويصفح ويتكرَّم، فيغفر ذلك الذنب».

ثانيًا: وأما النصوص الواردة في إثبات الخلود في النار لمن أتىٰ ببعض الكبائر، كما في القاتل؛ فهذا موضع زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، وقد ذكر البعض أن إخلاف الوعيد جائز، بل قالوا: هذا مما يمدح به الربُّ سبحانه. والذي لا مرية فيه أن الله لا يخلف الوعد ولا الوعيد.

---

(١) التوحيد (٢/ ٨٧٦).

(٢) الرد علىٰ الجهمية لابن منده، (ص٧٧)، الأربعون في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي، (ص٧٢).

(٣) التوحيد (٢/ ٨٧٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فإخلاف ميعاده تبديل لكلماته، وهو سبحانه لا مبدل لكلماته. يبين ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٨، ٢٩]؛ فأخبر سبحانه أنه قدَّم إليهم بالوعيد، وقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]، وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضًا، وأن وعيده لا يبدَّل».

لكن ينبغي أن يُعلم أن الوعيدَ قد يتخلَّف لمانع، أما أن اللهَ يُخلف الوعيد فكلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حيث قُدِّر قيام الموجِب للوعيد؛ فإن الحكم يتخلَّف عنه لمانع، وموانع لحوق الوعيد متعددة: منها التوبة، ومنها الاستغفار، ومنها الحسنات الماحية للسيئات، ومنها بلاء الدنيا ومصائبها، ومنها شفاعة شفيع مطاع، ومنها رحمة أرحم الراحمين.

فإذا عُدمت هذه الأسباب كلها، ولن تُعدم إلا في حقِّ من عتا وتمرَّد وشرد علىٰ الله شرود البعير علىٰ أهله؛ فهنالك يُلحق به الوعيد».

فالحاصل أنه لا يلزم من وجود مقتضىٰ الحكم وجوده؛ فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، والتوحيد مانع من موانع الخلود، ولا ريب.

ثالثًا: وأما الأحاديث الواردة في نفي الإيمان عمن أتىٰ بعض الكبائر، كقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

فهذا قيل في جوابه: إنه أخرج من الإيمان إلىٰ الإسلام، وهو قول أبي جعفر الباقر، وحماد بن سلمة، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وسهل

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٤٩٧ - ٤٩٨).

(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، (ص٥٠)، ط: المكتب الإسلامي.

التستري(١).

ولعله يشهد لهذا القول حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا(٢): «إذا زنىٰ الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان».

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ أن المعنىٰ: أن العبد حال مقارفة الذنب ليس اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواه، حيث قال(٣): «فعُلم أن الزاني والشارب أبعد عن كون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما من هؤلاء التاركين للجهاد، وإن كانوا يحبون الله ورسوله، لكن لم يقل له: إنها أحب إليه مما سواهما، ولا أنه مُتَّصف بذلك وقت الشرب، فقد يتصف العبد بالأحبيَّة في حال دون حال، ولابد في الإيمان من أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».

وتأوَّلت الجهمية والمرجئة مثل هذا الحديث علىٰ أن المنفي موجبُ الإيمان، أو ثمرته، أو العمل به، ونحو ذلك من تأويلاتهم(٤).

وأما تشبيه بعض الذنوب بالشرك؛ كقوله ﷺ: **«مدمن الخمر كعابد وثن»**(٥).

---

(١) شرح حديث «لا يزني الزاني وهو مؤمن» لابن تيمية، (ص٢٥ - ٢٦).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٦ - رقم ٤٦٩٠)، وقال أبو الفضل العراقي في طرح التثريب (٧/ ٢٥٩): «إسناده جيد»، وقال العلامة الألباني في تحقيق كتاب الإيمان لابن تيمية، (ص٣): «حديث ثابت».

(٣) شرح حديث «لا يزني الزاني وهو مؤمن» لابن تيمية، (ص٢٩).

(٤) شرح حديث «لا يزني الزاني وهو مؤمن» لابن تيمية، (ص٢٥).

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٧٢): ثنا أسود بن عامر، ثنا الحسن بن صالح، عن محمد بن المنكدر، قال: حُدثت عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

وإسناده ضعيف؛ لجهالة من حدث عن المنكدر.

ورواه ابن حبان (٧/ ٣٦٧ - رقم ٥٣٢٣ - ترتيب ابن بلبان) من طريق عبد الله بن خراش بن حوشب، ثنا =

فهذا لا يلتبس - بحمد الله - علىٰ السني الذي يجمع النصوص بعضها ببعض، وإنما يلتبس علىٰ الحروري الذي يُعمل أمثال هذه النصوص من غير نظر في سائر الأدلة والأصول، فقد أثبت النبي ﷺ الإيمان لعبد الله حمار مع إدمانه علىٰ شرب الخمر، حين لعنه أحد الصحابة، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه؛ فإنه رجل يحب الله ورسوله**»(١).

وأما الحديث فقد أجاب عنه علامة الأندلس أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله(٢): «وما كان من هذا النوع من الأحاديث التي شُبِّه الذنبُ بأجزاء أعظم منه، أو قرن به؛ فالمعنىٰ فيها: أن من أتىٰ شيئًا من تلك الذنوب فقد

=

العوام بن حوشب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... فذكره.

وعبد الله بن خراش ضعيف، وأطلق عليه ابن عمار الكذب، كما في «التقريب» (رقم ٣٣١٢).

ورواه البزار (٣/ ٣٥٦ - رقم ٢٩٣٤ - زوائد) من طريق إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... الحديث.

وقال البزار: (لا نعلمه يروىٰ عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، ولا نعلمه عن غيره من وجه صحيح).

ورواه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر (٢/ ١١٢٠ - رقم ٣٣٧٥) من طريق محمد بن سليمان الأصبهاني، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة... الحديث.

وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٦٦٠ - ٦٦١)، بينما أعلَّه من قبله الدارقطني في «العلل» (١٠/ ١١٤ - ١١٥) بالاختلاف علىٰ سهيل بن أبي صالح، وأشار ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٣٤) إلىٰ خطأ محمد بن سليمان الأصبهاني فيه علىٰ سهيل بن أبي صالح، حيث رواه عنه علىٰ الجادة سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، وقد روي عن سهيل بإسناد آخر مرسلًا.

والحديث ضعَّفه الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥/ ٢١٧٧).

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج عن الملة (١٢/ ٧٥ - ٦٧٨٠)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أصول السنة، (ص٢٥٥).

لحق بمن شُبِّه في لزوم المعصية به، إلا أن كلَّ واحد منهما في الإثم علىٰ قدر ذنبه».

والتشبيه في قوله: «**كعابد وثن**» ليس من كلِّ وجه، وإنما يشاركه في محبته وتعلُّقه به؛ فحبُّه وتعلُّق قلبه بها، وشغله بها، ورِقُّ قلبه لها؛ هو من هذا الوجه بشرب الخمر يشبه عابد الوثن، لا أنه من كلِّ وجه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنّ المحبوبات لغير الله قد أثبت الشارع فيها اسم التعبُّد، كقوله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم**»».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وهذا لأن مدمنها يعكف عليها، ولا يكاد يفيق منها؛ فيصير كالعاكف علىٰ الوثن، كما قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الشطرنج».

وقال الحافظ ابن رجب[(٣)]: «وكلما أدمن الخمر وعكف عليها؛ نقص إيمانه وضعف، ونزع منه، فيُخشىٰ أن يُسلبَهُ بالكليَّة عند الموت».

وتوجيه ابن رجب هذا أفضل مما تأوَّله ابن حبان بقوله[(٤)]: «يشبه أن يكون معنىٰ هذا الخبر: من لقي الله مدمن خمر مستحلًّا لشربه، كعابد وثن؛ لاستوائهما في حالة الكفر».

فمستحلُّ الخمر من غير تأويل كافرٌ، سواء شربها أم لم يشربها، وقد أنكر أحمد وغيره من سمَّىٰ شارب الخمر كافرًا.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «قد أنكر أحمد في رواية المروذي ما

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٤٩).

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (١/ ٢٧٦).

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (١/ ٢٧٦).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ٣٦٧).

(٥) فتح الباري (١/ ١٤٠).

رُوي عن عبد الله بن عمرو: أن شارب الخمر يسمىٰ كافرًا، ولم يثبته عنه، مع أنه قد رُوي عنه من وجوه كثيرة، وبعضها إسناده حسن، وروي عنه مرفوعًا».

فالذي لا مرية فيه هو أن شرب الخمر من غير استحلال لها ليس من نواقض الإسلام، وإنما هي معصية يُعاقب صاحبها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كلُّ مسلم يعلم أن شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق؛ لم يكن النبي ﷺ يجعلهم مرتدِّين يجب قتلهم، بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبيِّن أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام».

وأما تعلُّق الخوارج بالنصوص الواردة في حبوط العمل في بعض الكبائر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وكما في قوله ﷺ: «**من نام عن صلاة العصر فقد حبط عمله**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قد استدل بهذا الحديث من يقول بتكفير أهل المعاصي من الخوارج وغيرهم».

فهذه النصوص دالَّة علىٰ حبوط بعض الأعمال لا كلها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «وليس هذا بردَّة، بل معصية تُحبط العملَ وصاحبها لا يشعر».

---

(١) الإيمان، (ص٢٧٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر (٢/ ٣١ - رقم ٥٥٣)، من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٢).

(٤) بدائع التفسير (٤/ ١٧٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والمعنىٰ: كراهية أن يحبط أو خشية أن يحبط، فنهاهم عن ذلك؛ لأنه يفضي إلىٰ الكفر المقتضي للحبوط، ولا ريب أن المعصية قد تكون سببًا للكفر، كما قال بعض السلف رحمهم الله: المعاصي بريد الكفر. فيُنهىٰ عنها خشية أن تُفضي إلىٰ الكفر المحبط؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ وهي الكفر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وإبليس خالف أمر الله فصار كافرًا، وغيره أصابه عذاب أليم».

وأما حديث النوم عن صلاة العصر، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «جعل تركها موجبًا لحبوط العمل، يعني - والله أعلم - عمل يومه؛ فإن الأعمال بالخواتيم».

وقد وردت بعض النصوص في بعض المعاصي في حجب التوبة عن فاعلها، وعدم قبول توبته، مع أنها فيما دون الكفر؛ كحجب التوبة عن المبتدع بدعةً غير مكفرة، وشارب الخمر، فالمراد بحجب التوبة أو عدم قبولها؛ هو عدم التوفيق إلىٰ التوبة.

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وقد سُئل سيدنا الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عما رُوي عن النبي ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ احتجز التوبة عن صاحب البدعة، وحَجْز التوبة عن أي شيء معناه؟

فقال: «لا يوفَّق ولا ييسَّر صاحب بدعة لتوبة».

---

(١) شرح حديث جبريل، (ص٣٤٦).

(٢) شرح العمدة، كتاب الصلاة (٢/ ١٦١).

(٣) لوامع الأنوار (١/ ٤٠٠)، بتصرف يسير جدًّا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لأن اعتقاد المبتدع الفاسد يدعوه إلىٰ أن لا ينظر نظرًا تامًّا إلىٰ دليل خلافه، فلا يعرف الحقَّ».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدمن الخمر: «وفي الترمذي عنه - يعني: عبد الله بن عمرو - مرفوعًا، بعد الرابعة: «**وإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من طينة الخبال**»، وإن صحَّ به حُمل علىٰ أنه لا تُهيَّأ له توبة نصوح بعد ذلك، ويكون من أحاديث الوعيد».

وقد صدر عن بعض الفقهاء القولُ بنفي قبول التوبة في بعض الذنوب؛ فهذا إنما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم، لا أن هذه الذنوب تُحيط بصاحبها ولا سبيل إلىٰ الخروج منها؛ فهذا إنما يكون في الشرك، أعاذنا الله من مذهب الحرورية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما الذنوب التي يطلق الفقهاء فيها نفي قبول التوبة، مثل قول أكثرهم: «لا تقبل توبة الزنديق وهو المنافق»(٣)، وقولهم: «إذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله»، وكذلك قول الكثير منهم أو أكثرهم في سائر الجرائم؛ كما هو أحد قولي الشافعي، وأصح الروايتين عن أحمد، وقولهم في هؤلاء: إذا تابوا بعد الرفع إلىٰ الإمام لم تُقبل توبتهم. فهذا إنما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم، أي: لا تُقبل توبتهم بحيث يخلىٰ بلا عقوبة، بل يُعاقب؛ إما لأن توبته غير معلومة الصحَّة، بل يظن به الكذب فيها، وإما لأن رفع العقوبة بذلك يفضي إلىٰ انتهاك المحارم

---

(١) حاشية العلامة ابن قاسم علىٰ الدرة المضية، (ص٦٧). [جامع المسائل - المجموعة الثامنة، (ص٣٩٢)].

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٨٩ - ١٩٠).

(٣) علَّل العلماء ذلك بأنَّنا لم نعرف في حقِّه علمًا يظهر به مخالفة مقتضىٰ اعتقاده؛ لأن دينه الذي يعتقده أن يدخل مع كل قوم فيما يهوونه. أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦).

وسدِّ باب العقوبة علىٰ الجرائم، ولا يريدون بذلك أن من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فإن الله لا يقبل توبته في الباطن؛ إذ ليس هذا قولَ أحدٍ من أئمة الفقهاء».

وأهل السنَّة يقولون بتوبة المرتد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ ﴾ [التوبة: ٧٤]، ولقبول النبي ﷺ توبة عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكذلك الحارث بن سويد.

وهذا مما أجمع عليه أهل السنَّة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فالإجماع من الصحابة رضي الله عنهم علىٰ ذلك؛ فإن النبي ﷺ لما تُوفِّي ارتدَّ أكثر العرب إلا أهل مكة، والمدينة، والطائف، واتبع قومٌ مَن تنبَّأ لهم: مثل مسيلمة، والعنسي، وطليحة الأسدي؛ فقاتلهم الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم، حتىٰ رجع أكثرهم إلىٰ الإسلام، فأقرُّوهم علىٰ ذلك، ولم يقتلوا واحدًا ممن رجع إلىٰ الإسلام، ومن رؤوس من كان قد ارتدَّ ورجع: طليحة الأسدي المتنبي، والأشعث بن قيس، وخلق كثير لا يحصون، والعلم بذلك ظاهر لا خفاء به علىٰ أحد».

وأما ما يروىٰ عن الحسن البصري أنه خالف؛ فغير دقيق، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وهذه الرواية عن الحسن فيها نظر؛ فإن مثل هذا لا يخفىٰ عليه، ولعله أراد نوعًا من الردة كظهور الزندقة ونحوها، أو قال ذلك في المرتد الذي ولد مسلمًا، ونحو ذلك مما قد شاع فيه الخلاف».

وقد نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما القول بنفي توبة القاتل، وكذلك نقل عن بعض

---

(١) الصارم المسلول، (ص٣١٨).

(٢) الصارم المسلول، (ص٣١٨ - ٣١٩).

الصحابة كابن عمر وأبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا -.

قال العلامة أبو العباس القرافي (ت: ٨٨٤) رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «في المقدمات: ليس بعد الكفر أعظم من القتل، وجميع الذنوب تمحوها التوبة بإجماع إلا القتل، قال ابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إن الوعيد محتم متحتم عليه، لا توبة له للآية المتقدمة، وهي أخصُّ من آيات التوبة وأحاديثها فتقدَّم عليها، وقاله مالك. وقال: لا يجوز إمامته وإن تاب، وعن رسول الله ﷺ: «**كل ذنب عسىٰ الله أن يعفو عنه إلَّا من مات كافرًا، أو قتل مؤمنًا متعمدًا**»، قال: ولأن من شرط التوبة رد التبعات، ورد الحياة علىٰ المقتول متعذر إلا أن يُحالِلَهُ المقتول قبل موته بطيب نفسه.

قال: ومذهب أهل السنَّة: أن القتل لا يُحبط الأعمال الصالحة، فلا بد من دخول الجنة ليجازىٰ علىٰ حسناته، وكان ابن شهاب إذا سُئل عن توبته؛ سأل: هل قتل أم لا؟ ويطاوله في ذلك، فإن تبيَّن له أنه لم يقتل؛ قال: لا توبة له، وإلا قال: له التوبة، وإنه لحسن في الفتوىٰ. ومن توبته عَرْض نفسه علىٰ أولياء المقتول، فإن أقادوا منه وإلا قال: لكم الدية. وصام شهرين متتابعين، أو أعتق رقبة، ويكثر من الاستغفار، ويستحب أن يلازم الجهاد ويبذل نفسه لله تعالىٰ، رُوي كلُّه عن مالك في قبول توبته، فإن قُتل القاتل قصاصًا، قيل: ذلك كفارة له؛ لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الحدود كفارات لأهلها**»، وقيل: ليس يكون ذلك؛ لأن المقتول لا ينتفع بالقصاص، بل منفعته بالإحياء زجرًا وتشفيًا، والمراد بالحديث: حقوق الله تعالىٰ».

---

(١) الذخيرة (١٣/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «واختلفوا فيما إذا تاب القاتل وسلَّم نفسه، فقتل قصاصًا، هل يبقىٰ عليه يوم القيامة للمقتول حقٌّ؟

فقالت طائفة: لا يبقىٰ عليه شيء؛ لأن القصاص حدُّه، والحدود كفارة لأهلها، وقد استوفىٰ ورثة المقتول حقَّ موروثهم، وهم قائمون مقامه في ذلك، فكأنه قد استوفاه بنفسه؛ إذ لا فرق بين استيفاء الرجل حقَّه بنفسه أو بنائبه ووكيله.

يوضح هذا أنه أحد الجنايتين، فإذا استوفيت منه لم يبقَ عليه شيء، كما لو جنىٰ علىٰ طرفه فاستقاد منه؛ فإنه لا يبقىٰ له عليه شيء.

وقالت طائفة: المقتول قد ظُلم وفاتت عليه نفسه، ولم يستدرك ظلامته، والوارث إنما أدرك ثأر نفسه وشفاء غيظه، وأيُّ منفعة حصلت للمقتول بذلك؟! وأي ظلامة استوفاها من القاتل؟!

قالوا: فالحقوق في القتل ثلاثة: حق لله، وحق للمقتول، وحق للوارث؛ فحقُّ الله لا يزول إلا بالتوبة، وحق الوارث قد استوفاه بالقتل، وهو مخيَّر بين ثلاثة أشياء: بين القصاص، والعفو مجانًا، أو إلىٰ مال، فلو أحلَّه أو أخذ منه مالًا؛ لم يسقط حقُّ المقتول بذلك، فكذلك إذا اقتصَّ منه؛ لأنه أحد الطرق الثلاثة في استيفاء حقِّه، فكيف يسقط حقُّ المقتول بواحد منها دون الآخرين؟! قالوا: ولو قال القتيل: لا تقتلوه لأطالبه بحقي يوم القيامة، فقتلوه، أكان يسقط حقه أو لم يسقطه؟ فإن قلتم: يسقط، فباطل؛ لأنه لم يرضَ بإسقاطه، وإن قلتم: لا يسقط؛ فكيف تسقطونه إذا اقتص منه مع عدم العلم برضا المقتول بإسقاط حقه؟!

وهذه حجج كما ترىٰ في القوة لا تندفع إلا بأقوىٰ منها أو بأمثالها.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٩٨ - ٣٩٩).

فالصواب - والله أعلم - أن يقال: إذا تاب القاتل من حقِّ الله، وسلَّم نفسه طوعًا إلىٰ الوارث ليستوفي منه حقَّ موروثه؛ سقط عنه الحقَّان، وبقي حقُّ الموروث لا يضيعه الله، ويجعل من تمام مغفرته للقاتل تعويض المقتول؛ لأن مصيبته لم تنجبر بقتل قاتله، والتوبة النصوح تهدم ما قبلها، فيعوض هذا عن مظلمته، ولا يعاقب هذا لكمال توبته، وصار هذا كالكافر المحارب لله ولرسوله إذا قتل مسلمًا في الصف ثم أسلم وحسن إسلامه؛ فإن الله سبحانه يعوِّض هذا الشهيد المقتول، ويغفر للكافر بإسلامه ولا يؤاخذه بقتل المسلم ظلمًا؛ فإن هدم التوبة لما قبلها كهدم الإسلام لما قبله.

وعلىٰ هذا إذا سلَّم نفسه وانقاد، فعفا عنه الولي، وتاب القاتل توبة نصوحًا؛ فالله تعالىٰ يقبل توبته ويعوض المقتول. فهذا الذي يمكن أن يصل إليه نظر العالم واجتهاده، والحكم بعد ذلك لله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨]».

وتوهَّم ابنُ حزم التلازم بين نفي توبة القاتل والخلود في نار جهنم، فأخطأ لذلك علىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد أشار إلىٰ خطئه علىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال(١): «ومن نقل عن ابن عباس أنه كان يقول بتخليد قاتل النفس فقد كذَبَ عليه، كما ذكر ذلك ابنُ حزم وغيره، وأما المنقول عن ابن عباس فنفي توبة القاتل لا القول بتخليده».

وهذا واضح؛ لأن أسباب رفع الذنب كثيرة كما سبق، ولو كانت التوبة فقط هي المزيل الوحيد لآثار الذنوب؛ لظهر التلازم بين نفيه والخلود في نار جهنم.

---

(١) مناهج السنة (٦/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ**:

ونرىٰ الحج والجهاد ماضيًا مع طاعة كل إمام، برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس: قال النبي ﷺ: «**ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفِّره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار**» رواه أبو داود.

❁ الشَّرح:

لا يكاد يخلو كتابٌ من كتب اعتقاد أهل السنَّة إلا وفيه النصُّ علىٰ أن الحج، والجمعة، والجهاد والغزو يقيمه الإمام برًّا كان أو فاجرًا من أئمة المسلمين، قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة».

وحكىٰ أبو عبد الله ابن بطة الإجماعَ علىٰ ذلك، حيث قال(٢): «وقد اجتمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد، من أول هذه الأمة إلىٰ وقتنا هذا؛ أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنًىٰ وعرفات، والغزو والجهاد والهدي مع كلِّ أمير، برٍّ أو فاجر».

والأدلة من القرآن والسُّنَّة علىٰ أنَّ الجهاد يقيمه ولاة الأمر؛ كثيرة.

قال تعالىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ

---

(١) اعتقاد أئمة الحديث، (ص٥٠ – رقم ٤٤).

(٢) الشرح والإبانة علىٰ أصول الديانة، (ص٣٠٥).

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [التوبة: ٩٣]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ ﴾ [التوبة: ٨٣]، فهذه الآيات صريحة في أنَّ الجهاد يُشترط له إذن الإمام.

وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ﴾ [النور: ٦٢].

والأمر الجامع هو الذي يُجمع له كالجهاد في سبيل الله[١].

قال المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هذه الآية أصل في أنْ لا يبرح أحد عن السلطان إذا جمع الناس لأمر من أمور المسلمين يحتاج فيه إلىٰ اجتماعهم أو جهادهم عدوًّا إلا بإذنه؛ لأنّ الله تعالىٰ قال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ [النور: ٦٢]، فعُلم أنَّ الإمام ينظر في أمر الذي استأذنه، فإن رأىٰ أنْ يأذن له أذن، وإن لم ير ذلك لم يأذن له».

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**» متفق عليه.

وهذا الحديث يدل علىٰ أنَّ الإمام هو الذي يستنفر الناس للجهاد في سبيل الله.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت:** استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: «**جهادكن الحج**» رواه البخاري.

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٣٨٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٣٥).

وهذا الحديث صريح في أنَّه لا يخرج أحد للجهاد إلا بإذن الإمام.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** «عُرِضْتُ علىٰ النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة، فلم يجزني، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني»، رواه البخاري.

فالإمام هو الذي يستنفر الناس، ويأذن للمقاتلين في الجهاد في سبيل الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «الإمام جُنَّة، يُقاتل من ورائه» رواه البخاري.

فالذي يقيم الجهاد ويستنفر الناس ويعقد ألوية الجهاد هم ولاة الأمر.

قال العلامة القرافي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «إنَّ تصرفه عليه الصلاة والسلام ينقسم إلىٰ أربعة أقسام: قسم اتفق العلماء علىٰ أنَّه تصرف بالإمامة وإقامة الحدود وإرسال الجيوش».

وقال الموفق ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «أمر الجهاد موكول إلىٰ الإمام واجتهاده».

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «من جملة ما تجب فيه طاعة أولي الأمر تدبير الحروب».

وقال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «الجهاد جهاد الكفار أعداء الله، يعني مع ولاة الأمور، فإنَّهم الذين يتولون إقامة الجهاد في سبيل الله، كما أنَّهم يتولون فيئه وخمسه ونحو ذلك، فكذلك يتولون إقامته وتدبيره وأمره

---

(١) الأحكام في تمييز الفتاوىٰ عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام (ص١٠٩).

(٢) المغني (١٣/ ١٦).

(٣) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص١٢).

(٤) شرح العقيدة الواسطية (ص٢٣٨).

وشؤونه، فلا ينازعون فيه، فإنَّه لا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة».

وسبب تنصيص العلماء علىٰ أن الجهاد مع كل إمام برٍّ وفاجر، هو أن الذي يقوم بالجهاد هم ولاة الأمر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والجهاد لا يقوم به إلا ولاة الأمور».

ولأن النبيَّ ﷺ أمر بالجهاد، وأخبر بتغير أحوال الولاة؛ فدلَّ ذلك علىٰ أن الجهاد ماضٍ معهم إلىٰ يوم القيامة، لا يبطله جور الولاة.

ولأننا لو قلنا بضد ذلك، واشترطنا أن لا جهاد إلا مع الأئمة العدول أو المعصومين؛ لأفضىٰ ذلك إلىٰ تعطيل الجهاد وإفساد ديار المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن لم يغز معهم؛ لزم أن أهل الخير الأبرار لا يجاهدون، فتفتر عزمات أهل الدين عن الجهاد؛ فإما أن يتعطل، وإما أن ينفرد به الفجَّار؛ فيلزم من ذلك استيلاء الكفار، أو ظهور الفجار؛ لأن الدين لمن قاتل عليه.

وهذا الرأي من أفسد الآراء، وهو رأي أهل البدع من الرافضة والمعتزلة وغيرهم. حتىٰ قيل لبعض شيوخ الرافضة: إذا جاء الكفار إلىٰ بلادنا فقتلوا النفوس، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، هل نقاتلهم؛ فقال: لا، المذهب أنَّا لا نغزو إلا مع المعصوم، فقال ذلك المستفتي مع عاميته: والله إن هذا لمذهب نجس؛ فإن هذا المذهب يفضي إلىٰ فساد الدين والدنيا».

والجهاد يكون مع جور الوالي؛ لأن فساد الوالي أو جوره علىٰ نفسه لا يترتب

---

(١) منهاج السنة (٦/ ١١٨).

(٢) منهاج السنة (٦/ ١١٨).

عليه إبطالُ الفرائض؛ كالجهاد، والحجِّ، والصلاة.

قال أبو محمد الحسن بن علي البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها علىٰ لسان نبيه ﷺ، جوره علىٰ نفسه، وتطوعك وبرُّك معه تامٌّ لك إن شاء الله تعالىٰ، يعني: الجماعة والجمعة معهم، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشاركه فيه؛ فلك نيتك».

هذا الكلام من الجهة النظرية، أما من الجهة الأثرية ففيه أحاديث وآثار، من ذلك حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفِّره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله** عَزَّوَجَلَّ **حتىٰ يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار**»[٢].

وقال مكحول[٣]: «قيل لأصحاب رسول الله - ﷺ - حيث أدركوا ما أدركوا من الظلم: أتغزو مع هؤلاء وهم يفعلون ويفعلون؟ فكلُّهم قال: اغْزُ علىٰ سهمك من الإسلام، فإن غَلُّوا فلا تَغْلُلْ، وإن خانوا فلا تخن، وإن أفسدوا فلا تفسد، وإن عصوا فلا تعصِ، قاتل علىٰ حظِّك من الآخرة، ودعهم يقاتلوا علىٰ حظِّهم من الدنيا، وإياك وأذىٰ المؤمنين».

وقال الحسن البصري وابن سيرين رحمهما الله[٤]: «الغزو مع أئمة السوء لنا شرفه وذخره وفضله وأجره، وعليهم مأثمهم».

---

(١) شرح السنة، (ص١١٣ - رقم ١٣٥).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور (٣/ ٤٠ - رقم ٣٥٣٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٤٩)، وقدوة الغازي، (ص٢٢٤ - ٢٢٥، رقم ٩٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٥٠)، وقدوة الغازي، (ص٢٣١).

وقال محمد بن عبد الرحمن بن يزيد النخعي: «قلت لأبي: يا أبتِ، في إمارة الحَجَّاج أتغزو؟ قال: يا بني، لقد أدركت أقوامًا أشدَّ بغضًا منكم للحَجَّاج، وكانوا لا يدَعون الجهاد علىٰ حال، ولو كان رأي الناس في الجهاد مثل رأيك؛ ما أُري الأتاوة - يعني الخراج -»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا كان يمكن فعل الحسنات بلا سيئة، لكن بمشقَّة لا تطيعه نفسُه عليها، أو بكراهة من طبعه بحيث لا تطيعه نفسُه إلىٰ فعل تلك الحسنات الكبار المأمور بها إيجابًا أو استحبابًا، إن لم يبذل لنفسه ما تحبُّه من بعض الأمور المنهي عنها التي إثمها دون منفعة الحسنة؛ فهذا القسم واقع كثيرًا: في أهل الإمارة والسياسة والجهاد وأهل العلم والقضاء والكلام، وأهل العبادة والتصوُّف، وفي العامة.

مثل من لا تطيعه نفسه إلىٰ القيام بمصالح الإمارة - من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وأمن السبل، وجهاد العدو، وقسمة المال - إلا بحظوظ منهي عنها من الاستئثار ببعض المال، والرياسة علىٰ الناس، والمحاباة في القسم، وغير ذلك من الشهوات، وكذلك في الجهاد: لا تطيعه نفسه علىٰ الجهاد إلا بنوع من التهور.

وفي العلم لا تطيعه نفسه علىٰ تحقيق علم الفقه وأصول الدين إلا بنوع من

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٥٠): حدثنا وكيع، حدثنا مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد النخعي؛ فذكره.

ورواه ابن أبي زمنين في «قدوة الغازي» (ص٢٣١)، من طريق عثمان بن المغيرة وأسد بن موسىٰ، عن طلحة بن مصرف؛ به.

(٢) منهاج السنة (٦/ ١١٦ - ١١٧).

المنهي عنه من الرأي والكلام، ولا تطيعه نفسه علىٰ تحقيق علم العبادة المشروعة والمعرفة المأمور بها إلا بنوع من الرهبانية.

فهذا القسم كَثُر في دول الملوك؛ إذ هو واقع فيهم وفي كثير من أمرائهم وقضاتهم وعلمائهم وعبادهم، أعني: أهل زمانهم، وبسببه نشأت الفتن بين الأمَّة. فأقوام نظروا إلىٰ ما ارتكبوه من الأمور المنهي عنها؛ فذموهم وأبغضوهم، وأقوام نظروا إلىٰ ما فعلوه من الأمور المأمور بها فأحبوهم.

ثم الأوَّلون ربما عدُّوا حسناتهم سيئات، والآخرون ربما جعلوا سيئاتهم حسنات، وقد تقدَّم أصلُ هذه المسألة، وهو أنه إذا تعسَّر فعلُ الواجب في الإمارة إلا بنوع من المُلك: فهل يكون الملك مباحًا كما يُباح عند التعذر؟

ذكرنا فيه القولين: فإن أقيم التعسُّر مقام التعذر؛ لم يكن ذلك إثمًا، وإن لم يقم كان إثمًا. وأما ما لا تعذُّر فيه ولا تعسُّر؛ فإن الخروج فيه عن سنة الخلفاء اتباع للهوىٰ.

«**فالتحقيق» أن الحسنات**: حسنات، والسيئات: سيئات، وهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. وحكم الشريعة أنهم لا يؤذن لهم فيما فعلوه من السيئات ولا يؤمرون به، ولا يجعل حظ أنفسهم عذرًا لهم في فعلهم، إذا لم تكن الشريعة عذرتهم، لكن يؤمرون بما فعلوه من الحسنات، ويحضون علىٰ ذلك، ويرغّبون فيه، وإن علم أنهم لا يفعلونه إلا بالسيئات المرجوحة؛ كما يؤمر الأمراء بالجهاد، وإن علم أنهم لا يجاهدون إلا بنوع من الظلم الذي تقلُّ مفسدته بالنسبة إلىٰ مصلحة الجهاد».

ومما ينبغي التنبيه عليه فيما يتعلَّق بالجهاد مع أئمة الجور؛ هو أنه يُغزىٰ معهم في القتال المشروع، ويعاونون علىٰ البر والتقوىٰ، أما إذا كان قتالهم غير

جائز؛ فإنهم لا يعاونون على الإثم والعدوان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قالوا: يُغزى مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا، إذا كان الغزو الذي يفعله جائزًا، فإذا قاتل الكفار، أو المرتدين، أو ناقضي العهد، أو الخوارج، قتالًا مشروعًا؛ قُوتل معه، وإن قاتل قتالًا غير جائز؛ لم يُقاتل معه؛ فيُعاون على البر والتقوى، ولا يُعاون على الإثم والعدوان، كما أن الرجل يسافر مع من يحج ويعتمر وإن كان في القافلة من هو ظالم.

فالظالم لا يجوز أن يُعاون على الظلم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وقال موسى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥]».

وصلاة الجمعة والعيدين وخطبة عرفة من الأمور العامَّة، وتتعلَّق بعموم الناس، والذي كان يقيم هذه العبادات هو الإمام العام - كما أسلفنا - حتى تجتمع عليه الأمَّة وتتوحَّد كلمتها.

قال ابن بطال[(٢)]: «جرت عادتهم أن الأمير هو الذي يتولى الإمامة بنفسه أو نائبه».

وقد كثرت النصوص عن النبي ﷺ في الائتمام بالإمام، وإن كان منحرفًا مائلًا عن الحقِّ أو مخطئًا في إمامته، فتُحتمل هذه المفسدة دفعًا لمفسدة أعظم

(١) منهاج السُّنَّة (٦/ ١١٦-١١٧).
(٢) فتح الباري (٢/ ١٨٧).

منها، وهي التفرُّق عن الإمام الذي تنتظم به أمور الناس.

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال لي رسول الله ﷺ: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخِّرون الصلاة عن وقتها - أو - يميتون الصلاة عن وقتها؟**» قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «**صلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتَها معهم فصلِّ؛ فإنها لك نافلة**»(١).

وعلىٰ هذا مضىٰ السلف، فقد صلَّىٰ ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنًىٰ، مع أن عثمان لم يؤدها قصرًا، وإنما أتمَّها خلافًا لعمل النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل وقال ابن مسعود: «فيا ليت حظي مِن أربعٍ ركعتان متقبَّلتان»(٢).

قال الداودي(٣): «خشي ابن مسعود أن لا يجزئ الأربع فاعلها، وتبع عثمان؛ كراهة لخلافه».

وهذا ابن عمر وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا يصليان خلف الحجاج، مع ظلمه وغشمه وقتله لخيار خلق الله(٤).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «والجمعة خلف كلِّ إمام صلاها من أمير ومأمور ومتغلب علىٰ بلدة».

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار (١/ ٤٨٨ - رقم ٦٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الصلاة بمنىٰ (٣/ ٥٠٩ - رقم ١٦٥٧).

(٣) فتح الباري (٣/ ٥١٠).

(٤) عزاه ابنُ أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٠) لصحيح البخاري، وابنُ حجر في التلخيص (٢/ ٤٣) إلىٰ البخاري دون أن ينص علىٰ الصحيح.

(٥) الأم (١/ ١٩٢).

وقال **أبو عبد الله محمد ابن أبي زمنين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حِينَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمُ السَّعْيَ إِلَيْهَا، وَإِجَابَةَ النِّدَاءِ لَهَا؛ أَنَّهُ يُصَلِّيهَا بِهِمْ مِنْ مُجْرِمِي الْوُلَاةِ وَفُسَّاقِهَا مَنْ لَمْ يَجْهَلْهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَفْتَرِضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ السَّعْيَ إِلَىٰ مَا لَا يَجْزِيهِمْ شُهُودُهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ إِعَادَتُهُ، وَقُضَاتِهِمْ وَحُكَّامِهِمْ وَمَنِ اسْتَخْلَفُوهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ وَرَاءَهُمْ جَائِزَةٌ».

وأما المستور الذي لا تعلم حاله علىٰ وجه التفصيل، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة، وسائر أئمة المسلمين، فمن قال: لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته في الباطن؛ فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم».

وقد كان السلف لا يصلُّون خلف المبتدع أو في المسجد الذي تظهر فيه البدع، قال مجاهد(٣): كنت مع ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فسمع رجلًا يثوِّب(٤) في المسجد، فقال: اخرج بنا من عند هذا المبتدع.

---

(١) أصول السنة، (ص٢٨١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الصلاة، باب التثويب في الأذان والإقامة (١/ ٤٧٥ - رقم ١٨٣٢)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم، وله متابعة رواها أبو داود، كتاب الصلاة، باب في التثويب (١/ ٣٦٧ - رقم ٥٣٨)، وفيه أبو يحيىٰ القتات.

(٤) التثويب هذا شيء ابتدعه الناس، فإذا أذن المؤذن واستبطأ الناس قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة، حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح. وليس المراد بالتثويب ما يقوله المؤذن في أذان الفجر: الصلاة خير من النوم.

وقال يحيىٰ بن معين(١): «لا أصلِّي خلف قدري إذا كان داعيًا، ولا خلف الرافضي الذي يشتم أبا بكر وعمر وعثمان».

ومن صلَّىٰ خلف إمام بدعته مكفِّرة فإنه يعيد، قال الإمام أحمد(٢): «لا يصلَّىٰ خلف من قال: القرآن مخلوق، فإن صلىٰ أعاد».

وقال حنبل بن إسحاق بن حنبل(٣): «كان أبو عبد الله يشهد صلاة الجمعة ويعيد الصلاة إذا رجع، ويقول: الجمعة تُؤتىٰ لفضلها، والصلاة تُعاد خلف من قال بهذه المسألة»، يعني: خلق القرآن.

ولما انتشرت بدعة خلق القرآن في زمن الإمام أحمد، وسأله المروذي(٤): «أمُرُّ في الطريق فأسمع الإقامة، ترىٰ أن أصلي؟ قال: قد كنت أُسهِّل، فأما إذا كثرت البدع فلا تصلِّ إلا خلف من تعرف.

وأما سائر صلوات الجماعة سوىٰ الجمعة والعيدين؛ فإنه ينبغي علىٰ المسلم أن يتحرَّىٰ الصلاة خلف صاحب السنَّة.

ومن جملة ما قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشعيب بن حرب فيما يجب اعتقاده(٥): «وحتىٰ ترىٰ الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهاد ماضٍ إلىٰ يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جائر أو عدل، فقلت: يا أبا عبد الله، الصلاة

---

(١) التاريخ، رواية عباس الدوري (رقم ٢٢٩٠).

(٢) سيرة الإمام أحمد، لابنه صالح، (ص٦٦ - ٦٧).

(٣) محنة الإمام أحمد، لحنبل بن إسحاق، (ص٦٩).

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٥٩).

(٥) رواه اللالكائي في أصول السنة (١/ ١٧٣)، وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧): هذا ثابت عن سفيان.

كلها؟ قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخيَّر، لا تصلِّ إلا خلف مَن تثق به، وتعلَم أنه من أهل السنَّة».

❁ ❁ ❁

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال النبي ﷺ: «**لا تسُّبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

❁ الشَّرح:

لا شك ولا ريب أن حبَّ الصحابة من الإيمان، وأن بغضهم كفر ونفاق.

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ[(١)]: «**آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار**».

وعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار[(٢)]: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**».

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ[(٣)]: «**لا يبغض الأنصار**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان (١/ ٨٥ - رقم ١٢٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان (١/ ٨٥ - رقم ١٢٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان (١/ ٨٦ - رقم ١٣٠)، ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رجل مؤمن بالله واليوم الآخر».

والتنصيص علىٰ الأنصار ليس تخصيصًا لهم دون المهاجرين، وإنما أراد النبيُّ ﷺ أن يعرف الناس قدر الأنصار؛ لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلُّون، وأن الأمرَ سيكون للمهاجرين.

ولا يمكن لقلبٍ عمرَه الإيمان أن يبغض صحابة رسول الله ﷺ الذين هم بطانته، واختارهم الله لنصرة دينه.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا تخوض في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنَّ خصمك النبي ﷺ يوم القيامة».

وقال السمعاني(٢): «التعرُّض إلىٰ جناب الصحابة علامة علىٰ خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «مِنْ أَعْظَمِ خَبَثِ الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ غِلٌّ لِخِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ، وَلِهَذَا لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْفَيْءِ نَصِيبًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنَّه لم يعادهم - أي الصحابة - ويتعرَّض لأعراضهم المصونة إلا أخبث الطوائف المنتسبة إلىٰ الإسلام، وشر من علىٰ وجه الأرض

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٦/ ٥٦١).

(٢) الاصطلام بواسطة الفتح (٤/ ٣٦٥).

(٣) منهاج السنة (١/ ٢٢).

(٤) نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (ص١٠٧).

من أهل هذه الملَّة، وأقل أهلها عقولًا، وأحقر أهل الإسلام علومًا، وأضعفهم حلومًا، بل أصل دعوتهم لمكيدة الدين، ومخالفة شريعة المسلمين، يعرف ذلك من يعرفه ويجهله من يجهله، والعجب كل العجب من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدين كيف تركوهم علىٰ هذا المنكر البالغ في القبح إلىٰ غايته ونهايته؟!».

ولا شك أن الله قد رضي عن الصحابة، كما قال سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

وهذا من الأخبار، والأخبار لا يلحقها نسخ بحال، كما تفعل الرافضة التي تنزل ما ورد من النصوص في فضائل الصحابة قبل ردتهم[(١)].

والله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ عن عبد إلا بعلم أنه يوافيه بموجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا.

وقد أمر الله المؤمنين بعدهم بالاستغفار لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

والروافض والخوارج الذين تبرءوا من عثمان وعلي بن أبي طالب رَضِيَّاللَّهُعَنْهُمَا ضادُّوا أمر الله، كما قالت عائشة رَضِيَّاللَّهُعَنْهَا[(٢)]: «أُمروا بالاستغفار لأصحاب النبيِّ ﷺ فسبُّوهم».

وقد حذر النبيُّ ﷺ من سبِّ الصحابة، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[(٣)]: **«لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا؛ ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»**.

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ٤٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٧ - رقم ٣٠٢٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٧/ ٢١ - رقم ٣٦٣٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سبِّ الصحابة رَضِيَّاللَّهُعَنْهُمْ (٤/ ١٩٦٧ - رقم ٢٥٤٠).

والصحابة يتولاهم الله، ويدافع عنهم كما دافع عن نبيِّنا ﷺ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟! يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد** ﷺ»(١).

قال الوزير ابن هبيرة رحمه الله(٢): «أهل طرابلس، ونحوها من أقاصي الشام كانوا قد استولىٰ عليهم الرفض وسب الصحابة، علىٰ ما بلغني، وكانوا يفحشون القول في الصحابة، فيقولون: أبو بأر، يريدون أبا بكر رضي الله عنه، فأحدث الله جل جلاله في لسانهم لثغة؛ إذ أخرجوا الهمزة مخرج الكاف، وسَلِم الصديق رضي الله عنه من شتمهم، ويكمل أوزارهم سوء قصدهم».

والذي لا شك فيه أن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ أذية لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

والمؤذي لله عز وجل ورسوله ﷺ متوعَّد باللعنة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وأما استدلال المصنف رحمه الله **بقوله تعالىٰ**: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهو ممَّا استدل به أئمَّة السنَّة علىٰ تكفير مبغض الصحابة، وتشهد له الأحاديث التي ذكرناها.

قال الإمام مالك رحمه الله(٣): «من أصبح من الناس في قلبه غيظ علىٰ أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقد أصابته الآية».

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ (٦/ ٥٥٤ - رقم ٣٥٣٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٣٤٩).

(٣) النهي عن سب الأصحاب، للضياء المقدسي، (ص٨٧ – رقم ٣٣).

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي معلقًا علىٰ استنباط مالك – رحمهما الله –(١):

«لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته؛ فقد ردَّ علىٰ الله ربِّ العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وقال: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] إلىٰ غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح، قال الله تعالىٰ: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

وهذا كلُّه مع علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بحالهم ومآل أمرهم، وقال رسول الله – ﷺ –: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**»، وقال: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا؛ لم يدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه**» خرجهما البخاري. وفي حديث آخر: «**فلو أن أحدكم أنفق ما في الأرض؛ لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فلابد أن يغيظ بهم الكفار، وإذا كان الكفار يُغاظون بهم، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به وأخزاهم وكبتهم علىٰ كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذين كُبتوا به جزاءً لكفرهم إلا كافر؛ لأن المؤمن لا يكبت جزاءً للكفر.

---

(١) أحكام القرآن (١٦/ ٢٩٧).

(٢) الصارم المسلول، (ص٥٧٩).

يوضِّح ذلك أن قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب؛ لأن الكفر مناسب لأن يغاظ صاحبه، فإذا كان هو الموجب لأن يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد، فمن غاظه الله بأصحاب محمد؛ فقد وجد في حقِّه موجب ذاك، وهو الكفر».

ومفهوم قوله تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] **موافق لمنطوق حديث محمد بن طلحة**: حدثني عبد الرحمن بن سليم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ[١]: «**إن الله اختارني واختار لي أصحابي، فجعل لي منهم وزراء، وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلًا**».

قال أبو بكر عبد العزيز في المقنع[٢]: «فأما الرافضي فإن كان يسبُّ فقد كفر».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أمَّا من اقترن بسبِّهِ دعوىٰ أنَّ عليًّا إلهٌ، أو أَنَّهُ كان هوَ النبيَّ، وإنَّما غلطَ جبريلُ في الرسالةِ؛ فهذا لا شكَّ في كفرِهِ، بل لا شكَّ في كفرِ مَن توقفَ في تكفيرِهِ.

وكذلك مَن زعم منهم أن القُرْآنَ نُقِصَ منهُ آياتٌ وَكُتِمَتْ، أو زعم أن لهُ تَأْوِيلَاتٍ باطنةً تُسقط الأعمالَ المشروعةَ، ونحوَ ذلكَ، وهؤُلاءِ يسمَّوْنَ القَرَامِطَةَ والباطنيةَ، ومنهمُ التناسخيَّةُ، وهؤلاءِ لَا خِلَافَ فِي كُفْرِهِمْ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٠)، وقال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (ص٥٧٧): «وهذا محفوظ بهذا الإسناد».

(٢) الصارم المسلول، (ص٥٧٠).

(٣) الصارم المسلول (ص٥٨٦، ٥٨٧).

وأما من سبَّهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلةِ العلمِ، أو عدمِ الزهدِ، ونحو ذلك؛ فهذا هو الذي يستحقُّ التأديبَ والتعزيرَ، ولا يُحكَمُ بكفرهِ بمجردِ ذلك، وعلىٰ هذا يُحمَلُ كلامُ من لم يكفِّرهم من أهل العلم(١).

وأما من لعَنَ وقبحَ مطلقًا، فهذا محلُّ الخلافِ فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلىٰ أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسَّقوا عامتهم؛ فهذا لا ريب أيضًا في كفرهِ؛ فإِنَّهُ مكذبٌ لما نصَّهُ القرآنُ في غير موضع: من الرضىٰ عنهم والثناء عليهم، بل مَن يشكُّ في كفرِ مثل هذا فإن كفرَهُ متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أنَّ نقلةَ الكتاب والسنَّةِ كفَّارٌ أو فُسَّاقٌ، وأن هذه الأمَّة التي هي: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرنُ الأولُ؛ كان عامتهم كفارًا أو فُسَّاقًا، ومضمونها أن هذه الأمَّةَ شرُّ الأممِ، وأن سابقي هذِهِ الأمَّةِ هُمْ شرارُها، وكفْرُ هذا مما يُعلَمُ بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجدُ عامةَ من ظهر عنه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنه يتبيَّنُ أنهُ زنديقٌ، وعامَّةُ الزَّنَادِقَةِ إِنَّمَا يَسْتَتِرُونَ بمذهبهم، وقد ظهرت للهِ فيهِم مَثُلات، وَتَوَاتَرَ النقلُ بأنَّ وجوهَهم تُمسَخُ خنازيرَ في المحيا

(١) لعله مثل قول الزمخشري عن عدي بن حاتم ﵁، لما قال له النبي ﷺ: «إن وسادك لعريض»: إنه كناية عن قلة الفهم. ففلتات ألسنة البعض مما يعد نادرةً منهم دون الطعن في دينهم؛ فهذا حكمُه يختلف عمن ينطوي باطنه علىٰ كراهة الصحابة وبغضهم؛ فإن سبَّ هؤلاء دليل كفر ونفاق، من ذلك سب المنافقين في غزوة تبوك للصحابة حيث قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أشبع بطونًا، وأجبن عند اللقاء؛ فأكفرهم الله، وأنزل فيهم قرآنًا يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

والمماتِ، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك، وممن صنَّف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سبِّ الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب.

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه».

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «من تنقَّصهم أو كان في قلبه عليهم غلٌّ، فليس له في الفيء حقٌّ».

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعليل هذا الحكم ومأخذه، فقال(٢): «وذلك أن الفيء إنما حصل بجهاد المهاجرين والأنصار، وإيمانهم وهجرتهم ونصرتهم، فالمتأخرون إنما يتناولونه مخلفًا عن أولئك، مشبهًا بتناول الوارث ميراث أبيه، فإن لم يكن مواليًا له؛ لم يستحق الميراث «**فلا يرث المسلم الكافر**»، فمن لم يستغفر لأولئك بل كان مبغضًا لهم؛ خرج عن الوصف الذي وصف الله به أهلَ الفيء، حتىٰ يكون قلبُه مسلمًا لهم، ولسانه داعيًا لهم».

وحقيقة كراهية الرافضة للصحابة إنما يُراد به ردُّ السنَّة؛ لأن الصحابة نقَلَتُها، فهم يريدون هدمَ السنَّة الذي يؤول إلىٰ هدم الإسلام.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسولَ ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ،

(١) النهي عن سب الأصحاب، للضياء المقدسي، (ص٨٧).
(٢) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص٧٨).
(٣) الكفاية للخطيب، (ص٦٧).

وإنما أدَّىٰ إلينا هذا القرآن والسنَّة أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنَّة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية والبدعة الخبيثة ذيلًا هو أشر ذيل، وويلًا هو أقبح ويل، وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة والبوار بأعلىٰ صوت؛ عادَوا السنة المطهرة، وقدحوا فيها وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -، وجعلوا المتمسِّك بها من أعداء أهل البيت، ومن المخالفين للشيعة لأهل البيت؛ فأبطلوا السنَّة بأسرها، وتمسَّكوا في مقابلها وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة، مشتملة علىٰ القدح المكذوب المفترىٰ في الصحابة، وفي جميع الحاملين للسنَّة المهتدين بهديها العاملين بما فيها، الناشرين لها في الناس من التابعين وتابعيهم إلىٰ هذه الغاية، وسَمُوهم بالنصب، والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وأولاده».

وقال الشوكاني أيضًا[(٢)]: «معظم ما يقصده بهذا هو الطعن علىٰ الشريعة وإبطالها؛ لأن الصحابة هم الذين رووا للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة، فإذا تم لهذا الزنديق باطنًا الرافضي ظاهرًا القدح في الصحابة وتكفيرهم والحكم عليهم بالردة؛ بطلت الشريعة بأسرها؛ لأن هؤلاء هم حملتها الراوون لها عن رسول الله ﷺ. فهذه هي العلة الغائية لهم، وجميع ما يتظهرون به من التشيع كذب وزور، ومن لم يفهم هذا فهو حقيق بأن يتهم نفسه ويلوم تقصيره».

وأهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعتقدون عدالة الصحابة فيما نقلوه عن رسول الله ﷺ،

---

(١) قطر الولي علىٰ حديث الولي، (ص٣٠٥ - ٣٠٦).

(٢) أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب، (ص٧١ - ٧٢).

ويدينون لله به، ويتلقَّون العلم عن الصحابة.

فهذا الحبر البر ابن البر عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كان يأخذ بركاب زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقول له زيد: أتفعل هذا وأنت ابن عم رسول الله، فيقول ابن عباس: هكذا أُمرنا أن نصنع بعلمائنا(١).

وكذلك أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين زين العابدين كان يسأل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الغُسل بالصاع(٢).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وفي هذا دلالة علىٰ أنَّ سادات أهل البيت كانوا يطلبون العلم من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يطلبه غيرهم؛ فدل ذلك علىٰ كذب ما تزعمه الشيعة أنهم غير محتاجين إلىٰ أخذ العلم من غيرهم، وأنهم مختصُّون بعلم يحتاجُ النَّاسُ كلهم إليهم، ولا يحتاجون هم إلىٰ أحدٍ، وقد كذبهم في ذلك جعفر بن محمد وغيره من علماء أهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبي حازم لما سأله عن منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال(٤): «كمنزلتهما اليوم وهما ضجيعاه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٥): «وكل شيعة عليٍّ الذين صحبوه لا يُعرف عن أحدٍ منهم أنه قدَّمه علىٰ أبي بكر وعمر، لا في فقه، ولا علم، ولا غيرهما؛ بل كل

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٨٨)، وصحَّحه ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٤٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه (١/ ٣٦٥ - رقم ٢٥٢).

(٣) فتح الباري (١/ ٢٥٢).

(٤) أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٧٨ - رقم ٢٤٦٠)، وانظر تعليق ابن ناصر الدين الدمشقي علىٰ هذا الأثر في «إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك» (ص١٣٨).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٦ - ٤٠٨).

شيعته، الذين قاتلوا معه عدوَّه، كانوا مع سائر المسلمين، يقدِّمون أبا بكر وعمر، إلا من كان عليٌّ يُنكر عليه ويذمُّه، مع قلَّتهم في عهد عليٍّ وخمولهم، كانوا ثلاث طوائف: طائفة غلت فيه، كالتي ادعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرَّقهم عليٌّ بالنار. وطائفة كانت تَسُبُّ أبا بكر، وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلما بلغ عليًّا ذلك طلب قتله، فهرب منه. وطائفة كانت تُفَضِّلُه علىٰ أبي بكر وعمر، قال: لا يبلغني عن أحدٍ منكم أنه فضَّلَني علىٰ أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري. وقد روي عن عليٍّ من نحو ثمانين وجهًا وأكثر: أنه قال علىٰ منبر الكوفة: «خير هذه الأمَّة بعد نبيها أبو بكر وعمر». وقد ثبت في «صحيح البخاري» وغيره من رواية رجال هَمْدَان خاصة التي يقول فيها علي:

ولو كنت بوابًا علىٰ باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

من رواية سفيان الثوري عن مُنْذِر الثوري، وكلاهما من همدان. رواه البخاري عن محمد بن كثير، قال: حدثنا سفيان الثوري، حدثنا جامع بن شَدَّاد، حدثنا أبو يعلىٰ منذر الثوري، عن محمد ابن الحنفية، قال: «قلت لأبي: يا أبتِ، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوما تعرف؟! فقلت: لا، فقال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر». وهذا يقوله لابنه، الذي لا يتقيه، ولخاصته، ويتقدم بعقوبة من يفضله عليهما»».

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يعترف بالفضل للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويرىٰ أنهما خير هذه الأمة بعد نبيها.

وعليٌّ رضي الله عنه لما ولي الخلافة سار بسيرة الخلفاء من قبله، ولم يغير شيئًا مما كانوا عليه، مما يدلُّ علىٰ أن دينَهم واحد، وأن مباينة الرافضة للسنَّة مباينةٌ لعلي بن

أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأن انتساب الرافضة إلىٰ علي وأهل البيت مجرد دعوىٰ، وهو انتحال مزيف، سببه طلب رواج مذهبهم.

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ومما يبيّن كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب - الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم مفروضة طاعته - ولي الأمر وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ظاهر الأمر، ساكنًا بالكوفة مالكًا للدنيا حاشا الشام ومصر إلىٰ الفرات، والقرآن يُقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأىٰ فيه تبديلًا كما تقول الرافضة أكان يقرهم علىٰ ذلك؟!».

وقال العلامة حسين النعمي (ت: ١١٨٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فهم أبعد الناس عن هدي أهل البيت والعترة، وإن تشبعوا بزخارف الانتماء والانتساب، وأظهروا تشيُّعًا لذلك الجناب؛ فإنهم في ميزان الصدق والتحقيق من تصحيح تلك الأماني بمكان سحيق».

وبسبب ما وقع من الطعن في الصحابة - رضوان الله عليهم - يتعيَّن علىٰ كل صاحب سنَّة نشر فضائلهم، وذكر محاسنهم، وتبيين مناقبهم.

قال مسروق: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنَّة»[(٣)].

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ أَعْوَانًا جَعَلَهُمْ

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢١٦ - ٢١٧).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، (ص٣٥).

(٣) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٨٠ - رقم ١٣٦٨) بإسناد حسن.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١١٧).

أَفْضَلَ الْخَلْقِ، وَأَقْوَاهُمْ إِيمانًا، وَشَدَّ بِهِمْ أَزْرَ الدِّينِ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ كَلِمَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْجَبَ لَهُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَأَلْزَمَ أَهْلَ الْمِلَّةِ ذِكْرَهُمْ بِالْجَمِيلِ.

فَخَالَفَتِ الرَّافِضَةُ أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ، وَعَمَدَتْ لِمَحْوِ مَآثِرِهِمْ وَمَسَاعِيهِمْ، وَأَظْهَرَتِ الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ، وَتَدَيَّنَتْ بِالسَّبِّ لَهُمْ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] كَمَا رَامَ ذَلِكَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَشْبَاهِهِمْ ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

فَلَزِمَ النَّاقِلِينَ لِلْأَخْبَارِ وَالْمُتَخَصِّصِينَ بِحَمْلِ الْآثَارِ نَشْرُ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَإِظْهَارُ مَنْزِلَتِهِمْ وَمَحَلِّهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ ظُهُورِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَالْخَطْبِ الْجَسِيمِ، وَاسْتِعْلَاءِ الْحَائِدِينَ عَنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٢]».

وبذكر فضائل الخلفاء الراشدين خصوصًا والصحابة عمومًا تنحسر المذاهب المبتدعة، وتذهب الضغائن من قلوب الزائغين، قال عثمان السهمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتىٰ نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدَّثهم بفضائل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ نشأ فيهم إسماعيل بن عياش، فحدَّثهم بفضائله، فكفوا عن ذلك».

❁ ❁ ❁

---

(١) تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٧١).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصدّيقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برَّأها الله منه؛ فقد كفر بالله العظيم.

❁ الشَّرح:

أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذا من رعاية حرمة النبي ﷺ وتوقيره، وتوقير نسائه.

وأمهات المؤمنين حكم خاصٌّ بزوجات النبي ﷺ لا يشاركهن فيه أحد، وهذا غاية ما يكون من تكريمهن والوصية بهن، وهو متضمِّن للأمر ببِرِّهن والإحسان إليهن.

ونساء النبي ﷺ اصطفاهن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نساء العالمين، فاختارهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، واختارهن للتبليغ عن الرسول ﷺ أحكام الشرع وعلوم الدين، خصوصًا ما كان من عباداته ومعاملاته في بيته.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠)**(١): «إن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وجميع أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، فضَّلهن الله عَزَّوَجَلَّ برسوله ﷺ».

أزواج النبي ﷺ هن الزاكيات الطاهرات الطيبات، زوجات أطيب الخلق

(١) الشريعة، (ص٧٦٤).

وسيد ولد آدم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ما كان الله ليجعل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوجةً لرسول الله ﷺ إلا وهي طيّبة؛ لأنه أطيّب من كلِّ طيِّب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعًا ولا قدرًا».

وأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ كما اخترن النبي ﷺ زوجًا؛ فإنهن اخترنَ طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «المحسنات هن اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وجميع نساء النبي ﷺ قد اخترن ذلك، فجميعهن محسنات».

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وهن - ولله الحمد - قنتن لله ورسوله، وعملن صالحًا؛ فاستحققن الأجر مرتين».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥١٦).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ٢٧٧).

(٣) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٥/ ٢٣٢).

وقد حرصت زوجات النبي ﷺ علىٰ أن يكنّ أزواجه يوم القيامة، مع تعبدهن لله عَزَّوَجَلَّ بخدمة رسول الله ﷺ ورعايته ليقوم بشؤون الأمة.

من ذلك أن سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رأت من النبي ﷺ إعراضًا، فناشدته أن يمسكها وتجعل يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالت له: «أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجًا لك»(١).

وفي تسمية الله عَزَّوَجَلَّ لأزواج النبي ﷺ «بأمهات المؤمنين» حثٌّ علىٰ موالاتهن، قال تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في تحريمهن، ووجوب تعظيمهن وإكرامهن، وهن أجانب فيما عدا تحريم النكاح في سائر الأحكام».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في اعتقاد أهل السنَّة والجماعة**(٣): «ويتولَّون أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمَّ أولاده وأوَّل من آمن به وعاضده علىٰ أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصدِّيقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**»».

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «التولي: نشر الجميل، بمحبتهن والذبِّ عنهن، ومراعاة حقِّهن، والنصر عندما يحتاج لذلك.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١٣/ ٥٠٧).

(٢) رموز الكنوز (٦/ ١٠٥).

(٣) الواسطية، (ص٥٧).

(٤) شرح الواسطية، (ص٢١٤).

والأزواج: جمع زوج، والأفصح زوج بدون تاء.

والمراد: اللاتي توفي وهن في عصمته، أو توفين وهن في عصمته، بخلاف من فارقته في حياته».

وشهد الوحي بتقوىٰ أمهات المؤمنين وصلاحهن، فقد جاء الوحي بتزكية أم المؤمنين حفصة بنت الفاروق عمر - رضي الله عنها وعن الفاروق -، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في حفصة رضي الله عنها: «**إنها صوَّامة، قوَّامة، وهي زوجك في الجنة**»، رواه أبو داود والنسائي[(١)].

وقال النبي ﷺ في زينب بنت جحش رضي الله عنها: «**إنها أوَّاهة**»، فقال رجل: يا رسول الله، ما الأوَّاه؟ قال: «**الخاشع المتضرِّع**»[(٢)].

وكلُّ زوجات النبي ﷺ زاكيات طيبات، خصال الخير فيهن عظيمة كثيرة، وبعضهن أفضل من بعض، قالت عائشة رضي الله عنها: «لم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب - رضي الله عنها -، وأتقىٰ لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة» رواه البخاري ومسلم.

وأمهات المؤمنين كلهن مرضيات عند الله، يشملهن عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فنتولىٰ جميع الصحابة رضي الله عنهم والصحابيات رضي الله عنهن، علىٰ حسب مراتبهن من الفضل، فزوجات النبي ﷺ يشملهن كلُّ ما ورد في فضل الصحبة للنبي ﷺ، بل

(١) قال الحافظ الذهبي رحمه الله: (إسناده صالح). «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢٩).

(٢) الاستيعاب، (ص٨٩١).

هنَّ من أخص أصحابه، وهن أهل بيته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال حسين بن واقد عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، نزلت في أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة. رواه الحاكم.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إسناده صالح، وسياق الآيات دالٌّ عليه».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر برِضاهُ عن أزواجه وبناته، وشهد لهن في الجنة، فقال لزوجاته: «**أوَّلكنَّ لحوقًا بي أطولكنَّ يدًا**»(٢)، فهذا الحديث دالٌّ علىٰ أن زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلحقنه بالجنة.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت٦٥٦)**(٣): «لم يُرد باللحاق به الموت فقط، بل: الموت والكون معه في الجنة والكرامة».

وعن عبد الله بن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه بشَّر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». رواه البخاري ومسلم.

والمؤمنون المصدِّقون بالوحي الموالون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرون أمهات المؤمنين بالخير والفضل والثناء الحسن، وما يذكرهن بسوء إلا كافر زنديق مكذِّب بالقرآن، وعدوٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصلاتنا التي هي من آكد أركان الإسلام، نقيمها بالصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢١).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣٦٠).

وآله، وأزواجه من آله؛ فهذا غاية ما يكون في الثناء عليهن والدعاء لهن بالخير.

فنقول في التشهُّد من صلاتنا: «اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد»، وآل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه(١).

هذه صلاة المؤمنين علىٰ آل بيت النبي ﷺ من ذريته وأزواجه، أما من أطلق لسانه بسبِّ أمهات المؤمنين؛ فهذا ليس من المؤمنين.

قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ذُكرت عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **عند رجلٍ فسبَّها، فقيل له:** أليست أمَّك؟ قال: ما هي لي بأمٍّ. فبلغها ذلك، فقالت: «صدق، إنما أنا أمُّ المؤمنين، وأما الكافرون فلستُ لهم بأُمٍّ»(٢).

وقد أوصىٰ النبيُّ ﷺ أهلَ بيته بحبِّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فمن تولَّىٰ سيد آل البيت محمدًا ﷺ وأخذ وصيته؛ أحبَّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت:** «أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة ابنته إليه، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة - وأنا ساكتة -، فقال لها الرسول ﷺ: «**أي بنية! ألستِ تحبين ما أحبُّ؟!**» فقالت: بلىٰ، قال: «**فأحبي هذه**»، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من أبيها ورجعت إلىٰ أزواج النبي ﷺ، فأخبرتهن بالذي قال الرسول ﷺ»، رواه البخاري ومسلم.

وسادات آل البيت العلماء قد علموا قدر أم المؤمنين عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعند رسوله ﷺ، وذكروا محاسنها عدلًا منهم، وموالاة لسيد آل البيت محمد ﷺ.

---

(١) جلاء الأفهام، (ص٣٢٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٢٣).

عن ابن أبي مليكة قال: جاء ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يستأذن علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأدخلته، فقال: ما بينك وبين أن تلقين الأحبة إلا أن تفارق الروح الجسد، إنك كنت من أحبِّ أزواج النبي ﷺ إليه، وكان لا يحب إلا طيبًا، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء، فجعل الله في ذلك خيرًا فنزلت آية التيمم، ونزلت فيك آيات من آيات الله؛ فليس بمسجد من مساجد المسلمين إلا يُتلىٰ فيه عذرك آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني من تزكيتك يا ابن عباس، فلوددت أني كنت نسيًا منسيًّا»(١).

فالحاصل أن موالاة أزواج النبي ﷺ وحبهن هو من موالاة النبي ﷺ، ومؤذي النبي ﷺ وأزواجه ملعون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله.

والله عَزَّوَجَلَّ خصَّ نبيَّه ﷺ ببعض الأحكام في خصوص أزواجه؛ صيانة لجنابه، ورفعة لقدره وقدر أزواجه، فمن رام أذية النبي ﷺ في أزواجه فله عذاب عظيم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وسادات آل البيت العلماء نقلوا العلم والدين الذي استفادوه من بيوت أزواج النبي ﷺ.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** بت عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمت عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه. متفق عليه.

فابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تلقىٰ نسكه في قيام الليل في غير رمضان عن النبي ﷺ في

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٨/ ٣٢٨ - رقم ٦٨٧٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

بيت زوجه ميمونة، وأفاد الأمَّة بمشروعية صلاة الليل جماعة أحيانًا في غير رمضان، وأفادنا بصفة ائتمام المأموم عن يمين الإمام.

والنبيُّ ﷺ جعل أزواجه رضي الله عنهن مرجعًا للصحابة رضي الله عنهم، وللأمَّة جميعًا فيما ينقِلْنه عنه من الأحكام، خصوصًا ما له تعلُّق بأحكام النساء، وفي ذلك تزكية لهن.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه - وهو ربيب النبي ﷺ - أنه سأل رسول الله ﷺ: أيُقبِّل الصائم؟ فقال النبي ﷺ: «**سل هذه**» لأم سلمة رضي الله عنها. رواه مسلم.

ومرجعية أزواج النبي ﷺ في تبليغ الشرع عنه لا يجهلها مسلم، خصوصًا فيما يتعلَّق بسنته في بيوت أزواجه، كما في حديث الثلاثة النفر الذي سألوا عن عبادة النبي ﷺ. متفق عليه.

وقد أفادت أزواج النبي ﷺ الأمَّة أحكامًا مهمَّة، ظهر من ذلك ضرورة الأمة إلىٰ تلقِّي الدين عنهن فيما أدَّوه من نصوص الشرع، من ذلك أن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن قالتا: إن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم. متفق عليه.

فأفادنا هذا الحديث صحَّة صوم من أصبح جنبًا.

وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن كن مرجعًا للأمَّة في بيان السنَّة والصواب فيما اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم.

عن مالك بن عامر قال: دخلت أنا ومسروق بن الأجدع علىٰ عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا أمَّ المؤمنين، رجُلان من أصحاب محمد ﷺ، أحدهما يُعجِّل الإفطار ويُعجِّل الصلاة، والآخر يؤخِّر الإفطار ويؤخِّر الصلاة؟ قالت: أيهما الذي يُعجِّل الإفطار ويعجِّل الصلاة؟ قلنا: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قالت: كذا كان

يصنع رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

وهذا ملخَّص بذكر زوجات النبي ﷺ، وهن:

١ - **خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية:** تزوَّجها النبي ﷺ قبل النبوة، ولها أربعون، ولم يتزوج عليها حتىٰ ماتت، وأولاده كلُّهم منها إلا إبراهيم.

وهي التي آزرته علىٰ النبوَّة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلامَ مع جبريل.

خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها سابقة في الإسلام، فهي أوَّل من آمن بالنبي ﷺ من النساء.

وكان لها عقل وطمأنينة بحسن الظن بالله، فقد طمأنت النبي ﷺ حين فزع من مفاجأة الوحي له أول مرة، وقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا؛ فإنك تصل الرحم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق. رواه البخاري.

وكانت موفَّقة بأخذ النبي ﷺ إلىٰ ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث بشَّر النبي ﷺ بدلائل نبوته من خلال معرفته بما لم يتحرَّف من علوم الأنبياء من قبله.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسول الله ﷺ بشَّر خديجة **ببيت في الجنَّة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.** متفق عليه.

قال الهروي وغيره: القصبُ - هنا - اللؤلؤ المجوَّف المستطيل، والبيت: هو القصر[1].

وقال العلامة أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «الصخب: اختلاط الأصوات، ويقال: بالسين والصاد، والنصب: التعب والمشقة».

(١) المفهم (٦/ ٣١٦).

(٢) المفهم (٦/ ٣١٦).

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل مهاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة بثلاث سنوات[1].

وكان النبي ﷺ كثير الثناء علىٰ خديجة رضي الله عنها، قال: «**آمنت بي إذ كفر الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله تعالىٰ أولادها إذ حرمني أولاد النساء**»، رواه أحمد[2].

٢ - **سودة بنت زمعة القرشية**: كانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله[3]: «تزوَّجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد علىٰ عائشة رضي الله عنها، وهذا قول قتادة وأبي عبيدة، وكذلك روىٰ عقيل عن ابن شهاب وأنّه تزوّج سودة قبل عائشة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: تزوّجها بعد عائشة. وكذلك قال يونس عن ابن شهاب.

ولا خلاف أنّه لم يتزوجها إلّا بعد موت خديجة رضي الله عنها».

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله[4]: «انفردت به نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر، حتىٰ دخل بعائشة رضي الله عنها.

وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة».

سودة رضي الله عنها ممن هاجر إلىٰ الحبشة.

وكانت سودة تضحك الرسول ﷺ[5].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص٨٧٨).

(٢) قال العلامة محمد الصالحي الدمشقي: «بسند جيد» أزواج النبي ﷺ (ص٦١).

(٣) الاستيعاب (ص٨٩٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٣١).

حجت مع النبي ﷺ، واستأذنت في الدفع من مزدلفة بعد مغيب القمر، فأذن لها النبي ﷺ، فصار ذلك رخصةً للنساء والضعفاء إلىٰ يوم القيامة، وهذا من أعظم بركاتها.

وكانت رضي الله عنها امرأة صالحة، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما من الناس أحد أحب إليَّ أن أكون في مِسلاخه من سودة» رواه مسلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[١]: «قال ابن أبي خيثمة: تُوفيت سودة بنت زمعة في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي».

٣ - **عائشة بنت أبي بكر الصديق:** وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين[٢].

فقيهة الإسلام، قال الزهري: لو جُمع علمُ عائشة إلىٰ علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل[٣].

وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علمًا، رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وقال ابن القيم رحمه الله[٤]: «الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرَّأة من فوق سبع سموات، حبيبة رسول الله ﷺ: عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وعرضها عليه

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٣١).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١٤/ ٢٧).

(٣) الإصابة (١٤/ ٣٠).

(٤) زاد المعاد، (ص٣٤ - ٣٥).

المَلَكُ قبل نكاحها في سَرَقَةٍ من حرير، وقال: «**هذه زوجتك**». تزوَّج بها في شوال وعمرها ست سنين، وبنىٰ بها في شوال في السنة الأولىٰ من الهِجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لِحاف امرأة غيرها، وكانت أحبَّ الخلق إليه، ونزل عذرُهَا مِن السماء، واتفقت الأمَّة علىٰ كُفر قَاذِفها، وهي أفقه نسائه وأعلمُهن، بل أفقهُ نساءِ الأمَّة وأعلمهُنَّ علىٰ الإطلاق، وكان الأكابرُ مِنْ أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلىٰ قولها ويستفتونها».

وفي «الصحيحين» عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حدَّثته، أن رسول الله ﷺ قال لها: «**إن جبريل يُقرئك السلام**»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

وقد سُئل النبي ﷺ: من أحبُّ الناس إليك؟ فقال: «**عائشة**»، فقيل له: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»(١).

وقال النبي ﷺ **لعائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أنت زوجتي في الدنيا والآخرة**»(٢).

ولا أدلَّ علىٰ ذلك من أن النبي ﷺ توفي بين سحرها ونحرها. رواه البخاري.

والصحابة وآل البيت كلهم يعرف ذلك لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قال عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي زوجته في الدنيا والآخرة، رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

ودخل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل وفاتها، وقال لها: ما بينك وبين أن تلحقي محمدًا ﷺ إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إلىٰ رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله يحبُّ إلا طيبًا. رواه أحمد

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٨/ ٣٣١) وقال: الحديث صحيح، ووافقه الذهبي.

وصححه ابن حبان.

وفي مرض النبي ﷺ الذي مات فيه استأذن النبي ﷺ نساءه أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري.

وأخبر النبي ﷺ أزواجه والأمة بفضل عائشة، حيث قال: «إنَّ فضل عائشة علىٰ النساء؛ كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام» متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

عرف الصحابة لعائشة بركتها علىٰ أمَّة الإسلام؛ فبعد نزول آية التيمم بسببها قال أُسَيْد بن حُضَيْر رضي الله عنه: ما هي بأول بركتكم آل أبي بكر. متفق عليه.

ومن أعظم فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تواضعها أن تدفن في البقيع وإيثارها الفاروق أن يُدْفن في حجرتها مع زوجها وأبيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١): «فعلت هذا تواضعًا أنْ تُزكىٰ به ﷺ».

٤ - **حفصة بنت عمر بن الخطاب** رضي الله عنها: كانت من المهاجرات، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، أم المؤمنين الصوامة القوامة، بنت أمير المؤمنين، أمها: زينب بنت مظعون. وهي أخت شقيقة لعبد الله.

وكانت حفصة رضي الله عنها من الصالحات القانتات العابدات، وكانت تحفظ القرآن كله، هي وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهن(٢).

ومن مناقب حفصة وفضائلها أن صحف القرآن التي جمعها الصحابة صارت عندها بعد وفاة أبيها الفاروق رضي الله عنه، وكانت قبل ذلك عند الصديق أبي بكر رضي الله عنه، ثم بعد فتح أرمينيا أرسل عثمان رضي الله عنه إلىٰ حفصة أن ترسل إليه

---

(١) الجواب الباهر (ص١٠٤).

(٢) عمدة القاري (١٦/ ٢٠٩).

بالصحف، فنسخها عثمان في المصاحف من الصحف التي كانت عند حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم أعادها إلىٰ حفصة.

توفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة خمس وأربعين، وقيل: إحدىٰ وأربعين، وقيل غير ذلك(١).

٥ - زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية القيسية: أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها، تدعىٰ أم المساكين؛ لكثرة معروفها.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قُتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أُحُد، فتزوَّجها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين أو أكثر، وتوفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»(٢).

٦ - أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية: تزوجها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة ثلاث.

هاجرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **الهجرتين**: هجرة الحبشة وإلىٰ المدينة، وكانت أم سلمة من أجمل النساء، وكان أبوها أحد الأجواد يُعرف (بزاد الراكب).

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمر الله تبارك وتعالىٰ: إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها**».

قالت: فلما مات أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قلت: أيُّ المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ثم إنِّي قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رواه مسلم.

مشورة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديبية؛ كانت سببًا في ظهور الإسلام ودخول

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص٨٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨).

الناس في دين الله أفواجًا، وسببًا في ائتلاف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على اتباع النبي ﷺ.

ففي الصحيحين عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم، فلما فرغ قال للناس: «**قوموا فانحروا، ثم احلقوا**».

قالا: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قالها ثلاثًا، فلما لم يقم أحد منهم، ولا تكلم أحد منهم، دخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله اخرج، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج ففعل ذلك، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا.

وأم سلمة آخر نساء النبي ﷺ موتًا، تُوفيت بعدما جاءها الخبر بقتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولها أربع وثمانون سنة[١].

٧ - **زينب بنت جحش**: ابنة عمة رسول الله ﷺ، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، من المهاجرات الأُوَل[٢].

كانت تحت زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما طلقها زيد وانقضت عدتها تزوَّجها رسول الله ﷺ، وهي التي ذكر الله قصتها في القرآن بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧][٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «من خواصها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان هو وليها

(١) أزواج النبي ﷺ (ص١٥٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١).

(٣) الاستيعاب، (ص٨٩٠).

(٤) زاد المعاد، (ص٣٦).

الذي زوَّجها لرسوله ﷺ من فوق سمواته».

كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من خيرة أزواج النبي ﷺ وأتقاهن، وأعظمهن منزلة عند رسول الله ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها **قالت**: كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، وما رأيت امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقىٰ لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة منها. رواه مسلم.

وعن أبي برزة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ لنسائه: «**خيرُكُنَّ أَطْوَلُكُنَّ يدًا**» رواه مسلم.

كانت زينب رضي الله عنها مفزع الأرامل واليتامىٰ.

وكانت زينب أم المؤمنين أوَّلَ نساء النبي ﷺ وفاةً بعده ولحوقًا به.

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت**: قال رسول الله ﷺ: «**أولكن لَحَاقًا بي أطولكن يدًا**» متفق عليه.

٨ - **جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المُصطَلِقيَّة**: من بني جذيمة من خزاعة، والحارث أبوها سيد قومه(١).

قالت عائشة رضي الله عنها: كانت جويرية عليها حلاوة وملاحة، جاءت تستعين النبي ﷺ في كتابتها نفسها من ثابت بن قيس رضي الله عنه، فأعانها وتزوجها.

وبعد أن تزوَّجها النبيُّ ﷺ **قال الصحابة** رضي الله عنهم: صهر رسول الله. فأعتقوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق، فقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت امرأة أعظم بركة علىٰ قومها من جويرية» رواه أحمد، وأبو داود وصححه الحاكم.

---

(١) الاستيعاب، (ص٨٦٨).

كانت جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الصالحات العابدات، تجلس بعد صلاة الفجر تذكر الله ذكرًا كثيرًا.

قالت جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أتىٰ عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا أسبح غدوة، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريبًا من نصف النهار وأنا أسبح، فقال: «**ما زلت قاعدة؟**»، قلت: نعم، رواه مسلم.

٩ - أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب: القرشية الأموية، من السابقات المهاجرات إلىٰ أرض الحبشة(١).

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «هي من بنات عمِّ الرسول الله ﷺ، وليس في أزواجه من هي أكرم نسبًا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها، ولا من تزوَّج بها وهي نائية الدار أبعد منها؛ عُقد له - ﷺ - عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربعمائة دينار، وجهَّزَها بأشياء».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قد كان لأم حبيبة حرمة وجلال، ولا سيما في دولة أخيها، ولمكانه منها قيل له: خال المؤمنين».

أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الصالحات العابدات، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلىٰ اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة؛ بُني له بهن بيت في الجنَّة»، قالت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

ومن فضائلها ودُّها لأخواتها أمهات المؤمنين، وحرصها علىٰ السلامة من الإثم في حقوق العشرة معهن.

---

(١) الاستيعاب، (ص٨٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٢).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أنها قالت:** دعتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله، وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله. فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَرَرْتِني سَرَّكِ الله، وأرسلت إلىٰ أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك، رواه الحاكم.

توفيت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية رضي الله عنه.

١٠ - صفية بنت حُيي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هارون بن عمران أخي موسىٰ: كانت من سبي خيبر، استصفاها رسول الله ﷺ، وصارت في سهمه، ثم أعتقها، وجعل عتقها صداقها(١).

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «كانت شريفة عاقلة، ذات حَسَب، وجمال، ودين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «كانت صفيةُ ذات حِلم ووقار».

أسلمت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت صادقة في إسلامها وولائها لرسول الله ﷺ.

عن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ **قال:** اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي تُوفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنِّي والله، يا نبي الله، لوددت أنَّ الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن، فقال: «**مضمضن**»، فقلن: من أي شيء؟ فقال: «**من تغامزكن بها، والله إنَّها لصادقة**»، رواه ابن سعد(٤).

---

(١) الاستيعاب، (ص٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٥).

(٤) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بسند حسن»، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٣٩)، ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

وأتت جارية صفية الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالت له: إنَّ صفية تُحب السبت وتصل اليهود!! فبعث إليها، فسألها عن ذلك، فقالت: أمَّا السبت فإنِّي لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأمَّا اليهود فإنَّ لي فيها رحمًا فأنا أصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملكِ علىٰ هذا؟ قالت: الشيطان، قالت: اذهبي فأنت حرَّة. رواه ابن عبد البر(١).

توفيت سنة خمسين، وقيل غير ذلك.

١١ - **ميمونة بنت الحارث الهلالية**: هي آخر من تزوَّج بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوجها في سنة سبع من الهجرة، حين اعتمر بمكة عمرة القضية.

وعن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تزوَّج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميمونة وهو حلال، وبنىٰ بها وهو حلال، وأنا كنت الرسول بينهما، رواه الترمذي وحسنه.

كان اسمها «برَّة»، فسماها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ميمونة.

هي أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، أم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم جميعًا -.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **في ميمونة**: كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم، رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ماتت سنة إحدىٰ وخمسين، وقيل غيره، صلَّىٰ عليها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ودخل قبرها.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوَّج ميمونة بسَرِف، وبنىٰ بها بسرف، وماتت بسرف، رواه الطبراني في المعجم الأوسط.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٣٨، ٣٣٩).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هؤلاء أزواجه اللواتي لم يختلف فيهن، وهن إحدىٰ عشرة امرأة، منهن ست من قريش، وواحدة من بني إسرائيل من ولد هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأربع من سائر العرب، توفي في حياته منهن اثنتان: خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة، وزينب بنت خزيمة بالمدينة، وتخلَّف منهن تسع بعده ﷺ».

❁ ❁ ❁

(١) الاستيعاب، (ص٦٢).

❁ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

❁ الشَّرح:

معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من خيار الصحابة، صهر رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين، تزوج رسول الله ﷺ من أخته أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومقاصد هذه المصاهرة ظاهرة لأهل الإيمان، ومن جملة حكمها تأليف سادات قريش وأتباعهم علىٰ الإسلام، وبرهن النبي ﷺ علىٰ هذا المقصد العظيم في أكثر من حديث وموقف، من ذلك قوله ﷺ: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**».

قال الميموني للإمام أحمد بن حنبل: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**كل صهر وكل نسب منقطع، إلا صهري ونسبي**»؟ قال: نعم، قال: هذه كلها لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قال: نعم(١).

وقال أبو علي الحسين بن خليل العنزي: «كنت جالسًا مع قوم من الكُتَّاب، فتناولوا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقمت مغضبًا، فلما كان في الليلة رأيت النبي ﷺ في منامي، فقال لي: تعرف منزلة أم حبيبة مني؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقال لي: من أغضبها في أخيها فقد أغضبني»(٢).

ومعرفة مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ توجب لكل مسلم رعاية حقِّ هذه المصاهرة، وهذه المعاني دلَّ عليها الشرع والعرف؛ فإن النبي ﷺ زوَّج عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأراد عليٌّ أن يتزوج ابنة أبي جهل، فغضب

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٢).

النبي ﷺ وقال: «**لا تجتمع والله بنت رسول الله، وبنت عدو الله**».

وكان معاوية رضي الله عنه كاتبًا من كتاب الوحي، أثنىٰ عليه رسول الله ﷺ في خُلُقه ودينه.

قال أبو سفيان رضي الله عنه للنبي ﷺ: «ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك»، قال عليه السلام: «**نعم**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال(٢): كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف بابٍ، قال: فجاءني، فحطأني حطأة، وقال: «**اذهب وادع لي معاوية**»، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: «**اذهب فادع لي معاوية**»، فجئت فقلت له: هو يأكل، فقال: «**لا أشبع الله بطنه**»(٣).

روىٰ **أحمد**: ثنا عفان، ثنا أبو عوانة، قال: أنا أبو حمزة، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: بمعناه، قال: «**اذهب، فادع لي معاوية**»، وكان كاتبه(٤).

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله(٥): «واستكتب النبي ﷺ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمينًا علىٰ وحيه».

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله(٦): «كان - معاوية - من الكتبة الحسبة الفصحة، أسلم قبيل الفتح، وقيل: عام القضية، وهو ابن ثمان عشرة».

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب، (ص١١٠٠ - رقم ٦٤٠٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلًا لذلك، (ص١١٣٦ - رقم ٦٦٢٨).

(٣) هو دعاء له بموافقة السُّنَّة في الأكل.

(٤) المسند (١/ ٢٩١)، إسناده صحيح، صححه الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام عن معاوية رضي الله عنه، (ص٣٠٩).

(٥) العواصم من القواصم، (ص٣٤١).

(٦) معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «استكتبه النبي ﷺ لخبرته وأمانته».

وقال عنه أيضًا[٢]: «معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استكتبه رسول الله ﷺ، وقال: «**اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب**»».

وهو من علماء الصحابة وأذكياء الدنيا.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كان من العلماء من أصحاب محمد ﷺ».

وفي «صحيح البخاري» مسندًا عن حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم عاشوراء - عام الحج - علىٰ المنبر، يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم؛ فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر**»[٤].

فمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قام واعظًا وناصحًا في المدينة دار العلم حيث وفرة الصحابة، قام موجهًا ومرشدًا من ظن أن صوم عاشوراء فرض علىٰ الاستمرار، ولم ينسخ بصيام رمضان؛ فمعنىٰ قوله ﷺ: «**لم يكتب الله عليكم صيامه**»، أي: فرضًا علىٰ الدوام، وبقي استحباب صيامه، تخييرًا؛ لذلك قال: «**فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر**».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «قال الداودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أين علماؤكم؟» يدل أنه سمع شيئًا أنكره، إما أن سمع قول من لا يرىٰ بصومه

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٣٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٦٤).

(٣) السنة للخلال (١/ ٤٣٨ - رقم ٦٧١).

(٤) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء، (ص٣٢١ - رقم ٢٠٠٢).

(٥) شرح صحيح البخاري (٤/ ١٤٤).

فضلًا، أو سمع قول من يقول: أنه فرض، فذكر ما روي فيه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن معاوية رَضِوَالِلَّهُعَنْهُ روىٰ الحديث، وتكلَّم في الفقه، وقد روىٰ أهل الحديث حديثه في الصحاح والمسانيد وغيرها، وذكر بعض العلماء بعض فتاويه».

وكان معاوية رَضِوَالِلَّهُعَنْهُ ينكر ما يظهر من البدع، ويرد الناس إلىٰ السنة، قال أبو عامر الهوزني عبد الله بن لُحَيٍّ[2]: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلىٰ صلاة الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم علىٰ اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين ملة** - يعني الأهواء - **كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه، لا يبقىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم؛ لغيركم من الناس أحرىٰ أن لا يقوم به**».

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «روىٰ عنه – معاوية - من الصحابة طائفة، وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق».

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٣٧٧).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود من طريقه في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنة، (ص٦٥٠ - رقم ٤٥٩٧)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٧٦)، ومن طريقه الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني في (فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد) (ص٥٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣ - رقم ٦٥)، وحسَّن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٣٨)، وابن حجر كما في تخريج الكاف الشاف (٢/ ٧٩ - ٨٠)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٣٣).

(٣) الاستيعاب، (ص٦٧٨).

وقد بشَّر النبي ﷺ بولاية معاوية رضي الله عنه، ومن دلائل النبوَّة في خلافة معاوية رضي الله عنه حديثُ جابر بن سمرة رضي الله عنه؛ قال النبي ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر أميرًا** - أو قال: **خليفة** -».

قال الإمام أحمد بن حنبل: «قد جاء»[١].

ومما يصلح في الشواهد والمتابعات في دلائل النبوة علىٰ خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ قول النبي ﷺ: «**يا معاوية، إن وُلِّيتَ أمرًا؛ فاتق الله واعدل**»[٢].

وبشَّر ﷺ بما يجري علىٰ يدي معاوية رضي الله عنه من الفتوح، قال ابن الأثير رحمه الله[٣]: «وغزو قبرص هو الذي بشَّر به النبي ﷺ أمَّته، وهو الذي وقع علىٰ يد معاوية رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام: «**عجبت من قوم من أمتي، يركبون البحر كالملوك علىٰ الأسرة**»، قالت أم حرام رضي الله عنها: ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فصُرعت عن دابتها حين خرجت للبحر؛ فهلكت».

وجهاد معاوية وفتحه للأمصار ليس له نظير في أيام عز الإسلام، إلا ما كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ومن أعظم وأفضل جهاد معاوية رضي الله عنه ما كان من جهاده مع رسول الله ﷺ،

---

(١) السنة للخلال (١/ ٤٣١ - ٤٣٢، رقم ٦٥٢)، وبوَّب عليه الخلال: (ذكر أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان وخلافته رضوان الله عليه).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٠١)، قال الحافظ البيهقي رحمه الله: (إن لهذا الحديث شواهد). دلائل النبوة (٦/ ٤٤٦)، وقال الهيثمي رحمه الله: (رواه أحمد واللفظ له، وهو مرسل).

ورواه أبو يعلىٰ فوصله، فقال فيه: عن معاوية رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ...، والباقي بنحوه.

ورواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال في الأوسط: (ورجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح)، مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٥ - ٣٥٦).

(٣) الكامل في التاريخ، (ص٤٩٠).

فهو أفضل الجهاد مطلقًا، وأكثرها ثوابًا، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «شهد مع رسول الله ﷺ: حنينًا، والطائف، وتبوك، وحجَّ معه حجَّة الوداع».

ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو أول من غزا القسطنطينية من خلفاء المسلمين، كما غزا قبرص، والهند، وسمرقند، والبربر، والترك؛ وفتح جزيرة رودس، وأرواد، وسقلّية، والأردن، وصيدا، وبيروت وسواحل لبنان، وفتح بعض نواحي فلسطين، وقيسارية، وأرمينيا، وملطية، وكابل، وإفريقية[٢].

وشهد له النبيُّ ﷺ بعينه أنه من أهل الجنة. ولي الشام عشرين عامًا، وخليفة للمسلمين مثل ذلك، اجتمعت الأمَّة عليه بعد الصلح الذي وقع بينه وبين الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، واستوثقت له الممالك شرقًا وغربًا، وكانت خلافته ملكًا ورحمة، وأمنًا وأمانًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب - وقد كان عزم علىٰ الشقاق - وحصل علىٰ بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق، ترحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلىٰ أرض المدينة النبوية - علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام -، وجعل كلما مرَّ بحيٍّ من شيعتهم يبكتونه علىٰ ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك هو البار الراشد الممدوح، وليس يجد في صدره حرجًا ولا تلوُّمًا ولا ندمًا، بل هو راضٍ بذلك مستبشر به،

(١) منهاج السنة (٧/ ٤٠).
(٢) انظر: معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (ص٣٧ - ٤٥)، لكاتب هذه السطور.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٤١).

وإن كان قد ساء هذا خلقًا من ذويه وأهله وشيعتهم، ولا سيما بعد ذلك بمدد، وهلم جرًّا إلىٰ يومنا هذا.

والحقُّ في ذلك اتباع السنَّة، ومدحه فيما حقن به دماء الأمَّة، كما مدحه علىٰ ذلك رسولُ الله ﷺ كما تقدَّم في الحديث الصحيح، ولله الحمد والمنة».

أبهرت سياسة معاوية خصومه ومخالفيه قبل محبيه، فكان من أحلم الناس وأصبرهم علىٰ ما يؤذيه، وأعظم الناس تأليفًا لمن يعاديه، حتىٰ صارت سياسته مثلًا سائرًا في الناس «شعرة معاوية».

غُلب هو وعليٌّ رضي الله عنه علىٰ القتال، لقضاء الله الكوني الذي جرىٰ به القلم، وأهل السنَّة يكفُّون عما شجر بين الصحابة، ولا يذكرونهم إلا بالجميل.

قال يزيد بن الأصم: لما وقع الصلح بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، خرج عليٌّ رضي الله عنه فمشىٰ في قتلاه، فقال: «هؤلاء في الجنة»، ثم مشىٰ في قتلىٰ معاوية وقال: «هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إليَّ وإلىٰ معاوية؛ فيُحكم لي، ويُغفر لمعاوية، هكذا أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ»[1].

فالواجب الكفُّ عما شجر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، والانتهاء إلىٰ الصلح الذي كان بينهما، والصلح الذي أعقبه بعد ذلك بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهم.

ومن الأمور المعينة علىٰ الكفِّ عما شجر بين الصحابة استذكارُ أنهم غُلبوا علىٰ القتال، وكذلك كراهية علي رضي الله عنه أن يخوض الناس أيهما أصوب، وانتهاؤه إلىٰ التواضع، وقد جاء عنه من غير طريق أنه قال[2]: «سبق رسول الله ﷺ، وثنَّىٰ

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٨).

(٢) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (رقم ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٨، ١٣٣٠، ١٣٣٥).

أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنة».

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله: قال أبي[١]: «إنما أراد أمير المؤمنين بذلك أن يضع نفسه بتواضع قوله: «خبطتنا فتنة»، تواضَع بذلك».

وقد كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوقِّر آل البيت ويُكرمهم، فروىٰ مناقب آل البيت ولم يكتمها، فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسان الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإنه لن يُعذَّب لسان أو شفتان مصَّهما رسول الله ﷺ»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن، فيكرمهما معاوية إكرامًا زائدًا، ويقول لهما: «مرحبًا وأهلًا»، ويعطيهما عطاءً جزيلًا. وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: «خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي».

فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلًا أفضل منا.

ولما توفي الحسن؛ كان الحسين يفد إلىٰ معاوية في كلِّ عام فيعطيه ويكرمه».

قال عبد الرحمن الهمداني[٤]: «دخل أبو الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما أبقىٰ لك الدهر من ثكلك عليًّا؟ قال: ثُكل العجوز المِقلات والشيخ الرقوب، قال: فكيف حبُّك له؟ قال: حبُّ أمِّ موسىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإلىٰ الله أشكو التقصير».

---

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٥٩٠).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٩٣)، وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، وهو ثقة). در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، (ص٢٩٠).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٤٧٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٩).

ومن توقير معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مذاكرته له في العلم، وأخذه عنه.

قال ربعي بن حراش: سأل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن مسائل، فأجابه، فقال معاوية: «صدقت يا ابن عباس، أشهدُ أنك لسان أهل بيتك»، ثم قال لمن عنده: «ما كلمته قط إلا وجدته مستعدًّا»[١].

قال جعفر بن محمد عن أبيه: إن عقيل بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ العراق ليعطيه، فأبىٰ أن يعطيه شيئًا، فقال: إذًا أذهب إلىٰ رجل أوصل منك، فذهب إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فغرف له[٢].

وقد تناول معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسلب والثلب شرار الخلق الرافضة، وهؤلاء لم يحسنوا القولَ في خير هذه الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ؛ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلا يُستغرب ذلك منهم؛ لخبث قلوبهم وفساد دينهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) معرفة الصحابة (٣/ ١٧٠٢).

(٢) الشريعة للآجري، (ص٧٩٣ - رقم ١٩٦٣)، وهو صحيح.

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن السنَّة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأمراء المؤمنين، بَرِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله؛ فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتىٰ صار الخليفة، وسمِّي «أمير المؤمنين»؛ وجبت طاعته، وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

❁ الشَّرح:

هذه القطعة من العقيدة فيها بيانٌ لطرق إثبات ولاية الأمراء، وصفة معاملتهم.

وتعيين الحاكم من أهم الضرورات وأوكد الواجبات، فبه تنتظم أمور الدولة وأحوال الرعية، وتُحفظ بيضة الإسلام، وتُحفظ السُّبُل والثغور، وتُقام أمور الدِّين والدُّنيا.

قال الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]: «لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رواية المروذي**[2]: «لابُدَّ للمسلمين من حاكم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدِّين، بل لا تمام للدِّين والدنيا إلا بها».

ولاية أمر المسلمين منصب عظيم، يُختار له من توافرت فيه الصفات

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص١٠٥).

(٢) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص٥٩).

(٣) السياسة الشرعية (ص٢٣٢).

المطلوبة لذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يجب أن يكون: ذكرًا، حرًّا، بالغًا، عاقلًا، مسلمًا، عدلًا، مجتهدًا بصيرًا، سليم الأعضاء، خبيرًا بالحروب والآراء، قرشيًّا علىٰ الصحيح، ولا يُشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ، خلافًا لغلاة الروافض».

متىٰ استجمعت شروط الولاية في الشخص ووجد القوي الأمين كان حقيقًا بالولاية:

شروط الولاية:

١- **الإسلام**: فلا تصح ولاية الكافر، قال الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠٩هـ)[٢]: «لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه**»، ولأمره عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالسمع والطاعة «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا**»، وهو مشترط في كل وال».

٢- **العقل**: فلا تصح ولاية من لا عقل له؛ لئلا يفسد جنونه بلاد المسلمين.

٣- **الذكورية**: لنهي النبي ﷺ عن تولية المرأة، حيث قال: «**لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**» رواه البخاري ومسلم.

٤- **البلوغ**: فالصغير يحتاج إلىٰ من يتولَّىٰ أمره، فلا يكون واليًا علىٰ المسلمين.

٥- **العدالة**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ العدالة هي: الصلاح في الدِّين».

٦- **الأمانة**: وهي ترجع إلىٰ أداء حق الله وحق الخلق.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٣).

(٢) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص٣٤).

(٣) السياسة الشرعية (ص١٧٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الأمانة ترجع إلىٰ خشية الله تعالىٰ، وترك خشية الناس، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا، وهذه الخصال الثلاث التي أخذها الله علىٰ كل حكم علىٰ الناس، في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]».

٧- **القوَّة:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «القوة في كل ولاية بحسبها».

وقال شيخ الإسلام[(٣)]: «القوة في الحكم بين النَّاس ترجع إلىٰ العلم بالعدل الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وإلىٰ القدرة علىٰ تنفيذ الأحكام».

هذا الواجب في الحكم الشرعي اختيار القوي الأمين، وباعتبار الواقع اجتماع وصفي القوة والأمانة في الناس قليل، فيجتهد الولاة وأهل الحل والعقد في اختيار الأمثل فالأمثل بحسب الممكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: اللهم أشكو إليك جَلَد الفاجر وعجز الثقة.

فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها».

القوة والصلاح تُعتبر في كل وقت بحسب حال الناس في وقتهم، فيعز الآن وجود القوي الأمين؛ كالفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن في صلاح الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيختار أصلح الموجود.

---

(١) السياسة الشرعية (ص١٨).

(٢) السياسة الشرعية (ص١٧).

(٣) السياسة الشرعية (ص١٨).

(٤) السياسة الشرعية (ص١٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إذا عُرف هذا فليس عليه أن يستعمل إلا أصلح الموجود، وقد لا يكون في موجوده من هو أصلح لتلك الولاية، فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه. وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام، وأخْذِه للولاية بحقها؛ فقد أدَّىٰ الأمانة، وقام بالواجب في هذا، وصار في هذه المواضع من أئمة العدل والمقسطين عند الله».

الواجب في الولايات كلها تعيين القوي الأمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]».

وتجوز ولاية المفضول مع وجود من هو أفضل منه.

قال الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٠٩هـ)**[٣]: «أمَّر النبي ﷺ أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ قوم فيهم من هو أفضل منه.

وبعث جماعة عمَّالًا علىٰ البلاد، وثمَّ من هو أفضل منهم، وكذلك استعمل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعده مع وجود الفاضل، وكذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويجوز أن يكون من أقاربه وغيرهم».

وتولية المفضول مع وجود من هو أفضل منه؛ يجب أن تكون لمراعاة مصلحة شرعية، لا محاباة، فهذا الذي كان عليه عمل النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أمَّرَ النبي ﷺ مرةً عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) السياسة الشرعية (ص١٦).
(٢) السياسة الشرعية (ص١٧).
(٣) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص٨٣).
(٤) السياسة الشرعية (ص٢٢).

في غزوة ذات السلاسل، استعطافًا لأقاربه الذين بعثه إليهم، علىٰ من هم أفضل منه.

وأمَّرَ أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأجل طلب ثأر أبيه.

وكذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة راجحة، مع أنَّه قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان».

ولا تُشترط القرشية في أمراء النواحي، قال العلامة ابن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٠٩هـ)(١): «لا يُشترط فيه النسب، ولا أن يكون قُرشيًّا، ولا حرية الأصل؛ فيجوز أن يكون من الموالي كامل الحرية حال الولاية».

واستدل لذلك بحديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعسفان، وكان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ استعمله علىٰ مكة، فقال له عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: من استخلفت علىٰ أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزىٰ، قال: ومن ابن أبزىٰ؟ فقال: رجل من موالينا، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: استخلفت عليهم مولًىٰ! فقال: إنَّه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أما إنَّ نبيكم ﷺ قد قال: «**إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا، ويضع به آخرين**» رواه مسلم.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْطُوشِي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٥٢٠هـ)**(٢): «قد عابت جهلة بني إسرائيل طالوت، فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فعابوه بخصلتين: الفقر، وأنَّه ليس من سِبط المملكة(٣)، فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ

---

(١) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص٨١).

(٢) سراج الملوك (ص١٦٨، ١٦٩).

(٣) السِّبْط: القبيلة من اليهود.

﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فبيَّن شروط الولايات والممالك، وأنّها تفتقر إلىٰ العلم الذي به يحكم، وإلىٰ القوة التي بها تُنفَّذ الأحكام، دون ما ظنَّه بنو إسرائيل».

نعم تشترط القرشية في الحاكم العام، الوالي لكل أمصار المسلمين؛ لقول النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**» متفق عليه.

وإذا كان غير القرشي يتولَّىٰ أمر المسلمين، فإنَّه يُسمع له ويطاع بالمعروف، ولا يجوز تفريق الجماعة واقتتال الرعية من أجل تولية القرشي، قال النبي ﷺ: «**أسمع وأطع ولو كان عبدًا حبشيًّا**».

العهد بالولاية من طرق إثبات الإمامة، وقد دلَّ علىٰ ثبوتها السُّنَّة والإجماع، فقد عهد النبي ﷺ بالإمامة بعده لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، عهدًا منطوقًا لشهرته استغنىٰ به عن عهد مكتوب.

قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «ادعي لي أباك وأخاك حتىٰ أكتب لأبي بكر رضي الله عنه كتابًا، فإنِّي أخاف أن يقول قائل ويتمنىٰ متمنٍّ، يأبىٰ الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله **في فوائد الحديث**[2]: «في هذا دليل علىٰ جواز العهد للخلفاء».

وقول النبي ﷺ: «يأبىٰ الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر»؛ هو بشارة نبوية بولاية الصدِّيق، وإخبار بأن قضاء الله الكوني يقع موافقًا للحكم الشرعي، وأن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/ ٢٠٥ – رقم ٧٢١٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٧–رقم ٦١٨١).

(٢) الأربعون في مناقب أمَّهات المؤمنين (ص٨٠).

ولايته تقع موقع القبول من المؤمنين إجماعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «التحقيق أنَّ النبي ﷺ دلَّ المسلمين علىٰ استخلاف أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أنَّ المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك».

وفي غزوة مؤتة جعل النبي ﷺ زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أميرًا، قال: فإن مات فجعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن مات أو قُتل فعبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة ابن بطال المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «في هذا من الفقه أنَّ الإمام يجوز له أن يجعل ولاية العهد بعده لرجل».

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قد وردت السُّنَّة بمثله، وأجمعت الأُمَّة علىٰ استعماله».

وكذلك فعل أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عهد بالخلافة إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من بعده، كما هو ثابت في الصحيحين.

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إذا مات الإمام فاستخلف بعده رجلًا صالحًا للإمامة؛ فله الولاية، ولا تحل منازعته فيها، كما فعل الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، استخلف بعده عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

وقال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «اتفقت الأُمَّة من أهل السُّنَّة والجماعة

---

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ٥١٦).

(٢) شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٣) شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٤) شرح السُّنَّة (١٠/ ٨١).

(٥) شرح السُّنَّة (١٠/ ٨٤).

علىٰ أن الاستخلاف سُنَّة، وطاعة الخليفة واجبة، إلا الخوارج والمارقة الذين شقُّوا العصا، وخلعوا ربقة الطاعة».

وكذلك فعل الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عهد بالخلافة بعده إلىٰ واحد من الستة الذين اختارهم.

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أمَّا انعقاد الإمامة بعهد من قبله؛ فهو مما انعقد الإجماع علىٰ جوازه، ووقع الاتفاق علىٰ صحته لأمرين، عمل المسلمون بهما، ولم يتناكروهما؛ أحدهما: أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عهد بها إلىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأثبت المسلمون إمامته بعهده.

والثاني: أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عهد بها إلىٰ أهل الشورىٰ، فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر، اعتقادًا لصحة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها».

والوالي إذا بايعه عامة أهل الحل والعقد؛ انعقدت بيعته، ووجبت طاعته بالمعروف، وبقية الناس تبع لهم؛ لأنَّ الناس بوجوههم.

والدليل علىٰ مشروعية هذا النوع من الولاية بيعة عامة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبتت ولايته بالنص وببيعة أهل الحل والعقد له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **في ولاية الصدِّيق**[2]: «نفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان بمطاوعة ذوي الشوكة».

فالمعتبر في الولاية ببيعة أهل الحل والعقد بيعة عامتهم وجمهورهم، ولو خالف النفر اليسير فإن ذلك لا يقدح في البيعة.

---

(١) الأحكام السلطانية (ص١١).

(٢) منهاج السنة (١/ ٥٣١).

قال الحافظ يوسف بن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٠٩هـ)**[١]: «الإمامة تنعقد بوجهين: أحدهما اختيار أهل الحل والعقد كما قدمنا، والثاني بعهد الإمام قبله. فأما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فلا تنعقد إلا بجمهورهم، وأكثر أهل الحل والعقد».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «في الدين الإسلامي متىٰ اتفق أهل الحل والعقد؛ فالأمر كله لأهل الحل والعقد، ولو جُعل الأمر لعامة الناس حتىٰ الصغار والكبار والعجائز والشيوخ وحتىٰ من ليس له رأي، ويحتاج أن يُولىٰ عليه ما بقي للناس إمام؛ لأنّهم لابُدَّ أن يختلفوا».

والأمير متىٰ ما بايعه جمهور أهل الحل والعقد؛ وجبت طاعته علىٰ جميع الرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به ورسوله ﷺ من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم؛ واجب علىٰ الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة، كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به ورسوله ﷺ من الطاعة، فإذا حلف علىٰ ذلك كان توكيدًا وتثبيتًا لما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به ورسوله ﷺ من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم».

وذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله أنّ الحاكم المتغلِّب تجب طاعته بالمعروف.

فالوالي المتغلب إذا استتبَّ له الأمر، وظهر سلطانه علىٰ البلاد؛ وجبت طاعته بالمعروف، وهو بعد بسط سلطانه يأمر الناس بطاعته وينهىٰ عن مفارقة الجماعة.

(١) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص٥٧).

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٠٤)، ط: دار البصيرة.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٩).

نهانا النبي ﷺ أن ننازع الأمر أهله، وقد يحصل في الواقع منازعة يحصل بها ظهور المتغلب، فتجب طاعته بالمعروف، لئلا تتسلسل الفتن، ولئلا تراق الدماء وتنقطع السبل، ولئلا تتشرذم الأمة فتضعف شوكتها وتذهب قوتها، ويطمع فيها عدوُّها.

والاقتتال علىٰ المُلْك أضعف الأُمَّة وكان سبب فرقتها وزاد بسببه الشر.

ومن أسباب النزاع علىٰ الملك اعتقاد المنازع أنَّه أولىٰ بالحكم من المتولي.

إذا انتظم الأمر للمتغلب وجبت طاعته بالمعروف، فمصلحة انتظام عقد الجماعة أرجح لحقن دماء المسلمين، ولحفظ السُّبُل حتىٰ لا تكون فتنة عامة.

الأمويون أنفسهم تنازعوا فيما بينهم الملك، والعباسيون كذلك تنازعوا فيما بينهم، ونازعهم كذلك أبناء عمهم من العلويين.

وإذا وُجد التنازع والاختلاف؛ فالواجب علىٰ المتنازعين والرعية خصوصًا أهل الحل والعقد السَّعي إلىٰ جمع الكلمة لحقن دماء المسلمين، كما حصل في الصلح الذي امتدحه النبي ﷺ بين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما والحسن بن علي رضي الله عنهما.

قال النبي ﷺ في الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: «إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، رواه البخاري.

والواجب علىٰ الفاضل إذا وجد في نفسه ميلًا إلىٰ الجاه والسلطة، أو سعىٰ غيره لإغرائه بها؛ أن يحذر علىٰ نفسه والإسلام والمسلمين من شرور اختلاف الكلمة واقتتال المسلمين، وليسعىٰ في الإصلاح ضمن الجماعة.

قال النبي ﷺ: «إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولَّاه الله أمركم»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة».

وقال مروان بن الحكم بن أبي العاص لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هلمّ نبايعك؛ فإنَّك سيد العرب، وابن سيدها، فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فكيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: نقاتلهم، فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: والله ما يسرني أن العرب دانت لي سبعين عامًا، وأنّه قُتل في سببي رجل واحد(١).

أولو الأمر هم الذين لهم القدرة التي يسوسون بها البلاد، وقد حصل لهم السلطان ببيعة جمهور أهل الحل والعقد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «لا يصير الرجل إمامًا حتىٰ يوافقه أهل الشوكة عليها، الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة؛ فإنَّ المقصود من الإمامة إنَّما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بُويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا.

ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية؛ فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله.

فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكًا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلا أنْ تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم، بحيث يصير ملكًا بذلك، وهكذا كل أمر يفتقر إلىٰ المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه، ولهذا لمَّا بُويع عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصار معه شوكة صار إمامًا».

انتظام عقد الجماعة خير وبركة، قال النبي ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب**

---

(١) الإشراف في منازل الأشراف (ص١٠٥).

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٥٢٧).

مسلم: **إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسنه وصححه ابن حبان من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فينال المسلمون من الخير بالجماعة ما يجتنبون به شرور البغضاء والشحناء بالفرقة، قال النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»، رواه أحمد من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

ولي الأمر الحاكم المسلم ورعيته هم الجماعة، قال الطبري في بيان معنىٰ الجماعة(١): «الذين في طاعة من اجتمعوا علىٰ تأميره».

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المقصود الجماعة علىٰ إمام يُسمع له ويُطاع».

وقد ظهر قبلنا أقوام يدعون إلىٰ الله متحزبون، يوجبون علىٰ أتباعهم المتحزِّبين لهم السمع والطاعة، يأخذون عليهم البيعة والعهد في ذلك.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ هذه بدعة في دين الله من جهة، ونوع من الخروج عن سلطة السُّلطان من جهة أخرىٰ».

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «من الذي يدير شؤون الأمة؟

الجواب: ليس زيدًا ولا بكرًا ولا عمرًا، ممن يؤسس حزبًا، أو يترأس حركة، أو يوجه جماعة!

هذا الأمر خاص بولي الأمر، الذي يُبايع من قِبَل المسلمين».

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧).

(٢) التمهيد (٢١/ ٢٧٢).

(٣) شرح صحيح البخاري (٧/ ٥٤١، ٥٤٢)، ط: مكتبة الطبري – مصر.

(٤) التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام (ص٣٧).

إذا فسق الحاكم فإنّه لا ينعزل بذلك، ويجب علىٰ رعيَّته خصوصًا العلماء وبطانته نصيحته؛ فإنَّ استقامة الولاة من أسباب استقامة الرَّعية وصلاح البلاد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنَّه لا ينعزل؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إلا أنْ تروا كفرًا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان**»».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٠٩هـ)**[(٢)]: «فأما إنْ عمل بالمعاصي فإنّه لا يخرج بذلك من الإمامة، ولا يخرج من الطاعة بذلك منه.

وأما إنْ أمَرَ الناس بالمعاصي فلا تجب طاعته في ذلك، فلا طاعة في ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج ولا ارتكاب المعاصي، فلا طاعة في قتل نفس محرمة، ولا زنًا، ولا شرب خمر، ولا معاملة بالربا، ولا لواط، ولا أكل أموال الناس بالباطل، ونحو ذلك».

والخلاف الذي حكاه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ولاية الفاسق، يبدو أنَّه باعتبار مذاهب المتأخرين، وإلا فإنَّ مذهب الصحابة صحَّة إمارة الفاسق.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لابُدَّ للناس من إمارة برَّةً كانت أو فاجرة»، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه البَرَّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ فقال: تُقام بها الحدود، وتأمن بها السُّبُل، ويجاهد بها العدو، ويُقْسَم بها الفيء. رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

فهذا الأثر عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ دالٌّ علىٰ صحَّة إمارة

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٣).

(٢) إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة (ص١٣٩، ١٤٠).

الفاجر أو الفاسق في فقه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأثرُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دالٌّ علىٰ أنَّ الصلاح والفجور نسبي، فإذا كان الفاجر في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقيم الحدود، ويحفظ السُّبُل، ويجاهد العدو، ويقسم الفيء، فهو بالنسبة لحكام عصرنا من سادات المتقين.

ومما يدلُّ علىٰ معنىٰ أثر عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويعضده صلاة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفىٰ وكان شاربًا للخمر.

الحاكم الفاسق لا يُولَّىٰ وفي القوم من هو أصلح منه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار»، لكن لو كان والي المسلمين فيه نوع فسق فإنّه لا يُخرج عليه خشية انقطاع السبل واقتتال الناس واستباحة الحُرمات.

قال النبي ﷺ: «الإمارة الفاجرة خير من الهرج»، رواه الطبراني في «المعجم الكبير»[٢].

أدرك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما وقع من التغير من الولاة من بعد عهد ولاة الصحابة، ولم يخلعوا يدًا من طاعة للمصالح العظيمة في لزوم الجماعة.

قال مكحول: قيل لأصحاب رسول الله ﷺ حيث أدركوا ما أدركوا من الظلم: أنغزو مع هؤلاء، وهم يفعلون ويفعلون؟ فكلهم قال: «اغز علىٰ سهمك من الإسلام، فإنْ غلُّوا فلا تغلل، وإن خانوا فلا تخن، وإن أفسدوا فلا تُفسد، وإن عصوا فلا تعص، قاتل علىٰ حظك من الآخرة، ودعهم يقاتلوا علىٰ حظهم

---

(١) السياسة الشرعية (ص٢٤٢).

(٢) قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده لا بأس به»، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢١٤٩).

من الدنيا، وإياك وأذىٰ المؤمنين»(١).

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أجمع أهل السُّنَّة أنَّه لا ينعزل السلطان بالفسق».

وقال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**(٣): «اجتمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنُّسَّاك والعُبّاد والزُّهاد من أول هذه الأمة إلىٰ وقتنا هذا: أنَّ صلاة الجمعة والعيدين، ومنىٰ، وعرفات، والغزو والجهاد، والهدي، مع كل أمير، بر وفاجر».

وقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من السُّنَّة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأمراء المؤمنين، برِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنّه لا طاعة لأحد في معصية الله»؛ فهذا فيه تبيين لصفة معاملة الولاة، فالله عَزَّوَجَلَّ أوجب طاعة الولاة بالمعروف، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

وقول ابن قدامة: «من السُّنَّة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأمراء المؤمنين، برِّهم وفاجرهم»؛ يعني هذا واجب بالسُّنَّة المروية عن النبي ﷺ.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من رأىٰ من أميره شيئًا فليصبر؛ فإنّه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية**» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها**»، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٤٩)، قدوة الغازي (ص٢٢٤، ٢٢٥- رقم ٩٣).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩).

(٣) الشرح والإبانة علىٰ أصول الديانة (ص٣٠٥).

حقكم»، رواه البخاري.

ومع ما دلَّ عليه الدليل من القرآن والسُّنَّة علىٰ طاعة الولاة بالمعروف فهذا مما أجمعت الأُمَّة علىٰ اعتقاده والعمل به.

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان رحمهما الله[١]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: لا نرىٰ الخروج علىٰ الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة».

أوجب الله علىٰ الرعيَّة الطاعة بالمعروف، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٦١هـ)**[٢]: «طاعة الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسُنَّته، وأولو الأمر: الولاة كالخلفاء والملوك والقضاة.

وفي أفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا من وَليَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا يَنْزعَنَّ يدًا من طاعة**»».

وقال العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هنا يقول الله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يُعِدِ الفعل، فلم يقل جَلَّوَعَلَا: وأطيعوا أولي الأمر؛ لأنَّ

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٤١، ٥٤٢).

(٣) تفسير سورة النساء (١/ ٤٤٨).

طاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله».

دخل أبو النضر سالم مولىٰ عمر بن عبيد الله علىٰ عامل للخليفة، فقال له: يا أبا النضر، إنَّه يأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها، ولا نجد بُدًّا من إنفاذها، فما ترىٰ؟ قال أبو النضر: قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة، فأيُّهما اتبعتَ كنت من أهله[1].

الأحكام الإلهية هي العدل، شرعها الله عَزَّوَجَلَّ لتجري أحكامه في ملكه وعبيده وليتعبَّد الخلق لله بتوحيده في أمره وحكمه، فالخروج عن شرع الله وحكمه شرك وظلم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الشرع اسم لما بعث الله تعالىٰ به رسوله محمدًا ﷺ من الكتاب والحكمة، وحكمه لازمٌ جميع الخلق.

فعلىٰ كل والٍ أن يتبع هذا الشرع».

متىٰ ما أقام الناس أحكام شرع الله؛ بُسط العدل والأمن، وتراحم الخلق، وتولىٰ الله البلاد والعباد بالحفظ والنصر والرزق والهداية والكفاية.

الواجب علىٰ الولاة أن يحكموا بالعدل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) سراج الملوك (ص١٥٨).

(٢) السياسة الشرعية (ص١٩٣).

والمقصود بالولاية عبودية الله عَزَّوَجَلَّ بإجراء حكمه في خلقه.

والناس لا يُصلحهم إلا شرع الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

فالعنت والمشقة والحرج والجور والظلم في الحكم بخلاف شرع الله، والهدىٰ والرحمة والعدل في شرع الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ صلاح المعاش والمعاد في طاعة الله ورسوله».

والعدل علىٰ الرعية من أسباب دخول الجنة، والسلامة من التبعات يوم القيامة، وهل بلغ الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما بلغه من العدل إلا من خشيته من الحساب فيما ولاه الله عَزَّوَجَلَّ، قال الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو عثرت بغلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها».

عن عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أهل الجنَّة ثلاثة: ذو سلطان مقسط مصدِّق موفّق، ورجل رحيم القلب بكل ذي قربىٰ ومسلم، ورجل فقير عفيف مصدق**»، رواه مسلم.

حرَّم الله الظلم، وتمدَّح الله نفسه بالعدل، لا عن عجز وعدم قدرة علىٰ الظلم، بل لكمال عدله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، وأمر عباده بالعدل لتجري أمورهم علىٰ أكمل سيرة.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه: «**يا عبادي! إنِّي**

---

(١) السياسة الشرعية (ص٩٤).

حرَّمت الظُّلم علىٰ نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا» رواه مسلم.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٥٠هـ)**[1]: «إنَّه حرَّمه - الظلم - علىٰ نفسه، وجعله محرَّمًا بينهم، ثم نهاهم عن التَّظالم ليتمَّ لهم فيما بينهم سيرة العدل ومسلك الخير».

والكلمة الجامعة في حقيقة العدل ترجع إلىٰ العدل في أداء حق الله وأداء حقوق المخلوقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الله تعالىٰ بعث الرُّسل، وأنزل الكتب؛ ليقوم النَّاس بالقسط، وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له، ثم العدل علىٰ الناس في حقوقهم، ثم العدل علىٰ النَّفس».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صفة ولاة العدل**[3]: «أئمة العدل وولاته الذين تأمن بهم السُّبل، ويستقيم بهم العالم، ويستنصر بهم الضعيف، ويذِلُّ بهم الظالم، ويأمن بهم الخائف، وتُقام بهم الحدود، ويُدفع بهم الفساد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُقام بهم حكمُ الكتاب والسُّنَّة، وتُطفأ بهم نيران البدع والضلالة».

حاصل الأمر أنَّ سبيل العدل أن يقوم الوالي بأمر الله، متىٰ أطاعه وأقام في رعيته أحكامه تحقَّق العدل، وألان الله له القلوب، وأخلصوا له الولاء، ونصروه، وأحبوه.

---

(١) نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٩).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٧٧٢).

قال العلامة أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْطُوشِي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٢٠هـ)[١]: «أَوَّل الواجبات علىٰ السُّلطان: أن يُنزِلَ نفسه مع الله تعالىٰ منزلة وُلاتِه معه، أليس إذا خالف واليه أَمرَه وما رسمه له من الأحكام، عزله وعاقبه ولم يأمن سَطوته، وإذا امتثل أوامرَه وازدجر عن زواجره حلَّ منه محل الرضاء؟!

فواعجبًا لمن يَغضب علىٰ واليه إذا خالفه، ثم لا يخاف سطوة ربه عليه إذا خالفه!

فهذا طريق إقامة العدل الشرعي، والسياسة الإسلامية الجامعة لوجوه المصلحة، الآخذة بأزمَّة التدبير، السالمة من العيوب، المُمهِّدة لاستقامة الدنيا والدين».

ولا ينتظم أمر الجماعة إلا باستقامة الرعية، وذلك بطاعة ولي أمرهم بالمعروف، فمتىٰ كانت الرعية ملتوية اضطربت الأمور، وربما كان ذلك سببًا لعسف وليهم بهم.

ففي عهد الوليد بن عبد الملك كان نائبه عمر بن عبد العزيز أميرًا علىٰ المدينة، لم يحتج في عقوبتهم لأكثر من عشرة أسواط، بينما كان نائبه الحجاج علىٰ العراق يعاملهم بعسف لالتوائهم[٢].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من الأمور المهمة جدًّا أن يكون الرئيس رحيمًا برعيته، ناصحًا محبًّا للخير، ساعيًا فيه جهده، كثير المراودة والمشاورة لهم، خصوصًا لأهل الرأي والحجا منهم، وأن تكون الرعية مطيعة منقادة ليس عندهم منازعات ولا مشاغبات».

---

(١) سراج الملوك (ص٢٠٠).

(٢) السِّياسة الشَّرعية (ص١٢٦).

(٣) تيسير اللطيف المنَّان (ص١٣٣).

فالواجب علىٰ الرعية مع ولاتهم معاملتهم بالخير إرادةً وفعلًا، وتلك هي النصيحة الواجبة التي حثنا عليها النبي ﷺ بقوله: «**الدين النصيحة، لأئمة المسلمين وعامتهم**»، رواه مسلم.

قال أبو الحسن الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٥٠هـ)**(١): «عدل الإنسان مع من فوقه؛ كالرَّعيَّة مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها، وذلك يكون بثلاثة أشياء: بإخلاص الطَّاعة، وبذل النُّصرة، وصدق الولاء؛ فإنَّ إخلاص الطَّاعة أجمع للشَّمل، وبذل النُّصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفىٰ لسوء الظَّنِّ».

ويجب علىٰ الوالي الرفق بالرعية، وسياستهم بما يصلح دينهم ودنياهم، فيحفظ علىٰ المسلمين دينهم بمنع أسباب الفساد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بالشرك، والبدع، والذنوب».

ويجب علىٰ الوالي إغناء الرَّعية من بيت المال، وتهيئة أسباب نماء البلاد وعمل الرَّعية بما ينفعهم وبلادهم.

قال العلامة مرعيّ الكرميّ الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «يجب علىٰ السُّلطانِ الشفَقةُ علىٰ الرَّعيَّة، والإحسان إليهم، والعطفُ عليهم، خصوصًا الضعفاء منهم والمساكين، والفقراء المنكسرين، فقد قال النبي ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**»، «**بدعوتهم وصلاحهم وإخلاصهم**»».

يجب علىٰ الوالي النصيحة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ ورعيته وبلاد الإسلام،

---

(١) أدب الدُّنيا والدِّين (ص٢٢٨).

(٢) المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة، مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي (٣/ ٤٨٢).

بأداء حق الله عَزَّوَجَلَّ، وإظهار دينه وإقامة شرائعه، وحفظ الثغور، وسياسة الرَّعية بشرع الله، والإحسان إليهم، وصيانة البلاد والعباد عن أسباب الشر والفساد.

عن معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعيَّته، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنَّة**» متَّفق عليه.

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «معناه بيِّن في التَّحذير من غشِّ المسلمين لمن قلَّده الله تعالىٰ شيئًا من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلِّده، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم، وأخذهم به، وإمَّا بعدم القيام بما يتعيَّن عليه من حفظ شرائعهم والذَّبِّ عنها لكلِّ متصدٍّ لإدخال داخلة فيها، أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوِّهم، أو ترك سيرة العدل فيهم؛ فقد غشَّهم».

ويجب علىٰ الولاة القيام بحقوق الرعية، والعدل فيهم، وهذا واجب علىٰ كل من له ولاية صغرىٰ أو كبرىٰ، كل من له رعية أو سلطة أو ولاية يجب أن يعدل في رعيته.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المُقسطين عند الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا**» رواه مسلم.

خطب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ يومًا، وقال لرعيته[٢]: «إنَّ لكم علىٰ الوالي

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٨١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٣٧).

أنْ يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأنْ يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للَّتي هي أقوم ما استطاع».

وقال العلامة أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْطُوشِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٢٠هـ)**(١): «للرَّعية علىٰ السلطان: الاستصلاح لهم، والتعهُّدُ لأمورهم، وحسنُ السيرة فيهم، والعدلُ عليهم، والتعديل بينهم، وحقُّ السلطان عليهم: الطاعة، والاستقامة، والشكرُ، والمحبة».

الواجب علىٰ ولي الأمر أنْ يكون حكيمًا يضع الأمور مواضعها؛ فيستعمل في كل موضع ما يليق به، فلا يستعمل الشدَّة إلَّا حيث يقتضي ذلك، ولا يستعمل اللِّين دائمًا؛ فإنَّه مفسد أيضًا.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «رحمة الخلق مقيَّدة باتِّباع الكتاب والسُّنَّة، فبعض الرَّاحمين يُسرف في الرَّحمة حتىٰ يخلَّ بالجهاد، ويهرب من إقامة الحدود، ولا ينتقم لحرمة الله، كما أنَّ بعض الجبَّارة وأولي القسوة يتجاوزون في الظُّلم، وينتقم لنفسه أشدَّ مما ينتقم لله، وقد كان رسول الله ﷺ ميزانًا عادلًا في ذلك؛ فما ضرب خادمًا ولا مملوكًا، ولا انتقم لنفسه، وكان يضرب بسيفه في أعداء الله، ويقيم الحدود كما أمره الله، وقال لأسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله**»، فدين الإسلام دين حنيفي؛ لا كرقَّة الرهبان المذمومة، ولا كقسوة اليهود الممقوتة».

وليحذر الولاة من ظلم الرَّعية؛ فإنَّه مرتع وخيم، ومن أسباب كراهية وبغضاء الرَّعية لهم، وربما كان ذلك سببًا في زوال ملكهم.

(١) سراج الملوك (ص٢٢٢).
(٢) مرقاة الصُّعُود إلىٰ سنن أبي داود (٣/ ١٢٥٣، ١٢٥٤).

أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داعيًا وواليًا إلىٰ اليمن، ووعظه بقوله: «**اتق دعوة المظلوم؛ فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب**» متفق عليه، فسلطان القوة والقدرة يجب أن يساس بالتقوىٰ والعدل، والشفقة للرعية.

بالتقوىٰ والعدل يحفظ الله المُلْك، والحفظ الإلهي هو المعول، وهو من أسباب نماء البلاد بالخيرات، فالله ولي المؤمنين العادلين حفظًا ورزقًا ونصرة وهداية وكفاية.

قال وهب بن منبّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إذا هَمَّ الوالي بالجَوْر أو عَمِلَ به؛ أدخل الله النقص في أهل مملكته، في الأسواق والزرع والضرع وكُلِّ شيء، وإذا هَمَّ بالخير والعدل أو عمل به؛ أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو، كما يدل عليه الكتاب والسُّنَّة، فإذا أُقيمت الحدود ظهرت طاعة الله ونقصت معصيته؛ فحصل الرزق والنصر».

ومن أعظم الظُّلم العدوان علىٰ حرمات المسلمين، والتَّسلُّط عليهم بأنواع الأذىٰ في الدَّم والمال والعرض، والنبي ﷺ أوصىٰ أمَّته وهو يودِّعها في حجَّته بقوله: «**إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم؛ حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا**» متفق عليه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النَّار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاس، ونساء**

---

(١) سراج الملوك (ص١٧٨).

(٢) السياسة الشرعية (ص٨٩).

كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا وعيد عظيم يجب الحذر ممَّا دلَّ عليه؛ فالرجال الذين في أيديهم سياط كأذناب البقر، هم من يتولىٰ ضرب الناس بغير حقٍّ من شُرط أو من غيرهم، سواء كان ذلك بأمر الدولة، أو بغير أمر الدَّولة، فالدَّولة إنَّما تطاع في المعروف، قال ﷺ: «**إنَّما الطاعة في المعروف**»».

تغيرت أحوال الولاة، وصار أكثرهم كما قال النبي ﷺ: «**تعرف وتنكر**»، فتطيعهم في المعروف وتعينهم عليه، وتنهاهم عن المنكر وتجتنبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ التعاون نوعان:

الأول: تعاون علىٰ البر والتقوىٰ من: الجهاد، وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقين، فهذا مما أمر الله به ورسوله ﷺ.

ومن أمسك عنه خشية أن يكون من أعوان الظلمة؛ فقد ترك فرضًا علىٰ الأعيان، أو علىٰ الكفاية، متوهِّمًا أنَّه متورِّع، وما أكثر ما يشتبه الجُبْن والفشل بالوَرَع، إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساك.

والثاني: تعاون علىٰ الإثم والعدوان؛ كالإعانة علىٰ دم معصوم، أو أخذ مال مغصوب، أو ضرب من لا يستحق الضرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ».

وفي العصر الحديث تعطَّلت الحدود، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا

---

(١) الفتاوىٰ البازية (٦/ ٤٤٧).

(٢) السياسة الشرعية (ص٦٧).

خطر علىٰ الولاة أنفسهم وعلىٰ الرعية والبلاد؛ فإنَّ من عطَّل الحدود وأصرَّ علىٰ ذلك فقد ضاد الله في حكمه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وإذا تعطلت العقوبات الشرعية؛ ربما أصاب البلاد والناس العقوبات القدرية، وربما كانت أشد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الحكم بما أنزل الله فيه صلاح الدنيا والآخرة، والحكم بغير ما أنزل الله فيه فساد الدنيا والآخرة».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الشرك والدعوة إلىٰ غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسوله؛ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأنْ يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ﷺ، ليس إلا».

ليس لآحاد الناس أن يقيموا الحدود والتعزيرات علىٰ الناس؛ لأنّه من ولاية القضاء، ولأنّه ربما أقام من لا علم عنده الحد علىٰ من لم يوجبه الله، وربما أقامه من غير إثبات الحكم بالطرق الشرعية، وربما استغلَّ الناس ما بينهم من الضغائن وصاروا يُعزرون أعداءهم ظلمًا بدعوىٰ إقامة حدود الله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ عامة الناس ليس لهم أن يفتاتوا علىٰ ولي الأمر في الحدود والتعزيرات إلا بإذنه، وقد عرفتم

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٠٢).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٨٥٦).

(٣) عيون الرسائل (١/ ٢٤٠، ٢٤١).

حال أكثر الولاة في عدم الاهتمام بهذا الأصل، فالافتيات عليهم بالحبس والضرب، ونحو ذلك؛ مفسدة، تمنعها الشريعة ولا تقرها، ودرء المفاسد مقدَّم علىٰ جلب المصالح».

إقامة الحدود من ولاية القضاء، ليست لآحاد الناس، ولا يمكن لكائن من كان أن ينصب نفسه لأخذ الحقوق وإقامتها بدون ولاية، فيكون ذلك من أسباب الفوضىٰ والتنازع والقتال.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «القضاء إلىٰ الخلفاء، أو إلىٰ من استخلفوه علىٰ ذلك، وجعلوه إليه، وعندهم تُطلب الحقوق حتىٰ يوصل إليها».

فالحدود يقيمها الأمراء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إقامة الحدود لا تتمُّ إلا بالقوة والإمارة».

وقال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أربع من أمر الإسلام إلىٰ السلطان: الحكم، والفيء، والجهاد، والجمعة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما كان من خصوص ولاية أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[4]: «قَطَعَ وَرَجَمَ، فيكون هذا إلا خليفة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «إقامة الحدود إلىٰ الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم».

---

(١) التمهيد (١١/ ٩٧).

(٢) السياسة الشرعية (ص٢٣٣).

(٣) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، رواية حرب الكرماني (ص٣٩٢).

(٤) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢/ ٥٧٤ – رقم ١٣٤٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٨٠).

علىٰ كل حال إقامة الحدود هذا مختص بالولاة، وهذا إجماع معلوم متيقن عند العلماء.

قال العلامة ابن بطال المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اتفق أئمة الفتوىٰ أنَّه لا يجوز لأحد أن يقتصَّ بعضهم من بعض، وإنما ذلك للسلطان، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنَّما ذلك للسلطان، أو من نصبه السلطان، ولهذا جعل الله السلطان لقبض أيدي الناس».

نأمر بالعدل، ولا نيئس منه، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وعدنا باستبدال من يتولىٰ عن أمره، فقال سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وهذا عام للتولي عن تحكيم الشرع وإقامة الحدود والجهاد وحفظ الثغور، وكل ما أمر الله به.

ولاة العدل يرضىٰ الله عنهم ويتولَّاهم ويحفظ ملكهم وتسعد بهم الرعية ويصلح بهم العباد والبلاد.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الإمام إذا كان له عقل جيد ودين متين؛ صلح به أمر الممالك، فإنْ ضَعُفَ عقله وحسنت ديانته حمله الدين علىٰ مشاورة أهل الحزم فتسددت أموره، ومشت الأحوال، وإنْ قلَّ دينه ونبل رأيه؛ تعبت به البلاد والعباد، وقد يحمله نبل رأيه علىٰ إصلاح ملكه ورعيته للدنيا لا للتقوىٰ، فإنْ نقص رأيه وقلَّ دينه وعقله كثر الفساد، وضاعت الرعية، وتعبوا به إلا أن يكون فيه شجاعة وله سطوة وهيبة في النفوس؛ فينجبر الحال، فإنْ كان

(١) شرح صحيح البخاري (٨/ ٥١٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤١٨).

جبانًا قليل الدين عديم الرأي كثير العسف؛ فقد تعرض لبلاء عاجل، وربما عُزل وسجن إن لم يُقتل، وذهبت عنه الدنيا، وأحاطت به خطاياه، وندم حيث لا يغني الندم.

ونحن آيسون اليوم من وجود إمام راشد من سائر الوجوه، فإن يسَّر الله للأمة بإمام فيه كثرة محاسن وفيه مساوئ قليلة، فمن لنا به، اللهم فأصلح الراعي والرعية، وارحم عبادك، ووفِّقهم، وأيد سلطانهم، وأعنه بتوفيقك».

أصاب المسلمين وبلاد الإسلام شرٌّ عظيم من تعطيل شرع الله والحكم بالقوانين العلمانية.

وما نراه من تسلُّط الكافرين علىٰ بلاد المسلمين، وضعف المسلمين؛ فإنَّ من أعظم أسبابه فساد عقائد المسلمين، وظهور البدع والذنوب فيهم، وتعطيل شرع الله، وتضييع الصلاة إلا من رحم الله، وفرقة المسلمين بسبب تنازعهم علىٰ الملك.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

قال العلامة أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْطُوشِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ت: ٥٢٠هـ)**(١):

«ضمن الله تعالىٰ النصر للملوك، وشرط عليهم شرائط كما ترىٰ، فمتىٰ تضعضعت قواعدهم، أو انتقض عليهم من أطراف ممالكهم، أو ظهر عليهم عدو أو باغي فتنة أو حاسد نعمة، أو اضطربت عليهم الأمور، أو رأوا أسباب الغِيَر؛ فليلجؤوا إلىٰ الله تعالىٰ، ويستجيروا من سوء أقداره بإصلاح ما بينهم

---

(١) سراج الملوك (ص١٦٠)، ط: دار المنهاج.

وبينه سبحانه، بإقامة الميزان بالقسط الذي شرعه الله تعالىٰ لعباده، وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض، وإظهار شرائع الدين، ونصر المظلوم، والأخذ علىٰ يد الظالم، وكفِّ يد القوي عن الضعيف، ومراعاة الفقراء والمساكين، وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين».

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن السنَّة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلىٰ كلامهم.

الشَّرح:

هجر المبتدع دلَّ علىٰ مشروعيته الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت:** تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**» رواه البخاري ومسلم.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فهذه البراءة من المبتدعين والنهي عن مشابهتهم؛ توجب هجرهم.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم أهل الأهواء والبدع»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٦٠).

ومن دلالة السنة الفعلية علىٰ هجران المبتدع؛ هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لتخلفه عن غزوة تبوك، رواه البخاري ومسلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فيه دليل علىٰ هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب».

ومما يدل علىٰ وجوب هجر المبتدع؛ حديث عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدَّثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والدَيْه، لعن الله من آوىٰ مُحْدثًا، لعن الله من غَيَّرَ منارَ الأرض**» رواه مسلم.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قالوا للحسن: ما الحدث؟ فقال: أصحاب الفتن كلهم محدثون، وأهل الأهواء كلهم محدثون».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «مقصوده ﷺ: من أحدث فيها بدعة تخالف ما قد سُنَّ وشُرِعَ، ويقال للجرائم: الأحداث».

وأجمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ هجر المبتدع، ولم يزل هذا الإجماع متوارثًا فيمن اتَّبعهم بإحسان.

فقد ضرب الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبيغًا عندما تكلم بمتشابه القرآن، ونفاه.

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في القدرية**: «إنِّي بريء منهم» رواه مسلم.

قال أبو صالح عبد العزيز بن عباد المعروف بالفرغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معاملة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لصبيغ[4]: «هذا النكير والأدب والهجران؛ إجماع من الصحابة

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٧٨).

(٢) الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والدِّيانة (ص١٢٩).

(٣) قاعدة في أنَّ كل دليل عقلي يحتج به مبتدع ففيه دليل علىٰ بطلانه (ص١٢٧).

(٤) مختصر الحجة علىٰ تارك المحجة (٢/ ٥٤٧).

رضوان الله عليهم أجمعين».

وقال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السُّنَّة علىٰ هذا، مجمعين متَّفقين علىٰ معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم».

تواتر النقل عن السلف في هجر المبتدعة، هذا منهج واعتقاد علماء السلف كافة.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ».

وقال الربيع: نزل الشافعي من الدرجة وقوم في المجلس يتكلَّمون في شيء من الكلام، فصاح وقال: إما تجاورونا بخير، وإما أن تقوموا عنا[(٣)].

والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سأله متكلف عن كيفية الاستواء، قال أبو عبد الله: الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أُراك إلا مبتدعًا.

وأمر الإمام مالك بإخراج السائل من المسجد؛ لأنه سأل عما طوي علمه من الغيب، وهو كيفية الصفة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «أخزىٰ الله الكرابيسي، لا يُجالس، ولا يُكلم، ولا تكتب كتبه، ولا نجالس من جالسه».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «أصول السُّنَّة عندنا: التمسُّك بما كان عليه

(١) شرح السُّنَّة (١/ ٢٢٧).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٢٠١).

(٣) مختصر الحجة علىٰ تارك المحجة (١/ ٢٢٣).

(٤) المسائل رواية ابن هانئ النيسابوري (٢/ ١٥٤).

(٥) رواية عبدوس العطار، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٦).

أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء».

فحاصل هذا المنهج أنَّه كلمة إجماع من علماء السلف، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أدركت النَّاس كلَّهم أصحاب سُنَّة، ينهون عن أصحاب البدع».

والنهي عن هجر المسلم فوق ثلاث؛ هذا فيما يتعلَّق بحقوق المخلوقين، أمَّا في حق الله ودينه فإنَّ الهجر مستحق للمبتدع حتىٰ يدع بدعته.

قال العلامة الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فعلىٰ المرء المسلم إذا رأىٰ رجلًا يتعاطىٰ شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حيًّا وميتًا، فلا يسلِّم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ، إلىٰ أن يترك بدعته ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع من الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعِشْرَة، دون ما كان ذلك في حق الدِّين، فإنَّ هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلىٰ أن يتوبوا».

وقد حرص علماء السلف علىٰ تدوين هذا المنهج في معاملة المبتدعة في متون العقيدة وأصول السُّنَّة.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**(٣): «أمر بحفظ السنن عن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم

---

(١) مختصر الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة (١/ ١٣٨).

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ٢٢٤).

(٣) الشريعة (ص٦٦).

بإحسان، وقول أئمة المسلمين؛ مثل: مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك، وأمثالهم، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان علىٰ طريقة هؤلاء من العلماء، وينبذ من سواهم. ولا نناظر، ولا نجادل، ولا نخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة في طريق أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه قام عنه، هكذا أدبنا من مضىٰ من سلفنا».

وقال العلامة أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٩هـ)**[١] **في عقيدة السلف**: «ويبغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم».

خلطة المبتدعة وصحبتهم تصدُّ عن الحق، وتفسد الأديان، بسبب ما يلقيه المبتدع إلىٰ من جلس إليه من الضلال.

قال عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنَّة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه؛ فإن الشاب علىٰ أول نشوئه».

وقال بندار بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق».

خلطة المبتدعة ومجالستهم تكثير لسوادهم، وتقوية لبدعهم، وتغرير بالعامة بهم، حيث يتوهَّمون صحة علومهم وعقائدهم.

قال قوام السُّنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ترك مجالسة أهل البِدْعَة،

---

(١) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث (ص٢٩٨).

(٢) الشرح والإبانة (ص١٥٠ – رقم ٩٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٠٩).

(٤) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٥٩٨).

ومعاشرتهم؛ سُنَّةٌ؛ لئلا يعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتىٰ يعلم النَّاس أنَّهم أهل البدعة، ولئلا يكون مجالستهم ذريعة إلىٰ ظهور بدعتهم».

تلقي العلم عن المبتدعة ممحوق البركة، قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من سمع من مبتدع؛ لم ينفعه الله بما سمع، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة».

البدع توقع في الردَّة؛ فإنَّ البدع تبدأ صغارًا ثم تعود كبارًا حتىٰ تُخرج إلىٰ الإلحاد.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أسرع الناس ردةً أهل الأهواء».

وقد حذَّر سلفنا من البدع؛ لأنَّ البدع يُرقق بعضها بعضًا.

وقال أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا فيها السيف».

المبتدعة يُبدِّلون الدين، ويُفرِّقون المسلمين، جعلوا أهواءهم حاكمة علىٰ شرع الله، يُحرِّفون ألفاظ ومعاني الوحي.

قال محمد بن النَّضر الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «إنَّ أصحاب الأهواء قد أخذوا في تأسيس الضَّلالة، وطمس الهُدىٰ، فاحذروهم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **محذِّرًا من شرور المبتدع**(٥): «معارضة الحق بالباطل، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، والإلحاد في دين الله، وتعمية الحق علىٰ القلوب، وطلب العوج لصراط الله المستقيم، وفتح باب تبديل الدين جملة.

فإنَّ البدع تستدرج بصغيرها إلىٰ كبيرها، حتىٰ ينسلخ صاحبها من الدين كما

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (١/ ١٣٨-رقم ١٦٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٠).
(٣) الشرح والإبانة (ص١٥٥ – رقم ١١٣).
(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة النَّاجية (١/ ٢١٠ – رقم ٤٧٦).
(٥) مدارج السالكين (١/ ١٨٦).

ينسل الشعرة من العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر».

وقول الموفق ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن السُّنَّة ترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلىٰ كلامهم»؛ هذا فيه تحذير من المراء في الدين، وتحذير من تلقي العلم من كتب المبتدعة.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مراء في القرآن كفر**»[1].

قال العلامة الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اختلفوا في تأويله، فقيل: معنىٰ المراء: الشك؛ كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]؛ أي: في شكٍّ.

وقيل: المراء هو الجدل المشكك، وذلك أنَّه إذا جادلك فيه؛ أداه إلىٰ أن يرتاب في الآية المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلىٰ الجحود، فسماه كفرًا باسم ما يخشىٰ من عاقبته، إلا من عصمه الله».

والكفر بالقرآن يقع من جهة المناظر إذا قصد رد دلالة نصوصه علىٰ العقائد والأحكام، إصرارًا علىٰ باطله، ودفعًا للحق الذي أدلىٰ به مناظره.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، فسمعهم رسول الله ﷺ، فخرج فكأنَّما فُقِئ في وجهه حَبُّ الرمان، فقال: «**بهذا أُمرتم، أو بهذا بُعثتم، أن تضربوا القرآن بعضه ببعض، إنَّما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، فانظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به،**

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٦٨)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب النهي عن الجدال في القرآن (٥/ ٩-رقم ٤٦٠٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٣). وورد أيضًا من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد (٤/ ٢٠٤)، ومن حديث أبي جهيم، رواه أحمد (٤/ ١٦٩).

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ٢٦١).

وانظروا الذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه»[١].

قال العلامة ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يحرم التدارؤ بالقرآن، وهو أن يستدل واحد بآية فيرده آخر بآية أخرىٰ طلبًا لإثبات مذهب نفسه وهدم وضع صاحبه، أو ذهابًا إلىٰ نصرة مذهب بعض الأئمة علىٰ مذهب بعض، ولا يكون جامع الهمَّة علىٰ ظهور الصواب، والتدارؤ بالسُّنَّة مثل ذلك».

وهذا النوع من المناظرات لا شك في تحريمه، فالقرآن كله محكم مؤتلف علىٰ معانيه غير مختلف ولا متناقض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّما نزل القرآن ليصدق بعضه بعضًا، لا ليكذب بعضه بعضًا».

أمَّا الجدال علىٰ نحو ما دلَّ عليه الوحي من القرآن والسُّنَّة، ونحو ما سلكه السلف في ذلك بالاستدلال بالوحي، بقصد المناصحة وظهور الحق، وبحسن الأدب، من غير لدد، ولا عناد، ولا رد للحق، بل لغرض الإفادة والتعليم، والتواصي بالحق؛ فهذا لا ريب في جوازه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق، ثنا معمر عن الزهري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ به. قال البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد صحيح»، مصباح الزجاجة (١/ ٥٣).

(٢) الحجة البالغة (١/ ٣٨٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٨٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كان العلماء من الصحابة والتَّابعين ومن بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالىٰ في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين».

فالوارد عن السلف في النهي عن الجدال والمناظرة هو نوع خاص من الجدال، لا مطلق الجدال، وهو الجدال علىٰ طريقة المتكلِّمين.

والجدال بهذه الطريقة أجمع السلف علىٰ النهي عنه.

قال قتيبة بن سعيد البلخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **فيما أجمع عليه أئمَّة الإسلام**[٢]: «ترك الجدل والمراء والخصومات في الدين».

وزجر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ المبتدعين الذين يجادلون بطريقة المتكلمين؛ لأنّه جدال بغير حُجَّة، جدال بكلام من بدع المتكلمين، وإنَّما الحُجَّة بالقرآن والسُّنَّة.

قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت علىٰ مالك ومعه رجل يسأله عن القرآن، فقال[٣]: «لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد - المعتزلي -، لعن الله عمرًا، فإنّه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلَّم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنَّه باطل يدل علىٰ باطل».

شأن المبتدعين والكافرين المجادلة بالضلال والشُّبه والكلام المذموم؛

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ١٧٢).

(٢) شعار أصحاب الحديث (ص٣٠، ٣١ - رقم ١٧).

(٣) الممالك في مناقب سيدنا الإمام مالك (ص٨٥).

تمويهًا علىٰ الناس نصرةً لباطلهم وصدًّا عن الحق، لفساد نياتهم، ولأنّ الباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا ريب أنَّ الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح، لا عقلي ولا شرعي، سواء كان من الخبريَّات أو الطَّلَبيَّات؛ فإنَّ الدليل الصحيح يستلزم صحة المدْلول عليه.

فلو قام علىٰ الباطل دليل صحيح لَزِمَ أنْ يكون حَقًّا مع كونه باطلًا، وذلك جَمْعٌ بين النَّقيضين؛ مثْلَ كوْنِ الشيء موجودًا معدومًا».

مناظرات ومجادلات المبتدعين؛ استدلال بما لا يصح من المرويات، ووضع للنصوص الصحيحة في غير مواضعها، لا تدل علىٰ ما ابتدعوه.

ومناظراتهم استدلال بمن ليس قوله حجة من أئمتهم المضلين.

قال العلامة أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٩٠هـ)**[٢]: «لو فتشت كتب المبتدعة، ومن خالف ما كان عليه الأئمة المهديون، وما عليه السلف الصالح والمؤمنون؛ لم تجد فيها آيةً من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ تدل علىٰ ما ابتدعوه، ولا سنَّةً عن رسول الله ﷺ تشهد بما انتحلوه، وإن أصبت ذلك نادرًا فبتحريف عن الحقِّ وضعوه، وتأويل فاسد اعتمدوه؛ تغطيةً علىٰ أتباعهم وتزيينًا لأهوائهم».

وقد حذَّر السلف من المناظرات التي تورث الشبهات والأهواء ولا تفيد علمًا.

فاحذر أيُّها المسلم من جدال المتكلمين ومنطق اليونان الكافرين ومعقولات

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٣/ ٢٦٠).

(٢) مختصر الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة (٢/ ١٠٢٥).

المعتزلة المبتدعين؛ فهي مجادلات بغير دليل صحيح ولا عقل صريح.

القرآن هو الدليل الصحيح، وفيه المعقولات الصريحة المفيدة لحقائق الأمور.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أخبر سبحانه أنَّ الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله بالحق، وجاءه من البيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحق من قياسهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «قد يُنهىٰ عن الكلام الذي لا يفهمه المستمع، أو الذي يضر المستمع، وعن المناظرات التي تورث شبهات وأهواءً، فلا تفيد علمًا ولا دينًا».

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ من القيل والقال، والسؤال والجدال بما لا ينفع، وخاض الناس فيما حذَّر منه، بما أحدثوه من الأُغلوطات، وتخاصموا وتجادلوا في ذلك، وانشغلوا بذلك مع قلة فائدته وشغله عما هو أهم منه مما يحتاج إلىٰ معرفته.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنَّما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم**»[٣].

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «قد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عُضل المسائل، ويردونها، ويأمرون بالسؤال عما يعني؛

---

(١) نقض المنطق (ص٨٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (١٣/ ٢٥١ -رقم ٧٢٨٨).

(٤) الشريعة (١/ ٢١٣).

خوفًا من المراء والجدال الذي نُهوا عنه».

والجدال مع المبتدعة قد تدعو إليه الضرورة، لدفع باطلهم، لا سيما إذا كان ذلك بأمر من الولاة المضلل عليهم من بطانتهم المبتدعة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رواية حنبل**: قد كنا نأمر بالسكوت، فلما دُعينا إلىٰ أمر ما كان لنا بُدٌّ أن ندفع ذلك، ونُبيِّن من أمره ما يتقىٰ عنه ما قالوه[1].

هداية الناس إلىٰ الحق تكون بحسب حال المدعوِّ، فالمؤمنون بالقرآن غير المشاقِّين للرسول ﷺ المتبعون لسبيل الصحابة المؤمنين الذين تلقوا الدين عن النبي ﷺ مباشرة؛ هؤلاء يكفي في تعليمهم تبليغ الدين لهم بأدلته.

أما المبتدعة الزائغون لشبهات الأئمة المضلين؛ فهؤلاء لابُدَّ من دحض شبهاتهم وغرس نور الوحي في بصائرهم لعلهم يهتدون.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من سلفنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ، وإنَّما الأمر في التسليم والانتهاء إلىٰ ما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، لا يتعدَّىٰ ذلك».

فتعليم الناس الدين يكون بهدايتهم إلىٰ معاني الشرع بأدلته من الكتاب والسُّنَّة، من غير مخاصمة ولا مراء.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث، ومالك، والأوزاعي، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما في زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق،

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٠٧).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٤).

وأبي عبيد، فظهرت البدعة، وامتحن أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلىٰ مجادلتهم بالكتاب والسُّنَّة، ثمَّ كثر ذلك، واحتجَّ عليهم العلماء أيضًا بالمعقول، فطال الجدال، واشتد النزاع، وتوالت الشُّبَه، نسأل الله العافية».

فالواجب التمييز بين الجدال المشروع والجدال المذموم.

الجدال بغير علم هو من أشد أنواع الجدال المحرَّم، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به».

ومن أنواع الجدال الممنوع المحرَّم غير المشروع؛ الجدال في الغيبيات التي لا سبيل إلىٰ معرفتها من غير نص من الوحي، فإنَّ الشيطان أضلَّ أقوامًا في ذلك بما أوهمهم من أنَّه علم يناله الأذكياء بالخوض فيما لم يدركه العامة والعلماء، فقطع الشيطان بهم في أودية الإلحاد؛ لأنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما علم الزائغون مفاتيح أبواب الكفر، ومعالم أسباب الشرك؛ التكلف لما لم تحط

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٥١).

(٢) الإبانة (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

الخلائق علمًا به، ولم يأت القرآن بتأويله، ولا أباحت السُّنَّةُ النظر فيه».

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من السُّنَّة:...، ترك النظر في كتب المبتدعة»؛ فيه تحذير من العلوم المبتدعة غير النافعة. فالعلوم نوعان: نافعة، وهي علوم الكتاب والسُّنَّة. وعلوم ضارة غير نافعة، وهي شعب الكفر وضلالات البدع والأهواء.

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أحسن كتاب، وأعظم كتاب، وأصدق كتاب، يجب أن يُقرأ في تعليم العقيدة والأحكام والأخلاق؛ هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

فمنهج تلقي علوم الشريعة هو الوحي المعصوم، القرآن والسُّنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «علىٰ كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلَّا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين.

فلهذا لم يكن فيهم من يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس دينًا غير ما جاء به الرَّسول ﷺ، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكَّر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السُّنَّة».

هذه الجملة من عبارة ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ تضمَّنت التحذير من طلب العلم من كتب المبتدعة والمتكلمين.

فالمسلم يتلقىٰ دينه من الكتاب والسنة بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ففيهما تمام

(١) الفتاوىٰ البازية (٧/ ٧٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٦٢، ٦٣).

الهدىٰ وكل البيان.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لهذا كان الكتاب والسُّنَّة كافيين كلَّ الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه، فكلُّ متكلِّف يزعم أنَّه لابدَّ للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلىٰ علوم غير علم الكتاب والسُّنَّة من علم الكلام وغيره؛ فهو جاهل مبطل في دعواه، قد زعم أنَّ الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ».

وسادات العلماء من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ تحققوا بالعلم بسبب تلقيهم له من الكتاب والسُّنَّة، وإعراضهم عن علوم الكافرين والمبتدعين.

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واصفًا علم عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢]: «قرأ القرآن، وعلم السُّنَّة، ثم انتهىٰ، وكفاه بذلك».

ومن له استقراء لنصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة، ومعرفة بمعانيها، وفقه لمقاصد الشرع؛ لا يجهل كمال الدِّين في نصوصه العامة والخاصة، ويظهر له من دلالة نصوص الوحي علىٰ أحكام مستجدات العصر دلالة متحققة بكمال من شرعه لخلقه إلىٰ يوم القيامة.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٣٠).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ؛ فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافيَّة إمَّا بصريحهما أو عمومهما أو إيماء أو تنبيه أو مفهوم أو عموم معنًىٰ يُقاس عليه ما أشبهه؛ لأنَّ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالردُّ إليهما شرط في الإيمان».

والعلوم المبتدعة ممحوقة البركة، تُفسد الأديان، وتَصدُّ عن الحق، وتضل عن السبيل، وتُوقع في الفرقة، وتورث العداوة والبغضاء والشحناء.

أغلوطات الأهواء والبدع لغو لا خير فيها، يضلون به الناس عن الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبهذا تعرف أيها المسلم فضل علم السلف علىٰ علم الخلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أصحاب محمد ﷺ مع أنَّهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا؛ أقل الناس تكلُّفًا، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف، ما يهدي الله بها أُمَّة، وهذا من منن الله علىٰ هذه الأُمَّة.

وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات، ما هو من أعظم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص١٨٦).

(٢) نقض المنطق (ص١١٤).

الفضول المبتدعة، والآراء المخترعة، لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقَّاة ممن ساء قصده في الدين».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم؛ علومهم ناقصة البركة، لا خير فيها، وتجد أنَّهم يخاصمون ويجادلون، وينتهون إلىٰ لا شيء، لا ينتهون إلىٰ الحق؛ لأنَّهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه».

المؤمن الذي اهتدىٰ بهدي القرآن وبيان السُّنَّة، وفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ قد أسَّس علومه وأقام دينه علىٰ أساس صحيح، وصراط مستقيم، يزيده اهتداؤه بالوحي يقينًا بصحة علومه، فيتخذ الوحي فرقانًا يعرف به ضلالة من ضل من هدىٰ من اهتدىٰ، ويصير داعيةً إليه علىٰ بصيرة، هاديًا من المصلحين.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾، فعلًا، واتصافًا بما يأمر بالاتصاف به، ودعوة إليه، وحرصًا علىٰ تنفيذه في نفسك وفي غيرك.

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ موصل إلىٰ الله وإلىٰ دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء، إذا علمت أنَّه حقٌّ وعدل وصدق؛ تكون بانيًا

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٤).

علىٰ أصل أصيل، إذا بنىٰ غيرك علىٰ الشكوك والأوهام، والظلم والجور».

والنبي ﷺ كان يتعوَّذ بالله من علم لا ينفع، والله حذَّرنا من العلوم الضارَّة المفسدة للأديان والأبدان والعقول والإدراكات من علوم اليهود وغيرهم، فقال سبحانه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال يحيىٰ بن عمار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدنيا، وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكُّر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوىٰ، إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلىٰ من يشفيه منها، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعلم هو داء الدِّين، وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدِّين، وهو علم السحر، ونحوه».

والنبيُّ ﷺ حذَّرنا من المحدثات والبدع، وقد ضل أقوام في أنواع من علوم الكافرين، وأنواع من ضلالات المبتدعين؛ كعلم المنطق، والرأي المحدث، والمعقول الغير صريح، والذوق والوجد الذي جعله الصوفية شرعًا متَّبعًا، عافىٰ الله المسلمين من أنواع الضلالات.

وهذه الأنواع من الضلالات التي حذَّر منها العلماء: الأقيسة الفاسدة، والمعقولات الباطلة، والمكاشفات والمواجيد من رعونات النفوس؛ إنَّما حذر منها العلماء لأنَّها أهواء مخالفة للوحي المعصوم، غير مستندة إلىٰ علم صحيح من نصوص القرآن والسُّنَّة.

والمعقولات التي يجادل بها المتكلمون والمبتدعة كالمعتزلة؛ قد تبيَّن لهم فسادها وضلالها، وقاموا بإبطالها، ففي هذا غاية التحذير من تلقي معقولاتهم

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٥، ١٤٦).

بالقبول أو معارضة الوحي المعصوم بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المتكلمة والمتفلسفة تُعظِّم الطرق العقلية، وكثير منها فاسد متناقض، وهم أكثر خلق الله تناقضًا واختلافًا، وكل فريق يرد علىٰ الآخر فيما يدعيه قطعيًّا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من عارض كتاب الله، وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين وأقيسة، أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي ما يقوله بكتاب منزَّل؛ فقد جادل في آيات الله بغير سلطان».

المنطق من علوم اليونان الكافرين، ومنطقهم لا يحتاجه الذكي، ولا ينتفع به البليد، وهو لم ينفع اليونان في هدايتهم إلىٰ أوضح المعارف وآكد العلوم التي فُطر الناس علىٰ معرفتها وهو توحيد الله، فكيف يُنتفع به، وهو الذي لم ينفع أهله؟!

جلب البرامكة في عهد العباسيين كتب الفلسفة، وعربوها وهيَّجوا الشر والبدع، وبعد تعريبها قام أبو حامد الغزالي بصياغة الشريعة صياغة فلسفية أضرت بعلوم الإسلام وأديان المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي».

فالواجب علىٰ المسلم اتباع الوحي، فهو يهدي إلىٰ الحق، ويُنمِّي العقول، ويُصحح العلوم والفهوم، ويعصم من منطق الضلالة.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٣٨).

(٢) الاستقامة (ص٤٧).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٣١).

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّه من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله لم يوجب تعلُّم هذا المنطق اليوناني علىٰ أهل العلم والإيمان.

وأمَّا هو في نفسه؛ فبعضه حق، وبعضه باطل، والحق الذي فيه كثير منه أو أكثره لا يحتاج إليه، والقدر الذي يحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقل به، والبليد لا ينتفع به والذكي لا يحتاج إليه، ومضرته علىٰ من لم يكن خبيرًا بعلوم الأنبياء أكثر من نفعه؛ فإنَّ فيه من القواعد السلبية الفاسدة ما راجت علىٰ كثير من الفضلاء، وكانت سبب نفاقهم وفساد علومهم».

المنطق اليوناني فاسد، لا يُنتفع به، ولا يُهتدىٰ به في طلب المعارف والحقائق؛ وذلك لأمور:

أولًا: أنَّه لم يرشد أهله إلىٰ آكد المعارف وأوضحها وأبينها وأوجب الواجبات وهو التوحيد، فكيف يُنتفع به في طلب سائر العلوم، لا سيما الدقيق منها؟!

ثانيًا: أنَّ التزام قوانينه لا تحقِّق علمًا ولا بيانًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الواقع قديمًا وحديثًا أنَّك لا تجد من يلزم نفسه أن ينظر في علومه به ويناظر به إلا وهو فاسد النظر والمناظرة، كثير العجز عن تحقيق علم وبيانه».

ثالثًا: أنَّ حذاق المنطقيين أنفسهم لا يلتزمون قوانينه، فكيف يطلبه من له غنيةٌ عنه بشرع محكم مفصل؟!

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٦٩، ٢٧٠).

(٢) نقض المنطق (ص٣٧٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «نفس الحذاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كل علومهم، بل يعرضون عنها، إمَّا لطولها، وإما لعدم فائدتها، وإما لفسادها، وإمَّا لعدم تميزها وما فيها من الإجمال والاشتباه؛ فإنَّ فيه مواضع كثيرة هي لحم جمل غث علىٰ رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقىٰ ولا سمين فينتقل».

رابعًا: أنَّ هذا المنطق أورث أهله الاختلاف والتفرُّق، وهذا دال علىٰ أنَّ القواعد التي التزموها لم تقدهم إلىٰ نتيجة واحدة، بل هم في قول مختلف، سببه فساد هذا المنطق الذي التزموه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الفلاسفة طوائف متفرِّقون، لا يجمعهم قول ولا مذهب، بل هم مختلفون أكثر من اختلاف فرق اليهود والنصارىٰ والمجوس».

خامسًا: أنَّ من خاض في بحر هذا المنطق من علماء المسلمين أورثه ذلك حيرةً وشكوكًا وارتيابًا في أكثر العلوم، حتىٰ بلغ الريب ببعضهم إلىٰ الإلحاد، ومن خرج منه لم ينتفع منه بشيء.

قال الرازي:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوىٰ أنْ جمعنا فيه قيل وقالوا

فالسعيد من وُعظ بغيره، ولزم الفطرة، وتلقىٰ علومه من القرآن والسُّنَّة.

سادسًا: أنَّ المنطق اليوناني يُوعِّر ويُطوِّل الطريق في الوصول إلىٰ الحق، هذا إنْ وصل إليه من طريقه، وهذا شأن من لا يعرف الحق، ولا يعرف كيف يهدي

---

(١) نقض المنطق (ص٣٧٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٩).

إليه، أو شأن المبطل الذي يفعل ذلك تعمية علىٰ الجهال حتىٰ يُروِّج باطله.

قال العلامة محمد بن سليمان الكافيجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ السالك إلىٰ دقائق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي من الكلام، فإنَّ من استطاع أن يُفْهم بالأوضح الذي يُفهم الأكثرين؛ لم ينحط إلىٰ الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون؛ إذ كان غرضه بيان الحق وإظهار الصواب، فالله تعالىٰ أخرج مخاطباته في محاجة خلقه في أجلىٰ صورة، تشتمل علىٰ أدق دقيق؛ ليفهم العامة من جليلها ما ينفعهم وتلزمهم الحجة».

سابعًا: من فساد المنطق اليوناني توعير الطريق في إدراك العلوم الخفيَّة، وذلك من خلال الانسلاخ من العلوم الضرورية والبديهية وطلب تحقيقها بالنظر والمجادلة.

فالفلاسفة والمتكلمون وأفراخهم من المعتزلة؛ قد وعروا الطريق، وأثاروا الشكوك والحيرة والجدل في الواضحات الجليات البيِّنات، وطلبوا إقامة البرهان عليها، واشترطوا مقدمتين لكل دعوىٰ، بل وحملوا الناس علىٰ الانسلاخ مما فُطروا علىٰ معرفته والإيمان به حتىٰ يتيقنوه بواجب النظر أولًا كما زعموا، فقالوا: لا بُدَّ من النظر أولًا، وهو أول واجب علىٰ المكلف زعموا، ثم الإيمان بعد ذلك.

وهذا إذا كان الانسلاخ في المعلوم الضروري الفطري في التوحيد، وتأخيره إلىٰ ما بعد النظر، فما ظنك بسائر المعلومات؟!

وأما طريقة القرآن فإنَّما الاستدلال بالمعلوم ضرورة علىٰ سائر الحقائق، وإذا نُوزع في الضروريات تعطَّلت المناظرات، ولم يبق أصل يُرد إليه.

---

(١) التيسير في قواعد علم التفسير (ص٢١٨).

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يُبيِّن الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفق عليها استدل بها، ولم يحتج إلىٰ الاستدلال عليها».

ولم يزل السلف علىٰ التحذير من علم الكلام، قال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق»[٢].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «عليك بالفقه، وإياك والكلام؛ فلأنْ يُقال لك: أخطأت؛ خير من أنْ يُقال لك: كفرت».

وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خُوَيْز مِنْدَاد المصري المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «أهل الأهواء عند مالك، وسائر أصحابنا؛ هم أهل الكلام، فكل مُتكلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًّا كان أو غير أشعري».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله ... قـال الصـحابة هـم أولـو العرفـان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٨).

(٢) الحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٢٤).

(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ لشيخ الإسلام (٦/ ٣٣٥).

(٤) الحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ١٢٢).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (ص٤١٧).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء الكلام زنادقة».

علم الكلام ليس بعلم في الحقيقة، بل هو جهل وضلالة يُفسد الأديان والأذهان.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لسائل له عن كتب الكلام**: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنَّك تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب.

قيل له: في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة؛ فليس له في هذه الكتب عبرة(١).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهل الأثر والتفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الأوائل التي تسلب الإيمان وتورث الشكوك والحيرة، التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين، ولا من علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وشعبة، ولا والله عرفها، ولا أبو يوسف القائل: من طلب الدين بالكلام تزندق. ولا وكيع، ولا ابن مهدي، ولا ابن وهب، ولا الشافعي، ولا عفان، ولا أبو عبيد، ولا ابن المديني أحمد وأبو ثور والمزني والبخاري والأثرم ومسلم والنسائي وابن خزيمة وابن سريج وابن المنذر وأمثالهم، بل كانت

---

(١) الأجوبة على أسئلة البرذعي (٢/ ٥٦١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (ص٤١٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٥).

علومهم القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك».

المعتزلة وفروعهم من الأشاعرة وغيرهم؛ أرادوا إبطال معاني نصوص القرآن والسُّنَّة، فصاروا يعارضونها بمعقولاتهم الضالة.

وتواصىٰ أساطين المعتزلة وفروعهم بهذا المنهج الضال، الذي هو في حقيقته كفر وتكذيب بالقرآن والسُّنَّة، فاحذر أيُّها المسلم من شغب هؤلاء، فنصوص الوحي لا تخالف العقل الصريح، بل توافقه.

قال عمرو بن عبيد المعتزلي في حديث رسول الله ﷺ: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذَّبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالىٰ يقول هذا لقلت له: ليس علىٰ هذا أخذت ميثاقنا[(١)].

وقال الرازي في «المطالب العالية»[(٢)]: «الاستدلال بالسمع مشروط بأن لا يعارضه قاطع عقلي، فإذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه».

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أمَّا معارضة القرآن بمعقول أو قياس؛ فهذا لم يكن يستحلُّه أحد من السلف، وإنَّما ابْتُدِع ذلك لما ظهرت الجهمية والمعتزلة ونحوهم، ممَّن بَنَوْا أصول دينهم علىٰ ما سَمَّوْهُ معقولًا ورَدُّوا القرآن إليه، وقالوا: إذا تعارض العقلُ والشرع: إمَّا أنْ يُفَوَّض أو يتأوَّل.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٢٩).

(٢) نقله عنه شيخ الإسلام، كما في مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ١٣٩).

(٣) الاستقامة (ص٤٧).

فهؤلاء من أعظم المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم».

والله عَزَّوَجَلَّ خلق في الإنسان العقل ليفهم خطاب الشرع، لا ليعارضه بجهله الذي يسميه المعقول، فالله هو العليم الحكيم.

والعقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وما يُتوهم من وقوعه فهو إما عقل غير صريح أو نقل غير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «التعارض لا يقع، إلا إذا كان ما سُميَ معقولًا فاسدًا، وهذا هو الغالب علىٰ كلام أهل البدع، أو أن يكون ما أُضيف إلىٰ الشرع ليس منه؛ إما حديث موضوع، وإما فهم فاسد من نص لا يدل عليه، وإما نقل إجماع باطل».

فالعقل الصريح يوافق النقل الصحيح لا يخالفه.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمَّة ودلائلها الظاهرة، فتيقَّن تلك البيِّنة، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؛ أي: يتلو هذه البيِّنة والبرهان؛ برهان آخر، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: وهو شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

معارضة النقل بالعقل قدح في العقل؛ فإنَّ العقل شهد بصحة الشرع، وأنَّ علومه لا شيء بالنسبة لعلوم الشرع[٣].

---

(١) منهاج السُّنَّة (٥/ ٤٤٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٤٢٥).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص١١١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من أعرض عن نصوص الأنبياء، وادَّعىٰ عقليات تخالفها، وليس معه معقول صريح ولا قياس صحيح؛ كان كلامه خارجًا عن العقل والسمع».

زاغ المعتزلة بسبب فساد عقولهم، فأنكروا أخبار الوحي، وعارضوه بضلالات عقولهم، فكانت معارضتهم في حقيقتها كفر بالوحي.

المسلم يتلقَّىٰ دينه من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وإنَّما يُكذِّب بآيات الله الكافرون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الله أبىٰ أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلىٰ أنِ انتهوا إلىٰ التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ النَّاس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

وأمَّا سائر الفرق فطلبوا الدِّين لا بطريقه؛ لأنَّهم رجعوا إلىٰ معقولهم، وخواطرهم، وآرائهم، فطلبوا الدِّين من قبله، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسُّنَّة عرضوه علىٰ معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان

(١) الصفدية (٢/ ١٤٩).

(٢) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

عقولهم ردُّوه، فإن اضطروا إلىٰ قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة(١)، والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السُّنَّة تحت أَقْدَامهم، تعالىٰ الله عما يصفون».

الوحي من القرآن والسُّنَّة بيَّن أنواعًا من العلوم العقلية الصحيحة التي تعتضد في بيان الحقائق الشرعية، وضرب أنواعًا من الأمثلة في المحسوسات الدالة علىٰ حقائق ما أخبر الله به.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أخبر أنَّه سيُرِي الخلق من الآيات الأفقية والنفسية ما يُبَيِّنُ أنَّ القرآن حقٌّ، فيتطابق السمع المنقول وما عُرف بالحسِّ المعقول».

عامَّة ما يجادل به المتكلمون والمبتدعون؛ هو معارضة للوحي، وإبطال لمعاني نصوصه ودلالتها علىٰ العقائد والأحكام.

وهم مع معارضتهم للوحي يبتدعون في الدين ما لم يشرعه الله، وما لم يدل عليه دليل.

ومن أعظم ما أبطل به المبتدعون معاني الشريعة وحرَّفوا به الدين وابتدعوا فيه؛ هو الرأي المُحْدَث والمعقول غير الصريح.

قال العلامة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بفضله وكرمه

---

(١) كل أو معظم تأويلات المعتزلة تكذيب لأخبار الوحي، فهي تحريفات وتكذيب للوحي.

(٢) الصفدية (١/ ٢٢٧).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٥٠٧).

أنزل كتابه، فكشف به الحيرة، وأتمَّ به الحُجَّة علينا، ولم يُفرِّط في شيء فيه حتىٰ يحوجنا إلىٰ استعمال الرَّأي والعقل، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس: ٢٠، ٢١]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فهذا حجَّة من الله علىٰ خلقه، دعاهم إليها ليكونوا متبعين لمن يأخذون عنه الدِّين».

وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولىٰ بالمسح من أعلاه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «حدث الكلام في الرأي في أوائل الدولة العباسية، وفرَّع لهم ربيعة بن هرمز فروعًا، كما فرَّع عثمان البتي وأمثاله بالبصرة، وأبو حنيفة وأمثاله بالكوفة، وصار في الناس من يقبل ذلك وفيهم من يرد، وصار الرادُّون لذلك مثل هشام بن عروة وأبي الزناد والزهري وابن عيينة وأمثالهم».

الواجب علىٰ المسلم تلقي نصوص الوحي بالقبول، وفقه معاني النصوص ومعرفة حكمة الشرع في أحكامه، ومحاذرة إبطال العمل بنصوص القرآن والسُّنَّة لرأي باطل يخالف كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

فالأحكام الشرعيَّة تُبنىٰ علىٰ أدلة القرآن والسُّنَّة، لا علىٰ هواجس وآراء الناس، ومن جهل معنىٰ نصوص الوحي وحكمها فجهالته لا تُدفع بها نصوص الوحي.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٩٥)، وأبو داود من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد خير عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ عبد الغني المقدسي: «إسناده صحيح»، تنقيح التحقيق (١/ ٥٣٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣١٨).

والعلم بمعاني نصوص القرآن والسُّنَّة ينفي عنها أوهام مخالفة المعقول، فلو سكت أصحاب الرأي عما جهلوا لكان خيرًا لهم، ولكنَّهم ردوا نصوص الوحي صراحة أو تحريفًا لها.

الرأي المذموم هو الاستناد إلىٰ معنًىٰ غير معتبر في الشرع، فهواجس النفوس أهواء شيطانية لا يجوز إبطال أدلة الشرع بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّما القياس والرأي الذي يهدم الإسلام ويحلِّل الحرام ويحرِّم الحلال؛ هو ما عارض الكتاب والسُّنَّة، أو ما كان عليه سلف الأُمَّة، أو معاني ذلك المعتبرة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «السلف يُسمُّون أهل الآراء المخالفة للسُّنَّة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية ومسائل الأحكام العملية: أهل الأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسُّنَّة جهل لا علم، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم».

وأما ما ورد في النصوص من الحث علىٰ اجتهاد الرأي؛ فهذا معناه اجتهاد الرأي بالرد إلىٰ الأصول وهي القرآن والسُّنَّة.

قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ؟**»، قال: أجتهد رأيي، قال: فضرب رسول الله ﷺ علىٰ صدري، وقال: «**الحمد لله الذي وَفَّق رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرضي رسول الله**» رواه أحمد والدارمي وأبو داود[٣].

(١) بيان الدليل علىٰ بطلان التحليل (ص٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الثانية (ص٢٠٥).

(٣) قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حديث معاذ صحيح مشهور»، جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٨).

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: «**أجتهد رأيي**»؛ لم يُرد به الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه، أو يخطر بباله علىٰ غير أصل من كتاب أو سُنَّة، بل أراد به رد القضية إلىٰ معنىٰ الكتاب والسُّنَّة من طريق القياس».

سويُّ الفطرة يجد عقله موافقًا لشرع الله.

وسوي الفطرة يعلم أنَّ ذوقه منه ما هو شرعي، وهو استلذاذ الطاعات، وذلك حلاوة الإيمان الذي يجده بعبادة الله بما شرع، ويجد من نفسه أحيانًا ذوقًا محرَّمًا هو من هوىٰ النفس ووساوس الشيطان، فلا يميل معه بل يستقيم علىٰ أمر الله ونهيه، فضلًا عن أن يجعله بديلًا عن شرع الله أو حاكمًا عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا يمكن المؤمن أن يدفع عن إيمانه أنَّ الشريعة جاءت بما هو الحق والصدق في المعتقدات، وجاءت بما هو النافع والمصلحة في الأعمال التي تدخل فيها الاعتقادات، ولهذا لم يختلف الناس أنَّ الحسن أو القبيح إذا فُسر بالنافع والضار، والملائم للإنسان والمنافي له، واللذيذ والأليم؛ فإنّه قد يُعلم بالعقل - الصريح -».

الذوق والوجد أهواء الصوفية، اتخذ الصوفية رعونات أنفسهم سبيلًا للخروج عن الشريعة وعبادة الله بما لم يشرع.

والذوق لا يستقل بالتشريع، وشرع الله هو ما تعبدنا الله به من العقائد والعبادات والأحكام وغيرها التي في القرآن والسنة، فالواجب اتباع الوحي والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

---

(١) شرح السُّنَّة (١٠/ ١١٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٤٧).

الشرع حاكمٌ علىٰ الذوق والوجد والأهواء كلها، قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

وقال سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كل وجدٍ لا يشهد له الكتاب والسُّنَّة فهو باطل».

وقال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من أمرَّ السُّنَّة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، هو مما اتفق عليه أولياء الله -عَزَّوَجَلَّ-، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله -سبحانه- الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافرًا وإما أن يكون مفرطًا في الجهل.

وهذا كثير في كلام المشايخ؛ كقول أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة. وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث؛ لا يصلح له أن يتكلَّم في علمنا، أو قال: لا يقتدىٰ به. وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمَّر السنة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوىٰ علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة؛ لأن الله -تعالىٰ- يقول في كلامه القديم: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٨٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٨٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢١٠).

وقال أبو عمرو بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل».

ومن الأمثلة علىٰ ضلال الصوفية في وجدهم وذوقهم؛ اتخاذ الموسيقىٰ والغناء المحرم طريقةً لعبادة الله بالذكر، يزعمون أنَّها تزكو بها نفوسهم وتتهذب بها أخلاقهم. وهذا مما شابه فيه الصوفية المشركين في الجاهلية الأولىٰ، الذين اتخذوا التصفيق والتصفير صلاةً عند بيت الله الحرام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من كان له خبرة بحقائق الدين، وأحوال القلوب ومعارفها، وأذواقها، ومواجيدها، عرف أنَّ سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة، ولا مصلحة، إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه، فهو للروح كالخمر للجسد، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس».

صلاح القلوب، ورقتها، وتزكيتها، وإزالة القسوة عنها، وتحريك النفوس إلىٰ عبادة الله وطاعته؛ إنَّما هو بتلاوة القرآن، وذكر الله الذكر المشروع. قال تعالىٰ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن أخبث ما ابتدعه الصوفية من التنسُّك المبتدع؛ ذكر الله بالموسيقىٰ والغناء المحرَّم.

قال إسحاق بن عيسىٰ الطباع: سألت مالكًا عمَّا يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنَّما يفعله عندنا الفساق[٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٧٣، ٥٧٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٧٧).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلَّفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن(١).

وسُئل عنه الإمام أحمد فقال: هو محدث، أكرهه(٢).

وقوله: أكرهه؛ أي: كراهة تحريم، بدليل قوله: هو محدث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «السلف يسمُّونه تغبيرًا؛ لأنَّ التغبير هو الضرب بالقضيب علىٰ جلدٍ من الجلود، وهو ما يُغبر صوت الإنسان علىٰ التلحين، فقد يُضم إلىٰ صوت الإنسان. إما التصفيق بأحد اليدين علىٰ الأخرىٰ، وإما الضرب بقضيب علىٰ فخذ وجلد، وإما الضرب باليد علىٰ أختها، أو غيرها علىٰ دف أو طبل؛ كناقوس النصارىٰ، والنفخ في صفارة كبوق اليهود؛ فمن فعل هذه الملاهي علىٰ وجه الديانة، والتقرُّب؛ فلا ريب في ضلالته وجهالته».

وهذه البدعة مأخوذة عن الزنادقة والفلاسفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «ما ذكره الشافعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من أنَّه من إحداث الزنادقة؛ كلام إمام خبير بأصول الإسلام؛ فإنَّ هذا السماع لم يُرغِّب فيه ويدع إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة؛ كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا، وأمثالهم».

ومن الأحوال البدعية التي تصاحب ذكر الصوفية المبتدع المحدث التمايل والصراخ والصرع والإغماء، وهذه أحوال أولياء الشيطان.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٦٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٩٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٧٦).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٧٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذه الأحوال تعرض لهم عند فعل ما يأمر به الشيطان، يتخذون ذلك قربة ودينًا تتحرَّك به قلوبهم، ويحصل لهم عنده من الوجل والصياح ما تنزل معه الشياطين، كما يدخل الشيطان في بدن المصروع، ولهذا يزبد أحدهم كإزباد المصروع، ويصيح كصياحه. وذلك صياح الشياطين علىٰ ألسنتهم، ولهذا لا يدري أحد ما جرىٰ منه، حتىٰ يفيق، ويتكلَّم الشيطان علىٰ لسان أحدهم بكلام لا يعرفه الإنسان، ويدخل أحدهم النار، وقد لبسه الشيطان، ويحصل ذلك لقوم من النصارىٰ بالمغرب، وغيرهم. تلبسهم الشياطين، فيحصل لهم مثل ذلك».

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ الغناء المحرَّم يصد عن ذكر الله، قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يصدهم عن ذكر الله، وعن الصلاة، ويمنع قلوبهم حلاوة القرآن، وفهم معانيه، واتباعه».

الغناء يُحرِّك الأهواء الكامنة في النفوس، ويستخف العقول، ويثير الشهوات ورعونات النفوس، فالغناء رنَّة الشيطان التي تَؤزُّ الناس أزًّا إلىٰ كثير من الشرور.

قال العلامة أبو بكر محمد الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٢٠هـ) في الغناء**[٣]: «يتغلغل في مكامن القلوب، ويطَّلع علىٰ سرائر الأفئدة، ويدِبُّ إلىٰ بيت التخيُّل، فيثير ما غُرز فيها من الهوىٰ والشهوة والسخافة والرُّعونة. فبينما ترىٰ الرجُل،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٦٤، ٦٦٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٤٣).

(٣) تحريم الغناء والسَّماع (ص١٩٧).

وعليه سِمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار الإسلام، كلامه حكمة وسُكوتهُ عِبرة، فإذا سمع الغناء نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه؛ فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه».

المؤمنون المتَّقون الصادقون المتَّبعون توجل قلوبهم لذكر الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلىٰ ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلَّفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالقِدْح المُعَلَّىٰ في الدنيا والآخرة».

فأحوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خير الناس معلومة، توجل قلوبهم وتذرف أعينهم الدمع لوعظ النبي ﷺ.

عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. رواه أحمد وصححه الترمذي.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ميِّزوا هذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٩٤، ٩٥).

(٢) الأربعون حديثًا، متنًا وشرحًا، جامع كتب الآجري (١/ ٥٧٥، ٥٧٦).

الكلام، لم يقل: صرخنا من موعظته، ولا زعقنا، ولا طرقنا علىٰ رؤوسنا، ولا ضربنا علىٰ صدورنا، ولا زفَّنا، ولا رقصنا، كما فعل كثير من الجُهَّال، يصرخون عند المواعظ، ويزعِّقون، ويتغاشون، فهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وهذا كله بدعة وضلالة.

يُقال لمن فعل هذا: اعلم أنَّ النبي ﷺ أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأُمَّته، وأرقُّ الناس قلبًا، وأصحابه أرق الناس قلوبًا، وخير الناس ممن جاء بعدهم، لا يشكُّ في هذا عاقل؛ ما صرخوا عند موعظته، ولا زعَّقوا، ولا رقصوا، ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحًا لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وباطل ومنكر».

الرقص والتمايل عند سماع القرآن والذكر هو دين السامرة عُبَّاد العجل. أمَّا مجالس النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم؛ مجالس وقار وسكينة تحفها الملائكة. مجالس الرقص والتمايل الصوفية تحفها الشياطين.

قال العلامة أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتَّخذ لهم عجلًا جسدًا له خُوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعبَّاد العجل.

وأمَّا القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالىٰ، وإنَّما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنَّما علىٰ رءوسهم الطير من الوقار.

فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم علىٰ باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين».

وعمدة الصوفية في عباداتهم المبتدعة علىٰ المرويات الضعيفة والمكذوبة، فوجدهم الذي يتنسكون به مبناه علىٰ ما لا يصح عن رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن أكاذيب الصوفية**(١): «قولهم: إنَّ النبي ﷺ تواجد حتىٰ سقطت البردة عن منكبه؛ فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذب منه ما يرويه بعضهم: «أنَّه مزق ثوبه، وأنَّ جبريل أخذ قطعة منه فعلقها علىٰ العرش»، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنَّه من أظهر الأحاديث كذبًا عليه ﷺ».

مجالس ذكر الصوفية المبتدعة مبنية علىٰ مرويات مكذوبة علىٰ النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حديث آخر، يذكرون فيه: «أنَّه لما بُشر الفقراء بسبقهم الأغنياء إلىٰ الجنَّة تواجدوا، وخرقوا ثيابهم، وأنَّ جبرائيل نزل من السماء، فقال: يا محمد! إنَّ ربك يطلب نصيبه من هذه الخرق، فأخذ منها خرقة فعلقها بالعرش، وأنَّ ذلك هو زيق الفقراء».

هذا وأمثاله إنَّما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي ﷺ، وأصحابه ومن بعدهم، ومعرفة الإسلام والإيمان».

«الصوفي» لفظ حادث لم يرد في الكتاب والسُّنَّة، والنصوص في القرآن والسُّنَّة وردت بتسمية العلماء والنساك بـ«القراء»، وهذا اصطلاح الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٦٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٦٣).

ورد في حديث ضعيف: «**ازهد فيما عند الناس يُحبك الناس**»، وورد في استعمال السلف تسمية العابد المتنسِّك الزاهد في الدنيا زهدًا مشروعًا بـ«الزاهد»، وفي عبادات الصوفية أنواع من البدع والضلالات، تنسك مبتدع من جنس رهبانية النصارىٰ التي ذمها الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اسم «الصوفية» هو نسبة إلىٰ لباس الصوف، هذا هو الصحيح. وقد قيل: إنَّه نسبة إلىٰ صفوة الفقهاء، وقيل: إلىٰ صوفة بن أد بن طانجة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك، وقيل: إلىٰ أهل الصُّفَّة، وقيل: إلىٰ الصفا، وقيل: إلىٰ الصفوة، وقيل: إلىٰ الصف المقدم بين يدي الله تعالىٰ.

وهذه أقوال ضعيفة؛ فإنّه لو كان كذلك لقيل: صفي، أو صفائي، أو صفوي، أو صفي، ولم يقل: صوفي».

من شر مذاهب الفرق المبتدعة الصوفية، فإنَّهم أجازوا الخروج عن الشريعة المحمديَّة[٢].

وفي غلاة الصوفية من يزعم أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ مرسل إلىٰ عامة الخلق، وأنَّ لله أولياء خاصة لم يرسل إليهم ولا يحتاجون إليه، بل لهم طريق إلىٰ الله من غير جهته، كما كان الخضر مع موسىٰ[٣].

ومن غلاة الصوفية من يزعم أن عقولهم تفيض علىٰ قلوبهم بالمعارف،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٩٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٦٥).

كأنَّما يُوحىٰ إليهم بغير واسطة، فيأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به بعقلهم الفعال، من غير واسطة(١).

وشر ما في الصوفية تسميتهم الكفار الزنادقة أعداء الله أولياء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من اعتقد أنَّ لأحد من الأولياء طريقًا إلىٰ الله من غير متابعة محمد ﷺ؛ فهو كافر من أولياء الشيطان».

وليس لأحد أن يحتج بقصة الخضر للخروج عن شرع الله، فإن الخضر فعل ما فعل عن أمر الله؛ حيث قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، فالواجب علىٰ المسلمين الاستقامة علىٰ أمر الله وشرعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «مما يُبيِّن الغلط الذي وقع لهم - الصوفية - في الاحتجاج بقصة موسىٰ والخضر علىٰ مخالفة الشريعة؛ أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولا أوجب الله علىٰ الخضر متابعته وطاعته، بل قد ثبت في الصحيحين: «**إنَّ الخضر قال له: يا موسىٰ! إنِّي علىٰ علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت علىٰ علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه**»، وذلك أنَّ دعوة موسىٰ كانت خاصة.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنَّه قال فيما فضله الله به علىٰ الأنبياء، قال: «**كان النبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة، وبُعثت إلىٰ الناس عامة**»؛ فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد، ليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٧٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٢٥، ٤٢٦).

ولا استغناء عن رسالته، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسىٰ وطاعته مستغنيًا عنه بما علمه الله».

فالولي حقًّا هو الذي يستقيم علىٰ أمر الله ونهيه؛ قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من هؤلاء - الصوفية - من يظن: أنَّ من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسىٰ، وأنَّه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول ﷺ في عموم أحواله أو بعضها، وكثير منهم يفضل الولي في زعمه، إما مطلقًا، وإما من بعض الوجوه، علىٰ النبي، زاعمين أنَّ في قصة الخضر حجة لهم، وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر».

قصة الخضر ليس فيها حجة لأئمَّة الصوفية الضالِّين؛ فإنَّ الخضر فعل ما فعل من الأحوال عن أمر الله ووحيه، حيث قال الله تعالىٰ مخبرًا عن الخضر أنَّه قال: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، وضُلَّال الصوفية يخالفون شرع الله عن أهوائهم، فليسوا ممن يُوحىٰ إليهم، وشريعة الإسلام لازمة لهم وللثقلين جميعًا.

الصوفية عقائدهم وأحكامهم شيطانية كأحوالهم، يزعمون أنَّ ما يلقيه الشيطان في نفوسهم من الوساوس؛ وحي يستغنون به عن شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٢٢).

وأولياء الله حقًّا هم الذين نعتهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كل من بلغه رسالة محمد ﷺ؛ لا يكون وليًّا لله إلا باتباع محمد ﷺ».

ولو كان ما يلقيه الشيطان في نفوس الناس؛ شرعًا يُتعبد كما يفعل الصوفية؛ لكان الشيطان هو إلههم وربهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا يجوز لولي الله أن يعتمد علىٰ ما يُلقىٰ إليه في قلبه، إلا أن يكون موافقًا للشرع، وعلىٰ ما يقع له مما يراه إلهامًا ومحادثة وخطابًا من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه علىٰ ما جاء به محمد ﷺ، فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله».

وادعىٰ ملاحدة الصوفية أنهم يعلمون علم الباطن، وأنَّ محمدًا ﷺ بُعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، وهذا من أغلظ كفرهم؛ حيث جهَّلوا رسول الله ﷺ، ونفوا كمال الدين ببعثة الله لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها؛ هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٢٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٠٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

فإذا ادعىٰ المدعي أنَّ محمدًا ﷺ إنَّما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنّه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسُّنَّة؛ فقد ادَّعىٰ أنَّ بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ﷺ دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول: أومن ببعض وأكفر ببعض».

صلاح القلوب، وزكاء النفوس، وطهارة الظاهر والباطن، ونماء العقول، وتهذيب الأخلاق؛ يتلقَّاه المسلم باتباع القرآن، لا يتلقاه من ضلالات الصوفية، وما يفترونه من علم الباطن الذي هو ما يأفكونه من أهوائهم؛ فالقرآن فيه بيان كل شيء من علم الظاهر ومن علم الباطن الذي هو علم القلب واعتقاده وعمله.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فلما كان هذا القرآن تبيانًا لكل شيء؛ صار حجة الله علىٰ العباد كلهم، فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدًىٰ لهم يهتدون به إلىٰ أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة.

فالهدىٰ ما نالوه به من علم نافع، وعمل صالح، والرحمة ما ترتَّب علىٰ ذلك من ثواب الدنيا والآخرة؛ كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته علىٰ معانيه، التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر علىٰ الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالىٰ، وكرامته العظيمة، التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٤٧)، ط: مكتبة الرشد، ط: السابعة، ١٤٣٦هـ.

عبادة الله بما شرع؛ هذا تَنسُّك محمود، وترك ما لا ينفع في الآخرة هذا زهد مشروع، أمَّا دعوىٰ الصوفية أنَّ خيالات أنفسهم وحي بلا واسطة ملك؛ فهذا إلحاد كإلحاد الفلاسفة الذين يعتقدون أنَّ النبوَّة تخييل، وهو ما يفيضه العقل علىٰ النفس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ ابن عربي وأمثاله، وإن ادعوا أنَّهم من الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة».

ومع ما يزعمه ملاحدة الصوفية من دعوىٰ علم الباطن، ففي غلاتهم من يكفر بما بُعث به محمد ﷺ مما يسمونه علم الظاهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «التلمساني منهم، وهو أحذقهم في اتحادهم - الكفري -؛ لما قُرئ عليه «الفصوص»، فقيل له: القرآن يخالف فصوصكم، فقال: القرآن كله شرك، وإنَّما التوحيد في كلامنا».

ومن ملاحدة الصوفية من يعتقد أنَّه إذا وصل إلىٰ رتبة الولاية، حلَّ له ما حرم علىٰ عامة الناس، وأنّه لا تلزمه التكاليف، لا صلاة ولا صيام، ولا غيره من العبادات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «من هؤلاء من يحتج بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول: معناها: اعبد ربك حتىٰ يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل لك ذلك سقطت العبادة. وربما قال بعضهم: اعمل حتىٰ يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٣٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٤١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤١٧).

وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال استحلَّ ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر».

واستدلال الصوفية بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، علىٰ سقوط التكليف لمن حصل له العلم والحال؛ هذا تحريف لمعاني القرآن، فاليقين هو الموت في سياق هذه الآية، ولم يزل النبي ﷺ يعبد ربه حتىٰ قُبضت روحه.

وقال نبي الله عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم: ٣٠-٣١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلًا دون الموت».

هؤلاء ليسوا بأولياء الله، بل هم أعداؤه، فإنَّ أولياء الله هم المتقون، أما من لا يعبد الله فهو كافر عدو الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدًا بمثل أن يعينه علىٰ ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقرِّبه إليه، ويرفع به درجته».

الصوفية ضاهوا بمشايخهم أنبياء الله، بل جعلوهم أفضل من الأنبياء، فمنهم من يقول:

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ ... فويـــق الرســـول ودون الـــولي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد يجعلون الولاية فوق النبوَّة، موافقة لغلاة المتفلسفة الذين قد يجعلون الفيلسوف الكامل فوق النبي».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٩٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٦٣).

وصار في الصوفية من يزعم أن في مشايخهم من هو «خاتم الأولياء».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد ظن طائفة غالطة أنَّ «خاتم الأولياء» أفضل الأولياء قياسًا علىٰ خاتم الأنبياء، ولم يتكلَّم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنّه صنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنَّه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أنَّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأنَّ الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص»، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالىٰ وأوليائه».

وتفضيل الأولياء علىٰ الأنبياء؛ كفر بتكذيب الوحي، وتزييف للواقع، فما أدركه الناس من أحوال الأنبياء أيقنوا معه أنَّه ما كان ولا يكون مثلهم.

قال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر».

النبي ﷺ كما قال تعالىٰ في وصفه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، تلقَّىٰ علومه من الله عَزَّوَجَلَّ بواسطة رسوله الملكي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والولي مستفيد من النبي ﷺ وتابع له[٢].

وإذا حُشر الناس في موقف القيامة، شفعوا إلىٰ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقضي الله فيهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فيجب تفضيلهم علىٰ بنيهم».

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٢٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٦٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٦٩).

مشايخ الصوفية أعطوا أنفسهم معنىٰ الربوبية، وأوجبوا علىٰ أتباعهم طاعتهم بكل حال، وهذا مقام لا يصلح إلا لله عَزَّوَجَلَّ، الذي لا يأمر إلا بالحق، وسيد الأولياء والأتقياء محمد ﷺ مُبلِّغ عن الله شرعه؛ فطاعته تبع لطاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، ومع هذا أمر الله عباده بطاعته بالمعروف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ [الممتحنة: ١٢].

فالصوفية اتخذوا الناس أضحوكة وألعوبة يستخدمونهم في أغراضهم، ولو كانت محرَّمة؛ لأنهم أوهموهم بأنَّ طاعتهم واجبة في كل شيء.

قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من اتخذ شخصًا غير معصوم يجتنب كل ما نهاه عنه ويمتثل كل ما أمره به؛ فقد اتخذ مع الله إلهًا آخر؛ فإنَّ كل واحد غير معصوم، وإن بلغ في العلم والصلاح ما بلغ، لا يُقبل قوله في الدين حتىٰ يُعرض علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق يؤخذ وما خالف يُترك، وغلاة المتصوفة يأمرون المريدين أن يطيعوا شيوخهم في كل ما يأمرون به، بدون سؤال ولا مراجعة، ويقولون: «من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح أبدًا»، **وقال شاعرهم:**

وكُنْ عنده كالميْتِ عند مُغَسِّلٍ ... يُقَلِّبُه ما شاء وهو مطاوع».

هذا المنهج الصوفي بالتقليد والطاعة العمياء لأولياء الشيطان إرهاب بالكذب لأكل أموال الناس بالباطل واستعبادهم لخاصة أنفسهم.

والدجاجلة الصوفية أعداء الله أتوا بما يدل علىٰ أنهم أولياء الشيطان، وغرروا بالجهال بأحوالهم الشيطانية من خرق العادة بأنّها أحوال أولياء الله.

---

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ١٥٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا يجوز لأحد أن يعتقد أنه - الصوفي - أنَّه ولي لله، لا سيما أن تكون حجته علىٰ ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلىٰ واحد فمات أو صُرع، فإنّه قد عُلم أنَّ الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب -، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعبَّاد المشركين وأهل الكتاب.

فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك علىٰ كون الشخص وليًّا لله، وإن لم يُعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا عُلم منه ما يناقض ولاية الله؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أنَّ لأولياء الله طريقًا إلىٰ الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام، أو يقول: إنَّ الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم علىٰ قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان، فضلًا عن ولاية الله عَزَّوَجَلَّ».

صار الصوفية يضللون الخلق بما يحصل لهم من الخوارق، فيزعمون بذلك أنّهم أولياء الله، ثم صاروا يلقون إلىٰ الناس ما يوقعهم في الشرك والبدع، ويزعمون أنَّ هذا من علم الباطن الذي أوتوه.

وخوارق الأحوال تحصل للدجاجلة الصوفية لأنَّهم أولياء الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

والواجب علىٰ المسلم اتباع القرآن والسُّنَّة، ومن كانت له كرامة بسبب

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٩٢).

الاستقامة علىٰ اتباع أمر الله ونهيه ازداد شكرًا لله بتقواه باتباع شرعه، لا بالخروج عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لو طرتم في الهواء، ومشيتم علىٰ الماء، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل علىٰ صحَّة ما تدعونه من مخالفة الشرع، ولا علىٰ إبطال الشرع؛ فإنَّ الدجال الأكبر يقول للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض: أنبتي، فتُنبت، وللخربة: أخرجي كنوزك، فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلًا ثم يمشي بين شقيه، ثم يقول له: قم، فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، لعنه الله».

دعاوىٰ الصوفية كثيرة الكذب والبطلان، كزعمهم أنَّ أهل الصفة كان يوحىٰ إليهم؛ ليتوصَّلوا بذلك إلىٰ دعوىٰ معرفة العلوم الباطنة لأولياء الصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «منهم من يقول: إنَّ الله أوحىٰ إلىٰ أهل الصُّفَّة في الباطن ما أوحىٰ إليه ﷺ ليلة المعراج، فصار أهل الصفة بمنزلته، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون أنَّ الإسراء كان بمكة، كما قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وأنَّ الصُّفَّة لم تكن إلا بالمدينة».

وشطحات الصوفية بعضها غاية في الشرك والكفر والإلحاد، مما لا يمكن المسلم تخيله؛ فابن الفارض الصوفي كان يظن أنَّه هو الله فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه[٣].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٦٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٦٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٤٧، ٢٤٨).

ومن أعظم شرور الصوفية في إفساد أديان المسلمين؛ تحريفهم نصوص الوحي لإيقاع المسلمين في الشرك.

من ذلك تحريفهم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، حيث حرَّفوا معنىٰ الوسيلة التي هي عبادة الله بما شرع، بدعاء الموتىٰ أو اتخاذهم وسائط في دعاء الله.

فالوسيلة التي توصل إلىٰ رضا الله تعالىٰ هو توحيده بعبادته بما شرع، أمَّا الشرك فهو الوسيلة إلىٰ الخلود في النار.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «التحقيق في معنىٰ الوسيلة؛ هو ما ذهب إليه عامَّة العلماء من أنَّها التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بالإخلاص له في العبادة، علىٰ وفق ما جاء به الرسول ﷺ. وتفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا[2] داخل في هذا؛ لأنَّ دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلىٰ نيل رضاه ورحمته.

وبهذا التحقيق تعلم أنَّ ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهَّال المدّعين للتصوُّف من أنَّ المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه؛ أنَّه تخبُّط في الجهل والعمىٰ وضلال مبين، وتلاعب بكتاب الله تعالىٰ، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرَّح به تعالىٰ في قوله عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]».

ومع تحريف الصوفية لمعاني الوحي لإضلال الخلق في الشرك، فإنّهم أشاعوا

(١) أضواء البيان (١/ ٣٠٧)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) طلب الحاجة من الله.

في الناس الروايات المكذوبة؛ ليوقعوا الناس في الشرك؛ كاحتجاجهم بما يروونه كذبًا علىٰ النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هو كذب باتفاق أهل المعرفة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّما هذا وضع من فتح باب الشرك».

مرويات الصوفية تُوقع في شرك عبادة الأصنام؛ كشرك الجاهلية الأولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «قول القائل: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به»؛ هو من كلام أهل الشرك والبهتان».

الصوفية جعلوا أنفسهم سدنةً لقبور الموتىٰ، وبنوا عليها القباب، وجعلوها مزارات لأكل أموال الناس بالباطل، يزيِّنون لهم شرك الاستغاثة بالموتىٰ باتخاذهم وسائط في دعاء الله أو بدعاء الموتىٰ أنفسهم، فالصوفية غاشون للناس، رضوا منهم بالشرك؛ ليأكلوا أموالهم بالباطل؛ فجمعوا بين أكل أموال الناس بالباطل، وإركاسهم في الشرك الذي يوجب خلودهم في النار.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**من مات وهو يدعو لله نِدًّا دخل النار**» رواه البخاري.

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «قد يجعل الشيطان طائفة

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٩٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٩٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥١٣).

(٤) شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص١٠، ١١).

من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر، يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهوِّنون عليهم الأمر، يصنعون أمورًا من أنفسهم وينسبونها إلىٰ الميِّت علىٰ وجه لا يُفطن لها من كان من المغفَّلين. وقد يصنعون أكاذيب مشتملة علىٰ أشياء يسمونها كرامات لذلك الميِّت ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يُحسِّن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يروىٰ عنهم من الأكاذيب فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية من الاعتقاد، وينذرون علىٰ ذلك الميِّت بكرائم أموالهم، ويحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلىٰ قلوبهم؛ لاعتقادهم أنّهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميِّت خيرًا عظيمًا وأجرًا بليغًا».

امتدح علماؤنا أئمة الزهد والورع والنُّساك من المتَّبعين للكتاب والسُّنَّة، الذين لا يُعرفون بالابتداع في الدين ولا تحريفه، وقام المبتدعون المضلُّون بوضع كلام علمائنا في غير مواضعه؛ تلبيسًا علىٰ العامة، وغشًّا للأمة، وترويجًا للضلال.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «صار المعروف في الآونة الأخيرة، وأزمنة كثيرة قبلها بالاستقراء، أنَّ عامة الذين يدّعون التصوف في أقطار الدنيا إلا من شاء الله منهم دجاجلة، يتظاهرون بالدين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم؛ ليتخذوا بذلك أتباعًا وخدمًا، وأموالًا وجاهًا، وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق، لا يعملون بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا بسنَّة نبيه ﷺ.

واستعمارهم لأفكار ضعاف العقول؛ أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين؛ فيجب التباعد عنهم، والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٤٦)، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٤٠٨هـ.

وسنة نبيه ﷺ، ولو ظهر على أيديهم بعض الخوارق».

ومن الزهاد الذين امتدحهم العلامة الشنقيطي أبو سليمان الداراني، وعون بن عبد الله، وأبو عثمان النيسابوري، وسهل بن عبد الله التستري، والجنيد بن محمد، وغيرهم[١].

وقد ظهر عندنا من يضع كلام الشنقيطي في أمثال الملحد ابن عربي.

الصوفية فرق وأنواع كثيرة؛ فيهم من شعب الشرك والبدع ما هو معلوم، تبدأ بدعهم بالوجد والذوق والتمايل عند الذكر، ومنهم من تتغلَّظ بدعته بحسب أخذه عن شيوخ الضلالة حتىٰ ينتهي به الحال إلىٰ الكفر والردة والإلحاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «بين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين إلىٰ هذا الدين؛ نسب يعرفه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والإسماعيلية؛ يخرجون إلىٰ مشابهة الصابئة الفلاسفة، ثم إلىٰ الإشراك، ثم إلىٰ جحود الحق تعالىٰ.

ومن شركهم الغلوُّ في البشر، والابتداع في العبادات، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ما هو به لائق؛ كالملحدين من أهل الاتحاد، والغالية من أصناف العباد».

وحاصل ما تقدَّم ذكره ظهور أنواع الكفر والإلحاد في اعتقاد الصوفية وأحوالهم وأعمالهم، فالدخول في مذهبهم مرقاة للمروق من الدين، والأخذ بمذهبهم زندقة ظاهرة.

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٤٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٥٥، ٤٥٦).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قد اتَّسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلىٰ أنواع الزندقة والنفاق، ودعوىٰ أنَّ أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنّهم مستغنون عنهم، وإلىٰ التنقُّص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإلىٰ دعوىٰ الحلول والاتحاد، أو القول بوحدة الوجود، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان؛ كدعوىٰ الإباحة وحل محظورات الشرائع! وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء، فبعضها زعموا أنَّه يحصِّل ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنَّه يُراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنَّه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس، وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة، وبعضه يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر إلىٰ المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا».

الصوفية مرقاة إلىٰ ملل الكفر، فقد رأينا في عصرنا هذا من زنادقة الصوفية من ينفي الكفر عن اليهود والنصارىٰ.

اليهودية والنصرانية المحرَّفة المنسوخة ليست دين أحد من الأنبياء.

ومن المعلوم المتَّفق عليه عند علماء المسلمين أنَّ من لم يُكفِّر الكافر المتفق علىٰ كفره كاليهودي؛ فهو كافر.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف (ص٤٤، ٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «متصوفة الفلاسفة كابن عربي وابن سبعين وغيرهما».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «هؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه يجوِّزون أن يكون الرجل يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو مشركًا يعبد الأوثان، فليس الإسلام عندهم واجبًا، ولا التهوُّد والتنصُّر والشرك محرمًا. لكن قد يرجِّحون شريعة الإسلام علىٰ غيرها.

وإذا جاء المريد إلىٰ شيخ من شيوخهم، وقال: أريد أن أُسلِّم علىٰ يديك، يقول له: علىٰ دين المسلمين، أو اليهود، أو النصارىٰ؟

فإذا قال له المريد: اليهود والنصارىٰ! أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمين خير منهم.

وهذا من جنس جُهَّال التَّتر أوَّل ما أسلموا؛ فإنَّ الإسلام عندهم خير من غيره، وإنْ كان غيره جائزًا، لا يُوالون عليه ويُعادون عليه».

❁ ❁ ❁

(١) الرد علىٰ المنطقيين (ص٢٨١).

(٢) الرَّدُّ علىٰ المنطقيين (ص٢٨٢).

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكل محدثة في الدين بدعة.
وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع: كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلابية، ونظائرهم؛ فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

﴿ الشَّرْح:

حذَّر ابن قدامة من الفرق المبتدعة، ومن التحزب لها، فالواجب علىٰ المسلم اتباع الكتاب والسُّنَّة ولزوم الجماعة.

والفرق المبتدعة أصولها أربع، ومنها تشعَّبت فرق كثيرة، قال حفص بن حميد لعبد الله بن المبارك: كم افترقت هذه الأمة؟ فقال عبد الله بن المبارك: الأصل أربع فرق، هم: الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فافترقت الشيعة علىٰ اثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية علىٰ إحدىٰ وعشرين فرقة، وافترقت المرجئة علىٰ ثلاث عشرة فرقة.

قال حفص بن حميد: يا أبا عبد الرحمن! لم أسمعك تذكر الجهمية؟ قال: إنَّما سألتني عن فرق المسلمين[1].

تعداد فرق المبتدعة نظير تعداد الكبائر، فالنبي ﷺ قال: «**اجتنبوا الموبقات السبع**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الكبائر؛ تدل علىٰ أنَّها كل ما رُتِّب عليه وعيد خاص، فهي أكثر من سبع قطعًا.

---

(١) الإبانة (١/ ٣٧٩).

والفرق المبتدعة اثنتان وسبعون، وكل ضلالة فهي بدعة، والله عَزَّوَجَلَّ حصر الحق في اتباع صراطه المستقيم، وحذر من الباطل، وذكره بصيغة الجمع لكثرته ولتجدد أنواعه بحسب ما يضل به الشيطان أولياءه وما يُحدثه لهم من أنواع الضلالات.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وحَّد تعالىٰ لفظ النور وجمع الظلمات، لأنَّ الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة».

وقال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ كل من خالف الجادة، وعدل عن المحجَّة، واعتمد من دينه علىٰ ما يستحسنه فيراه، ومن مذهبه علىٰ ما يختاره ويهواه، عُدم الاتفاق والائتلاف، وكثر عليه أهلها لمباينة الاختلاف».

وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٩٥هـ)**(٣): «أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالث والسبعون الجماعة التي قال رسول الله ﷺ: إنّها الناجية».

فابن قدامة سلك سبيل الأئمة المتقدمين في التحذير من فرق البدع كلها، والتحذير علىٰ وجه الخصوص من أشهرها، ومن أصولها التي تشعبت عنها أنواع الفرق.

والنبي ﷺ ذكر أنَّ أمته ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، المبتدعة منها اثنتان وسبعون، والفرقة الناجية واحدة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨٩).

(٢) الإبانة (١/ ٣٨٦).

(٣) الإبانة (١/ ٣٦٧).

وفي شرح الأئمة لفرق المبتدعة ذكروا ما تشعب منها من أنواع الفرق.

قال العلامة أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٥٢هـ)**(١): «أراد الرسول ﷺ بفرق أمته أصول البدع التي تجري مجرىٰ الأجناس للأنواع، والمعاقد للفروع».

احذر أيُّها المسلم من تفريق الأُمَّة بالابتداع في الدين، وبالموالاة في الضلالات.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسوله ﷺ بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، وشرعه واحد، لا اختلاف فيه، ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات؛ فإن الله تعالىٰ قد برَّأ رسول الله ﷺ مما هم فيه».

فالبدعة هي داعية الفرقة، والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة بفهم السلف داعية الائتلاف علىٰ الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أمرنا الله أن نتبع الصراط المستقيم، ولا نعدل عنه إلىٰ السبل المبتدعة».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**إنَّ الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا: يرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» رواه مسلم.

(١) الحوادث والبدع (ص١٠٠، ١٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٥٠).

(٣) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٣/ ١١٦).

فالواجب تبيين الحق والتواصي به والدعوة إليه، ورد البدع، وتبيين ما فيها من الضلال.

قال العلامة الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لو ترك الناس مُتفرِّقِين؛ لَتفَرَّقَتِ الآراء والنِّحَلُ، ولكثرت الأديانُ والمِلَلُ، ولم تكن فائدة في بعثة الرسول ﷺ، وهذا هو الذي عابه الله عَزَّوَجَلَّ من التَّفَرُّقِ في كتابه، وَذَمَّهُ في الآي التي تقدم ذكرها».

تلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو من أسباب ائتلاف الأمة علىٰ الحق.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في تلقي الدين عن الصحابة وتابعيهم بإحسان[٢]: «هم الذين أَدَّوا الكتاب والسُّنَّة بعد النبي ﷺ قرنًا بعد قرن».

الأخذ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ يوجب الاتفاق الذي كان صفةً لهم، ولو ردَّ الناس الخلاف إلىٰ ما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لهُدي الناس إلىٰ الحق المبين.

قال العلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[٣]: «إن كنتم من المؤمنين، وعلىٰ منهج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدىٰ في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إمامًا، كما رضي بها القوم لأنفسهم إمامًا.

فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم، ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلَّا باتِّباع هذه الآثار علىٰ ما ترون، فمن لم يقبلها فإنّه يريد أن يتَّبع غير سبيل المؤمنين، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ

---

(١) العُزْلَة (ص٥٧، ٥٨).

(٢) خلق أفعال العباد (٢/ ١١٣).

(٣) الرَّدُّ علىٰ الجهمية (ص٦٣).

﴿سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]».

قال الحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٩٠هـ)**(١): «قد أخبر الله تعالىٰ عنهم - الصحابة -، بأكثر منه في غير موضع من كتابه، وبيَّن عدالتهم، وأزال الشُّبَه عنهم، وكذلك أخبر به الرسول ﷺ وأمر بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والعمل بقولهم مع علمه بما يكون في هذا الزمان من البدع واختلاف الأهواء، ولم يأمر أن يُتمسَّك بغير كتاب الله وسُنَّته وسُنَّة أصحابه رضوان الله تعالىٰ عليهم، ونهانا عمَّا ابتدع خارجًا عن ذلك، وعمَّا جاوز ما كان عليه هو وأصحابه، فواجب علينا قبول أمره فيما أمر، وترك ما نهىٰ عنه وزجر، وعلىٰ هذا كان العلماء والأئمة فيما سلف، إلىٰ أن حدث من البدع ما حدث».

شرع الله لنا الائتلاف علىٰ الحق، بالاعتصام بالكتاب والسُنَّة واتِّباع السابقين الأولين بإحسان، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

شرع الله لنا الموالاة في الله، إخوة في الله، وذلك أوثق عرىٰ الإيمان، نحب في الله ونبغض في الله، كل ذلك بما يرضي الله، فنكون من المتواصين بالحق، المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، الناصحين لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالىٰ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لا يُشرع اجتماع طائفة وتحزُّبهم علىٰ

(١) الحُجَّة علىٰ تارك المحجة (١/ ١٥٩).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الأولىٰ (ص١٩١، ١٩٢).

التناصر المطلق، بحيث ينصر بعضهم بعضًا في الحق والباطل، بل الواجب علىٰ كل أحد اتِّباع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، والمؤمنون إخوة يجب موالاة بعضهم بعضًا، وتناصرهم وتعاونهم علىٰ البر والتقوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالىٰ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمَّىٰ والسهر»، وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»، وشبَّك بين أصابعه، وقال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ يُحبَّ لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه**».

وأمثال هذه الآيات والأحاديث التي إذا آمن الناس بها، وسمَّوا بما سمَّاهم الله ورسوله؛ جمع الله لهم خير الدنيا والآخرة.

ولم يكن من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين، لا من أهل البيت ولا غيرهم من يدعو الناس إلىٰ هذا الاسم، ولا يحزِّب له أحزابًا عليه.

ومن نقل عن أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو غيره شيئًا من ذلك؛ فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحاله».

وقول الموفق ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل متَّسم بغير الإسلام والسُّنَّة مبتدع»؛ فيه تحذير من الانتساب البدعي، وحثٌّ علىٰ الانتساب الشرعي.

لا تتسمىٰ أيُّها المسلم إلا بالاسم الذي اصطفاه الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

كن أيُّها المسلم منتسبًا إلىٰ السلف الصالح، فهم خير الناس كما قال النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا عيب علىٰ من انتسب إلىٰ مذهب السلف واعتزىٰ إليه، بل يجب قبول ذلك منه إجماعًا».

كن أيُّها المسلم من حزب الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

حزب الله هم أولياؤه، وسادات أوليائه هم رسول الله ﷺ وصحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أما أعداء الصحابة المشاقين لهم فهم من حزب الشيطان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ المؤمن دائمًا مع الله علىٰ نفسه وهواه وشيطانه وعدوِّ ربِّه، وهذا معنىٰ كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، فهو مع الله علىٰ عدوِّه الداخل فيه والخارج عنه، يُحاربهم ويعاديهم، ويُبغضهم له سبحانه، كما يكون خواصُّ المَلك معه علىٰ حرب أعدائه».

والواجب علىٰ المسلم بعد معرفته بأسباب الهداية للحق باتباع السابقين الأولين؛ اتباع الكتاب والسُّنَّة ولزومهما والهداية والدعوة إليهما، ومجانبة ما خالفهما والتحذير منه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٤٩).

(٢) الفوائد (ص١١٤).

احذر أيُّها المسلم من مشاقة رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم؛ لئلا تكون من أصحاب النار؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن القيم رحمه الله[١]: «إذا كان الله عز وجل ورسوله ﷺ في جانب؛ فاحذر أن تكون من الجانب الآخر؛ فإنَّ ذلك يُفضي إلىٰ المشاقَّة والمحادَّة، وهذا أصلها، ومنه اشتقاقها؛ فإنَّ المشاقة أن يكون في شقٍّ، والمحادَّة أن يكون في حدٍّ، وهو في حدٍّ».

وزاد المسلم في نجاته في اتباع السعداء؛ هو العلم بدين الصحابة رضي الله عنهم الذي تلقوه من رسول الله ﷺ والتدين به.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رحمه الله **(ت: ٤٨٩هـ)**[٢]: «إنَّ النبي ﷺ حين سُئل عن الفرقة الناجية، قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، بمعنىٰ: من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي، فلا بُدَّ من تعرُّف ما كان عليه رسول الله ﷺ، وليس طريق معرفته إلا النقل؛ فيجب الرجوع إلىٰ ذلك».

النبي ﷺ أخبرنا بوقوع الاختلاف من بعده، فقال: «**إنَّه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**»، وذكر سبيل السعادة والنجاة في كل حال فقال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»، رواه أحمد وأبو داود[٣].

---

(١) الفوائد (ص١٦٧).

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٤٢).

(٣) صححه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠٩)، وحسَّنه ابن القيم في إعلام الموقعين (ص٨٥٦)، وصححه الشاطبي في الاعتصام (٢/ ١١٤)، وصححه ابن حجر في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب (١/ ١٣٧).

فالذي أورث أهل السُّنَّة والجماعة الهدىٰ والسعادة في الدارين، والنجاة في الآخرة؛ هو تلقي الدِّين عن الصحابة المرضيِّين.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصول السُّنَّة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»[١].

ومع ما يراه المسلم من افتراق الناس في الحق، فنجاته في اتباع السعداء، واجتناب الأشقياء، وذلك باتباع المرضيين من صحابة رسول الله ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أمَّا الأتباع السُّعَداء؛ فنوعان: أتباع لهم حكم الاستقلال، وهم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فهؤلاء هم السُّعداء الذين ثبت لهم رضا الله عنهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وكل من تبعهم بإحسان، وهذا يَعُمُّ كل من اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة، ولا يختصُّ ذلك بالقرن الذين رأوهم فقط».

حذَّر الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الفرق المبتدعة، وبدع الرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلَّابية، ونظائرهم، هي التي أوجبت التحذير منهم.

والتحذير من المبتدعة والرد عليهم؛ هو من الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٥).

(٢) الرسالة التَّبُوكيَّة (ص٥٩، ٦٠).

وهو من أسباب حفظ الدين عن التحريف، ومن أسباب صيانة الناس عما يُفسد أديانهم؛ فإنَّ البدع المُكفِّرة تُخرج من الدِّين، وعبادات المبتدعين المخالفة لهدي سيد المرسلين مردودة؛ قال النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، متفق عليه من حديث عائشة، واللفظ لمسلم.

والآن لابُدَّ من بيان مختصر لفرق البدع التي حذَّر منها الموفق عبد الله بن أحمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، تعطيله الكلِّي ونفيه لأسماء الله وصفاته كلها؛ هو الذي بسببه صار مُلْحدًا.

قال مروان بن معاوية الفَزَاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «جَهْم مكثَ أربعين يومًا لا يَعْرِفُ ربَّه».

وقد أفسد الجهم بن صفوان عقيدة الإسلام، ولا يزال شرُّ بدعته مفسدًا لدين المسلمين، فَفِرَقُ المعتزلة والأشاعرة فيهم من شُعَب بدعته وضلاله ما أضلوا به الناس عن الاعتقاد الصحيح.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حدثَ بعد عصر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعَظُمتِ الفتنة به؛ فإنَّه نفىٰ أن يكون لله تعالىٰ صفة، وأورد علىٰ أهل الإسلام شكوكًا أثَّرتْ في المِلَّة الإسلامية آثارًا قبيحة، تَوَلَّد عنها بلاء كبير. وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكَثُرَ أتباعه علىٰ أقواله التي تؤول إلىٰ التعطيل، فأَكْبَر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤوا علىٰ إنكارها وتضليل أهلها، وحذَّروا من الجهمية، وعادُوهم

(١) خلق أفعال العباد (ص٥٤٦ – رقم ٧٢).

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩٠).

في الله، وذمُّوا من جلس إليهم، وكتبوا في الرَّدِّ عليهم ما هو معروف عند أهله».

وقال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الجهمية: أتباع جهم بن صَفْوَان التِّرْمِذِي مولىٰ راسب، وقُتل في آخر دولة بني أُمَيَّة، وهو ينفي الصفات الإلهية كلها، ويقول: لا يجوز أن يُوصف الباري بصفةٍ يُوصف بها خَلْقُهُ، وأنَّ الإنسان لا يقدر علىٰ شيء، ولا يُوصف بالقدرة ولا الاستطاعة، وأنَّ الجنَّة والنار يَفْنيَان وتنقطع حركاتُ أهلهما، وأنَّ من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يَكْفُر؛ لأنَّ العِلم لا يزول بالصمت، وهو مؤمن مع ذلك.

وقد كفَّره المعتزلة في نفي الاستطاعة، وكفَّره أهل السُّنَّة بنفي الصفات، وخلق القرآن، ونفي الرؤية. وانفرد بجواز الخروج علىٰ السلطان الجائر، وزعم أنَّ عِلْمَ الله حادث لا بصفة يُوصف بها غيره».

من أعظم ضلال الجهم بن صفوان؛ تأسيس ضلاله بالكلام المحدث الذي سعىٰ بسببه لإبطال ما دلَّ عليه الوحي من صحيح الاعتقاد.

أبطل الجهم التوحيد بتعطيل صفات الله، وبتعطيل التأله له بالإرجاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ جهمًا اشتهر عنه بدعتان:

إحداهما: نفي الصفات. والثانية: الغلو في القدر والإرجاء. فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب، وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا[٣]: «أمَّا الأشعري فوافقه علىٰ أصل قوله،

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٧٦، ١٧٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٣٠).

ولكن قد ينازعه منازعات لفظية».

فالمقصود التحذير من المؤسس الجهم بن صفوان، والتحذير من بدعه وشبهاته التي سرت إلىٰ كثير من فرق المسلمين، وأفسدت عليهم أديانهم.

الجهم بن صفوان تلقىٰ ضلاله عن الجعد بن درهم، ونُسبت الفرقة إلىٰ الجهم لأنّه هو الذي أشهرها، وأضلَّ الخلق بها.

المعتزلة: ابتدأ ابتداعهم في إخراج فاعل الكبيرة من الإسلام، وقالوا بخلوده في النار، ولا يزال بهم الضلال في مسائل الدين حتىٰ صارت لهم الأصول البدعية التي عُرفوا بها.

وحاجَّ المعتزلة في الدين بالمعقولات، فصاروا بسبب ذلك يُكذِّبون بما دلَّ عليه الوحي من العقائد، وكَثُر لذلك ضلالهم؛ فإنَّهم أعرضوا عن الوحي واتَّخذوا وساوس الشياطين دينًا، يضلون به ويُضلون المسلمين.

وكان من أعظم ضلالهم: القول بخلق القرآن، والدعوة إليه، واستغلوا منزلتهم عند الوُلَاة العباسيين (المأمون، والمعتصم، والواثق)، فأفسدوا بذلك دين الإسلام.

وأنكر المعتزلة رؤية الله في الدار الآخرة، وأنكروا علوَّ الله، وأنكروا صفات الله.

ويقول المعتزلة في وصف الله: إنَّه ليس فوق العالَم ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، وليس في جهة، ولا يقوم به علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام. فهم يصفون عدمًا. والإيمان عند المعتزلة قطعة واحدة، إمَّا يبقىٰ كلُّه أو يذهب كلُّه، ولا يقولون بزيادة الإيمان ولا نقصانه، والزيادة عندهم: ما يلزم بعض المكلفين مما لا يجب علىٰ غيرهم.

وأنكر المعتزلة شفاعة النبي ﷺ، وأنكروا أنَّ الجَنَّة والنار مخلوقتان.

وكذَّب المعتزلة بالحوض والميزان، وكذَّبوا بعذاب القبر.

ويُسمي المعتزلة نفي الصفات توحيدًا، ويسمون أنفسهم الموحدين ويُسمي المعتزلة التكذيب بالقدر عدلًا، ويقولون بأنّ العِباد يخلقون أفعالهم، فكانوا بذلك مجوسًا، أثبتوا خالقًا مع الله. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة هو إلزام الغير بعقيدتهم في الأسماء والأحكام التي هي المنزلة بين المنزلتين لأصحاب الكبائر، ومسألة إنفاذ الوعيد، وجواز الخروج علىٰ الأئمة بالقتال.

شيوخ المعتزلة أئمة ضلال، دعاة إلىٰ النار، منهم: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم بن سيار النظام، وابن أبي دُؤَاد، وحفص الفرد، وغيرهم كثير.

عقائد المعتزلة كفرية، ومن زهوهم بالباطل تسمية أنفسهم بالموحدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يُسمون أنفسهم «الموحِّدين»، والعلم الذي يعلم له هذا «علم التوحيد»، وهذا عندهم أول «الأصول الخمسة» التي هي عندهم: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا أخذ محمد بن التومرت هذا اللقب، وسمَّىٰ طائفته «الموحِّدين»، ووضع لهم «المرشدة» المتضمِّنة لمثل عقيدة المعتزلة وغيرهم من الجهمية في التوحيد».

وأمَّا الكُلَّابية: فهم أتباع محمد بن سعيد بن كُلَّاب البصري.

وافق الكُلَّابية الجهمية في أنَّ الله لا تقوم به الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «سَلَّمَ - ابنُ كُلَّاب - لهم - الجهمية -

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٠٢، ١٠٣).

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٣١٢).

ذلك الأصل، الذي هو يَنْبُوعُ البدع، فاحتاج لذلك أن يقول: إن الرَّبَّ لا تقوم به الأمور الاختيارية، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا نادىٰ موسىٰ حين جاء الطور، ولا يقوم به نداء حقيقي».

وقال ابن كُلَّاب: إنَّ القرآن حكاية عن كلام الله، وقوله في حقيقته يؤول إلىٰ قول الجهمية بنفي الكلام عن الله، وفي أنَّه مخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قَبْلَ قول ابن كُلَّاب لا يُعرف في الأُمَّة أحدٌ فسَّر كلام الله بهذا».

محمد بن سعيد بن كُلَّاب وافق المعتزلة في أشياء، وخالفهم في مسائل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أبو عبد الله محمد بن سعيد بن كُلَّاب البصريُّ وأبو الحسن الأشعري؛ كانا يخالفان المعتزلة، ويوافقان أهل السُّنَّة في جُمَل أصول السُّنَّة، ولكن لتقصيرهما في عِلْم السُّنَّة وتسليمهما للمعتزلة أصولًا فاسدة؛ صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السُّنَّة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا».

أما **الكَرَّامية** فهم أتباع محمد بن كَرَّام السِّجِسْتَانِيِّ (ت: ٢٥٥هـ)، وهم مفارقون للجماعة في اعتقاد الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «طائفة من المُرْجِئَة وهم الكرامية، الذين قالوا: إنَّ الإيمان هو مُجرَّد التَّصديق في الظاهر، فإذا فعل ذلك كان مؤمنًا - وإن كان مُكذِّبًا في الباطن -، وسَلَّمُوا أنَّه

---

(١) التسعينية (٢/ ٦٨٣).

(٢) الاستقامة (ص١٦٥).

(٣) شرح حديث جبريل (ص٣٠٨، ٣٠٩).

مُعذَّبٌ مُخَلَّدٌ في الآخرة، فنازعوا في اسمه لا في حُكْمِه».

وقال شيخ الإسلام(١): «تسميتهم له مؤمنًا، بدعة ابتدعوها، مخالفة للكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة، وهذه البدعة الشَّنْعاء هي التي انفردت بها الكرَّامية».

وفي الكرامية تجهُّم في أسماء الله وصفاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قالوا: إنَّه صار قادرًا علىٰ الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرًا عليه، لكونه صار الفعل والكلام مُمْكِنًا بعد أن كان مُمْتَنعًا، وإنّه انقلب من الامتناع الذاتي إلىٰ الإمكان الذاتي، وهذا قول المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشِّيعة، وهو قول الكرامية وأئمة الشيعة كالهاشميَّة وغيرهم».

وكان الكرامية مُجَسِّمَة فيما يُثْبِتُونَهُ من الصفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجَوَالِيقيُّ وغيرهما من المُجَسِّمة الرَّافِضَة وغير الرافضة كالكَرَّامية».

أمَّا القدرية: فهم المكذبون بالقدر، والضالون فيه أنواع؛ فمنهم من يُنكر علم الله بالأشياء، ومنهم من يُثبت خالقًا مع الله، ومنهم من أنكر أن يكون الشر بقدر من الله، ومنهم نفاة الأسباب الذين يقولون: فعلوا عندها لا بها.

ومن الضلال في القدر الاحتجاج به علىٰ الذنوب، وقد احتجَّ به المشركون في جاهليتهم ثم أسلم أكثرهم، وتبيَّن كذبهم في احتجاجهم.

قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٣٠٩).

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ١٥٦).

(٣) منهاج السُّنَّة (١/ ٣١١).

شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

القدرية قالوا: إنَّ الله لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده(١)، والله سبحانه قد سبق علمه بكل ما خلق، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والمعتزلة قالوا: إنَّ أفعال العباد مخلوقة لهم.

وقال المعتزلة القدرية المجوسية: إنَّ الله شاء الإيمان من الكافر، ولكنَّ الكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالىٰ!!

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل».

ولا ريب أنَّ الله شاء الكفر وأراده إرادة كونية قدرية، ولم يرده إرادة شرعية؛ فالله لا يرضىٰ لعباده الكفر، وخلقه وشاء لسنته الكونية في خلق المتضادات، ليظهر أثر ربوبيته وليكون إيمان خلقه عن تكليف واختيار لا عن طبع وضرورة.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فظهر بذلك عبودية المؤمنين لربهم عن اختيارهم، وظهرت بسبب ذلك أنواع من أجل العبادات والطاعات من الدعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والموالاة في الله والمعاداة فيه.

وضلَّ في القدر من ينكر حكمة الله في خلقه وأمره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «من قال: إنَّه لا يخلق شيئًا بحكمة، ولا يأمر بشيء بحكمة؛

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٥٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٧٧).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٤٣٢).

فإنّه لا يُثبت إلا محض الإرادة التي تُرجح أحد المتماثلين علىٰ الآخر بلا مُرجح، كما هو أصل ابن كُلَّاب ومن تابعه، وهو أصل قولي القدرية والجهمية».

القدرية في اصطلاح العلماء الأولين يريدون به القدرية المحضة، الذين يُكذِّبون بتقدير الله لمقادير الخلق، وهؤلاء هم القدرية الغالية.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «عامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء؛ كقول ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما قيل له: يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، فقال: أخبرهم أنِّي بريء منهم، وأنّهم مني بُرَآء».

والقدرية النافية[2] هم الذين يقولون: الحسنات من الله، والسيئات من المخلوق، والصواب أنَّ الحسنات والسيئات كلها بتقدير من الله، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨]، وهناك تلازم بين القضاء الكوني والشرعي، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وفي حكاية مذاهب الضالين في أفعال العباد، يُقال: «الجبرية» للجهمية الذين يقولون: المخلوق مجبر علىٰ فعله.

ويقال: «القدرية»، للمعتزلة الذين قابلوا بدعتهم وضلالتهم ببدعة وضلالة أخرىٰ حيث زعموا أنَّ المخلوق خالق فعله.

ومن هنا سمىٰ العلماء القدرية المعتزلة مجوس هذه الأمة؛ حيث أثبتوا

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٠٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٤٥٢).

خالقًا غير الله.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ القدرية إنَّما نُسبوا إلىٰ القدر لنفيهم إياه».

وقال ابن أبي العز الحنفي أيضًا[٢]: «وقد تُسمىٰ الجبرية «قدرية»؛ لأنّهم غلوا في إثبات القدر».

وأهل السنة وسط بين ضلالتي الجبرية والقدرية؛ فالمخلوق له قدرة تامة وإرادة جازمة يختار بها ويفعل، والله خالق ما جعله فيه من الأسباب، وخالق السبب التام وخالق فعل المخلوق، قال تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وباعتبار أحوال الناس في الواقع فإنَّ من الخلق من هو قدري جبري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الناس في الشرع والقدر علىٰ أربعة أنواع، فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره، يستند إليه في الذنوب والمعائب، ولا يطمئن إليه في المصائب. كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري. أي مذهب وافق هواك تمذهبت به. وبإزاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون علىٰ المصائب ويستغفرون من المعائب».

والقدرية في اصطلاح العلماء وتحذير السلف منهم يسمون به من ينكره،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٩٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٩٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٠٧).

ويسمون به من يحتج به علىٰ المعاصي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية؛ من يحتج به علىٰ إسقاط الأمر والنهي أعظم مما يدخل فيه المنكر له؛ فإنَّ ضلال هذا أعظم، ولهذا قُرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف. وروي في ذلك حديث مرفوع؛ لأنَّ كلًّا من هاتين البدعتين تفسد الأمر والنهي والوعد والوعيد، فالإرجاء يُضعف الإيمان بالوعيد، ويُهَوِّنُ أمر الفرائض والمحارم، والقدري إنِ احتج به كان عونًا للمرجئ، وإنْ كذَّب به كان هو والمرجئ قد تقابلا، هذا يبالغ في التشديد حتىٰ لا يجعل العبد يستعين بالله علىٰ فعل ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، وهذا يبالغ في الناحية الأخرىٰ».

الخوارج: حذَّر النبي ﷺ أمَّته منهم قبل ظهورهم، وأخبرنا أنّهم حدثاء أسنان، وهذا يدل علىٰ أنَّ متعة الشباب وحدَّته أوقعتهم في الغرور والضلال.

وأخبرنا النبي ﷺ أنّهم يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يعني قرءونه بلا فهم صحيح لمعانيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هم لا يفهمونه بقلوبهم، إنما يتلونه بألسنتهم».

وأخبرنا النبي ﷺ أنّهم انتهازيون، يخرجون علىٰ حين فرقة من المسلمين.

ذكر النبي ﷺ في وصف الخوارج أنّهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن صفات الخوارج المعلومة أنّهم حصروا الخير في أنفسهم كما قال

(١) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٠٥، ١٠٦).

(٢) الصارم المسلول (ص١٨٥).

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والخوارج الأولون كانوا شديدي العبادة، قال فيهم النبي ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته إلىٰ صلاتهم، وصيامه إلىٰ صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة**».

مادة ضلال الخوارج فهمهم القرآن بخاصَّة أنفسهم دون الأخذ بفهم السلف وعلماء الأمة.

الخوارج في مبدأ أمرهم كان أصل اعتقادهم تكفير المسلمين، وأصل اعتقادهم الذي سُموا به (خوارج): مفارقة الجماعة، وهذا كافٍ في أن يُوصف به كلُّ من فارق الجماعة بأنَّه خارجي.

ولا يلزم من ذلك أن يكون علىٰ ما صار إليه الخوارج بعد ذلك من نفي الشفاعة، وأمور أخرىٰ من ضلالات عقائدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم».

ظهرت الخوارج علىٰ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقاتلهم بعد أنْ قطعوا الطريق، وسفكوا الدماء، واستحلوا أهل الذمة[2].

وكان مما نقمه الخوارج علىٰ أمير المؤمنين لجهلهم؛ عدم قسم الأموال والسبي في وقعة الجمل، وكان في القوم أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «الخوارج إنَّما هم ثُوَّار،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٠٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦).

(٣) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٩/ ٢٩٠).

يثورون على الناس بأقلِّ الذنوب، وهم يستبيحون أعظم الحرمات».

وكفَّر الخوارج أمير المؤمنين بتزييف الواقع، حيث قالوا له: حكمت الرجال، فأنكر عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذبهم عليه، وقال: «ما حكمت الرجال، وإنَّما حكمت القرآن».

وناظرهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال لهم: إنَّ الله أمر بتحكيم الرجال في رجل وامرأة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة.

قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الخوارج: إنهم ممن قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

العافية من البدع من أعظم النعم، فالمبتدع ربما مرق من الدين وهو يحسب أنَّه من المهتدين، فالاهتداء بالكتاب والسُّنَّة بفهم السلف؛ عصمة من الضلال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال التابعي المُفَسِّر أبو العالية رُفَيْع بن مهران الرِّياحيُّ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ما أدري أيّ النِّعمتين عَليَّ أفضل، أنْ هداني للإسلام، أو لم يجعلني حروريًّا».

الخوارج يتظاهرون بالدعوة إلىٰ الإصلاح وإنكار المنكر، ونياتهم فاسدة فيما قصدوه من الإنكار، قالوا لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب: إن الحكم إلا لله، فقال أمير المؤمنين: «كلمة حق أريد بها باطل»، رواه مسلم.

الخوارج ينكرون عن جهل بمعاني الشريعة، وإذا ازدوج الجهل مع فساد النيات؛ فلا تسأل عن الشر الذي يصيب الأمة منهم.

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ٤٨٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الخوارج كان مبدؤهم بسبب الدنيا، حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، فكأنَّهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنَّه لم يعدل».

الخوارج لجهلهم وفساد نياتهم وتحريفهم للدين وضعوا نصوص الوحي في غير مواضعها.

قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «عمدوا إلىٰ نصوص نزلت في الكفار، فجعلوها في المسلمين» رواه مسلم.

غلاة الخوارج يُكفِّرون بالمخالفة، فمن لم يوافقهم في بدعهم؛ فهو كافر عندهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الخوارج والنواصب الذين نصبوا العداوة والحرب لجماعة المسلمين، فابتدعوا بدعة، وكفَّروا من لم يوافقهم عليها؛ فصار بذلك ضررهم علىٰ المسلمين أعظم من ضرر الظلمة».

الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في التحذير من الخوارج كثيرة جدًّا، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «صحَّ الحديث في الخوارج من عشرة أوجه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ثبت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة أنَّه أمر بقتال الخوارج».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥]: «أول البدع ظهورًا في الإسلام، وأظهرها ذمًّا في السُّنَّة والآثار بدعة الحرورية المارقة».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨٧).

(٢) منهاج السُّنَّة (٥/ ١٤٩، ١٥٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٧٩).

(٤) السياسة الشرعية (ص١٦١).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٧١).

تغلظ بدعة الخوارج شديدة من جهة أنهم لا يقيمون دينًا، ولا يبقون دنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الخوارج وأهل البدع، إنّهم يُكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتَّب علىٰ تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأنَّ دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان».

ومما أدركناه في هذا العصر، وأدركه غيرنا، أنَّ جماعة الخوارج يختلفون، حتىٰ يكون بعضهم يُكفِّر بعضًا.

سبب ضلال الخوارج هو مفارقتهم لجماعة العلماء، غرَّهم جهلهم واعتدادهم بأنفسهم، فلم يأخذوا الأحكام عن علماء المسلمين، وصاروا شيوخ أنفسهم، يفتون بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «صاروا يتبعون المتشابه من القرآن، فيتأولونه علىٰ غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسُّنَّة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن».

الخوارج فرَّقوا المسلمين، وخرجوا علىٰ أُمة محمد ﷺ بأسيافهم، وعثوا في الأرض مفسدين.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قومًا شرًّا منهم».

ولا يزال يخرج الخوارج إلىٰ قيام الساعة؛ لذلك وجب التحذير منهم؛

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٧٣).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (١/ ١٧٩).

(٣) السُّنَّة للخلال (١/ ١٤٥-رقم ١١٠).

حفظًا للدين، ولجماعة المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هؤلاء - الخوارج - أمر النبي ﷺ بقتالهم؛ لأنَّ معهم دينًا فاسدًا، لا يصلح به دنيا ولا آخرة».

المرجئة: هم طوائف من فرق القبلة، ضلوا في حقيقة الإيمان، كما ضلوا في أحكام الإيمان من التزكية والتفسيق والتكفير.

شر فرق المرجئة الجهمية الذين قالوا: إنَّ الإيمان هو المعرفة فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان».

وأضل أقوال المرجئة قول الكرامية، الذين قالوا: إنَّ الإيمان قول اللسان فقط.

الجهمية والكرامية يقولون: إنَّ إيمان الناس كلهم سواء، وهذا تكذيب للقرآن؛ فليس إيمان الظالم لنفسه كإيمان السابق بالخيرات والمقتصد، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢].

وحقيقة الإيمان تصديق الله عَزَّوَجَلَّ فيما أخبر وطاعته فيما أمر.

قال تعالىٰ في صفة الكافر: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «فعُلم أنَّ التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإنَّ الناس عليهم أن يصدِّقوا الرسول ﷺ فيما أخبر،

(١) السياسة الشرعية (ص٧٦).

(٢) الإيمان (ص١٤٤).

(٣) الإيمان (ص١٤٥، ١٤٦).

ويطيعوه فيما أمر. وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾».

ونصوص القرآن والسُّنَّة تدل علىٰ أنَّه لا يثبت إيمان المرء بمجرد معرفة القلب وتصديقه.

إسلام المرء لا يثبت إلا بالإيمان والعمل الصالح، وانتفاء أضداده من نواقض الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال العلامة أبو بكر الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «إنَّ الله أوجب علىٰ المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنّه تعالىٰ لم يثن علىٰ المؤمنين بأنّه قد رضي عنهم، وأنَّهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدخول إلىٰ الجنَّة، والنجاة من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح».

وقال السلف في تفسير الإيمان: هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم، يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر».

---

(١) الشريعة (ص١١٤).

(٢) الإيمان (ص٢٠٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سُنَّة فهو بدعة».

مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ابن كلاب كان يقول: الإيمان هو التصديق والقول جميعًا».

وهذا قول باطل قطعًا؛ فإنَّ الإيمان في القلب إذا كان صحيحًا فإنّه يستلزم عمل الجوارح، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد**».

وقول مرجئة الفقهاء في حقيقته هو قول الجهمية المرجئة؛ فإنَّهم جعلوا الإيمان مجرد معرفة لا تستلزم عمل الجوارح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه؛ كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبَّادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أنَّ الإنسان لا يكون مؤمنًا إن لم يتكلَّم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أنَّ إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم، لكنَّهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم

(١) الإيمان (ص١٧٢).

(٢) الإيمان (ص٢٠٨).

(٣) الإيمان (ص١٩٣).

قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضًا؛ فإنَّها لازمة لها».

ومذهب مرجئة الجهمية في الأحكام؛ فرع عن قولهم في حقيقة الإيمان، فعطلوا نواقض الإسلام وأبطلوا أحكامها، حيث ظنوا أنَّ الإيمان مجرد معرفة القلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الكفر عندهم شيء واحد، وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب أو تصديقه».

والخوارج والمعتزلة قالوا: الإيمان قطعة واحدة، إما يبقىٰ كله أو يذهب كله. ولهذا يكفرون المسلمين بالمعاصي خصوصًا الكبائر، وغلاتهم يُكفرون بالصغائر.

ويقابل هؤلاء المرجئة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قالت المرجئة علىٰ اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة منه؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء؛ فيكون شيئًا واحدًا يستوي فيه البر والفاجر».

والصواب أنَّ الإيمان ذو شعب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. والذنوب من المعاصي لا تخرج من الإسلام، ولا يزول الإسلام عن المرء إلا بنواقضه من اعتقاد أو قول أو عمل.

فالمؤمن فاسق بمعاصيه، ليس بكافر كما يقول الخوارج والمعتزلة، وليس بكامل الإيمان كما يقول المرجئة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «الجهمية والمرجئة: فيقولون: إنَّه

---

(١) الإيمان (ص١٨٨).

(٢) الإيمان (ص٢٢١).

(٣) الإيمان (ص٢٥١).

كامل الإيمان».

وقال شيخ الإسلام(١): «قالت المرجئة جهميتهم وغير جهميتهم هو مؤمن كامل الإيمان، وأهل السُّنَّة والجماعة علىٰ أنَّه ناقص الإيمان».

نصوص الوحي تدل علىٰ أنَّه يجتمع في المسلم طاعة ومعصية، وإيمان وكفر أصغر لا يزيل الإيمان بالكلية.

قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»، متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» متفق عليه.

فالقتل كفر عملي لا يُخرج من الملَّة؛ لأن الله أثبت الإيمان للمقتتلين.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(٢): «طوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كراميهم وغير كراميُّهم؛ يقولون: إنَّه لا يجتمع في

---

(١) الإيمان (ص٣٤٣).

(٢) الإيمان (ص٣٤٢، ٣٤٣).

العبد إيمان ونفاق، ومنهم من يدَّعي الإجماع علىٰ ذلك. ومن هنا غلطوا فيه، وخالفوا الكتاب والسُّنَّة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع مخالفة صريح المعقول، بل طردوا هذا الأصل الفاسد، وقالوا: لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب، ولا يكون الشخص الواحد محمودًا من وجه مذمومًا من وجه».

فالواجب علىٰ المسلم محاذرة ضلال المرجئة، فإنّه من شرِّ المذاهب، من اعتقده قطعه عن العمل وصار كافرًا، وهو يظن أنَّه من المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّهم - الجهمية - غلطوا في ثلاثة أوجه:

أحدها: ظنهم أنَّ الإيمان الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب، كمحبة الله وخشيته.

والثاني: ظنُّهم أنَّ الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون العمل الظاهر، وهذا يقول به جميع المرجئة.

الثالث: قولهم: كل من كفَّره الشارع فإنَّما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

بدعة المرجئة حدثت بعد خروج عبد الرحمن بن الأشعث الكندي علىٰ بني أمية، كما قال قتادة[(٢)].

فالواجب رَدُّ البدعة بالسُّنَّة، فهذا من أسباب هداية الناس للحق، ومن أسباب حفظ الدين عن التَّحريف.

---

(١) الإيمان (ص٣٥١، ٣٥٢).

(٢) الإيمان (ص٣٨٠).

أمَّا رَدُّ البدعة بالبدعة فإنَّه تحريف للدِّين، ويزيد الفرقة في المسلمين، وهو من أسباب ضلال المسلمين.

قال الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رُدُّوا الجهالات للسُّنَّة».

الرافضة: كان الناس أُمَّة واحدةً في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حتىٰ قتل أبو لؤلؤة المجوسي الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر في المسلمين عبد الله بن سبأ الصنعاني اليهودي، فسعىٰ في فرقة المسلمين والتحريض علىٰ ولي أمر المسلمين؛ كيدًا للإسلام. وصار يسب الصحابة ويزعم موالاة آل البيت بالغلوِّ فيهم؛ ليتحزَّب إليه من يجهل حقيقة ما في دينه من الشرك، ومن يجهل حقيقة ما في دعوته من هدم الدين.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقلة الدين وقد زكاهم الله وعدّلهم في القرآن ورضي عنهم، والنبي ﷺ أمرهم بتبليغ الدين عنه، حيث قال في حجة الوداع: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» متفق عليه.

قال العلامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهم حجَّة الله علىٰ خلقه بعد رسوله ﷺ، يؤدُّون عن الرسول ﷺ ما أدىٰ إليهم؛ لأنه أمرهم بذلك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ذكر العلماء: أنّ الرفض أساس الزندقة، وأنَّ أول من ابتدع الرفض إنَّما كان منافقًا زنديقًا، وهو عبد الله بن سبأ؛ فإنَّه إذا قدح في السابقين الأوَّلين فقد قدح في نقل الرسالة، أو في فهمها، أو في اتباعها؛ فالرافضة تقدح تارة في علمهم بها، وتارة في اتباعهم لها».

(١) السُّنَّة (ص١٥).

(٢) نقض المنطق (ص٨٦، ٨٧).

ولا تزال السبئية متوارثة في أقوام من الرافضة، ففي غلاتهم في العصر الحديث من يزعم أنَّ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحيي ويميت، ومنهم من يزعم أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمت، وأنَّه يرجع إلىٰ الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جورًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أمَّا ما تقوله غلاتهم من إلهية عليٍّ أو نبوَّته، وغلط جبريل بالرسالة؛ فهو أعظم من أن يُذكر هنا.

ولا ريب أنَّ الشرك والغلوَّ يخرج أصحابه إلىٰ أن يجعلوا البشر مثل الإله، بل أفضل من الإله في بعض الأمور، كما ذكر الله عن المشركين حيث قال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦]».

وتسمية هذه الفرقة بالرافضة إنما هو للتعريف بهذه الفرقة التي اعتقدت هذه العقائد الباطلة من تكذيب القرآن والسنة، والكذب علىٰ سادات آل البيت، وتكفير الصحابة رضي الله عنهم ومعاداتهم ، ودعوىٰ عصمة الأئمة الاثنىٰ عشرية.

وتسمية هذه الفرقة بـ«الرافضة»؛ إنَّما هو للتمييز بينهم وبين مذهب آل البيت المتقدمين، وكان مبدأ تسميتهم بذلك عندما رفضوا زيد بن علي بن الحسين مع انتسابهم لآل البيت، بسبب موالاته لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فرفض الرافضة إمامته؛ فسمُّوا لأجل ذلك بـ«الرافضة».

وتُطلق الرافضة علىٰ فرقة خاصة من فرقهم وهم الهشامية أتباع شيخ الإمامية هشام بن الحكم، قال العلامة أبو الحسين أحمد بن محمد الملطي

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ٣٩٥).

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٧هـ)(١): «الهشامية هم الرافضة الذين روي فيهم الخبر عن رسول الله ﷺ أنّهم يرفضون الدين، وهم مشتهرون بحب عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما يزعمون، وكذب أعداء الله وأعداء رسوله وأصحابه، وإنَّما يحب عليًّا من يحب غيره، وهم أيضًا ملحدون؛ لأنَّ هشامًا كان ملحدًا دهريًّا، ثم انتقل إلىٰ الثنوية والمانوية، ثم غلبه الإسلام فدخل في الإسلام كارهًا، فكان قوله في الإسلام بالتشبيه والرفض».

تشيُّع المسلمين لسيِّد أهل البيت وقرابته من الصحابة المرضيين والتابعين لهم بإحسان هذا دين، موالاة شرعية من غير غلوٍّ.

قال النبي ﷺ: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»، قالها ثلاثًا، رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لا تُنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم؛ فإنَّهم من ذريَّةٍ طاهرة، من أشرف بيت وُجد علىٰ وجه الأرض، فَخْرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متَّبعين للسنَّة النبويَّة الصحيحة الواضحة الجليَّة، كما كان عليه سلفهم، كالعبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبنيه، وعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأهل ذريَّته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

أكذوبة الرافضة العظمىٰ دعواهم أنّهم يتلقون دينهم عن نائب المعصوم الذي ليس له وجود في الحقيقة، فلا علم بما يقوله ويأمر به، إلا ما يفتريه ويدعيه من يتأكَّلون بآل بيت النبي ﷺ بما ينسبونه من الكذب إلىٰ نائب المعصوم، وفي

---

(١) التنبيه والرَّدُّ علىٰ أهل الأهواء والبدع (ص٣٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٨).

اصطلاح الرافضة المعاصر يسمونه وليّ الفقيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «جزموا بطاعتهم لمن يُدَّعىٰ أنَّه نائب المعصوم، والمعصوم لا عين له ولا أثر، أعظم وأعظم، فإنَّ الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدُّون عن سبيل الله».

ولاية الفقيه أظهر عقائد الرافضة كفرًا، وأبينها كذبًا، وأشدُّها ضلالة، فإن كان ما يقولونه حقًّا فليظهروا الفقيه ونائبه ليهتدي به الناس جميعًا. حقيقة ولاية الفقيه مضاهاة النبوَّة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا نبي بعدي**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فمن أوجب طاعة مخلوق في كل ما يقوله، أو زعم أنَّ مخلوقًا يُبلِّغ عن الله؛ فقد أعطاه معنىٰ النبوة، والله المستعان.

تشيُّع الاثني عشرية اليوم لآل البيت مُزيف، فهم كما رأيت مخالفون لدين واعتقاد سيِّد آل البيت محمد ﷺ، ومخالفون لسادات آل البيت المتقدِّمين؛ فهناك فرق بين اعتقاد الرافضة واعتقاد آل البيت. فأولىٰ الناس بآل البيت هو من وافق اعتقادهم ومنهجهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وما أوقعه الرافضة من تحريف دين آل البيت؛ يوجب علينا تنقية مذهب آل البيت من الكذب والتحريف، وتبيين صحيح اعتقادهم ودينهم.

قال العلامة يحيىٰ بن محمد بن هُبَيْرَة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٦٠هـ)**(٢): «والله ما نترك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع الرَّافضة، نحن أحق به

---

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (ص١٧٤).

(٢) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٣).

منهم؛لأنّه مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُ».

الرافضة يزعمون أنَّ آل البيت عندهم مصحف فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ليس عند المسلمين من مصحفهم إلا ثلث مصحف فاطمة، وعليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفىٰ ذلك.

عن أبي جُحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سألت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل عندكم شيء ليس في القرآن؟ وقال مرَّةً: ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبَّة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهمًا يُعطىٰ رجل في كتابه، وما في الصحيفة.

قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأنْ لا يُقتل مسلم بكافر[1].

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «فيه إبطال ما يخترعه الرافضة والشيعة من قولهم: إنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصىٰ إليه النبي ﷺ بأسرار العلم، وقواعده، وعلم الغيب، ما لم يطَّلع عليه غيرهم. وهي دعاوىٰ باطلة، واختراعات فاسدة لا أصل لها».

وعليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه أثنىٰ علىٰ جمع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المصحف، المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]: «لو لم يصنعه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لصنعته».

وعن سويد بن غفلة قال: قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]: «لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصحف إلا عن ملأ منا».

ولي أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة خمس سنوات وبضعة أشهر، ولم يظهر إلا المصحف العثماني.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدّيات، باب العاقلة (ص١١٩٠، رقم ٦٩٠٣).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٥٦١).

(٣) المصاحف (١/ ١٧٧).

(٤) رواه ابن أبي داود في المصاحف، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناد صحيح»، فتح الباري (٩/ ١٨).

قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «مما يُبيِّنُ كذبَ الرَّوَافض في ذلك أنَّ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبيٌّ ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم، مفترضة طاعته؛ وَلِيَ الأمر ومَلَكَ، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفةً مطاعًا، ظاهر الأمر، ساكنًا بالكوفة، مالكًا للدُّنيا، حاشا الشام ومصر والفُرَات، والقرآن يُقْرَأُ في المساجد وفي كل مكان، وهو يَؤُمُّ النَّاسَ به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأىٰ فيه تبديلًا - كما تقولُ الرَّافِضَةُ - أكان يُقِرُّهُمْ علىٰ ذلك؟».

وقال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطَّة العُكبُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**(٢): «حسبك من البراهين النيرة، والدلائل الواضحة، والحُجج الظاهرة التي أعربت عن نفسها، فأغنت عن شرحها: أنَّ مصحف عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أيام حياته ومن بعد وفاته به وبما فيه كان يَقرأ عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو وأولاده، وأهل بيته، وأصحابه، ما غيَّر منه حرفًا، ولا قدَّم منه مؤخَّرًا، ولا أخَّر مُقدَّمًا، ولا أحدث فيه شيئًا، ولا نقص منه شيئًا، ولا قال ذلك، ولا فعله أحد من أهل بيته، ولا من أصحابه، لكنَّهم كلهم مجمعون علىٰ القراءة بما في مصحف عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وما زالوا بذلك وعلىٰ ذلك حتىٰ فارقوا الدنيا رحمة الله عليهم.

فمن ادَّعىٰ عليهم غير ذلك؛ فقد كذب، وأثم، واختلق الزور والبهتان، وقال ما يعلم أهل الإسلام جميعًا إحالته فيه، والله حسيبه، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

تشيُّع الاثني عشرية اليوم؛ ضغائن للسابقين الأولين وتكفير للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢١٦، ٢١٧).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٥٧٣، ٥٧٤).

الرافضة يأتون إلىٰ من جعلهم الله أعلامًا للإسلام والدين، ويجعلونهم أئمة الكفر، عافانا الله من ظلمهم وتكذيبهم للقرآن.

قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩]. والصحيح المنقول عن سادات آل البيت؛ تزكية الصحابة عمومًا، والثناء علىٰ الخلفاء الثلاثة خصوصًا، بل وتفضيلهم علىٰ أنفسهم.

قال سيد آل البيت محمد ﷺ في الصحابة: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نُخيرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنُخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»، رواه البخاري.

وهذا إجماع من الصحابة رضي الله عنهم وفيهم عليٌّ رضي الله عنه، وبإقرار من النبي ﷺ، علىٰ تفضيل الخلفاء الثلاثة علىٰ بقية الأخيار من الصحابة.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما(١): «أصحاب محمد ﷺ؛ كانوا علىٰ أحسن طريقة، وأَقْصَد هِداية، معدن العلم، وكنز الإيمان، وجُنْدَ الرحمن».

وقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه للفاروق رضي الله عنه: «ما خلَّفت أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك» رواه البخاري.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان عثمان رضي الله عنه أوصلنا للرحم، وكان من

---

(١) مختصر تفسير البغوي (ص٤٦٧).

الذين آمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين»(١).

وقال عروة بن عبد الله لأبي جعفر الصَّادق: تسمِّي أبا بكر الصدِّيق؟ فقال: سمَّاه رسول الله ﷺ الصدِّيق، فمن لم يسمِّه الصديق فلا صدَّق الله قوله في الدنيا والآخرة(٢).

الرافضة ينتسبون لآل البيت، وآل البيت المتقدمون بريئون من إفكهم وكذبهم عليهم خصوصًا ما كان ذريعة لأكل أموال الناس بالباطل، فآل البيت المتقدمون لم يكن فيهم من يأخذ الخمس من المسلمين، وإنَّما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يخمِّسون ما يغنمونه من أموال الكفار في الجهاد.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أما ما يقوله الرافضة من أنَّ خُمس مكاسب المسلمين يُؤخذ منهم ويُصرف إلىٰ من يرونه هو نائب الإمام المعصوم أو إلىٰ غيره؛ فهذا قول لم يقله قط أحد من الصحابة: لا عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولا غيره، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من القرابة: لا بني هاشم ولا غيرهم. وكل من نقل هذا عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أو علماء أهل بيته؛ كالحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعليّ بن الحسين وأبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد رحمهم الله؛ فقد كذب عليهم.

فإنَّ هذا خلاف المتواتر من سيرة عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنّه قد تولَّىٰ الخلافة أربع سنين

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٥٠٥).

(٢) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٣٥٢).

(٣) منهاج السُّنَّة (٦/ ١٠٥، ١٠٦).

وبعض أخرىٰ، ولم يأخذ من المسلمين من أموالهم شيئًا، بل لم يكن في ولايته قط خُمس مقسوم.

أما المسلمون فما خمَّس لا هو ولا غيره أموالهم، وأما الكفَّار فإذا غُنمت منهم الأموال خُمِّست بالكتاب والسُّنَّة، لكن في عهده لم يتفرغ المسلمون لقتال الكفَّار؛ بسبب ما وقع بينهم من الفتنة والاختلاف.

وكذلك من المعلوم بالضرورة أنَّ النبيَّ ﷺ لم يخمِّس أموال المسلمين، ولا طالب أحدًا قط من المسلمين بخمس ماله، بل إنَّما كان يأخذ منهم الصَّدقات، ويقول: «**ليس لآل محمد منها شيء**».

ضجَّ آل البيت من غلوِّ الرَّافضة فيهم، ونهوهم وزجروهم عن ذلك، ونفوا ما ينسبونه من الكذب إليهم.

قال عمرو بن الأصَم للحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ هذه الشِّيعة يزعمون أنَّ عليًّا مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشِّيعة، لو علمْنا أنَّه مبعوث ما زوَّجْنا نساءه، ولا قسمنا ماله(١).

وقال الفضيل بن مرزوق: سمعت الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لرجل ممن يغلو فيهم: وَيْحكم! أحبُّونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. قال: فقال له الرَّجل: إنَّكم ذو قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته.

فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منَّا؛ أباه وأمَّه، والله إنِّي لأخاف أن يضاعف للعاصي منَّا

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٠).

العذاب ضعفين، والله إني لأرجو أن يؤتىٰ المحسن منا أجره مرَّتين. ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمَّهاتنا إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يُرَغِّبونا فيه.

الشيعة يزعمون أنَّ الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ ظلموا عليًّا رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بتقديم واختيار أبي بكر الصِّديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ خليفة لرسول الله ﷺ، وعليُّ بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ نفسه أخبر أنَّ النبي ﷺ لم ينص عليه بالخلافة.

قال عبد الله بن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا: إنَّ عليَّ بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي تُوفِّيَ فيه، فقال النَّاس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا. فأخذ بيده العباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، فقال: ألا تراه أنت! والله إنِّي لأُرَىٰ رسول الله ﷺ سيتوفىٰ في وجعه، وإنِّي لأعْرِفُ في وجوه بني عبد المُطَّلب الموْتَ، فاذهب بنا إلىٰ رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا فأوْصىٰ بنا.

قال عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: والله لَئِنْ سألناها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يُعْطِيناهَا الناس أبدًا، وإنِّي لا أسألها رسول الله ﷺ أبدًا[(١)].

وعليُّ بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بايع الصدِّيق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ خليفةً لرسول الله ﷺ، بل وكان يذكر الدليل عن النبي ﷺ في أحقيته بالخلافة.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: «قدَّم رسول الله ﷺ أبا بكر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، فَصَلَّىٰ بالنَّاس، وقد رأىٰ مكاني، وما كنت غائبًا ولا مريضًا، ولو أراد أن يُقَدِّمَني لقَدَّمَني، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المعانقة، وقول الرَّجل: كيف أصبحت (ص١٠٩١، رقم ٦٢٦٦).

(٢) الشريعة (٣/ ٦٠).

الرافضة يُفضلون عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الصدِّيق والفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا مما أنكره أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب علىٰ الرافضة.

قال محمد بن الحَنَفِيَّة: قلت لأبي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أَبَتِ، من خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقال: يا بُنَيَّ، أوما تعرف؟! فقلت: لا، فقال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثم عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري.

وروي عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نحو ثمانين وجهًا وأكثر أنَّه قال علىٰ منبر الكُوفة: خير هذه الأُمَّة بعد نبيها: أبو بكر، وعمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كل شيعة عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذين صحبوه؛ لا يُعرف عن أحد منهم أنَّه قَدَّمه علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لا في فقه، ولا علم، ولا غيرهما، بل كل شيعته الذين قاتلوا معه عَدُوَّهُ كانوا مع سائر المُسْلمين يُقَدِّمُونَ أبا بكر وعمر، إلا من كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْكِرُ عليه ويَذُمُّهُ، مع قلتهم في عهد عليٍّ وخمولهم، كانوا ثلاثَ طوائف: طائفة غلت فيه؛ كالتي ادَّعَتْ فيه الإلهية، وهؤلاء حَرَّقهم عليٌّ بالنار.

وطائفة كانت تَسُبُّ أبا بكر، وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلمَّا بلغ عليًّا ذلك طلب قتله فهرب منه.

وطائفة كانت تُفَضِّلُهُ علىٰ أبي بكر وعمر، قال: لا يبلغني عن أحد منكم أنَّه فضلني علىٰ أبي بكر وعمر؛ إلا جَلَدْتُهُ حَدَّ المفتري».

تشيُّع الاثني عشرية اليوم تعظيم للقبور والمشاهد، وحج إليها، وعكوف

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٦-٤٠٨).

عليها بسؤال الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات.

اتخاذ الأولياء وسائط في دعاء الله، أو دعاؤهم وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله؛ هذا شرك الأولين الذي نهانا الله عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

هذا الغلو في الموتىٰ سببه الجهل والتقليد، فقد وجد العامة قومهم مقيمين علىٰ دعاء الموتىٰ فتابعوهم في الشرك.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤].

فالتقليد بالباطل سبب الغلو في الموتىٰ، الذي هو من أسباب الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «بدعة التشيُّع التي هي مفتاح باب الشرك».

الغلو في الموتىٰ والقبور هذا مما شابهت فيه الصوفية والرافضة اليهود والنصارىٰ، والحديث في النهي عن ذلك من رواية أهل البيت، وهو من آخر ما حذَّر النبي ﷺ أمته.

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** لما نُزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتَمَّ بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ! اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، رواه البخاري ومسلم.

الرَّافضة من أشد الناس غلوًّا في القبور والموتىٰ، وهم في ذلك من أشد النَّاس مخالفة لآل البيت في النهي عن الغلو في ذلك.

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لأبي الهياج الأسدي:** ألا أبعثك

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٦١).

علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**ألا تدع قبرًا مُشْرفًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا طمسته**» رواه مسلم.

ورأىٰ عليُّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها، فنهاه، فقال: ألا أُحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإنَّ تسليمكم يبلغني أينما كنتم**».

وكذلك الحسن بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] رأىٰ سهيل بن أبي سهيل عند القبر، فناداه وهو في بيت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يتعشىٰ، فقال: هلُمَّ إلىٰ العشاء، فقلت: لا أريده، قال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت علىٰ النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم عليه، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا عليَّ إنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**».

قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فانظر هذه السُّنَّة، كيف مخرجها من أهل المدينة، وأهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من رواية علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابنه الحسن، وابني ابنتيه علي بن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن شيخ بني هاشم في زمانه، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبو يعلىٰ (١/ ٣٦١ – رقم ٢٠٩)، وصححه الضياء المقدسي في المختارة، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو يعلىٰ (١/ ٣٦١ –رقم ٢٠٩)، وله شاهد عند أحمد (٢/ ٣٦٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الأحاديث معروفة عند أهل العلم جاءت من وجوه حسان يصدق بعضها بعضًا» الإخنائية (ص٣٤٦).

(٣) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي (ص١٩٨).

الاثنا عشرية اليوم حصروا تلقي الدين عن سادات آل البيت، وقد تلقَّاه سادات آل البيت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

سادات آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اتخذوا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرجعًا لهم وللمسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال حبر الأُمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هاديًا الخوارج لأسباب إدراك الحق، والانتهاء عن الضلالة: «أتيتكم من عند أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد»، رواه الحاكم.

وقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرعيته: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإنِّي أكره الاختلاف» رواه البخاري.

والآثار الصحيحة عن سادات آل البيت في تلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كثيرة معلومة، من ذلك قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «حدثني رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر، أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن الصلاة بعد الفجر حتىٰ طلوع الشمس، ونهىٰ عن الصلاة بعد العصر حتىٰ غروب الشمس» رواه البخاري ومسلم.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جعلهم الله مرجعًا للمسلمين، وتوعَّد الله من تولىٰ عن تلقي الدين عنهم بجهنم، فقال سبحانه: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾ [النساء: ١١٥].

الله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه في اتباع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والموجب لتلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو تلقيهم له عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صافيًا من كدر البدع والضلالات وسوء الأفهام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأُمَّة، التي هي خير أُمَّة أُخرجت للناس، وهم تلقوا الدِّين عن النبي ﷺ بلا واسطة؛ ففهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاهًا، ما لم يحصل لمن بعدهم».

الاثنا عشرية اليوم يوالون آل البيت، ويعادون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين إلا أربعة نفر.

وقد كان سادات آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يوالون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

قال عبد الملك بن أبي سليمان لمحمد بن علي - ابن الحنفية -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]، قال: هم أصحاب النبي ﷺ.

قلت: إنّهم يقولون: هو عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: عليٌّ منهم[(٢)].

والرافضة جعلوا موالاة أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في البراءة من الخلفاء الثلاثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وفارقوا بذلك عقيدة ومنهج أمير المؤمنين في موالاة الخلفاء قبله وصار الرافضة يُسمون من لم يبرأ من الخلفاء الثلاثة ناصبيًّا ظلمًا وزورًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «تسميتهم - الرافضة - لمن أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ناصبيًّا بناء علىٰ اعتقادهم؛ فإنّهم لما اعتقدوا أنّه لا ولاية لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلا بالبراءة من هؤلاء؛ جعلوا كل من لم يتبرأ من هؤلاء ناصبيًّا».

وشيخ الرافضة هشام بن الحكم زعم أنَّ إمامة عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ منصوصة، وأنَّ الصحابة كفروا وارتدُّوا بتقديم أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبيعته.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٦).

(٣) منهاج السُّنَّة (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨).

قال العلامة أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٧٧هـ) فيما زعمه هشام بن الحكم الرافضي**[١]: «أنَّه - عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - معصوم، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نصبه للخلق إمامًا؛ لكي لا يهملهم، وأنَّ المنصوص علىٰ إمامته كالمنصوص علىٰ القبلة وسائر الفرائض، وأنَّ الأمة بأسرها من الطبقة الأولىٰ بايعوا أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكفروا وارتدوا».

ولا يخفىٰ ما في هذا القول من تجهيل عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتكفيره؛ فإنّه أخبر العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صدقًا من غير تقيَّة أنَّ النبي ﷺ لم يعهد إليه بالخلافة، ولذلك بايع أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الرافضة دينهم التقية، فيُظهرون خلاف ما يبطنون، اتخذوا ذلك دينًا، وزعموا كذبًا أنَّ هذا دين آل البيت، وقد برأهم الله من ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويكذبون علىٰ جعفر الصادق أنّه قال: «التقيةُ ديني ودين آبائي»، وقد نزَّه الله أهل البيت عن ذلك، ولم يحوجهم إليه، فكانوا من أصدق الناس، وأعظمهم إيمانًا، فدينهم التقوىٰ لا التقية».

الرافضة من أجهل الناس، يشينون آل البيت بما ينسبونه إليهم من الكذب، وإنَّما ينسبون إلىٰ آل البيت كذبهم ليروج مذهبهم علىٰ العامة؛ لما في نفوس العامة من حب آل البيت.

حاشا آل البيت أن يكون مذهبهم النفاق، فإنَّ أساس الدين الذي يُبنىٰ عليه

(١) التنبيه والرَّد علىٰ أهل البدع والأهواء (ص٣٧).

(٢) المُنْتقىٰ من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (ص٧٣).

هو الصدق، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وبسبب ضلال الرافضة فيما توهموه في سادات آل البيت من قولهم بالتقية، صاروا لا يدرون حقيقة ما يقولون، أعن دين أم تقية! وسادات آل البيت ينكرون عليهم ذلك.

قال الحسن بن صالح: سألت جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير.

قلت: لعلك تقول ذاك تقية!!

فقال: أنا إذًا من المشركين، ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بحبهما، ولكن قومًا يتأكلون بنا الناس[1].

وقال أبو خالد الأحمر: سألت عبد الله بن حسن عن أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: صلىٰ الله عليهما، ولا صلىٰ علىٰ من لم يصل عليهما[2].

وقال حفص بن قيس: قلت لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد! إنَّ ناسًا يقولون: إن هذا منكم تقية. فقال لي، ونحن بين القبر والمنبر: اللهم إنَّ هذا قولي في السرِّ والعلانية، فلا تسمعن قول أحد بعدي. ثم قال: هذا الذي يزعم أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان مقهورًا، فإنَّ رسول الله ﷺ أمره بأمره ولم ينفذه، فكفىٰ هذا إزراءً علىٰ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومنقصة أنَّه يزعم أنَّ رسول الله ﷺ أمره بأمر فلم ينفذه[3].

---

(١) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة (ص١٨٥، ١٨٦ - رقم ٢٢٦).

(٢) الحُجَّة في بيان المحجة (٢/ ٣٥٣).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجة (٢/ ٣٥٣).

الرافضة اعتقدوا في أئمتهم الاثني عشر العصمة، كالأنبياء، وزعموا أنَّ الله فرض تلقي الدِّين عنهم دون غيرهم لعصمتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قولهم: «الأئمة معصومون كالأنبياء»؛ فهذه خاصَّةُ الرافضة الإمامية، التي لم يشركهم فيها أحد - لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين -، إلا من هو شرٌّ منهم كالإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين إلىٰ محمد بن إسماعيل بن جعفر، القائلين بأن الإمامة بعد جعفر في محمد بن إسماعيل دون موسىٰ بن جعفر، وأولئك ملاحدة زنادقة».

وسادات آل البيت الذين زعم الاثنا عشرية حصر تلقي الدين عنهم؛ كانوا يتلقون الدين عن سادات الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكفىٰ بهذا دلالة علىٰ إبطال قول الرافضة من فعل سادات آل البيت أنفسهم.

وهل يجهل أحد أنَّ عامة علم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تلقاه عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القوم المذكورون إنَّما كانوا يتعلمون حديث جدهم من العلماء به كما يتعلَّم سائر المسلمين، وهذا متواتر عنهم».

وسادات آل البيت لم يدَّعوا العصمة لأنفسهم، فإنّهم رجعوا عمَّا أخطأوا فيه، سواء ما تبين لهم خطؤه بخاصة أنفسهم، أو بما نصحهم فيه غيرهم.

فقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما علىٰ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه تحريق الغلاة فيه بالنار، وقال: لو كنت أنا لم أُحرِّقْهم، لأنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تعذِّبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بدَّلَ دينه فاقتلوه**»[٣].

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٤٥٢)، المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (ص٩٣).

(٢) منهاج السُّنَّة (٢/ ٤٥٤).

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعذَّب بعذاب الله (ص٤٩٨، رقم ٣٠١٧).

والرافضة يزعمون العصمة للأئمة الاثني عشر، وهم يتدينون بما يدلُّ علىٰ تخطئتهم وعدم عصمتهم؛ فإنَّهم يُكفِّرون عامة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خصوصًا من قاتل عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفئته من أهل الشام، وقد حكم بإسلامهم سيد آل البيت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعه في ذلك حفيده الحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين**» رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن كان أهل صفين مرتدِّين؛ كيف جاز للإمام المعصوم عندكم، وهو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن ينزل عن الخلافة ويسلمها إلىٰ مرتدٍّ؟!».

في غلاة الرافضة الحلولية من يزعم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حلَّ في أئمتهم، وهذا من أعظم الكفر الذي حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات، حيث قال[2]: «من الغالية من يزعم أنَّ روح القُدُس هو الله، كانت في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم في عليٍّ، ثم في الحسن، ثم في الحسين، ثم في عليِّ بن الحسين، ثم في محمد بن عليٍّ، ثم في جعفر بن محمد، ثم في موسىٰ بن جعفر، ثم في علي بن موسىٰ بن جعفر، ثم في محمد بن علي بن موسىٰ، ثم في عليِّ بن محمد بن عليِّ بن موسىٰ، ثم في الحسن بن عليِّ بن محمد بن عليٍّ، ثم في محمد بن الحسن بن عليِّ بن محمد».

وليس للرافضة حُجَّة فيما زعموه من عصمة الأئمة، لكنَّهم قالوا به لمصلحة التكليف واللطف بالمكلفين.

---

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (ص٢٨٦).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص١٤)، منهاج السنة (٢/ ٥٠٩).

ومصلحة الخلق في دينهم ودنياهم، وفي تكليفهم واللطف بهم؛ إنَّما هو باتباع القرآن والسُّنَّة، ولزوم كمال الدين واجتناب الابتداع والتحريف والزيادة فيه، فلم يقبض الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ إلا وقد بلَّغ البلاغ المبين، وأقام الله به الحجة علىٰ خلقه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ دعوىٰ العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة، إلا ما ادَّعاه من أنَّه يجب علىٰ الله أن يجعل للناس إمامًا معصومًا؛ ليكون لطفًا ومصلحة في التكليف. وقد تبيَّن فساد هذه الحجة من وجوه، أدناها أنَّ هذا - أي: اللطف والمصلحة - مفقود لا موجود؛ فإنَّه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة، ولو لم يكن في الدليل علىٰ انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد عُلم بصريح العقل أنَّه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف؛ لكان هذا دليلًا علىٰ بطلان قولهم».

ولا عصمة لأحد فيما يُبلِّغه عن الله عَزَّوَجَلَّ إلا رسول الله ﷺ، فهو الذي أمر الله المؤمنين بطاعته في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وسائر الخلق من الأمراء والعلماء طاعتهم تبع لاتباعهم رسول الله ﷺ، فالطاعة في المعروف، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر صنفان كما قال الإمام أحمد: الأمراء والعلماء.

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (ص١٨٧).

من أجل ذلك ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ أحبار اليهود والنصارىٰ ومن أطاعهم فيما حرَّم الله، وهذا مما شابهت فيه الرافضة اليهود، قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

وسادات آل البيت العلماء المتقدمون؛ هم أسوة أمثالهم من علماء المسلمين، يُقتدىٰ بهم فيما يُبلغونه من الدِّين الحق، ويتلقىٰ عنهم ذلك بحسب ما يؤدونه إلىٰ الناس بما صح عنهم ودلَّ عليه الدليل من القرآن والسُّنَّة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

الأئمة الاثنا عشرية ليس فيهم من أدرك النبي ﷺ إلا عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتلقي الدين عمن أدرك النبي ﷺ هو الحُجَّة والعمدة، وعنهم تلقاه من بعدهم من القرابة وغيرهم.

ومن أدرك النبي ﷺ من القرابة وهو غلام وتلقَّىٰ الدين عنه وعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حبر الأُمَّة عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ليس في هؤلاء - الاثني عشر - من أدرك النبي ﷺ وهو مميِّز إلا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الثقة الصدوق فيما يُخبر به عن النبي ﷺ، كما أنَّ أمثاله من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثقات صادقون فيما يُخبرون به عن النبي ﷺ، وأصحاب النبي ﷺ - ولله الحمد - من أصدق الناس حديثًا عنه».

كُلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ، إلا رسول الله ﷺ، الصحابة من قرابة رسول الله ﷺ والصحابة من غير قرابته؛ فكيف بمن بعدهم؟!

---

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ٤٥٦).

العصمة في إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّ الأُمَّة لا تجتمع علىٰ ضلالة.

النبي ﷺ أوصىٰ عند اختلاف أمته باتباعه وما أجمع عليه الصحابة، فقال في تمييز الحق من الباطل في اختلاف الفرق: «**كلها في النار إلا ما أنا عليه وأصحابي**».

وقال النبي ﷺ موصيًا أمَّته في حجة الوداع: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي» رواه مسلم.

قال العلامة أبو سليمان حَمد بن محمَّد الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قيل في العترة: إنَّه أراد بها أصحابه، الذين هم حُمَّال الأثر، وحُفَّاظ السُّنَن».

ومن جهة الواقع فإن الإمامية من أشد الناس مخالفة لإجماع العترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «أما الإمامية فلا ريب أنّهم متفقون علىٰ مخالفة إجماع العترة النبوية مع مخالفة إجماع الصحابة، فإنّه لم يكن في العترة النبوية - بني هاشم - علىٰ عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من يقول بإمامة اثني عشر ولا بعصمة أحد بعد النبي ﷺ، ولا يكفر الخلفاء الثلاثة، بل ولا من يطعن في إمامتهم، بل ولا من ينكر الصفات، ولا من يكذِّب بالقدر، فالإمامية بلا ريب متفقون علىٰ مخالفة العترة النبوية، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة».

فالمقصود أن العصمة لمجموع الأمة، لا لآحادهم، وإجماعهم تجده عن نص من الوحي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «الله تعالىٰ إنَّما جعل العصمة للمؤمنين

---

(١) غريب الحديث (٢/ ١٩٢).

(٢) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (ص١٦٧).

(٣) النبوات (١/ ٥٩٢).

من أُمَّة محمد ﷺ، فهم الذين لا يجتمعون علىٰ ضلالة ولا خطأ، كما ذُكر علىٰ ذلك الدلائل الكثيرة. وكل ما اجتمعوا عليه فهو مأثور عن الرسول ﷺ، فإنَّ الرسول ﷺ بيَّن الدين كله، وهم معصومون أن يُخطئوا كلهم، ويضلوا عما جاء به محمَّد ﷺ، بل هم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلا يبقىٰ معروف إلا أمروا به، ولا منكر إلا نهوا عنه.

وهم أمة وسط، عدل خيار، شهداء الله في الأرض، فلا يشهدون إلا بحق، فإجماعهم هو علىٰ علم موروث عن الرسول ﷺ، جاء من عند الله، وذلك لا يكون إلا حقًّا».

الخلفاء الراشدون لهم سُنَّة متَّبعة، وهذا من أمر رسول الله ﷺ باتباعهم فيما ليس فيه نص شرعي.

عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه.

والقول بعصمة الأئمة الاثني عشر بعد النبي ﷺ، وأنَّ الحُجَّة في قولهم دون من سواهم؛ ظاهر البطلان؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أقام الحجة علىٰ خلقه برسوله محمد ﷺ خاتم الرسل.

قال العلامة أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٧٧هـ)[١]: «يُقال لهم: أخبرونا عن قول الله تعالىٰ وتبارك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، هل أكمل الله دينه في حياة رسول الله أو بعده؟ أو اليوم

(١) التنبيه والرَّد علىٰ أهل الأهواء والبدع (ص٣٨، ٣٩).

الذي أنزل هذه الآية؟

فإن قالوا: لا، ما أكمل الله دينه قط؛ ظهر جهلهم وكفرهم.

وإن قالوا: بل أكمل الله لهم الدين، وأتمَّ عليهم النعمة في حياة النبي ﷺ، فلما مات النبي ﷺ غيروا وبدلوا وخذلهم الله ونُسخ القرآن منهم، وسلبهم الدين.

يُقال لهم: هذا دعوىٰ منكم بلا حجة، ما غُيِّر ولا بُدِّلَ من الدين والكتاب والسُّنَّة شيء، بل هو علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ في حياته».

وسفسطة الرَّافضة هذه مغالطة في الواقع، وجحود لفضل من كان السبب في إسلام الناس في المعمورة كلها.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا السبب في إسلامنا؛ فإنَّهم الذين جاهدوا في أول الأمر حتىٰ يكون الدِّين كله لله، ويُعبد الله وحده، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ علىٰ ذلك، وقد عرف لهم النبي ﷺ سيد آل البيت فضلهم في ذلك.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - وهو من سادات آل البيت -: حدَّثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لمَّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة، ثم مَدَّ يَدَيْه فجعل يهتف بربِّه: «**اللهم، أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إنْ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**» رواه البخاري ومسلم.

فالصحابة رضي الله عنهم بهم قام الإسلام، بجهادهم ودعوتهم وأدائهم الدين للناس، وبهم قام الإسلام بحفظ شرائعه بالعمل به وإظهاره وتعليمه، والحكم به.

وبعد وفاة النبي ﷺ جاهد الصحابة رضي الله عنهم من ارتد من العرب حتىٰ أعادوهم إلىٰ الإسلام، ومن بقي علىٰ ردته أبعده الله، فالصحابة رضي الله عنهم هم الذين حفظوا

بيضة الإسلام واستنقذوا الناس من شرور الردَّة.

قام الصحابة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُمْ بعد ذلك بالدعوة إلىٰ الله في الأمصار، وبالجهاد في سبيل الله، حتىٰ ظهر أمر الله في مشارق الأرض ومغاربها.

قال العلامة أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٧٧هـ)**(١): «قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فكان أبو بكر الصديق رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ والذين معه رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ قاتلوا أهل الرِّدَّة حتىٰ رجعوا إلىٰ الدين بعد وفاة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور: ٥٥]، فمكَّن بحمده بعد وفاة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خلفاءه وأمته في أرضه، يعبدونه لا يشركون به شيئًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

فكيف قلتم - الرافضة - إنَّ الأمة كفرت بعد رسولها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وارتدت وغيَّرت وبدَّلت، والله أظهر بهم حجَّته علىٰ الأديان كلها، فما من دين إلىٰ يوم القيامة إلا والإسلام ظاهر عليه، وقد ظهر عليه، وأكد حجته عليه، كما قال عَزَّوَجَلَّ».

فالعلم بظهور الإسلام بالصحابة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لا ينكره إلا زنديق منافق، يُزيف الواقع بسبب ضغائن كفره ضد خير الناس.

---

(١) التنبيه والرَّد علىٰ أهل الأهواء والبدع (ص٣٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هم - الصحابة - كانوا السبب في بلوغ الإسلام إلينا، وفي تعليم كل خير وهدًىٰ وسبب تُنال به السعادة والنجاة.

وهم أعدل الأمَّة فيما وَلُوه، وأعظمها جهادًا في سبيل الله. والأمَّة في آثار علمهم وعدلهم وجهادهم إلىٰ يوم القيامة، فلا ينال أحد منهم مسألة علم نافعٍ إلا علىٰ أيديهم، ومن طريقهم ينالها، ولا يسكن بقعةً من الأرض آمنًا إلا بسبب جهادهم وفتوحهم، ولا يحكم إمام ولا حاكم بعدل وهدًىٰ إلا كانوا هم السبب في وصوله إليه. فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف، والقلوب بالإيمان، وعمروا البلاد بالعدل، والقلوب بالعلم والهدىٰ، فلهم من الأجر بقدر أجور الأمَّة إلىٰ يوم القيامة مضافًا إلىٰ أجر أعمالهم التي اختصُّوا بها».

❁ ❁ ❁

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٧٨٨، ٧٨٩).

❁ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما بالنسبة إلىٰ إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع، فليس بمذموم؛ فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

❁ الشَّرْح:

اختلاف التنوع هو الذي دلَّ الدليل من الكتاب والسُّنَّة علىٰ كل أنواعه، هذا الاختلاف رحمة، أما اختلاف التضاد فهو شر.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّه قال: سمعت رجلًا قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلىٰ رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «**كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**» رواه البخاريُّ.

ولا شك أن الله - عَزَّوَجَلَّ - قضىٰ كونًا، وأراد الاختلاف، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وكما قال النبيُّ ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**»(١).

وكما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه.

وبعض الجُهَّال يستدل ببعض الأدلة علىٰ وجوب التسليم والإذعان للاختلاف؛ لأن الله أراده! وهذا يلتبس علىٰ من لا يفرِّق بين ما أراده الله وقضاه

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصححه ابن حجر في تخريج مختصر ابن الحاجب (١/ ١٣٧).

كونًا، وما أراده وقضاه شرعًا.

فالخلاف مما قضاه الله وأراده كونًا لحكمة بالغة؛ حتىٰ يتميز المتبع من المبتدع، ويقوم المتبع بمجاهدة المبتدع بالحجة والبيان.

فالخلاف كالكفر باعتبار إرادة الله له كونًا؛ فالله لا يحبُّه، ولكنه سبحانه شاءه وأراده إرادة كونية قدرية.

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وقد نصَّ - تعالىٰ - علىٰ أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنىٰ ذلك أنه - تعالىٰ - لم يرضَ به، وإنما أراده - تعالىٰ - إرادةَ كونٍ، كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي».

فكما أنه لا يمكن لمسلم أن يرضىٰ بالكفر، فكذلك ينبغي أن لا يرضىٰ بالخلاف، وهذا الخلاف لا يختصُّ بأهل السنَّة والمبتدعة؛ بل حتىٰ أهل السنة لا بد أن يقع بينهم تنازع واختلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فلابد في الطوائف المنتسبة إلىٰ السنَّة والجماعة من نوع تنازع، لكن لابد فيهم من طائفة تعتصم بالكتاب والسنَّة، كما أنه لابد أن يكون بين المسلمين تنازع واختلاف، لكنه لا يزال في هذه الأمة طائفة قائمة بالحق، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتىٰ تقوم الساعة».

وإذا رجعنا إلىٰ الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة؛ وجدناها تدل علىٰ أن الخلاف شرٌّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٦٧).

رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «خلق أهل رحمته لئلَّا يختلفوا».

وقال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فاستثنىٰ تعالىٰ مَن رَحِم من جملة المختلفين، وأخرج المرحومين من جملة المختلفين».

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أن الآية اقتضت أن أهل الاختلاف المذكورين مباينون لأهل الرحمة؛ لقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فإنها اقتضت قسمين: أهل الاختلاف، والمرحومين؛ فظاهر التقسيم أن أهل الرحمة ليسوا من أهل الاختلاف، وإلا كان قسم الشيء قسيمًا له، ولم يستقم معنىٰ الاستثناء».

وقال ابن وهب(٤): «سمعت مالكًا يقول فيها: الذين رحمهم الله لم يختلفوا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]؛ فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولًا وفعلًا، وهم أهل

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٠٧٢).
(٢) الأحكام (٥/ ٦٦).
(٣) الاعتصام (٢/ ١٦٩).
(٤) الأحكام (٥/ ٦٦).
(٥) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٥).

القرآن والحديث من هذه الأمَّة، فمن خالفهم في شيء؛ فاته من الرحمة بقدر ذلك».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذمَّ الله الاختلاف، وأمر عنده بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنَّة، فلو كان الاختلاف من دينه؛ ما ذمَّه، ولو كان التنازع من حكمه؛ ما أمرهم بالرجوع عنده إلىٰ الكتاب والسنَّة».

وعن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان الناس إذا نزلوا منزلًا تفرَّقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن تفرُّقكم في هذه الشعاب والأودية، إنما ذلكم من الشيطان**»(٢)، فلم ينزلوا بعد منزلًا إلا انضم بعضهم إلىٰ بعض.

فانظر كيف نسَبَ النبيُّ ﷺ تفرُّقَ الصحابة في المكان من حيث الظاهر - مع ائتلاف بواطنهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] - إلىٰ الشيطان، وحسبك بفعلٍ أُضيف إلىٰ الشيطان؛ فإنه لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء والمنكر.

فكيف إذاً كان الخلافُ بما هو أعظم من هذا التفرق في المكان فقط؟! كالخلاف في العقائد، والمسائل العلمية والعملية.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣): «الخلاف شرٌّ».

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٤): «اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الاختلاف،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩١٠).

(٢) رواه أبو داود (٣/ ٩٤ - رقم ٢٦٢٨)، وصححه ابن حبان، والحاكم، والذهبي.

(٣) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنىٰ (١٩٦٠)، بإسناد صحيح، وأصل هذا الأثر مخرَّج في الصحيحين.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (رقم ٣٧٠٧).

حتىٰ يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي»، رواه البخاري.

وقال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ونرىٰ الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

وأمَّا حديث «**اختلاف أمتي رحمة**» فضعيف السند والمتن، لم يرد في شيء من المصنفات الحديثية حديثٌ بهذا اللفظ، والمشهور حديث: «**اختلاف أصحابي رحمة**»، وإنما يذكر ذلك بعض الأصوليين؛ كما فعل ابن الحاجب في (مختصره) في أصول الفقه.

قال السبكي في نقد الحديث(٣): «ليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له علىٰ سند صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع».

وقال أبو محمد بن حزم(٤): «وأما الحديث المذكور؛ فباطل مكذوب من توليد أهل الفسق».

وقال القاسمي منتقدًا هذا الحديث - سندًا ومتنًا -(٥): «ذكر بعض المفسرين هنا ما روي من حديث: «**اختلاف أمتي رحمة**»، ولا يُعرف له سند صحيح، ورواه الطبراني والبيهقي في «المدخل» بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعًا.

قال بعض المحققين: هو مخالف لنصوص الآيات والأحاديث؛ كقوله

---

(١) (متن الطحاوية) مع الشرح (٢/ ٧٧٥).

(٢) الفتاوىٰ (٣/ ٤٢١).

(٣) فيض القدير (١/ ٢١٢).

(٤) الأحكام (٥/ ٦١).

(٥) محاسن التأويل (٤/ ٩٢٨).

تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، ونحوه قوله ﷺ: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»[١]، وغيره من الأحاديث الكثيرة، والذي يقطع به أن الاتفاق خير من الخلاف».

والحديث الذي أشار إليه القاسمي «اختلاف أمتي رحمة»، رواه البيهقي في «المدخل»[٢]، وإسناده ساقط بالمرة؛ فيه ثلاث علل:

الأولىٰ: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم الرازي.

الثانية: جويبر، متروك الحديث؛ كما قال النسائي، والدارقطني، ويروي عن الضحاك أشياء موضوعة، وهذا الحديث من رواياته عنه.

الثالثة: الانقطاع بين الضحاك وابن عباس.

وفي الجملة ليس في الأدلة من الكتاب والسنَّة ما يدلُّ علىٰ أن الخلاف رحمة.

قال العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وجملة القول أن الاختلاف مذموم في الشريعة؛ فالواجب محاولة التخلُّص منه ما أمكن؛ لأنه من أسباب ضعف الأمَّة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ولا يسعني إلا أن أقول: إذا كان اختلاف أمتي رحمة، هل يكون اجتماعها عذابًا؟!

أما الرضا به وتسميته رحمة؛ فخلاف الآيات الكريمة المصرِّحة بذمِّه، ولا مستند له إلا هذا الحديث الذي لا أصل له عن رسول الله ﷺ».

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود (٦٧٠)، وصححه الألباني.

(٢) المدخل (رقم ١٥٢).

(٣) السلسلة الضعيفة (١/ ٧٧).

وأمَّا الخلاف الذي قام الدليل علىٰ كلِّ واحد من أطرافه، فكلُّ واحد من المختلفين مصيبٌ فيه بلا تردد؛ لأنه قد قام الدليل علىٰ مشروعية كل واحد منهما، ويُذم إذا بغىٰ فيه أحد الطرفين علىٰ الآخر.

وهذا النوع من الاختلاف يسميه العلماء باختلاف التنوع[1]، لا تدافع ولا مضادة فيه؛ كالاختلاف في صفة الأذان، والإقامة، وأدعية الاستفتاح، والتشهد، وصلاة الخوف، والقراءات.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رجلًا قرأ آيةً سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلىٰ رسول الله ﷺ، فذكرت له؛ فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «**كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[2].

وقول الموفق المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ عن اختلاف أهل السنَّة في فروع الدين: «اختلافهم رحمة واسعة»؛ هذا معناه أن رحمة الله تسع المختلفين إذا تكلموا في مسائل الشرع بعلمٍ، واتبعوا الكتاب والسنَّة بفهم السابقين الأولين، أما من تكلَّم بجهل وابتداع ومخالفة للسابقين والأولين؛ فقد توعَّده الله بجهنم، والعياذ بالله.

قال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء: ١١٥].

والنبيُّ ﷺ أخبرنا بوقوع الاختلاف، وما كان ليخبرنا به ويدعنا والناس أجمعين بدون هداية ولا إرشاد إلىٰ ما يجب فعله حال الاختلاف، حتىٰ يتحامق متحامق ويزعم أن كلَّ فرقة تزعم أنها علىٰ الحقِّ؛ فهذا ينافي الرسالة؛ قال تعالىٰ:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، (ص٣٧).

(٢) رواه البخاري (رقم ٢٤١٠).

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال النبي ﷺ: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذر أمته شرَّ ما يعلمه لهم**»(١).

النبيُّ ﷺ أخبر أمته بوقوع الاختلاف، وأمر بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين عند حصول ذلك، قال العرباض بن سارية رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»(٢).

قال الحافظ أبو الفتح نصر بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٠هـ) في لزوم الكتاب والسنَّة بفهم السلف عند ظهور البدع(٣): «فقد أخبر الله تعالىٰ عنهم بأكثر منه في غير موضع من كتابه، وبيَّن عدالتهم وأزال الشبه عنهم، وكذلك أخبر به الرسول ﷺ وأمر بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والعمل بقولهم مع علمه بما يكون في هذا الزمان من البدع، واختلاف الأهواء، ولم يأمر بأن يتمسك بغير كتاب الله وسنته، وسنة أصحابه - رضوان الله تعالىٰ عليهم -، ونهانا عما ابتدع خارجًا عن ذلك، وعما جاوز ما كان عليه هو وأصحابه؛ فواجب

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، (ص٨٢٨ - رقم ٤٧٧٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصححه ابن حجر في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب (١/ ١٣٧)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠٩)، وحسنه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (ص٨٥٦)، وصححه الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ١١٤).

(٣) الحجة في بيان تارك المحجة (١/ ١٥٩).

علينا قبول أمره فيما أمر، وترك ما نهىٰ عنه وزجر، وعلىٰ هذا كان العلماء والأئمة فيما سلف، إلىٰ أن حدث من البدع ما حدث».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان كمال تبليغ النبي ﷺ[1]: «هو القائل ﷺ: «**تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وهو القائل: «**ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**»، وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا».

وقال عمر بن الخطاب: «قام فينا رسول الله مقامًا، فذكر بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه» ذكره البخاري.

وصلَّىٰ بهم رسول الله ﷺ صلاة الظهر ثم خطبهم حتىٰ حضرت العصر فصلىٰ العصر، ثم خطب بهم حتىٰ غربت الشمس، فلم يدَع شيئًا كان ولا يكون من خلق آدم إلىٰ قيام الساعة حتىٰ أخبرهم به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.

فكيف يتوهَّم من لله ولرسوله ودينه في قلبه وقار أن يكون رسول الله قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم؟!!».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «المذهب الحقُّ الذي لا يتمذهب به إلا أهل التوفيق؛ هو: ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين».

وقال قوام السنَّة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «قال أهل اللغة: السنة:

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٥٨ - ١٦٠).

(٢) نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (ص١٣٠).

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٤٤٢).

السيرة والطريقة، فقولهم: فلان على السنة، ومن أهل السنة، أي: هو موافقٌ للتنزيل والأثر في الفعل والقول؛ لأن السنة لا تكون مع مخالفة الله ومخالفة رسوله ﷺ.

فإن قيل: كل فرقة تنتحل اتباع السنة، وتنسب مخالفيها إلىٰ خلاف الحقِّ، فما الدليل علىٰ أنكم أهلها دون من خالفكم؟

قلنا: الدليل علىٰ ذلك قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، فأمر باتباعه وطاعته فيما أمر ونهىٰ.

وقال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي**»، «**ومن رغب عن سنتي فليس مني**».

وعرفنا سنَّته بالآثار المروية بالأسانيد الصحيحة، وهذه الفرقة الذين هم أصحاب الحديث لها أطلَب، وفيها أرغب، ولصحاحها أتبع.

فعلمنا بالكتاب والسنة أنهم أهلها دون سائر الفرق».

والواجب علىٰ العلماء وطلبة العلم ردُّ اختلاف العلماء إلىٰ أسباب الائتلاف، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالاعتصام بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من أسباب الائتلاف علىٰ الحق والصواب، وهذا هو الذي تنال به الأمة رحمة الله، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**» رواه أحمد، وصححه الألباني.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧)**(١):

«أما الاختلاف فهو ينقسم علىٰ وجهين:

١ - **أحدهما**: اختلافٌ الإقرارُ به إيمان ورحمة وصوابٌ، وهو الاختلاف المحمود الذي نطق به الكتاب، ومضت به السنَّة، ورضيت به الأمَّة، وذلك في:

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/ ٢٨٧).

الفروع والأحكام التي أصولها ترجع إلىٰ الإجماع والائتلاف.

٢ - واختلاف هو كفر وفرقة وسخطة وعذاب، يؤول بأهله إلىٰ الشتات والتضاغن، والتباين، والعداوة، واستحلال الدم والمال: وهو اختلاف أهل الزيغ في الأصول والاعتقاد والديانة».

❁ ❁ ❁

﴿ قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا علىٰ الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات، برحمته وفضله، آمين.
وهذا آخر المعتقد، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿ الشَّرح:

ختم العلامة ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ متن «لمعة الاعتقاد» بسؤال الله عَزَّوَجَلَّ الثبات علىٰ الإسلام والسُّنَّة، والمتابعة للرسول ﷺ، والعصمة من البدع والفتنة، وهذا من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ له؛ فإنَّ الله هو الهادي، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وكلنا في ضرورة إلىٰ هداية الله عَزَّوَجَلَّ وتثبيته، فلولا الله ما اهتدينا، عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا عبادي! استهدوني أهدكم**» رواه مسلم.

ولضرورة كل مسلم إلىٰ هداية الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّه يسأل الله ذلك في كل ركعة من صلاته. والمسلم إذا اهتدىٰ بالقرآن والسُّنَّة بفهم السلف هُدي إلىٰ الحق، وكان عند ربه مرضيًّا.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وطريق الهداية العلم بصراط الله المستقيم واتِّباعه، واجتناب البدع

والمحدثات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإذا تلقىٰ المسلم عقيدته عمن توارث عقيدة السابقين الأولين، واجتنب الأئمة المضلين؛ اهتدىٰ إلىٰ الحق.

ومتىٰ تحلَّىٰ المسلم بالإنصاف ونبذ التعصُّب والتقليد للباطل، ورُزق التقوىٰ؛ آتاه الله فرقانًا يعرف به الحق من الباطل.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

والمسلم إذا كان مُخْلصًا في طلب الحق، وسلك الطريق الموصل إليه؛ اهتدىٰ إلىٰ الحق.

والمسلم يجب عليه أنْ يكون ناصحًا لنفسه، ينظر في كل مسألة أدلة القرآن والسُّنَّة وقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك؛ فيكون قد أخذ دينه عن خير القرون، ويكون ممن اتبع ولم يبتدع.

ومتىٰ لم يملك المسلم آلة العلم التي يُميِّزُ فيها بين الحق والباطل؛ فالواجب عليه سؤال العلماء الناصحين؛ فإنَّهم وسائل للفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وليحذر المسلم شيوخ البدع والضلال.

قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال العلَّامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هم أهل العلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ، أمَّا أهل البدعة فليسوا من أهل الذِّكر، والدُّعاة إلىٰ

---

(١) الفتاوىٰ البازية (٧/ ١٢٦).

البدعة ليسوا من أهل الذِّكر».

الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة بالاهتداء بالوحي؛ من أسباب هداية الخلق وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ومن أسباب تولي الله لهم هداية وتثبيتًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

ومن عدل عن الاهتداء بالوحي زاغ في ضلالات البدع والأهواء، وظلمات الجهل والتعالم، فإياكم والحيدة عن وحي الله و دينه.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

ما اشتملت عليه «لمعة الاعتقاد» من جمل العقيدة؛ هو ما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة والإجماع، والشرح الذي يسَّر الله كتابته دال علىٰ ذلك.

متن «لمعة الاعتقاد» دالٌّ علىٰ سلفية ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اعتنىٰ العلماء وطلبة العلم بهذا المتن تدريسًا وشرحًا لصحة اعتقاده وسهولة ألفاظه.

ابن قدامة من أفذاذ علماء المسلمين، وشرح متن اللمعة تبيين لمعانيه، وأرجو أن يكون شرحي له وافيًا بالمقصود.

شرح العقيدة ضرورة كل حين؛ للعلم بالله وأداء حقه بعبوديته، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وهو من أسباب حفظ التوحيد مما يضاده من أنواع الشرك، قال الخليل عليه الصلاة والسلام داعيًا ربه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وشرح العقيدة مع ظهور أنواع البدع والضلالات؛ ضرورة لهداية الخلق إلىٰ صحيح الاعتقاد، فالجهلة من المسلمين أضلهم المتعالمون والمبتدعون.

والتفقُّه في الدين خير للمؤمنين، وإفادة المسلمين بما ينفعهم في دينهم فرض كفاية، وهو من أوجب ما يكون من النصيحة لهم، وهو من أسباب دخول المعلمين والمتعلمين الجنَّة.

العناية بشرح العقيدة الصحيحة هو من التواصي بالحق، وهو من أفضل

الطاعات وأعظم ما يرجح في الميزان.

ورثة الرسل يُبلِّغون شرع الله بما يحصل به استمرار إقامة الحُجَّة علىٰ الخلق، وهذا التبيين من أسباب حفظ الدين وتجديده وظهوره، ومن دعا إلىٰ هدًىٰ كان له أجره وأجر من عمل به.

شرح العقيدة الصحيحة من أسباب ظهور الحق واضمحلال الباطل، وهو من أسباب زكاء المسلمين ومجتمعاتهم.

فأحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ تيسيره شرح «لمعة الاعتقاد»، فهو من المتون المختصرة النافعة جدًّا في مسائل الاعتقاد.

متن «لمعة الاعتقاد» متقن العبارة، مسائله ومفرداته هي مما دلَّ عليه القرآن والسنة واعتقاد السابقين الأولين. وتدوين فقيه الإسلام ابن قدامة المقدسي عقيدة الإسلام في متن «لمعة الاعتقاد»؛ من أسباب ظهور العقيدة الصحيحة، ولا يزال المسلمون يتدارسون هذا المتن المبارك، وانتفع به خلائق لا يحصيهم كثرة إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وتدوين ابن قدامة متن «لمعة الاعتقاد» هو من النصيحة لله عَزَّوَجَلَّ ولكتابه، ولرسوله ﷺ وسنته، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

المتون المختصرة في العقيدة؛ كـ«لمعة الاعتقاد»، و«الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ هي كالأساس للمتعلمين في تلقي جمل الاعتقاد.

أول وأوجب الواجبات علىٰ المسلمين تعليم العقيدة وشرحها، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد: ١٩].

وطالب العلم اللائق به هو مدارسة أنواع متون العقيدة وشروحاتها، فالعلم يغذي بعضه بعضًا، فمحتويات المتون متنوِّعة يكمل بعضها بعضًا.

وقد اجتهدت في شرح جمل الاعتقاد الواردة في «لمعة الاعتقاد» شرحًا ميسرًا يستفيد منه كل طبقات المتعلمين، وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به، آمين.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يهدينا إلىٰ العلم النافع والعمل الصالح، آمين، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

محتويات الموضوعات

محتويات الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
أسماء الله وصفاته توقيفية	١٥
الله موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ	٢٨
يجب الإيمان بكل ما أخبر الله ورسوله من صفات الله	٣٥
صفات الله يجتنب فيها التأويل والتمثيل	٤٣
أمرار نصوص الصفات كما جاءت	٧١
النهي عن الخوض في كيفية صفات الله	٨١
اعتقاد الإمام أحمد في الصفات	٩٤
قول الشافعي في معاني الوحي	١٠٤
إجماع السلف علىٰ الإيمان بأخبار الوحي في صفات الله	١١٣
الاهتداء بالسلف	١١٩
كمال الشرع	١٢٧
منهج السلف	١٣٦
المسلم يأخذ دينه عن الصحابة	١٤٠

مناظرة الشيخ الشامي لابن أبي دؤاد ١٥٠
لزوم إجماع الصحابة ١٦٠
صفة الوجه لله عَزَّوَجَلَّ ١٦٤
صفة اليدين لله ١٧٠
ذات الله ونفسه ١٧٤
صفة الإتيان والمجيء لله ١٨٧
صفة الرضا الإلهية ١٩٥
صفة المحبة لله ٢٠٧
سخط الله وغضبه ٢٢٩
صفة النزول الإلهية ٢٣٨
صفة العَجَب لله ٢٤٨
صفة الضحك الإلهية ٢٥١
ما يجب اعتقاده في صفات الله ٢٦٤
استواء الله علىٰ العرش ٢٧٠
صفة كلام الله ٢٧٥
القرآن كلام الله ٢٨٦
القرآن سور وآيات ٢٩٤
إحكام القرآن ٣٠٣
إعجاز القرآن ٣١١
الفهم الصحيح والمغلوط للقرآن ٣١٣

رؤية الله يوم القيامة ٣١٨
القضاء والقدر ٣٣١
الاحتجاج بالقدر ٣٣٧
الإيمان: اعتقاد وقول وعمل ٣٦٩
الإيمان بكل أخبار الوحي ٣٩٤
الإسراء والمعراج ٤٠٢
لطم موسىٰ ملك الموت حين تمثَّل له في صورة بشر ٤٣١
أشراط الساعة ٤٣٤
الدجال ٤٣٦
نزول عيسىٰ ابن مريم ٤٤١
خروج يأجوج ومأجوج ٤٤٤
خروج الدابة ٤٤٧
طلوع الشمس من مغربها ٤٤٩
عذاب القبر ونعيمه ٤٥٤
فتنة القبر، والسؤال في القبر ٤٦١
النفخ في الصور والبعث ٤٧٢
الشفاعة ٤٧٩
الحساب ٤٩٢
الميزان ٥٠١
الحوض ٥٠٧

الصراط ٥١٠
الشفاعة ٥١٦
خاتم النبيين ﷺ ٥٢١
أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٢٦
الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٤٠
عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٤٩
عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٦٣
سُنَّة الخلفاء الراشدين ٥٧٨
الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٥٨٥
العشرة المُبشَّرون بالجنَّة ٥٩١
الشهادة بالجنة والنار ٦٠٦
التحذير من التكفير ٦١٦
الجهاد يقيمه ولي الأمر ٦٣١
موالاة الصحابة ٦٤٣
موالاة أمهات المؤمنين ٦٥٦
موالاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٦٧٦
طرق إثبات ولاية الأمراء، وصفة معاملتهم ٦٨٥
هجر المبتدع، والتحذير من الخصومات في الدين ٧١٥
الفرق المبتدعة ٧٧٠
الجهمية ٧٧٩

المعتزلة	٧٨١
الكُلَّابية	٧٨٢
الكَرَّامية	٧٨٣
القدرية	٧٨٤
الخوارج	٧٨٨
المرجئة	٧٩٣
الرافضة	٧٩٩
الاختلاف والاتفاق	٨٢٥
الخاتمة	٨٣٩

❁ ❁ ❁